مفرج الكروب

في أخبار بني أيوب

لجمال الدين محمد بن سالم بن واصل
المتوفى سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م

الجزء الخامس

(٦٢٩ - ٦٤٥ هـ / ١٢٣١ - ١٢٤٨ م)

حققه ووضع حواشيه
دكتور حسنين محمد ربيع
أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة القاهرة

راجعه وقدم له
دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

وبعد ، فهذا هو الجزء الخامس من كتاب مفرج الكروب لابن واصل ، نتشرف بتقديمه اليوم للباحثين والمشتغلين فى حقل تاريخ الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، وذلك بعد أن أتم تحقيقه الدكتور حسنين محمد ربيع .

ويعالج المؤرخ ابن واصل فى هذا الجزء الفترة الزمنية الواقعة بين سنتى ٦٢٩ هـ ، ٦٤٥ هـ ، وهى فترة مليئة بالأحداث المحلية ، تشابكت فيها العلاقات بين أبناء البيت الأيوبى فى المنطقة من ناحية ، وتداخلت مع القوى الأخرى المجاورة من ناحية أخرى . وحسب هذه الحلقة فى تاريخ الشرق الأدنى أنها شهدت الإحساس بتزايد خطر التتار يوما بعد يوم ، وتطرق الخوارزمية إلى قلب الوطن العربى ، فى الوقت الذى دخلت العلاقات بين أمراء بنى أيوب وسلاجقة الروم دورا عاصفا فى أطراف بلاد الشام والجزيرة . فإذا أضفنا إلى ذلك أن الكيان الصليبى كان لا يزال قائما فى بلاد الشام يؤثر فى الأحداث الدائرة فى المنطقة وفى سياسة الحكام والأمراء من بنى أيوب بوجه خاص ، أدركنا مدى أهمية هذه الفترة التى تعرض لعلاجها ابن واصل فى هذا الجزء الخامس من كتابه مفرج الكروب .

وإذا كان ابن واصل قد استهدف من كتابه مفرج الكروب أن يكون قبل أى اعتبار آخر سجلا لأخبار بنى أيوب؛ فإننا نلمس فى هذا الجزء عنايته الخاصة باستقصاء وتسجيل أخبار المعاصرين من أمراء الأيوبيين ، وما كان بينهم وبين بعض من صلات وروابط تفاوتت بين الزواج والمصاهرة والتحالف والمودة حينا وبين الخلاف والوحشة والعداء والحرب أحيانا . والحق إن ابن واصل نجح فى أن يجعل كتابه مفرج الكروب المصدر الأول لأخبار بنى أيوب فى تلك الفترة القلقة من تاريخ الشرق الأدنى ، وهو المصدر الذى اعتمد عليه ونقل منه معظم من أرخوا لتلك الحلقة من تاريخ الشرق الأدنى من المؤرخين اللاحقين . وساعد ابن واصل فيما حققه من نجاح الصلات القوية التى ربطته بكثير من أمراء البيت الأيوبى، حتى أن بعضهم — كما يقول ابن واصل نفسه فى حوادث سنة ٦٣٤ هـ — كان " يؤثر كثيرا مقامى عنده " . وقد أدى ذلك إلى اختيار ابن واصل عضوا فى بعض السفارات مثل السفارة التى أرسلها المظفر الأيوبى صاحب حماة إلى الخليفة المستعصم بالله العباسى ، والتى أشار إليها ابن واصل فى أحداث سنة ٦٤١ هـ .

وإذا ذكرنا أن هذا الجزء الخامس يعالج أخبار الفترة الواقعة بين سنتى ٦٢٩ هـ ، ٦٤٥ هـ ، فإنه علينا أن نشير إلى أن هذه الفترة تمثل مرحلة الشباب والطموح والوعى فى حياة ابن واصل، إذ تراوح عمره فيها بين الخامسة والعشرين والحادية والأربعين ، مما أهله لأن يكون جليسا للرجال ، صديقا للكبار ، ندا لأرباب المسئولية . وهكذا نراه يشير إلى أن بعض الأحداث التى رواها فى هذا الجزء شاهدها بنفسه، والبعض الآخر استقاه من كبار الملوك والأمراء وصانعى التاريخ الذين جالسهم فى ذلك الدور مثل السلطان الملك المنصور ابراهيم صاحب

حمص ؛ فى حين استمد بعض معلوماته مما حكاه له مباشرة رجال مسئولون ممن يحتلون مكانة خاصة فى العصر الأيوبى مثل كاتب الإنشاء بهاء الدين زهير والأمير حسام الدين أبى على الهذبانى . هـذا فضلا عن كبار القضاة والعلماء المعاصرين الذين جالسهم ابن واصل ورووا له كثيرا من الأحداث مثل القاضى شهاب الدين ابن أبى الدم الحموى والقاضى كمال الدين بن العديم .

وهكذا تهيأت لابن واصل فى تلك المرحلة كافة أسباب النجاح لكتابة تاريخ محكم البنيان صادق الرواية ، جمع بين الدقة فى رواية أحداث الفترة التى تعرض لها بالعـلاج، وبين العناية بذكر الكثير عن مشاهير المعاصرين من سـلاطين وملوك وأمراء وعلماء وشعراء وغيرهم .

أما عن الخطة التى اتبعها المحقق الدكتور حسنين محمد ربيع فى تحقيق هذا الجزء فهى تتفق مع الإطار العام الذى رسمناه معا لإتمام كتاب مفرج الكروب والذى يسير فى نفس الاتجاه الذى سبق أن حدده المرحوم الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال، محقق الأجزاء الثـلاثة الأولى من هـذا الكتاب . هـذا مع ملاحظة أن تحقيق الجزء الرابع الذى ينتهى بسنة ٦٢٨ هـ ، اعتمد فى المقام الأول على كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير، وهو المصدر الذى استقى منه ابن واصل وأخذ عنه الكثير، حيث أن ابن واصل لم يع أحداث ذلك الدور . وقد اخترنا أن ننهى الجزء الرابع من كتاب مفرج الكروب بحوادث سنة ٦٢٨ هـ وهى نفس السنة التى انتهى بهـا كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير .

أما الجـزء الخامس من كتاب مفرج الكروب ، وهو الجزء الذى نقدمه اليوم للباحثين، فإن ابن واصل اعتمد فيما سرده فيه من معلومات على ما شاهده بنفسه

وما سمعه من الثقات، كما سبق أن أشرنا . وبعبارة أخرى فإنه لم يعتمد فيما كتبه اعتبارا من سنة ٦٢٩ ﻫ على كتاب بعينه ينقل عنه بقدر ما اعتمد على بصره وسمعه وحسه .

وفى الفترة بين سنتى ٦٢٩ ﻫ ، ٦٣٥ ﻫ اتخذ المحقق نسخة ملا چلبى أصلا للتحقيق، ورمز لها بحرف [م]، مع مقابلتها بنسخة باريس رقم ١٧٠٢ التى رمز لها فى التحقيق بحرف [س] . ولما كانت نسخة ملا چلبى تنتهى وسط حوادث سنة ٦٣٥ ﻫ ، فإن المحقق فى تحقيقه بقية الجزء الخامس اتخذ نسخة باريس رقم ١٧٠٣ أصلا للنشر ورمز إليها بحرف [ب] مع مقابلتها بنسخة باريس رقم ١٧٠٢ التى احتفظت لنفسها برمز [س] .

* * *

وأخيرا ، فلعلنا لسنا فى حاجة إلى الإشارة إلى الجهد الكبير الذى بذله الدكتور حسنين محمد ربيع فى تحقيق هذا الجزء . فكل صفحة بل كل سطر فى هذا المجلد هو فى حقيقة أمره ثمرة ساعات طويلة متصلة قضاها الدكتور حسنين ربيع فى عمل شاق فى مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية . ولا يسعنى سوى أن أهنأه على هذا العمل من ناحية، ثم أدعو له بمزيد من الصبر والمثابرة حتى يتم إنجاز الجزء السادس والأخير من كتاب مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب لابن واصل، وبذلك نكون قد أتممنا صرحا آخر فى حركة إحياء تراثنا العربى .

دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب — جامعة القاهرة

رمضان ١٣٩٥ ﻫ
سبتمبر ١٩٧٥ م

تنـــــــويه

تم تحقيق هذا الجزء من كتاب (مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب) لابن واصل بمركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية بجمهورية مصر العربية .

ويطيب لنا فى هـذا الصدد أن ننوه بالجهد المشكور الذى بذله فى إخراج هـذا الجزء كل من الآنسـة لبيبة ابراهيم مصطفى والسيدة نجـوى مصطفى كامل والسـيدة فاطمة مصطفى الحكيم والأسـتاذ محمد محمد أبو حسن ، وجميعهم من مساعدي الباحثين بمركز تحقيق التراث .

[١١٦٨] ودخلت سنة تسع وعشرين وستمائة (*)

والسلطان الملك الكامل بالديار المصرية ، وعنده أخوه الملك الأشرف ، والملك المظفر [تقى الدين محمود] (١) بحماة مالك (٢) لها [وللعرة] (٣) ، وأخوه الملك الناصر [قليج أرسلان] (٤) ببعرين (٥) ، [والملك العزيز بن الملك الظاهر قد استبد بأمر الملك بحلب واستقل بالتدبير ، ورسوله القاضى بهاء الدين بن شداد بالديار المصرية ومعه جماعة من الأكابر والأعيان لإحضار جهته الكريمة] (٦) .

ذكر انتزاع (٧) [السلطان الملك العزيز]

تل باشر من يد الأتابك شهاب الدين طغريل

كانت تل باشر من أيام الملك الناصر صلاح الدين إقطاعا للأمير بدر الدين دُلدِرم بن ياروق (٨) وصارت بعده لولده . ولما خرج عزالدين كيكاوس سلطان الروم

(*) يوافق أولها ٢٩ اكتوبر سنة ١٢٣١ ميلادية .

(١) ما بين الحاصرتين للتوضيح انظر زامباور : معجم الأنساب ، ج ١ ص ١٥٣ .

(٢) فى نسخة س « مالكان » والصيغة المثبتة من م .

(٣-٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٥) فى نسخة س « بحصن بعرين » والصيغة المثبتة من م .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة م ، أما فى نسخة س فقد ورد ما يلى : « والسلطان الملك العزيز ابن السلطان الملك الظاهر قد اشتغل بملك حلب ، وانفرد بتدبير ممالكها ، وقد استولى التتر على بلاد العجم كلها وبلاد العراق ، وباقيها للخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين » .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٨) كذا فى نسختى المخطوطة وورد الإسم فى ابن الأثير (الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٩٩ ، ٥٣٠) فى صيغتى دزوم ودلدرم الياروقى .

إلى الشام[١] ومعه الملك الأفضل بن الملك الناصر بعد وفاة الملك الظاهر [صاحب حلب[٢]]، انتزع [السلطان عز الدين ملك الروم[٣]] تل باشر من يد ابن دلدرم[٤] وأخذها لنفسه . فلما انهزم كيكاوس بين يدى الملك الأشرف — كما قدمنا ذكره — فتح الملك الأشرف تل باشر وسلمها إلى الأتابك شهـاب الدين طغريل [أتابك السلطان الملك العزيز[٥]] ، فكانت فى يده إلى هذه الغاية ، وفيها خزائنه . فخرج الملك العزيز فى هذه السنة إلى الصيد ورمى البندق[٦] بنواحى العمق ، فحسن له بعض أصحابه أن يسير إلى قلعة تل باشر ويأخذها لنفسه ، ويبقى على الأتابك رستاقها[٧] وأن لا يكون شىء من القــلاع إلا بيده . فوصل الخبر[٨] بذلك إلى الأتابك فسير إلى نائبه بقلعــة تل باشر يأمره أن لا يعارض الملك العزيز فى القلعة ، وأن يسلمها إليه ، واستدعى خزائنه التى كانت بهـا . وتوجه الملك العزيز إلى عزاز[٩] وكانت فى يد والدة أخيه[١٠]

---

(١) الصيغة المثبتــة من نسـخة م وفى س « ولمـا خرج السلطان الملك الغالب عز الدين كيكاوس ابن كيخسرو السلجوقى إلى الشام » .

(٢ — ٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٤) فى نسخة س « ولد بدر الدين دلردم » والصيغة المثبتة من م .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٦) عن رمى البندق ، انظر ماسبق ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ص ١٦٤ حاشية ١ .

(٧) رستاق لفظ فارسى ومنه بالعربية كلمة الرزداق بمعنى السواد والقرى ، انظر : القاموس المحيط ؛ Steingass: Per. Eng. Dict.

(٨) فى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٢١٣) « فنمى الخبر » .

(٩) فى نسخة س « أعزاز » والصيغة المثبتة من نسخة م وكلاهما صحيح ، وهى بليدة شمالى حلب ، انظر ياقوت : معجم البلدان .

(١٠) كذا فى نسختى المخطوطة وفى ابن العـديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٢١٣) « أخت » ولعله تصحيف انظر زامباور (معجم الأنساب ، ج ١ ، ص ١٥٦)

الملك الصالح [صلاح الدين](١) أحمد وبنى ألطنبغا(٢)، عوضهم بها الأتابك [شهاب الدين](٣) عن بهسنا(٤) بعد أن قتل [السلطان عز الدين كيكاوس صاحب ملك الروم](٥) أباهم ألطنبغا . فصعد الملك العزيز إلى قلعة عزاز(٦) فولى عليها واليا من قبله ، وأبقى عليهم ما كان فى أيديهم من عملها . ثم سار الملك العزيز إلى تل باشر ، وصعد إلى القلعة ، وولى فيها واليا من جهته ، [وانتزعها من أيدى نواب الأتابك](٧) .

وبلغه أخذ الخزانة من تل باشر فسير من اعترض أصحاب الأتابك فى الطريق ، وأخذ الخزانة منهم . وكان يظن أن فيها مالا كثيرا ، فلم يجد الأمر(٨) كما ذكر له(٩) . فأعاد الخزانة إلى الأتابك [١٦٨ ب] فامتنع الأتابك من أخذها وقال : « ما ادخرت المال إلا لك(١٠) » . ثم دخل الملك العزيز إلى حلب . [وبقيت الخزانة فى دار العدل إلى أن مات الأتابك فرفعت إلى قلعة حلب](١١) .

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س

(٢) كذا فى نسختى المخطوطة وفى ابن العديم (نفس المصدر والجزء والصفحة) ورد « وأولادها بنى ألطنبغا »

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٤) فى نسخة س « بهنسا » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .

(٥) فى نسخة م « عز الدين سلطان الروم » والصيغة المثبتة من نسخة س .

(٦) انظر حاشية ٩ الصفحة السابقة .

(٧) فى نسخة م « وانتزع ما فى أيدى نواب الأتابك » ، والصيغة المثبتة من نسخة س وفى ابن العديم : زبدة الحلب ج ٣ ص ٢١٣ « وانتزعها من أيدى نوب أتابكه » .

(٨) كذا فى نسخة م وابن العديم (نفس المصدر والجزء والصفحة) ، وفى نسخة س ورد : « فلم يكن الأمر » .

(٩) فى نسخة م « على ما ذكر له » والصيغة المثبتة من نسخة س ، انظر أيضا ابن العديم .

(١٠) فى نسخة س « إلا للسلطان الملك العزيز » والصيغة المثبتة من نسخة م وكذلك من ابن العديم .

(١١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م

ذكر مسير السلطان الملك الكامل من الديار المصرية إلى الشرق

وفى هذه السنة — [أعني سنة تسع عشرين وستمائة](١) — رحل السلطان الملك الكامل وأخوه الملك الأشرف بالعساكر المصرية [والشامية](٢) إلى الشرق لانتزاع آمد وبلادها من يد الملك المسعود بن الملك الصالح [الأرتقى](٣). وكانت آمد من فتوح السلطان الملك الناصر صلاح الدين — رحمه الله — أخذها من ابن بيسان وسلمها إلى نور الدين محمد بن قرا آرسلان بن سقمان بن أرتق جد الملك المسعود هـذا. وكانت له قبـل ذلك حصن كيفا فقط، وقد تقدم ذكر ذلك. وكان محمد(٤) حَسَن السيرة، ولما مات ملك بعده الملك الصالح محمود، ثم ملك بعد الملك الصالح ولده الملك المسعود. وكان ردئ السيرة جدا يتعرض لحرمهم](٥). وأكثر من النساء(٦)، وكانت(٧) عنده امرأة يقال لها الأزاه(٨) رأيتها بالقاهرة تستعطى وهى عجوز كبيرة كان يرسلها إلى نساء الرعية لتؤلف بينهن و بينه. وفعل(٩) ذلك مع نساء الأعيان والأكابر

---

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م.

(٣) فى نسخة س « من صاحبها » والصيغة المثبتة من نسخة م.

(٤) يقصد نور الدين محمد بن قرا آرسلان.

(٥) ورد ما بين الحاصرتين فى قليل من التعـديل و بنفس المعنى فى نسخة س ، والصيغة المثبتة من نسـخة م.

(٦) فى نسخة س « الفساد » والصيغة المثبتة من نسخة م.

(٧) فى نسخة س « وكان » والصيغة المثبتة من م.

(٨) ورد الاسم بالصيغة المثبتـة فى نسختى المخطوطة ولعـل المقصود « الأذاة » من الأذى ، انظر ابن منظور : لسان العرب ، ج ١٨ ، ص ٢٨.

(٩) فى نسخة س « وفعلت » والصيغة المثبتة من م.

من أهل البلد، وربما تعدى ذلك إلى بعض نساء[1] ملوك الشرق، فكثرت الشكاوى منه إلى السلطان الملك الكامل — رحمه الله — فأجمع رأيه ورأى أخيه الملك الأشرف على قصده[2] وأخذ آمد منه. [وانضاف إلى ذلك ما في قلوبهما من الحنق عليه بسبب معاضدة جلال الدين بن خوارزم شاه عليهما][3]. ولما خرج الملك الكامل بالعساكر تقدمه أخوه الأشرف بالعساكر إلى دمشق[4]. وأما السلطان الملك الكامل فمضى جريدة إلى الشوبك [ليتوجه منه إلى الكرك ثم إلى دمشق. فوصل إلى الشوبك، وكان قد سلمه إليه الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم][5]، وشاهده ونظر في مصالحه ثم توجه إلى جهة الكرك[6].

[ذكر الوصلة بين الملك الناصر داود ابن الملك المعظم وعمه الملك الكامل][7]

ورتب الملك الناصر الإقامات الكثيرة بالمنزلة التي هي شرق الكرك [١٦٩ ا] المعروفة باللَّجُّون[8]، وهي منزلة الحجاج إذا توجهوا إلى الحجاز. وأمر فضربت للسلطان الملك الكامل بها خيمة ودهليز كانا قبل ذلك للملك الصالح صاحب

(١) في نسخة س « نساء بعض » والصيغة المثبتة من م.

(٢) في نسخة س « فاجتمع هو وأخوه الملك الأشرف واتفقا على قصده » والصيغة المثبتة من نسخة م

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في م.

(٤) وردت هذه الجملة مع بعض التعديل ولكن بنفس المعنى في نسخة س، والصيغة المثبتة من نسخة م.

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وورد مكانها في نسخة م « وكان قد صار له بتسليم الملك الناصر إليه ».

(٦) في نسخة س « ثم رحل من الشوبك إلى جهة الكرك » والصيغة المثبتة من نسخة م.

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في م.

(٨) اللجون بلد بالأردن، انظر ياقوت (معجم البلدان).

آمد فى غاية الحسن ، قد صُــوِّرت فيهما الصور البديعة ، وأمر فَذُبِح[(١)] شىء عظيم من البقــر والغنم والخيــل[(٢)] وشويت قشلميشا[(٣)] . ومد سمــاطا عظيما عاما لينتهب [على عادة الترك[(٤)]] ، [وجعل حوله أبراجا عالية من الحلوى[(٥)]] . [واحتفل الملك الناصر بعمه السلطان الملك الكامل احتفالا عظيما[(٦)]] لم يسمع بمثله ، غرم فيه جملة جليـــلة .

[وكان لمـا قرب عمه قد خرج إلى لقائه و بات عنده ليلة ومعه الشيخ شمس الدين الخسروشاهى — رحمه الله — شيخه ، ثم رجع إلى الكرك قبل أن يصل عمه . واجتمعت به أنا ووالدى فى قلعة الكرك فسمعته — رحمه الله — يقول لوالدى : « تباحثنا مع السلطان وأصحابه البارحة فى الفقــه ، فكانوا جميعهم علىّ لأنهم كلهم شافعية ؛ السلطان وصلاح الدين الأربلى والشيخ شمس الدين قاضى العسكر الشريف وكمال الدين بن شيخ الشيوخ . وخرج شمس الدين الخسروشاهى معى فصار معهم علىّ لأنه شافعى ، و بقيت أنا وحدى فى مقابلة الجميع ما معى من ينصرنى عليهم » . ثم خرج الملك الناصر إلى الجحون ، وخرجنا فى خدمته ، والتقينا معه السلطان الملك الكامل — رحمــه الله . و نزل الملك الكامل فى الدهليز الذى ضُرب له وأنهب

(١) فى نسخة س « وأمر بذبح » والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٢) فى نسخة س « والخيل والجمال » .

(٣) فى نسخة م « قشلمشا » والصيغة المثبتة من نسخة س . انظر سبط ابن الجوزى (مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٥١) حيث ورد فى خبر آخر « عددت على السماط مائة فرس قشلميش وخمسة آلاف رأس شوى وعشرة ألف دجاجة ... » و يبدو أنها كانت طريقة من طرق شىّ لحوم الخيل ، انظر أيضا : Dozy, Supp. Dict. Ar., II., pp. 252, 351,

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وفى نسخة م « واحتفل لعمه الملك الكامل احتفالا » .

السماط ، وتسلقت العامة والغلمان فى أبراج الحلوى لينتهبوها وتساقطوا منها ، والسلطان الملك الكامل واقف ، وإلى جانبه الملك الناصر وهما يضحكان مما يجرى من الانتهاب من العامة ووقوع بعضهم على بعض][1] .

ولما كانت صبيحة الغد من ذلك اليوم اجتمعنا فى خيمة إلى جانب خيمة السلطان الملك الكامل ، وحضر فيها القاضى الشريف شمس الدين قاضى العسكر [المنصور][2] الكاملى ، وكمال الدين بن شيخ الشيوخ ، [ومن أصحاب الملك الناصر الشيخ شمس الدين الخسروشاهى شيخ الملك الناصر ، والشيخ شهاب الدين الكاشى معلمه ، والقاضى شمس الدين قاضى نابلس والقدس وما معهما من البلاد ، وكان متقدما عند الملك الناصر [١٦٩ ب] وأبيه الملك المعظم من قبل ومحترما عند ملوك البيت لكرمه ورياسته][3] .

[وعُقد العقد للملك الناصر على إبنة عمه عاشوراء خاتون بنت السلطان الملك الكامل وهى شقيقة الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن الملك الكامل . وكان متولى العقد من جهة الملك الكامل كمال الدين بن شيخ الشيوخ][4] ، [ومتولى القبول][5] من جهة الملك الناصر الطواشى عزيز الدولة ريحان نائب الملك الناصر بالكرك .

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة م وورد مختصرا فى نسخة س .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة م ، وورد بدلها فى س « وجمع كثير من الأماثل من أصحاب السلطان الملك الكامل وأصحاب السلطان الملك الناصر » .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة م وورد فى قليل من التعديل فى نسخة س ورقة ٢٧٨ أ .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

[فلما عقد العقد نثر النثار من الذهب والفضة ، وحصل الاتصال بين الملك الناصر ابن الملك المعظم وبين عمه الملك الكامل ، ولو كان الملك الناصر التجأ إلى عمه الملك الكامل فى أول أمره لم تخرج بلاد أبيه من يده[١]] .

ووصل [بعد ذلك[٢]] إلى الجون الملك المظفر تقى الدين صاحب حماه ملتقيا لخاله الملك الكامل ، وكان حلول الملك الكامل بالجون فى العشر الأخير[٣] من شعبان . ثم رحل الملك الكامل متوجها إلى دمشق ومعه الملك الناصر بعسكره . واجتمعت العساكر بدمشق ، [ثم رحل منها متوجها إلى الشرق فى عساكر يضيق بها الفضاء ، ومعــه جماعة ملوك أهل بيته الملك العزيز والملك الصالح أخوه ، وابن أخيه الملك المغيث ، والملك المجاهد أسد الدين صاحب حمص ، والملك المظفر صاحب حماه ، والملك المظفر شهاب الدين صاحب ميافارقين ، والملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه بن الملك العادل صاحب تل باشر ، وعسكر حلب][٤] .

ذكر رحيل الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل إلى الشرق ومقامه به[٥]

كنا قد ذكرنا[٦] أن الملك الكامل فى خرجته الأولى التى فتح فيها دمشق كان عهد إلى ابنه الملك الصالح واستنابه بالديار المصرية ، ثم ذكرنا[٧] تغــير الملك الكامل عليه

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وورد بدلها فى م « ونثر النثار من الذهب والفضة » .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٣) فى نسخة م « الآخر » والصيغة المثبتة من س .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة م وساقط فى س .

(٥) ورد هذا الخبر مختصرا فى نسخة س والصيغة المثبتة من م .

(٦) انظر ما سبق ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٤ ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(٧) انظر ما سبق ابن واصل ، جـ ٤ ص ٢٧٧ — ٢٧٨ .

لما بلغه عنه من جهة أم الملك العادل . ولما كانت هذه السنة تقدم الملك الكامل — عند رحيله من مصر — إلى ابنه الملك الصالح فى المسير إلى الشرق ليكون به نائبا عنه فيه . ورتب ابنه الملك العادل فى الديار المصرية بقلعة الجبل مع أمه والخزائن والأموال بحكمها ، وكانت أحظى الناس عنده . وجعل لابنها [١٧٠ ا] ولاية العهد . ورحل الملك الصالح إلى الشرق فحضر مع أبيه فتح آمد، ثم أقام فى الشرق وجعله ولى عهده فيه ، والمتصرف فى الشرق نيابة عن الملك الكامل الأمير شمس الدين صواب العادلى .

ذكر استيلاء السلطان الملك الكامل على آمد و بلادها

[ثم رحل السلطان الملك الكامل بعد اجتماع العساكر معه بسلمية إلى الشرق وقطع الفرات وقصد إلى آمد ، فلما وصل إليها نازلها بالعساكر التى معه[1]] . ونصب عليها المجانيق[2] ولها أسوار [عظيمة[3]] منيعة حصينة جدا ؛ لكن الرعية بآمد كانوا مبغضين لصاحبهم[4] مبغضين لدولته[5] لما[6] قدمنا من سوء سيرته معهم ، فلذلك تخلوا عنه ، وأحبوا زوال ملكه .

ثم زحف الملك الكامل على البلد يوما واحدا فأذعن صاحبها بالتسليم علما منه بتخلى الرعية عنه ، وأنه إن أخذت منه المدينة عنوة لم يأمن الملك[7] الكامل أن يعتقله ،

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وفى م «ونازل الملك الكامل بالعساكر التى اجتمعت معه آمد» .
(٢) فى نسخة س « المناجنيق » والصيغة المثبتة من م .
(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س .
(٤) فى نسخة س « لصاحبها » والصيغة المثبتة من م .
(٥) فى نسخة س « للدولة » والصيغة المثبتة من م .
(٦) فى نسخة س « كما » والصيغة المثبتة من م .
(٧) فى نسخة س « لم يأمن من الملك » والصيغة المثبتة من م .

وخاف أيضا أن تسلمه الرعية[1] إلى الملك الكامل فيقع فى يده بغير عقد ولا عهد[2] ، فلذلك سارع إلى التسليم ، فبادر إلى الخـروج إلى خدمة الملك الكامل ، وسلم آمد و بلادها إليــه . وهى مملكة عظيمة ، ومن جمـلة معاقلها حصن كيفا[3] الذى هو فى غاية الوثاقة والحصانة . فأحسن الملك الكامل إليه و وعده بإقطاع جليل[4] فى الديار المصرية . ولمـا رجع معه إلى مصر وفّى له بما وعده ، وأقام عنده مدة ، ثم بدت منه أشياء ردية فاعتقله . ولم يزل معتقلا إلى أن مات السلطان الملك الكامل فأخرجه ابنه الملك العادل ، فورد إلى حماة فأقام بها عند الملك المظفر [تقى الدين محمود][5] أياما ، ثم سافر إلى الشرق فاتصل بالتتر[6] فقتلوه . وهذا عاقبة البغى والفساد .

[وكنت مقيما بالكرك فى هذه السنة فى خدمة الملك الناصر ، وسافر معه والدى ــ رحمه الله ــ لمـا سافر فى صحبة السلطان الملك الكامل . فلما وصل الملك الكامل إلى سلمية ، ونزل بهـا استأذن والدى الملك الناصر فى الدخول إلى بلده فأذن له ، فدخل إلى حماة وعرضت له حمى حادة وأعقبها دوسنطاريا فتوفى لعشر بقين من ذى القعـدة وعمره ثمـان وخمسون سـنة ، فإنه أخبرنى أن مولده سنة إحدى وسبعين وخمسمائة[7]] .

(١) فى نسخة س « وخاف أيضا من تسليم الرعية البلد » والصيغة المثبتة من م .

(٢) فى نسخة س « بغير ولاية عهد » والصيغة المثبتة من م .

(٣) حصن كيفا بلدة وقلعة عظيمة كانت مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر ، انظر ياقوت (معجم البلدان) .

(٤) فى نسخة س « جليلة » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .

(٥) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٦) فى نسخة س « بالبيرة » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .

(٧) ورد ما بين الحاصرتين فى غير موضـعه ومختصرا فى نسخة س ورقة ٢٧٨ ب ، والصـيغة المثبتـة من م .

وورد إلى الكرك كتاب من الملك الناصر إلى نائبه الطواشى عزيز الدولة ريحان (١) يذكر فيه فتح آمد ويصف صورة الواقعة بإنشاء شرف الدين بن جمال الدين [ابن شيث] (٢) ولم يكن جيد الترسل . فتقدم الطواشى عزيز الدولة [ريحان] (٣) إلى فخر القضاة [نصر الله] (٤) بن بزاقة (٥) [بأن يكتب جوابه فكتب الجواب ، وذكر صورة الواقعة أحسن ذكر . وهنأ السلطان الملك الناصر بهذا الفتح] (٦)

وأوله : أعز الله أيام المقر (٧) العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى الصلاحى ، ولا زالت البشائر عنه صادرة ، وإليه واردة ، والأقدار لمعاليه مساعفة ، ولمساعيه مساعدة ، والألسن لسيرته مادحة ، ولسريرته حامدة . المملوك يقبل الأرض

(١) فى نسخة س « ولما فتحت آمد كتب الملك الناصر بن الملك المعظم إلى نائبه بالكرك الطواشى عزيز الدولة ريحان » والصيغة المثبتة من م

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى م

(٣-٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٥) ولد فخر الدين فخر القضاة نصر الله بن هبة الله بن بزاقة أو بصاقة بقوص سنة ٥٧٧ هـ ، ونشأ بمصر واشتغل بالأدب بها وبالشام . وكان أكتب أهل زمانه وأعرفهم بالقواعد الانشائية وأجودهم ترسلا ، وأحسنهم عبارة ، وأطولهم باعا فى الأدب ، وله ديوان شعر . اتصل بالملك المعظم عيسى ثم بابنه الناصر داود وتقدم عندهما وكان كاتب الأنشاء لهما . توفى بدمشق سنة ٦٥٠ أو ٦٤٩ هـ ؛ انظر : ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ص ٢٩٩ — ٣٠٠ ؛ ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر ، ص ٣٠٠ ؛ الأدفوى ، الطالع السعيد ، ص ٦٧٦ — ٦٨١ ؛ السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥٦٧ .

(٦) ما بين الحاصرتين ورد مختصرا فى نسخة س ، والصيغة المثبتة من م ، ويلاحظ أن السطور التالية وردت فى غير موضعها فى نسخة س ، وسوف يلتزم المحقق بنسخة م فى ترتيب الموضوعات انظر ما يلى ص ٢٨ حاشية ٦

(٧) فى نسخة س « المقام » ، والصيغة المثبتة من م

خدمة لا تزال – حتى يزول – زائدة[١]، وطاعة يعدها لدنياه فائدة ولأخراه عائدة. ويواصل الأدعية الصالحة مادامت قامته[٢] قائمة، وهامته ساجدة، وينهى ورود المثال الشريف الذى سر النفوس[٣] وأبهجها، وشرح الصدور وأثلجها، وسكن الخواطر بعد أن أقلقها البين وأزعجها، وفتح باب[٤] الأفراح فما أغلقها ولا أرتجها[٥]؛ متضمنا أن مولانا السلطان سار مصحوبا بالسلامة صحبة مولانا السلطان الأعظم فى عساكر تضاهى النجوم إشراقا وعددا، والبحور إغراقا ومددا، وبجحافل لم يجتمع مثلها فى عصر من الأعصار، ولهاذم[٦] ومخاذم[٧] يكاد سنا برقها يذهب بالأبصار، وفرسان كالأسود إلا أن براثنها السلاح، وخيول كالطيور إلا أنها تسبق الرياح بلا جناح، [وأنهم أحاطوا بها إحاطة الخواتم بالخناصر والمناطق بالخصور، وأظهروا بما أبدوه من قدرتهم ما فى خصمهم من العجز والقصور[٨]]. وأنه رتب عليها نوب اليزك[٩] [للمخاتلة لا للمقاتلة[١٠]]، وقصد حفظ حرمة البلد وقتاله[١١] بالمطاولة. وانتظر من صاحبها أن[١٢] يخرج إليه خاضعا ومتضرعا[١٣]، وان يفد إليه تائبا[١٤] عما ارتكبه

(١) فى نسخة س « لا تزال بنزله زائدة » والصيغة المثبتة من م

(٢) فى نسخة س « قائمته » والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٣) فى نسخة س « الأنفس » والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٤) فى نسخة س « أبواب » والصيغة المثبتة من م .

(٥) رتج الباب بمعنى أغلقه (القاموس المحيط) .

(٦) لهاذم جمع لهذم وهو السيف الحاد القاطع، انظر لسان العرب، ج ١٦ ص ٣٠ .

(٧) الخذم سرعة القطع وسمى السيف مخذما، انظر لسان لعرب، ج ١٥، ص ٥٨ .

(٨) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س، ومثبت فى م .

(٩) اليزك معناه طلائع الجيش، انظر ماسبق، ابن واصل، ج ٢ ص ٣٨ حاشية ٣ .

(١٠) ما بين الحاصرتين مذكور فى الهامش فى نسخة م .

(١١) فى المتن « فى قتالها » والصيغة المثبتة من نسخة س .

(١٢) فى نسخة م « أنه » والصيغة المثبتة من م .

(١٣) فى نسخة س « تائبا » والصيغة المثبتة من م .

(١٤) فى نسخة س « وأن يفد راجعا » والصيغة المثبتة من م .

من قبح السيرة ، ومقلعا لأنه - أعز الله أنصاره - لم يقصده إلا غضبا لله لما انتهكه من محارمه ، وإقامة لمنار العدل الذى شرع فى هدم [١٧١ ا] معالمـه (١) ، وشفقة على خلق الله الذين بسط عليهم - لَمَّا (٢) وليهم - أيدى مظالمه . فلما أبى إلا التمادى فى الطغيان والإيغال فى مهالك العصيان ، وظن أن السلوج تجده ، وأن الشيطان يفى له بوعده وطالما أخلف من يعـده ، واغتر بأصحابه الذين هم معه بأجسامهم (٣) وعليه بقلوبهم ، ووثق برعاياه الذين كانوا قد وقعوا معه بذنوبهم ، أمر السلطان [الأعظم] (٤) - أعز الله أنصاره - أبْطَالَه (٥) بالزحف فتقدمت وزحفت ، وتقدم إلى عساكره بالتحرك فتزلزلت الأرض لحركتهم ورجفت ، ودنا (٦) الجيش المنصور من السور فدنا وتدلى (٧) ، ورأى الخصم عين القَصم (٨) فعبس وتولى ، وأطلق الجاليش عقائل التراكيش (٩) فكشفت السور وهتكت حجابه ، وأماط الزراقون (١٠) لثامه ، وسفر النقابون نقابه ، وأرسلت عليهم الجنايا رسل المنايا ، وخرجت لهم خبايا البلايا من

(١) فى نسخة س « وإقامة لمنار الدين الذى أغرى بهتك محارمه » والصيغة المثبتة من م .

(٢) فى نسخة س « مذ » والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٣) فى نسخة س « بأجسادهم » والصيغة المثبتة من م .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س و ساقط من م .

(٥) فى نسخة س « أجناده » والصيغة المثبتة من م .

(٦-٧) فى نسخة س « ودنى » والصيغة الصحيحة المثبتة من م .

(٨) القصم كسر الشىء الشديد و يقال للظالم قصم الله ظهـرك ، انظر لسان العـرب ، ج ١٥ ، ص ٣٨٦ .

(٩) جمع تركاش وهو لفظ فرسى معناه الجعبة أو الكنانة التى توضع فيها النشاب ، انظر ما سبق ابن واصل ، ج ١ ص ٢٧٩ حاشية ٥ .

(١٠) جمع زراق وهو رامى النفط من الزراقة ، انظر :
Dozy, Supp. Dict. Ar., I, pp. 587 - 8.

الزوايا[١]، وأوردتهم الرماح الشُّرع مشارع الحتوف ، وتفرّقت منهم الصفوف لمـّا صلت[٢] عليهم السيوف ، وطلعت على الأسوار المنيفة من الأعلام الشريفة كل راية صفراء فاقع لونها تسر الناظريـن . وأيد الله الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين . وأنهم لمـا عاينوا من حشد[٣] السلطان وحده ما لا قبل لهم بمقابلته، وتحققوا عجزهم عن مقاومة أقل أمرائه ومقاتلته[٤]، ورأوا أعلامهم تُخفض خفضا، وأعلام السلطان وأحزابه تُرفع رفعا، وأفكروا فى صاحبهم فرأوا أنه لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا، [لاذوا بالأمان فدخلوا فيه آمنين والتزموا الطاعة[٥]]، فذلت أعناقهم لهـا خاضعين . وأن مولانا السلطان — أعز الله أنصاره — آمن الرعايا وأجارها ، ومنّ بكفّ كف[٦] القتال ، فوضعت الحـرب أوزارها . وقـد أخذ المملوك بحظه من هـذه البشرى و إن عجز عن كُنه مقدارها ، وقابل هـذه النعمة بالشكر لله و إن كان لا يقوم بعشر معشارها[٧] . وأمر فضربت البشارة على قُـلّة[٨] القلعة وأرجاء المدينة ، وحُشر الناس ضحى لأنه كان فى الحقيقة يوم الزينة ، فالله سبحانه المسئول أن يعطى مولانا الحظ الأوفى والمحـل الأعلى وهو القائل تعـالى [١٧١ ب] ﴿ولقد ءَاتَيْنَا داود منا فضلا﴾[٩] و إليــه الرغبة فى أن يجعل هـذا الفتح

(١) فى نسخة س « الزرايا » والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٢) فى نسخة س « لمـا وصلت » والصيغة المثبتة من م .

(٣) فى نسخة م « جد » والصيغة المثبتة من نسخة س .

(٤) فى نسخة س « وتحققوا عجزهم عن مقاومته أقبل أمرائه ومقاتلته » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة م وفى س « لاذوا بالأمان طائعين ودخلوا فى الطاعة » .

(٦) كذا فى نسختى المخطوطة .

(٧) فى نسخة س « أعشارها » والصيغة المثبتة من نسخة م وهى أبلغ .

(٨) ورد فى لسان العرب، ج ١٤ ص ٨٣ أن « قلة كل شىء رأسه والقلة أعلى الجبل » .

(٩) القرآن الكريم سورة سبإ آية ١٠ .

مبشرا بأمثاله ، [وهذا النصر أنموذجا تنسج الأقدار على منواله](١) . و يبقى لمولانا من سلطانه [الأعظم](٢) ركنا لا تطمع الأيام فى زواله(٣) بمحمد وآله » .

وسيّر مع الرسالة إلى الملك الناصر قصيدة امتدحه بها فخر الدين فخر القضاة وهى هذه القصيدة(٤) :

قد طوانى الصدّ والهجران طىّ(٥)　　فى هوى ظبى(٦) حمى من آل طىّ
كنت فى طىٍ من أسْد الشرى　　قبل أن يفرسنى هذا الرشى(٧)
ومتى يُنشر ميتٌ(٨) قد غدا　　قلبُه مفتسما فى كلّ حىّ
جِدةُ السلوةِ أبلتها بِلى　　واقترابُ الوصل(٩) أقصته قُصىّ
غلبتنى أعينٌ من غالب　　ولوت دَيْنى قدودٌ(١٠) من لؤىّ
كلما رُمت خلاصا منهم　　سُدّت الأبوابُ والطرق علىّ
يا أخى حرت وضاقت حيلى(١١)　　دلّنى كيف احتيالى يا أُخَىّ

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط فى م .

(٣) فى نسخة م « لا يطمع فى الأيام فى زواله » والصيغة المثبتة من س .

(٤) فى نسخة م « وسير فخر الدين مع هذه الرسالة الى الملك الناصر قصيدة امتدحه بها مطلعها : » والصيغة المثبتة من س .

(٥) فى نسخة م « طوى بى » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٦) فى نسخة س « ضوى » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٧) الرشا من أولاد الظباء اذا تحرك ومشى ، انظر ابن منظور (لسان العرب) ، ج ١٩ ، ص ٣٧ .

(٨) فى نسخة س « ميتا » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٩) فى نسخة م « الصبر » ، والصيغة المثبتة من نسخة س .

(١٠) فى نسخة س « قدودا » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من م .

(١١) فى نسخة س « حيلتى » والصيغة المثبتة من نسخة م .

وبأى الطُّـرق أسـلو عنهُـم ... خَـبِّرونى يا أخِـلَّاىَ بأىْ ؟

وانظروا ما حلّ بى واعتـبروا ... أننى شـيخ سـبى (١) عقـلى صبىْ

نافرٌ عـنى وإن آنسـته ... قاطعٌ إن قلتُ : صلنى يا بُنىْ

ما دَها مجنون ليلى فى الهـوى ... مادها قلبى ، ولا غَيـلان مىْ (٢)

أيهـا العـاذل كى يُرشِـدنى ... عدِّ (٣) عن نُصحى ، فهذا الرشد غَىْ

قد نبا عن كل عَذْل مسمعى ... فكأنى أطـرش أو بى هُـوىِ

ولقـد خِفتَ على عينى العمى (٤) ... عند ما أعشى (٥) فؤادى ناظِـرَىْ

يا أطبائى — وأنتم مَرضىِ — ... هـل لدائى فى هواكم من دُوىْ ؟

قد كوى الهجر فؤادى يا تُرى ... آخر الطب كما قد قيـل كَىْ ؟

فأَقلوا (٦) من عـذابى وارحـموا ... من يَرى مُر الجفا منـكم حُلى

وعسى أن تهبوا جفنى الكرى ... فلعـل الطيفَ أن يسرى إلىْ

ليس لى مُحيِي من الموت سوى ... أن يرى داود (٧) عيـنى فى مَحى (٨)

يبتغى الصــيدَ عـلى عادته ... من رشا ريش إلى أطراف عِىْ

(١) فى نسخة س « سبا » والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٢) مى هى محبوبة الشاعر المعروف ذى الرمة وهو غيلان بن عقبه العدوى ، توفى سنة ١١٧ هـ ، وقال شعرا كثيرا فى محبوبته يغلب عليه العفة والتأدب ، انظر ديوان شعر ذى الرمة ، ص ٣ ، ٧ ، ١٧٠ — ١٧١ ، ٤٢٠ ؛ يوسف خليف ، ذو الرمة ص ٢٩ — ٤٤ .

(٣) فى نسخة س « غد » ، وهو تصحيف والصيغة المثبتة من نسخة م

(٤) فى نسخة س « العما » ، والصيغة المثبتة من م .

(٥) فى نسخة س « أبكى » ، والصيغة المثبتة وهى الأبلغ من نسخة م .

(٦) فى نسخة س « واقتلوا » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من نسخه م .

(٧) يقصد الناصر داود .

(٨) فى نسـخة س « ضحى » والصيغة المثبتة من م ، والمح : الثوب البالى ، ولعل المقصود هنا أنه لم يعد سوى هيكل فى ثوب بال لا تبدو منه سوى عينيه ، نظر القاموس المحيط .

ملك سيرته سائرة		من فلسطين إلى أقصى خُوى (١)
وإمام يقتدى البحرُ به		كلما نادى نَداه الغمر حَىْ
ذو خوان يرخُص اللحم به		منضجا لكن يُغالى (٢) فيه نى
فهو للناس ربيع دائم		فى خريف ومصيف وشُتى
عن سواه أذنى ماسمعت		ما رأته من علاه مُقلتى
فَلَدى (٣) عليا ه أهدى مدحى		مثل ما دُنياه قد أضحت لدىْ
أنا أفديه بأمى وأبى		وقليل فى فداه والدىْ
قد كفانا كُل شىء يختشى		فكفانا الله فيه كل شىْ

ولما وصلت الرسالة و[هذه (٤)] القصيدة إلى الملك الناصر [داود (٥)] سر بهما سرورا شديدا .

[وكان فخر الدين (٦) جيدا فى النظم والنثر] (٧)، لوذعيا فطنا، حسن المجالسة، لا يمل من حديثه ومحاورته . وكان من أخص أصحاب السلطان الملك المعظم — رحمه الله تعالى . وبعد وفاة الملك المعظم صحب ولده الملك الناصر وحظى عنده جدا . وكان الملك الناصر قد تغير عليه واتهمه بمكاتبة عمه الملك الأشرف والميل إليه، فاعتقله فى جب فى القلعة مظلم، لم يكن يفرق فيه بين الليل والنهار . فحكى لى أنه

(١) خوى بلد من أعمال أذربيجان ، انظر : ياقوت (معجم البلدان) .
(٢) فى نسخة س « تغالى » والصيغة المثبتة من م .
(٣) فى نسختى المخطوطة « فلدا » والمعنى هنا « عند » .
(٤-٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س .
(٦) انظر ما سبق ، ص ١٩ حاشية ٥ .
(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة م وفى س (ورقة ٢٧٩ أ) « وكان بالكرك ، وكان فاضلا فى النظم والنثر مجيدا » .

[ما كان يعرف الليل من النهار إلا](١) بصوت الحديد فى الزردخاناه. وأقام فى الحبس مدة. وكان ينظم القصائد فى الجب، و يكرر على القصيدة — على ما حكى لى — مرارا كثيرة لتثبت عنده ولا ينساها، إذ لم يكن عنده شىء يقيدها فيه. فمما عمل فى الجب قصيدة مطلعها :

ليس حالى يا رب عنك(٢) بخافى فأقل عثرتى وآمن مخافى

ثم ذكر فيها ما نسبه أعداؤه إليه من الميل عن الملك الناصر والانحراف عنه، وممالأة الملك الأشرف عليه. [وأتى فى هذا بنوع من التهكم بهم لطيف، وهو](٣) :

حسدونى قربى من الملك النا صر حتى تسببوا فى تلافى
وادّعوا أننى أميل إلى الغيـ ـر بكليتى وأبدى انحرافى
وأشق العصا وأقدح فى المـ ـلك وأغرى أنصاره بالخلاف(٤)
عظّموا قصتى كأنى كسرى أوكأنى سابور ذى(٥) الأكتاف

ومنها فى مدح أهل البيت — عليهم السلام — والاستشفاع بهم(٦) :

ليس لى شافعٌ سوى الخمسة الغُرِّ (م)(٧) بنى هاشم بن عبد مناف
النبى الأمى وابنته الزهرا ء والأنزع(٨) الفتى السياف

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وفى م « إنما كان يعرف النهار » .
(٢) فى نسخة س « ليس حالى عنك يارب » والصيغة المثبتة من م
(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة م وفى س « أتى فى هذا بتوبيخ من التكذيب لهم وهو : »
(٤) فى نسخة س «بانحرافى» وهو تصحيف وذكرها فى البيت السابق، والصيغة المثبتة من نسخة م
(٥) فى نسخة م « ذو » والصيغة المثبتة من نسخة س
(٦) فى نسخة س « ومنها يقول فى مدح أهل البيت » والصيغة المثبتة من م
(٧) (م) معناها أن البيت يقرأ موصولا .
(٨) الأنزع هو الشديد، انظر : لسان العرب، ج ٩ ص ٣٨٢ ؛ الزبيدى، تاج العروس، ج ٥ ص ٢٩٠ .

والشهيدين إبنيـــه منهـا قتـ ـيل الطف(١) والمبتلى بسم ذعاف(٢)
نسب يبهـر الدرارىّ(٣) بالنـــو ر ويُزرى بالجوهر الشفـاف
أهل طـه والحج والنور والفـ ـرقان والذاريات والأعراف(٤)
أهل بيت رَضوا بمـا قسم الله تعالى من رحلة الأيلاف
قنعوا بالقليل من هـذه الدنـ ـيا وعاشوا فيهـا بدون الكفاف
ما أعزوا العُزّى ولا وادَدُوا وَدًّا ولا استأسفوا لفقـد(٥) أسـاف(٦)
فعـلى حبهـم جعلتُ اعتمادى وعلى مدحهم جعلت اعتكافى

ومن لطيف شعره قوله فى الغزل :

لـو وفى(٧) طيفُـكم لى وألَـمّ لشـــفى غُـلة وجْـــد وألم
فابعثـــوه لمحب ما سَـــلا عن ظباءِ الحىّ من وادى سَلم
دَميت بعـد الدُمى أجفـانه واسـتهلّت فهى تُزرى(٨) بالديم
لقصير الوصل منـكم لم ينـل(٩) ولطـول الهجـر فيكم لم يـنم
كلمـا لاح له بـــرق لمـى(١٠) بالحِمى حلّ به قُــرب لمَـم

---

(١) فى نسخة س « اللاطف » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من نسخة م ، والطف أرض من ضاحية الكوفة فيها كان مقتل الحسين بن على ، انظر ياقوت (معجم البلدان)
(٢) فى نسخة س « الرعاف » والصيغة المثبتة من م ، والمقصود الحسن بن على .
(٣) فى نسخة س « ينهر » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م
(٤) فى نسخة س « الأحقاف » والصيغة المثبتة من م
(٥) فى نسخة م « بفقد » والصيغة المثبتة من س .
(٦) العزى وود وأساف أسماء أصنام كانت تعبد فى الجاهلية .
(٧) فى نسخة س « وفا » والصيغة المثبتة من م
(٨) فى نسخة س « تردى » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م
(٩) فى نسخة س « يكن » والصيغة المثبتة من م
(١٠) اللمى سمرة فى الشفة ، انظر القاموس المحيط .

لا تلوموني على حبي لكم تأثموا في لومكم لي إن ألم[(١)]

قد زجرتُ القلب لكن ما ارعوى وكتمت الحب لكن ما انكتم

مَن عذيري من قدير[(٢)] كلما رمت منه العدل في الحب ظلم[(٣)]

حاكم بالجور في شرع الهوى للمحبين ومَن عَزّ حكم

وقبل سفر الملك الناصر بقليل الى آمد أخرج فخر القضاة هذا من الجب[(٤)] ووعده الاحسان[(٥)] إليه[(٦)] إذا عاد. ولما عاد من آمد خلع عليه وأعاده إلى مرتبته عنده، ورضي عليه، وصار أقرب الناس إليه، ونادمه. وأمره ليلة بإنشاد [١٧٣ ا] القصيدة اليائية[(٧)] التي تقدم ذكرها وتسييرها[(٨)] إليه إلى آمد. فأنشده إياها فأطلق له خمسة آلاف درهم، وضعت تلك الليلة بين يديه، وأقطعه اقطاعا سنيا، واستمر في خدمته [إلى أن مات.

ولما فتح السلطان الملك الكامل ــ رحمه الله ــ آمد و بلادها واستولى عليها، رتب نوابه فيها وجعل أمرهم كلهم راجعا إلى الأمير شمس الدين صواب الدين

(١) الشطر الثاني في نسخة م ورد محرفا كما يلي: «تأثموا لي نومكم لي أن أن ألم» والصيغة المثبتة من نسخة س.

(٢) في نسخة س «جدير» وهو تصحيف، والصيغة المثبتة من م

(٣) في نسخة س «أبا وظلم» وهو تصحيف، والصيغة المثبتة من م

(٤) في نسخة س «وكان السلطان الملك الناصر داود بن الملك المعظم قبل سفره إلى آمد في خدمة السلطان الملك الكامل قد أخرجه من الجب» والصيغة المثبتة من م.

(٥) في نسخة س «بالاحسان» والصيغة المثبتة من م

(٦) نهاية الجزء المضطرب في نسخة س، انظر ما سبق ص ١٩ حاشية ٦

(٧) في نسخة س «الثانية» والصيغة المثبتة من م

(٨) في نسخة س «وتسيرها» والصيغة المثبتة من م

العادلى . ورتب عنده ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب نائبا عنه فى السلطنة ، وجعله ولى عهده فى البلاد الشرقية خاصة . وأقام الملك الكامل بالشرق إلى آخر السنة[1]] .

ذكر وصول الجهتين الكريمتين الكامليتين[2] إلى حماه وحلب

كنا ذكرنا توجه القاضى بهاء الدين بن شداد إلى مصر فى السنة الماضية لإحضار جهة الملك العزيز إلى حلب[3] .

[ولما كانت هذه السنة — أعنى سنة تسع وعشرين وستمائة — وخرج السلطان الملك الكامل من الديار المصرية لأخذ آمد من صاحبها خرج فى صحبته الستر العالى فاطمه خاتون زوجة الملك العزيز صاحب حلب ، والستر العالى غازيه خاتون زوجة الملك المظفر صاحب حماه ، وخرج القاضى بهاء الدين بن شداد ، فوصلت الصاحبه غازية خاتون والدة مولانا السلطان الملك المنصور — قدس الله روحه[4] — إلى حماة فى أحسن تجمل وزى ، وزينت حماة لقدومها[5]] .

ووصلت الستر العالى فاطمه خاتون إلى حلب وصحبتها[6] القاضى بهاء الدين ابن شدّاد رحمه الله ، والقاضى الشريف شمس الدين قاضى العسكر | المنصور

---

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م

(٢) فى نسخة س « الكامليين » والصيغة الصحيحة المثبتة من م .

(٣) انظر ماسبق ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٣١٣ — ٣١٤ .

(٤) فى المتن « خلد الله ملكه » ومصححة فى الهامش « قدس الله روحه » وهذا دليل على أن نسخة م كتبت زمن ابن واصل و ربما روجعت فى حياته .

(٥) ورد ما بين الحاصرتين مختصرا فى نسخة س والصيغة المثبتة من م .

(٦) فى نسخة س « ووصلت الستر الصاحبة زوجة السلطان الملك العزيز إلى حلب وصحبة محفتها » والصيغة المثبتة من م .

الكاملى [١]] [والأمير فخر الدين البانياسى من أمراء السلطان الملك الكامل [٢]] .
وكان قد خرج [من حلب [٣]] زين الدين عبد المحسن بن محمد بن حرب وزير الملك العزيز وأعيان الدولة ، والتقوا المحفـة من حماة . والتقتها الستر العـالى الصاحبة ضيفة [٤] خاتون بنت السلطان الملك العادل والدة الملك العزيز من جباب [٥] التركمان ، ثم التقتها بقيـة العساكر بتل السلطان . والتقاها الملك الصالح صلاح الدين أحمد ابن الملك الظاهر صاحب عين تاب فى عسكره ، وتجمّله . وعادت العساكر معها فى تجملها ، واصطفت أطلابا طُلبا بعد طلب ، إلى الوضيحى [٦] . وخرج الملك العزيز إلى الوضيحى إلى لقائها ، وصعدت إلى قلعة حلب ، [أعاد الله عمارتها للمسلمين لأن التتر الملاعين أخربوها فى سنة ثمـان وخمسين وستمائة [٧]] ، وذلك كله فى شهر رمضان من هذه السنة [أعنى سنة تسع وعشرين وستمائة [٨]] .

وفى الوصلة [السعيدة [٩]] بين الملك المظفر وخاله الملك الكامل يقول الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد [بن عبد المحسن الأنصارى قصيدة مطلعها [١٠]] :

---

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وفى م : « والأمير فخر الدين بن البانياسى » ، انظر ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢١١ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ص ٢٤٣ .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٤) فى نسخة س « صفية » والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة م ، انظر ما سبق ، ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٣١٣ ، حاشية ٥

(٥) بدون تنقيط فى نسختى المخطوطة والصـيغة المثبتة من ابن العـديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢١٢ ، وجباب جمع جب وهو البئر . انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ، ص ٢٤٣

(٦) الوضيحى قرية قرب حلب ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢١٢ حاشية ٢ .

(٧ - ٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(١٠) ما بين الحاصرتين من نسخة م وفى س « يهنيه و يمدحه » ؛ عن الشيخ عبد العزيز الأنصارى انظر ما سبق ابن واصل ج ٤ ، ص ٢٧٣ — ٢٧٤

هنيئا[1] لياليه حوالٍ بواسمُ وأيّامُـه بالمَكرُمات مَواسم
ووصلة مَلك لا يُقاوَم جدُّه بمَلك له تعنو الملوك الأكارم
وإهداء[2] شمس دونَها الشمس رتبة إلى أسد تخشى سطاه الضراغمُ
قِران سعود في بروج سيادة بها العيش صفو[3] والزمان مسالم
فوالله ما أدرى أموسى وأهلُه بجنات عدن ، أم علي وفاطم
عظيمة قدرٍ كافأت منك ماجدا تُكَف[4] به البؤس وتكفى العظائم
يمانيّة الفتك عضبا[5] يمانيا يُشاركها في وصفها ويلائم
فحامت عُزوفا[6] عن سواك وخيمت بحيث المعالي جَمةٌ والمكارم
بمَغْنى ملوك الأرض بادٍ خضوعُها لديه وأملاك السماء حوائم
فيا ليلة تمضى الليالى وذكرها تُزان به العليا وتزهى المعالم
غذتها أفاويق الفَخار وجادها كمال لأدواء النقائص حاسم
ونورٌ لأظلام الدياجى مشرِدٌ ونشر لأنف البدر بالطيب فاغم
وأضحت بها طير البشائر سُبقا تُبارى خوافيها الصبا والقوادم
فظلت بها الأمصار مصرا فشملُها[7] وإن كن شتى جامع[8] متلائم
فلله كم أدنت على بُعد دارِها لناظرنا ما أطربتـه الحمائم

(١) في نسخة م « هنا » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من نسخة س .
(٢) في نسخة س « وأهداله » والصيغة المثبتة من م .
(٣) في نسخة س « صفوا » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من م .
(٤) في نسخة س « يكف » والصيغة المثبتة من م .
(٥) العضب هو السيف ، أنظر القاموس المحيط .
(٦) في نسخة س « عروفا » والصيغة المثبتة من م .
(٧) في نسخة م « بشملها » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من س .
(٨) في نسخة م « جمعها » والصيغة المثبتة من س .

عَمَمت الرعايا بالعطايا فسرها قدومك بالغُـنم الذى أنت غانم
مهـم له ما بعـــده إذ قضيته قضى الله إن العـدل للجور هادم
رأيتـك يا محمـود يا ابن محمـد فتى حمده فرض على الناس لازم
و إنك للـــلك الذى بَنَـوا له وعدل سـطاه بشّرتنا الملاحمُ
يدين له فى النـاس عمرو وعامر ويعنوله فى الجود كعب وحاتم
أخـو نَقمات قارنت مهلكاتُها عواطف تَنتاش الورى ومَراحم
يُهاب (١) فلا قلب الموالف ساكن ويُرجى (٢) فلا وجه المخالف واجم
ويحلمُ فالشم (٣) الرواسى طـوائش (٤) ويكرم فُالجونُ السوارى لائم
ويدنو فسُرُّ الصاب شهد (٥) لذائق وينأى فكاسات الرحيق علاقم
ويُفنى اللُّهى جودا ليقنى بها العلا (٦) ألا هـكذا فليغنم المجـدَ غـانم
إذا صال فالغُاب الوقاح فرائس و إن قال فالعُرب الفِصاح أعاجم
وإن ضاق رزقٌ أو مُحال فإنه خضم وخصم للحـوادث خاصم
كذا أيهـا المـلك المظفر فليكن من الناس مخدوم (٧) له الدهر خادم
أبت لك عار الميل (٨) نفسٌ أبيّـةٌ وفـكر بمجهول العـواقب عالم
وناظـر عين ليس يغفى وعامل بأمر الوغى فى الرفع والخفض حازم

(١) فى نسخة س « تهاب » ، والصيغة المثبتة من م .
(٢) فى نسخة س « وترجى » ، والصيغة المثبتة من م .
(٣) فى نسخة س « ويحكم فى الشم » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من م .
(٤) فى نسخة س « طائش » ، والصيغة المثبتة من م .
(٥) فى نسخة س « شهدا » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من م .
(٦) فى نسخة م « العلى » ، والصيغة المثبتة من س .
(٧) فى نسخة س « مخدوما » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من م .
(٨) فى نسخة م « عند » ، والصيغة المثبتة وهى أبلغ من نسخة س .

وجاش وجيش رابطٍ ومرابطٍ (١)		مَغازيه لا تخل منه العزائم
وليل ببرق البيض أبلجُ زاهرٌ		ويومٌ بدجن النقع أكلف قاتم
فهُنيت بالدهر الذى أنت مالكٌ		جديديه والشهر الذى أنت صائم
وبُلِّغت ما يُرضيك من طَوْل خالق		تحاربُ فى مرضاته وتسالم
نوالُك مقسومٌ وفضلك شائع		ومجدك محروسٌ (٢) وعزُّك سالم

(١) فى نسخة س « رابطا ومرابطا » ، والصيغة المثبتة من م وكلاهما صحيح .

(٢) فى نسخة س « محروسا » ، وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .

ودخلت سنة ثلاثين وستمائة

والسلطان الملك الكامل ببلاد الشرق ، [وفى خدمته ملوك أهل بيته[1]] وقد انتظمت[2] آمد و بلادها [وحصونها وقلاعها فى سلك ممالكه ؛ ومن جملتها حصن كيفا وقلعة الهيثم والسو يداء وغيرها من المعاقل][3] . ودانت لطاعتـه ملوك الشرق كلهم وخافوه . واستشعر منه سلطان الروم[4] علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقى .

[ورتب الملك الكامل بالشرق ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وجعله ولى عهده فى ممـالك الشرق خاصة ، و رتب معـه الطواشى شمس الدين صواب العادلى لأنه كان من أكبر الخـدام العادلية وأوثقهم عنده ، وجعل إليه النقض والأبرام فى جميع الأمور ، والملك الصالح معه صورة .

ذكر رجوع السلطان الملك الكامل إلى الـديار المصـرية

ولمـا قضى الملك الكامل إربه من تسلم آمـد و بلادها ، وترتيب ممـالكها وممـالك الشرق ، رجـع إلى الديار المصرية فأقام بهـا إلى أن خرجت هذه السنة . ورجـع كل من المـلوك إلى بلده[5]] ، ووصل الملك الناصر صلاح الدين

---

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٢) فى س « وقد افتتح » ، والصيغة المثبتة من م .

(٣) مابين الحاصرتين ساقط من س ، ومثبت فى م .

(٤) فى نسخة س « سلطان بلاد الروم » ، والصيغة المثبتة من م .

(٥) مابين الحاصرتين ورد مختصرا فى نسخة س ، والصيغة المثبتة من م .

داود بن الملك المعظم إلى الكرك . والتقيته بموضع يقال له العلفدان بالقرب من زيزا[١] من أعمال البلقاء . وتصدق وأحسن إلىّ وقرر لى ما كان لـ الدى ، ولازمت خدمته والحضور فى مجلسه فى غالب الأوقات والاستفادة معه على الشيخ شمس الدين الخسروشاهى فى العلوم النظرية .

وفى شوّال من هـذه السنة سافر الملك الناصر من الكرك إلى الديار المصرية ، وفى صحبته الشيخ شمس الدين الخسروشاهى و[فخر الدين[٢]] فخر القضاه بن بزاقه . ولما وصل إلى الديار المصرية أنزله السلطان الملك الكامل فى دار الوزارة[٣] . وأقام بالديار المصرية فى خدمة عمه [الملك الكامل[٤]] إلى أن خرجت هذه السنة .

وفى هذه السنة توفى الشيخ سيف الدين على الآمدى[٥] — رحمه الله — وكان إمام وقته فى الأصولين والمنطق وغير ذلك من العلوم العقلية والخلاف . وسافر إلى

(١) ورد فى ياقوت (معجم البلدان) أن زيزاء من قرى البلقاء ، وأنها كانت قرية كبيرة فى طريق الحاج « يقام بها لهم سوق وفيها بركة عظيمة » وذكر أبو الفدا (تقويم البلدان ، ص ٢٤٧) أن مدينة عمان كانت شمالى بركة زيزا على نحو مرحلة منها .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٣) عن دار الوزارة التى أنشأها الأفضل بن بدر الجمالى وجعلت منزلا لضيافة الرسل منذ عصر السلطان الكامل انظر ما سبق ، ابن واصل ، ج ١ ص ١٦٤ حاشية ١ .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٥) هو أبو الحسن على بن أبى على محمد بن سالم التغلبى الفقيه الأصولى ، ولد سنة ٥٥١ هـ بآمد وأقام ببغداد ، وكان فى أول اشتغاله حنبلى المذهب ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعى ، وانتقل إلى الشام ، واشتغل بفنون المعقول « ولم يكن فى زمانه أحفظ منه لهـذه العلوم » . ثم انتقل إلى مصر ودرس بالمدرسة المجاورة لضريح الامام الشافعى وانتفع به الناس ، وحسده جماعة من الفقهاء ، ونسبوا إليه فساد العقيدة ومذهب الفلاسفة ، فخرج الآمدى مستخفيا إلى الشام ، واستوطن مدينة حماه ، وصنف كتبا كثيرة فى أصـول الدين والفقه والمنطق والحكمة ، وانتقل إلى دمشق حيث توفى سـنة ٦٣١ هـ ؛ انظـر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٢٩ — ٣٣٠ ، وانظر ما سبق ابن واصل ؛ ج ٤ ص ٧٨ .

العراق، وذكر لى أنه دخل بغداد فى خلافة المستنجد بالله(١) وعمره خمس عشرة سنة، والوزير ببغـداد يومئذ عون الدين بن هبيرة . واشتغل فيهـا بالأصول ومذهب الشافعى، وكان قبل ذلك حنبليا . وسافر إلى الديار المصرية وأقام بها مدّة طويلة، وقدم إلى حماة بعد سنة ستمائة . واعتنى به الملك المنصور [ناصر الدين أبو المعالى محمد صاحب حماه(٢)] و بنى له مدرسة بحماه، واشتغل عليه بالعلم ولازمه . وصنف بحماه كتبا كثيرة(٣) فى الأصولين والخلاف والمنطق . وكان يغرى(٤) بالرد على فخر الدين ابن خطيب الرازى(٥)، و يتتبع كلامه و إفساده . و إذا ذكره فى تصانيفه يقول : « قال بعض المتأخرين »، ويبالغ فى ثلبه والوقيعة فيه .

وغالب ظنى أنه كان يفعل ذلك حسدا لفخر الدين، فإنه كان يعتقد فى نفسه أنه أعلم(٦) من فخر الدين أو مساويه فى العلم، و يرى أن فخر الدين أشهر عند الناس منـه، وإقبال الناس على تصانيف فخـر الدين أكثر من إقبالهم على تصانيفه، وتعظيمهم له أكثر لاسيما العجم . وكان يبلغه أن السلطان علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه(٧) كان ينزل إلى خدمة فخر الدين راجلا، ويأخذ العلم عنـه، ويعظمه

---

(١) تولى المستنجد بالله الخلافة بين سنتى ٥٥٥ — ٥٦٦ هـ .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح . وقد تولى الملك المنصور [الأول] حماه سنة ٥٨٧ هـ وتوفى سنة ٦١٧ هـ، انظر زامباور، معجم الأنساب، ج ١ ص ١٥٣ .

(٣) فى نسخة س « كتب كثيرة » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٤) فى نسخة س « مغرى »، والصيغة المثبتة من م .

(٥) كلمة « الرازى » غير واضحة تماما فى نسخة م وفى نسخة س وردت « الرى » وهو تصحيف، وهو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الطبرستانى الرازى المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعى . فاق أهـل زمانه فى علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، ولد بالرى سـنة ٥٤٤ هـ، وتوفى فى هراة سنة ٦٠٦ هـ، انظر ترجمته فى ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٤٧٤ — ٤٧٦ .

(٦) فى نسخة م « فانه كان يعتقد أنه فى نفسه » والصيغة المثبتة من نسخة س .

(٧) حكم بين سنتى ٥٩٦ — ٦١٧ هـ، انظر زامباور، معجم الأنساب، ج ٢، ص ٣١٧ .

التعظيم العظيم[(١)] . [١٧٥ ا] وكثرت عند فخر الدين الأموال العظيمة ، والمماليك الكثيرة ، والخيل المسومة ، وفى خدمته من علماء العجم من لا يحصى كثرة[(٢)] ، ويرى هو فى نفسه ضد ذلك من قلة التعظيم له ، وعدم الاحتفال به ، وقلة ما يتناوله من العلوم . فكان ذلك مما أظن سبب وقيعته فيه .

وكتب إلى سيف الدين — وهو بحماة — الملك المسعود صاحب آمد يطلبه ليوليه قضاء بلاده . وبلغ ذلك الملك المنصور [بن تقى الدين][(٣)] فعظم عليه ذلك ، ولم يؤثر فراقه . وبعث إليه الربعة وشاهدين عدلين استحلفاه بالمصحف والطلاق والأيمان المغلظة أن لا[(٤)] يفارق حماة إلا بإذنه لخلف له .

ثم فى سنة سبع عشرة وستمائة ، قبل وفاة الملك المنصور بأشهر ، كتب الملك المعظم صاحب دمشق إلى سيف الدين [الآمدى][(٥)] يستدعيه ليكون عنده بدمشق ، ووعده الوعود الجميلة[(٦)] ، فهرب إليه فولاه الملك المعظم تدريس المدرسة العزيزية ،

---

(١) فى نسخة س « التعظيم الكثير » والصيغة المثبتة من م .

(٢) فى نسخة س « ما لا يحصى » ، والصيغة المثبتة من م .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٤) فى نسخة س « أنه » والصيغة المثبتة من م .

(٥) ما بين الحاصرتين للتوضيح والسطور التالية مضطربة فى نسخة س .

(٦) كانت هذه المدرسة شرقى التربة الصلاحية وغربى التربة الأشرفية وشمالى دار الحديث الفاضلية بدمشق . أمر بتشييدها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين سنة ٥٩٢ هـ . وقيل أن أول من أسسها الملك الأفضل بن صلاح الدين وأتمها الملك العزيز عثمان . وقام بالتدريس بها جماعة من المشهورين مثل سيف الدين الآمدى ، وبهاء الدين بن الزكى وغيرهما ؛ انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٢ ؛ النعيمى ، الدارس فى تاريخ المدارس ، ج ١ ، ص ٣٨٢ — ٣٩٨ ؛ محمد كرد على ، كتاب خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٨٦ .

وأنزله فى دار بدرب عُزيزة[(١)] ، وأحسن إليـه إلا أنه كان يظن أن الملك المعظم يفعل فى حقه من الإحسان أضعاف ماوقع منه .

وبلغنى أن سبب تقصير الملك المعظم فى حقه أن شرف الدين بن عنين[(٢)] كان من المتعصبين[(٣)] لفخر الدين الرازى ، ولفخر الدين إحسان إليه عظيم — على ما سنذكر إن شاء الله تعالى ، وأن شرف الدين [بن عنين[(٤)]] اجتمع بسيف الدين [على[(٥)]] فسمعه يغض من قدر فخر الدين[(٦)] [بن خطيب الرازى[(٧)]] ، ويكثر الوقيعة فيه . فغاظه ذلك ، ووقع فيه عند الملك المعظم ، وصغر منزلته عنده ، إلا أنه مع هذا كان يحضره[(٨)] الملك المعظم ليالى الجمع مع علماء دمشق ، ويسمع بحثه ومجادلته . وكان سيف الدين [على الآمدى[(٩)]] بليغا إلى الغاية حسن العبارة ، إذا أخذ فى الاحتجاج والمناظرة لا يقدر أحد على مجاراته[(١٠)] .

---

(١) فى نسخة م « بدرب غريزة » والصيغة المثبتة من س .

(٢) شرف الدين بن عنين هو شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر المشهور بابن عنين الأنصارى الدمشقى المتوفى سنة ٦٣٠هـ ، وله ديوان مطبوع ، انظر ماسبق ابن واصل ، ج ٤ ص ١٠٠ — ١٠١ ، ١٧٣ ، ٢١٤ — ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٩١ وانظر ما يلى ص ٤١ وما بعدها .

(٣) فى نسخة س « من المحبين » والصيغة المثبتة من م .

(٤ — ٥) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٦) فى نسخة س « فسمعه سيف الدين شىء من نقص قدر فخر الدين » ، والصيغة المثبتة من م .

(٧) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٨) فى نسخة س « ومحاوراته » والصيغة المثبتة من م .

(٩) ما بين الحاصرتين للتوضيح ، وورد فى نسخه س « سيف الدين على بن خطيب الرى » ، وهو تصحيف .

(١٠) فى نسخة س « لا يقدر على مجاراته » والصيغة المثبتة من م .

وحكى لى السلطان الملك الناصر داود — رحمه الله — ونحن فى خدمته بالكرك قال : « كان إذا حضر الشيخ سيف الدين عند والدى — رحمه الله — أقصد الحضور لأسمع كلامه ، وأتعجب من بلاغته وفصاحته ، وحسن احتجاجه واستعلائه على الجماعة فى المناظرة » . وقلت للملك الناصر : « أى الرجلين عند مولانا السلطان أفضل شمس الدين الخسروشاهى أم سيف الدين [(١) على الآمدى] ؟ » . فقال [١٧٥ ب] : « سبحان الله ، كيف تقول هذا ، كل هؤلاء عند سيف الدين فراريج للذبح ، سيف الدين كان يرى أنه أفضل من أستاذهم فخر الدين فهو لا يعتد بهم » .

ولما توفى الملك المعظم — رحمه الله — تقدم سيف الدين عند الملك الناصر التقدم العظيم ، ومال إليه بكليته ، وأعطاه ثمانية آلاف درهم اشترى بها جوسقا وبستانا . ولازم الملك الناصر مع ملازمة شمس الدين الخسروشاهى للملك الناصر . وفى بعض الأيام عقد الملك الناصر مجلسا جمع فيه جماعة الفضلاء الأعيان بدمشق — قبل أن تؤخذ منه — حضر المجلس الشيخ شمس الدين الخسروشاهى والشيخ سيف الدين [الآمدى(٢)] والشيخ تاج الدين الأرموى وهو من الأكابر المصنفين الفضلاء ، والقاضى شمس الدين الخُوَيى(٣) قاضى دمشق ، وكان جامعا لفنون

(١ — ٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٣) فى نسخة س « الحوبى » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من نسخة م ، وهو قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل الخويى نسبة إلى خوى وهى بلد مشهور من أعمال أذربيجان ، أنظر ما سبق ابن واصل ، ج ٤ ص ١٧٣ ؛ السبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٥ ص ٨ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ص ٢٧٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ؛ وعن ترجمة ابنه قاضى القضاة محمد بن أحمد الخويى انظر ، الكتبى ، فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ — ٣٦٩ .

الفضائل . وتناظروا فاجتمعت كلمة هؤلاء الأعاجم على سيف الدين وصاروا عليه يدا واحدة ، وقهروه فى البحث يومئذ لتظافرهم واتفاقهم[(١)] .

وصنف سـيف الدين بدمشق للـلك الناصر كتابا فى العـلوم العقلية سمـاه « فرائد القلائد[(٢)] » طلبه الملك الناصر منه فصنفه على حسب اقتراحه . ولمـا أخذ الملك الكامل دمشق من الملك الناصر ومضى إلى الكرك وأقام بهـا ، أحب أن يكون عنـده جماعة من أهـل العلم يستأنس بهم ، فطلب والدى أولا ، فمضينا إلى خدمته وأقمنا عنده — كما ذكرت أولا[(٣)] . ثم بعـد ذلك طلب شمس الدين الخسرو شاهى ، وكان قـد سيّره وهو بدمشق إلى سـلطان العجم جلال الدين [ابن علاء الدين خوارزم شاه[(٤)]] يستنصر به على أعمامه ، وعاد من عنده وجرى ماذكرنا . وبقى شمس الدين فى دمشق مضطهداً ، فطلبه الملك الناصر فقدم عليه إلى الكرك ، ولازمه وقرأ عليه ولم يفارقه فى سفر ولاحضر[(٥)] إلى أن أخذت الكرك من الملك الناصر على ماسنذكره إن شاء الله تعالى .

وبقى سيف الدين [الآمدى[(٦)]] فى دمشـق ، والمـلك الأشرف مُعرض عنه[(٧)] كاره له . فبعث الملك المسعود صاحب آمد يطلبه ، وعقيب ذلك جرى ما ذكرنا

(١) ورد بعد ذلك فى نسخة س وحدها « غير أنه خلص منهم مليح » .

(٢) لم يرد اسم هـذا الكتاب فى صيغته المثبتة فى المصادر المتداولة ، وإنمـا ورد كتاب للآمدى عنوانه (فرائد الفوائد) فى الحكمة ، انظر البغدادى ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ج ١ ، ص ٧٠٧ .

(٣) انظر ما سبق ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٣٢٠ — ٣٢١ .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٥) فى نسخة س « لا فى سفر ولا فى حضر » ، والصيغة المثبتة من م .

(٦) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٧) فى نسخة س « يعرض عنه » ، والصيغة المثبتة من م .

من أخذ آمد من صاحبها [(١)] . ولما أُخذت منه قال الملك الكامل [١٧٦ ا] فيما بلغنى لصاحب آمد : « ماعندك فى بلدك من عنده [(٢)] فضيلة » . فغلط وقال « كنت سَيّرتُ إلى الشيخ سيف الدين أطلبه ، وقد وعدنى أنه يأتى إلىّ » . فعظم هذا على الملك الأشرف والملك الكامل وغاظهما على سيف الدين [على الآمدى] [(٣)] ؛ فعزله الملك الأشرف عن تدريس المدرسة العزيزية ، فخرج إلى بُستانه وأقام فيه مُضطهدا إلى أن مات فى هذه السنة وقد نيف على ثمانين سنة — رحمه الله .

وفى هذه السنة تُوفى شرف الدين بن عنين [وهو أبو المحاسن محمد بن نصر الله ابن الحسين بن عنين الأنصارى الكوفى الأصل ، الدمشقى المولد] [(٤)] . وكان شاعرا مُجيدا ، إلا أنه كان كثير الهجاء ، فكان له إبداع فيه . تعرض فى الدولة الصلاحية لهجو [(٥)] جماعة من أكابر الدولة منهم القاضى الفاضل رحمه الله . وأمر الملك الناصر [صلاح الدين — رحمه الله —] [(٦)] بنفيه فذكر أنه كتب على شجرة من حوز دمشق لما نفى :

فَعَلامَ أبعدتُم أخا ثقة		لم يجترم [(٧)] ذنبا [(٨)] ولا سرقا
انفُوا المؤذّن من بلادكُم		إن كان يُنفى كلُّ من صدقا

(١) انظر ما سبق ص ١٧
(٢) فى نسخة س « من له » ، والصيغة المثبتة من م .
(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة م وساقط من نسخة س ، انظر ترجمة ابن عنين فى ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ص ٢٥ — ٢٦ .
(٥) فى نسخة س « يهجو » والصيغة المثبتة من نسخة م .
(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(٧) أى لم يقترف ذنبا .
(٨) فى نسخة م « دينا » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من نسخة س ومن ديوان ابن عنين ، ص ٩٤ .

وسافر إلى اليمن، وخدم عند سيف الاسلام طغتكين بن أيوب وله فيه مدائح حسان، وأقام عنده مدة[(١)]. وسافر إلى بلاد العجم، [واجتمع بفخر الدين بن خطيب الرازى ومدحه. وكان فخر الدين[(٢)]] يجلس فى بعض الأيام للوعظ، على عادة العجم، فجلس يوما واتفق أن صقراً طلب حمامة ليفترسها، فهربت الحمامة منه ووقعت فى حجر فخر الدين، فضم عليها ثيابه حتى هرب الصقر ثم أطلقها. فقام شرف الدين [ابن عنين[(٣)]] وأنشده[(٤)] أبياتا منها:

يا ابن الكرام المطعمين إذا شتوا فى كل مسغبة[(٥)] وثلج خاشف[(٦)]

ويقول فيها:

جاءت سليمان الزمان بشجوها[(٧)] والموت يلمع من[(٨)] جناحى خاطف

(١) فى نسخة س « وأقام فى اليمن مدة »، والصيغة المثبتة من م.

(٢) فى نسخة س « واجتمع مع تقى الدين خطيب الرى ومدحه وكان ولده فخر الدين ... » وهو تصحيف، والصيغة المثبتة من نسخة م، انظر أيضا ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٤٧٥؛ ابن أبى أصيبعة، طبقات الأطباء، ج ٢، ص ٢٣ — ٢٤.

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م.

(٤) فى نسخة م « وأنشد »، والصيغة المثبتة من نسخة س.

(٥) كذا فى نسختى المخطوطه وكذلك فى ابن خلكان (وفيات، ج ١، ص ٤٧٥) بينما وردت كلمة « مخمصة » فى ديوان ابن عنين، ص ٩٥ وفى ابن أبى أصيبعة، طبقات الأطباء، ج ٢ ص ٢٤.

(٦) فى نسخة م « حاسف » وفى نسخة س « خاسف » والصيغة الصحيحة المثبتة من ديوان ابن عنين، ص ٩٥ ومن ابن خلكان، ج ١ ص ٤٧٥، وابن أبى أصيبعة ص ٢٤، والخشف والخشيف الثلج وقيل الثلج الخشن، انظر ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ٤١٧.

(٧) فى نسخة س « حمامة » وهو تصحيف، والصيغة المثبتة من نسخة م ومن ابن أبى أصيبعة ص ٢٤، وفى ديوان ابن عنين، ص ٩٥ وابن خلكان، ج ١، ص ٤٧٥ « بشكوها ».

(٨) فى نسخة م « فى » والصيغة المثبتة من نسخة س ومن ديوان ابن عنين ومن ابن خلكان وابن أبى أصيبعة نفس الجزء والصفحة.

قَرِمٌ طواه الجوع حتى ظله (١)		من تحته يمشى بقلب راجف (٢)

من أنبأ الورقاء أن محلكم (٣)		حَرمٌ وأنك ملجأٌ للخائف

[١٧٦ ب] فأعطاه فخر الدين — على ما بلغنى — ألف دينار .

ثم قدم شرف الدين الشام ، واتصل بخدمة الملك المعظم ولازمه ، وله فيه وفى أبيه الملك العادل — رحمهما الله — المدائح البديعة ، وقد ذكرنا بعضها (٤) .

وبعد وفاة الملك المعظم بقى مقيما بدمشق فى خدمة الملك الأشرف ، وله فيه أيضا مدائح .

ولما مرض كان له جماعة مماليك قد رباهم ، فكتب إلى الملك الأشرف يعرض باستخدامه لهم (٥) :

يا أيها المولى الذى سيفه (٦)		يُفنى وجدوى كفه تغنى

لى أعبد قد ضاق ذرعى بهم		واضجرتهم علتى منى

يشكون منى مثل ما اشتكى		منهم فخلصهم وخلصنى

فاستخدمهم الملك الأشرف وجعل لهم أخبازا (٧) .

---

(١) كذا فى نسختى المخطوطة وفى الديوان وابن خلكان وابن أبى أصيبعة « لواه القوت » .

(٢) ورد الشطر الثانى من البيت فى الديوان وابن خلكان : « بازائه يجرى بقلب واجف » وفى ابن أبى أصيبعة « بازائه يجرى بقلب راجف » والصيغة المثبتة من نسختى المخطوطة .

(٣) كذا فى نسختى المخطوطة وفى الديوان وابن خلكان وابن أبى أصيبعه (نفس الجزء والصفحة) « من نبأ » .

(٤) فى نسخة س « ذكرناها » .

(٥) فى نسخة س « باستخدامهم له » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من م .

(٦) ورد الشطر الأول فى ديوان ابن عنين ، ص ١٠٣ « يا ملك الدنيا الذى سخطه » والصيغة المثبتة من نسختى المخطوطة .

(٧) فى نسخة س « أخبازا جيدة » والصيغة المثبتة من نسخة م والأخباز هنا بمعنى إقطاعات .

وكان مولد شرف الدين سنة تسع وأربعين وخمسمائة [وذلك بدمشق يوم الاثنين تاسع شعبان. وكانت وفاته عشيةً يوم الاثنين لعشر بقين من شهر ربيع الأول من هذه السنة — أعنى سنة ثلاثين وستمائة (١)] فكان عمره نحو احدى وثمانين سنة (٢) . ودُفن من الغد فى مسجده الذى أنشأه بأرض المزّه ظاهر دمشق .

ولنذكر شيئا من أشعاره فأنها كلها بديعة مستظرفة ؛ من ذلك أنه لما نفاه السلطان الملك الناصر صلاح الدين — رحمه الله — من دمشق ، وعاد إليها حين أذن له الملك العادل — رحمه الله — فى العود إليها قال :

هجـــوت الأكابر فى جلّق (٣) ورُعت الوضيع بسب الرفيع
وأُخرجت منهـا ولكننى رجعتُ إليهـا برغم الجميـع (٤)

وكان السلطان الملك المعظم بن الملك العادل — رحمه الله — قد تغـيّر على قاضى دمشق زكى الدين بن مُحيى الدين بن زكى الدين فبعث إليـه كلوته وقبا (٥) وأمره بلبسه فى المجلس ، فلبسه وقام من المجلس ، ومرض أياما غمًّا ومات .

واتفق فى تلك المـدة ان ابن عنين تزهد وانقطع فى مسجد ، فسير إليه الملك المعظم خمرا ودستْ نَرْد (٦) فكتب إليه :

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٢) الصفحات التالية ساقطة من نسخة ص ومثبتة فى نسخة م وسوف يشار إلى نهاية الجزء الساقط ، انظر ما يلى ص ٤٨ حاشية ٤ .

(٣) جلق هى دمشق ، انظر ياقوت (معجم البلدان) .

(٤) ورد الشطر الثانى فى الديوان ص ٩٤ « رجعت على رغم أنف الجميع » والصيغة المثبتة من م.

(٥) عن الكلوته والقبا انظر ما سبق ابن واصل ، ج ٤ ص ١٧٢ ، حاشية ٢ ، ٣ .

(٦) لعبة فارسية الأصل والنرد يلعب به ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٤ ص ٤٣٠ — ٤٣١ .

يا أيها الملك المعظم سُنّةً … أجريتها (١) تبقى على الآباد (٢)

تجرى الملوك على طريقك بعدها … خلَعُ القضاة وتحفة الزّهاد

وأمر الملك المعظم بنزح ماء بئر (٣) فأعيى الناس نزحه لكثرة ما فيه من الماء فقال ابن عنين :

أرخ من نزح ماء البئر (٤) قوما (٥) … فقد أفضى إلى تعب وعي

مُر القاضى بوضع يديه فيه … فيصبح مثل رأس الدولعي (٦)

وكان القاضى بدمشق يومئذ جمال الدين المصرى وقد تقدم ذكره (٧)، والدولعى هو جمال الدين خطيب جامع دمشق، وهو منسوب إلى الدولعيّة قرية على باب الموصل فى طريق الذاهب إلى الموصل من جهة نصيبين وقد رأيتها .

وبلغه أن قائلا قال فى أكل النواب أوقاف الجامع :

لمّا رأى الجامعُ أمواله … منهوبة (٨) ما بين نُوّابه

جُنَّ فمن أجل جنون غدا … مسلسلا مابين أبوابه

(١) فى ديوان ابن عنين، ص ٩٣ « أحدثتها » والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٢) فى نسخة المخطوطة « الأياد »، والصيغة المثبتة من ديوان ابن عنين، ص ٩٣ .

(٣) فى ديوان ابن عنين، ص ٢٣٥ أن الملك المعظم أمر بنزح ماء خندق القلعة بدمشق، والصيغة المثبتة من المخطوطة .

(٤) فى ديوان ابن عنين، ص ٢٣٥ « البرج »، والصيغة المثبتة من م .

(٥) فى الديوان « يوما » والصيغة المثبته من م .

(٦) ورد الشطر الثانى فى ديوان ابن عنين، ص ٢٣٥ « وقد أضحى كرأس الدولعى » .

(٧) انظر ما سبق ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤ ص ١٧١ – ١٧٣ .

(٨) فى ديوان ابن عنين، ص ١٤٣ « مأكولة » والصيغة المثبتة من نسخة م .

وكيف لا تغتـاله جِنّـةٌ وقد رأى خســة أربابه
القردُ فى شـبّاكه حاكمٌ (١) والكلب فى قبـلة محرابه

فتمم بذلك الوقيعة فى القاضى والخطيب المذكورين (٢) .

وله فى هـذا الباب شىء كثير أربى فيـه على ابن منير (٣) بل على ابن الرومى (٤) .

وكان مجيدا فى عمل الألغاز وحلها . كتب إليه بعض الأدباء (٥) لغزا فى الزِّر والعروة (٦) :

وما أنثى وينكحها أخوها بعقـد وهو حِل مستباحُ
رآه معشر منـا حلالا (٧) وفى أعناقهم ذاك النكاح

(١) وردت الأبيات الثلاثة الأخيرة فى ديوان ابن عنين ، ص١٤٣ برواية أخرى :

جُن فن خوف عليـه غدا مسلسلا من كل أبوابه
وكيف لا تعتـاده جنـة وقـد رأى المسخ لأربابه
القـرد فى شـباكه حاكم والتيس فى قبـة محـرابه

والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٢) وردت هذه الجملة فى المخطوطة قبل البيتين الأخيرين .

(٣) هو الشاعر المشهور أبو الحسين أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسى الملقب مهذب الدين عين الزمان . ذكر ابن خلكان أنه كان رافضيا كثير الهجاء خبيث اللسان ، وأنه لما كثر منه ذلك سجنه بورى بن أتابك طغتكين صاحب دمشق مدة وعزم على قطع لسانه ثم شفعوا فيه فنفاه ، وتوفى سنة ٥٤٨ أو سنة ٥٤٧ هـ ، انظر ابن خلكان ، وفيات ، ج ١ ص ٤٩ — ٥١ .

(٤) هو الشاعر الكبير المشهور على بن العباس بن جريج الرومى المتوفى سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م ، يقال أنه ما مدح أحدا من رئيس أو مرؤوس إلا عاد إليه وهجاه ، انظر الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ، ج ١٢ ، ص ٢٣ — ٢٦ .

(٥) كلمة « الأدباء » مكتوبة فى الهامش .

(٦) الزر هو الذى يوضع فى القميص والعروة هى التى تدخل الحبة فيها ، انظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٤٠٩ .

(٧) فى ديوان ابن عنين ، ص ١٧٠ « مباحا » والصيغة المثبتة من م .

فحلّ اللغز وكتب الجواب مُلغزا فيهما :

أتانى منك لفظ مثـل(١) در ... له من فكرك الوارى نصاح

ببعـل كله ذكر صحيـح ... وأنثى كلها فـرج مبـاح

وتُفضَى هـذه ويُجَبُّ هذا ... ولا يؤذيهما(٢) ذاك الجـراح

وقد قدمنا ذكره فى أخبار سـيرة الملكين العادل والمعظم — رحمهما الله — والقصيدة الرائية التى مدح بها السلطان الملك العادل فى غاية الحسن [١٧٧ ب] قد ذكرنا بعضها(٣) . وذكر فى آخرها تغربه، وشكر الحوادث التى أوصلته إلى جناب الملك العادل وهو :

أشكو إليك نوىً تمـادى عمرُها ... حتى حسبْتُ اليومَ منهـا أشهُرا

لا عيشتى تصفو، ولا رسْمُ الهوى ... يعفو ، ولا جَفْنى يخالطه(٤) الكرى

أُضحى عن الأحوى(٥) المربع مُحَـلأً ... وأَبيتُ عن وِرْدِ النمـير(٦) مُنفَّرا

ومن العجائب أن يُقَيِّـل(٧) ظلكم ... كل الورى ونُبذتُ وحدى بالعرا

ولقد سئمت من القريض ونظمه ... ما حاجتى(٨) ببضـاعة لا تُشترى

---

(١) ورد الشطر الأول فى ديوان ابن عنين ، ص ١٧٠ « تحاجينى ولفظك مثل درّ » ، والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٢) فى ديوان ابن عنين ، ص ١٧٠ « ولا تؤذيهما تلك » ، والصيغة المثبتة من نسخة م وكلتاهما صحيح .

(٣) انظر ماسبق ، ابن واصل ، ج ٣ ، ص ١٢٩ — ١٣٠ ، ٢٧٢ — ٢٧٣ ؛ ج ٤ ص ١٠٠ — ١٠١ ، ٢١٤ — ٢١٦ ، ٢٢٠

(٤) فى ديوان ابن عنين ، ص ٨ « يصالحه » ، والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٥) الأحوى هو الأسود من الخضرة ، انظر لسان العرب ، ج ١٨ ، ص ٢٢٦ .

(٦) وِرْد النمير هو الماء الناجع الذى يُشرب منه ، انظر لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٩٤ .

(٧) فى ديوان ابن عنين « أن تفيّأ » والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٨) فى ديوان ابن عنين « ماحيلتى » ، والصيغة المثبتة من نسخة م .

كسدت فلمـا قمتُ ممتدحا بهـا ربَّ الممالك نلت أربح متجرا[١]

ولأشكرن حوادثا[٢] قـــذفت بآ مالى إليك وحقُّهـا أن تُشكرا

لا زلت ممتــدّ[٣] البقـا حتى ترى عيسى بعيسى فى الورى مُستنصرا

أراد بعيسى الثانى ولده الملك المعظم — رحمهما الله[٤] .

ذكر وفاة [الملك المعظم][٥] مظفر الدين كوكبورى ابن زين الدين على كوچك بن بكتكين صاحب أربل رحمه الله

[قد ذكرنا أخبار مُظفر الدين بن زين الدين على كوچك فى أخبار السلطان الملك الناصر صلاح الدين وبعدها[٦] .

وكان أبوه زين الدين على كوچك متحكما فى الدولة الأتابكية ونائبا عن الملك عندهم . وقد ذكرنا أنه لمـا مات مَلَكَ أربل وبلادها مظفر الدن كوكبورى هذا ، وأنه صُرف عن الملك بعد ذلك ووُلِّيت البلاد لأخيه زين الدين يوسف ، وكان أصغر منه فى السن ، وأنه أُعطى بدلها الرها ، وأنه لمـا ظهر الملك الناصر صلاح الدين

(١) ورد الشطر الثانى فى ديوان ابن عنين « ملك الملوك غدوت أربح متجرا » ، والصيغة المثبتة من نســخة م .

(٢) فى ديوان ابن عنين « فلأشكرنَّ » ، والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٣) فى ديوان ابن عنين « ممدود » ، والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٤) نهاية الجزء الساقط من نسخة س ، انظر ماسبق ص ٤٤ حاشية ٢ والصفحات التالية وردت فى غير مكانها فى نسخة س (ورقة ٢٨٨ ب)

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٦) انظر ما سبق ، ابن واصل ، ج ٢ ص ٣٣٩ — ٣٤٠ ؛ ج ٣ ص ١٥٦ ، ١٩٤ — ١٩٥ ، ١٩٧ .

التجأ إليه[(١)] مظفر الدين وفارق البيت الأتابكي وخدمه[(٢)]] . ولما مَلَكَ السلطان [صلاح الدين] الشرق[(٣)] ، أقطعه حرّان مضافة إلى الرها[(٤)] ، [وأنه نقم عليه بعد ذلك وأخذها منه ، ثم رضي عنه و ردها إليه][(٥)] .

ولما كان السلطان [صلاح الدين][(٦)] بمرج عكا في مقابلة الفرنج المنازلين لها[(٧)] توفى زين الدين يوسف[(٨)] بن زين الدين صاحب أربل بالمعسكر ، وكان من جملة النجد الذين في خدمة السلطان[(٩)] ، فنزل مظفر الدين عن حران والرها [١٧٨ ا]، وطلب بدلا منهما أربل و بلادها فأجيب إلى ذلك[(١٠)] ، وقلده السلطان ذلك ، فمضى مظفر الدين إليها ، [واستولى على ممالكها[(١١)]] ، ولم يتفق بعد ذلك عودُه إلى السلطان . ثم صار بعد وفاة السلطان منتميا إلى البيت الأيوبي؛ لأن المُلك صار إليه بطريقهم ، وتزوّج ربيعة خاتون بنت أيوب أخت [السلطان الملك الناصر صلاح الدين وأخت[(١٢)]] الملك العادل، وأولدها ابنتين تزوّج إحداهما[(١٣)] الملك القاهر

(١) في نسختي المخطوطة « التجى » .

(٢) ورد ما بين الحاصرتين في قليل من التغيير في نسخة س مبتدئا « وفي هذه السنة توفى مظفر الدين بن زين الدين على كوچك . . . . » والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٤) في نسخة س « جمع له بين الرها وحران » والصيغة المثبتة من م .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في م .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٧) في نسخة س « النازلين عليها » والصيغة المثبتة من م .

(٨) في نسخة م « زين يوسف » وهو تصحيف ، والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة س

(٩) انظر ماسبق ، ابن واصل ، ج ٢ ص ٣٣٩ — ٣٤٠ .

(١٠) في نسخة س « فأجابه السلطان الملك الناصر إلى ذلك » والصيغة المثبتة من نسخة م .

(١١ — ١٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(١٣) في نسخة م « حديهم » وهو تصحيف ، والصيغة صحيحة المثبتة من س .

عز الدين مسعود [بن أرسلان شاه][1] صاحب الموصل وأولدها ابنين، والأخرى تزوجها أخوه عماد الدين زنكى .

ومات الملك القاهر وتغلب بدر الدين لؤلؤ — مملوك أبيه — على الموصل، وأقام ولديه الصغيرين فى الملك صورة واحدا بعد واحد[2] . ولما هلك الثانى منهما استقل[3] بالملك، فقامت بسبب [ذلك][4] العداوة بين مظفر الدين و بدر الدين لؤلؤ، وجرى بينهما من الحروب ماتقدم ذكره .

وكان مظفر الدين يلقب بالملك المعظم ، ولما حضره الموت لم يكن له ولد يخلفه فى الملك، فأوصى بتسليم البلاد إلى الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين[5] . [فلما مات ورد نواب الديوان العزيز إلى أربل وتسلموها، وولى فيها وال من قبل الخليفة، فأقام مدة ثم عزله، وولى بعده أربل الشريف تاج الدين بن صلايا][6] ، وكان كريما حسن السيرة . ولم يزل حاكما بالبلاد من قبل الخليفة إلى أن ملك التتر بغداد، وقتلوا[7] الخليفة المستعصم بالله أبا أحمد عبد الله بن المستنصر بالله، وملكت التتر البلاد . [فوفد إلى أولاكو[8] ملكهم الشريف تاج الدين و بدر الدين لؤلؤ

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٢) فى نسخة س « فات واحد بعد واحد » والصيغة المثبتة من م .

(٣) فى نسخة س « استقر » ، والصيغة المثبتة من م .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٥) فى نسخة م « الخليفة المستنصر بالله » ، والصيغة المثبتة من س .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وورد مختصرا فى نسخة م .

(٧) فى نسخة س « وقتل » والصيغة المثبتة من م .

(٨) يقصد هولاكو .

صاحب الموصل فقتل ملك التتر الشريف ابن صلايا لأنه على ما ذُكر حسّن له صاحب الموصل قتله ، وقال أنه شريف وربما طمع فى الخلافة . ورجع بدر الدين إلى الموصل على ما سنذكره إن شاء الله تعالى(١)] .

ذكر سيرة مظفر الدين رحمه الله

كان ملكا جليلا ، شجاعا مقداما ، ذا همة عالية [وبأس شديد ، إلا أنه كان فيه ظلم وعسف وإلحاح فى استخراج الأموال . ومع هذا ، فكانت له(٢)] صدقات كثيرة دارّة ، ومعروف كثير ، واستفكاك الأسارى من أيدى الفرنج . وكان مقصدا للفقهاء والشعراء والأدباء والصوفية وأهل الدين ، يبرّهم بالأموال الجزيلة ، ولا ينصرفون من عنده إلا راضين شاكرين . [وكان يعمل السماعات كثيرا للفقراء ويحضر بينهم ، وكان متنزها عن شرب الخمر والمعاصى ، قائما بوظائف الصلوات فى أوقاتها(٣)] . [واتخذ اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول فى كل سنة موسما لكون مثل ذلك اليوم هو الذى ولد فيه النبى — صلى الله عليه وسلم — فكان ينفق فيه الأموال الجزيلة ، ويعمل السماعات والاجتماعات للقراءة . وكان يحضر هذه المجامع ويبذل فيها الدنانير والدراهم الكثيرة ، ويبعث إلى الشام كل سنة جملة كثيرة بسبب استفكاك الأسرى(٤)] .

---

(١) ورد مابين الحاصرتين مختصرا فى نسخة س .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٤) ورد مابين الحاصرتين فى قليل من التعديل وفى غير مكانه فى نسخة س (ق ٢٨٩ أ — ب) ، والصيغة المثبتة من م .

وممن قدم عليــه(١) الحافظ مجد الدين أبو الخطاب عمر بن دِحية(٢) [وكان إمام وقتــه فى علم الحديث وله فيــه رحل كثيرة . ولمـا قدم عليه(٣)] امتدحه بقصيدة مطلعهـا :

لولا الوشــاة وهــم(٤) أعداؤنا ما وهموا

وساح جفنى وهمـا(٥) بالدمع لمّـا فهموا

فأعطاه ألف دينار(٦) .

وقد حكى القــاضى شمس الدين أحمــد بن محمــد بن خلكان قاضى دمشق — رحمه الله — عنه أشياء حسنة أودعها كتابه المسمى وفيات الأعيان(٧) ، وهو أخبر الناس بأحواله لأنه نشأ بأربل ، وأكثر ما ذكر يعرفه مشاهدة لا سماعا فلنذكره :

(١) فى نسخة س « ووصل إليه » والصيغة المثبتة من م .

(٢) هو الحافظ أبو الخطاب عمــر بن الحسن بن على المعــروف بذى النسبين الأندلسى البلنسى ، وينتهى نسبه إلى دِحية الكلبى صاحب رسول الله . كان من أعيان العلماء متقنا لعلم الحديث النبوى ، عارفا بالنحو واللغة وأيام العــرب وأشعارها . انتقل من بلاد الأندلس إلى مصر والشام والعراق فى طلب الحديث والاستفادة منه ، وتوفى فى القاهرة سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م ؛ انظر ترجمته فى ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٨١ — ٣٨٢ ؛ المقرى التلمسانى ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٩٩ — ١٠٤ ؛ ومن كتب ابن دحية كتاب المطرب فى أشعار أهل المغرب ، ط . الخرطوم ، سنة ١٩٥٤ .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٤) فى نسخة س « وهموا » ولعله تصحيف ، والصيغة المثبتة من نسخة م ومن ابن خلكان (وفيات ، ج ١ ، ص ٣٨١) .

(٥) الصيغة المثبتة من نسخة م ، وفى نسخة س « وساح دمعى فهما » ومعه لا يستقيم المعنى فى الشطر الثانى ، ولم يرد هذا البيت فى ابن خلكان .

(٦) سوف يتكرر ذكر هذا الخبر فيما بعــد : انظر ما يلى ص ٦٠ والصفحات التاليــة ساقطة من نسخة س ومثبتة فى نسخة م ، وسوف يشار إلى نهاية الجزء الساقط ، انظر ما يلى ص ٦٢ حاشية ٥ .

(٧) انظر ابن خلكان (وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٣٥ — ٤٣٨) ؛ وعن سيرة مظفر الدين ، انظر أيضا ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٥٠ — ٤٥٢

قال [ابن خلكان[1]] ما معناه أن والده على بن بكتكين كان قصيرا ولهذا قيل له كك ، وهو لفظ عجمى معناه بالعربى صغير أى صغير القدر، وأصله من التركمان. وملك أربل و بلادا كثيرة فى تلك النواحى وفرقها على أولاد [أتابك[2]] قطب الدين مودود بن زنكى بن آق سنقر صاحب الموصل، ولم يبق له سوى أربل . وعمر عُمْرا طويلا فيقال أنه جاوز مائة سنة ، وعمى فى آخر عمره ، وتوفى بأربل ليلة الأحد حادى عشر ذى القعدة سنة ثلاث وستين وخمسمائة .

قال [ابن خلكان[3]] : وقال بهاء الدين بن شداد [فى سيرة صلاح الدين[4]] مات فى ذى الحجه ودفن بتربته المعروفة به المجاورة للجامع العتيق داخل البلد .

ولما توفى ولى أربل بعده ولده مظفر الدين كوكبورى ، وعمره يومئذ أربع عشرة سنة ، وقام بأتابكيته مجاهد الدين قايماز، ثم تعصب عليه مجاهد الدين وكتب محضرا بأنه ليس أهلا للولاية . وشاور الخليفة فى أمره فعزله واعتقله ، وولى أربل أخاه زين الدين يوسف وكان أصغر منه . ثم أخرج مظفر الدين من البلاد [١٧٩ ا] فتوجه إلى بغداد فلم يحصل على مقصود ، ثم انتقل الى الموصل وصاحبها يومئذ سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود بن زنكى ، واتصل بخدمته وأقطعه مدينة حران فانتقل إليها . ثم اتصل بخدمة السلطان الملك الناصر صلاح الدين — رحمه الله — وحظى عنده وتمكن منه ، وزاد فى أقطاعه الرها سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وزاده سميساط وذلك حين أخذ الملك الناصر الرها من

(١) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٢) مابين الحاصرتين من ابن خلكان ، ج ١ ص ٤٣٥ .

(٣) مابين الحاصرتين للتوضيح .

(٤) ما بين الحاصرتين من ابن خلكان : ج ١ ، ص ٤٣٥ ؛ انظر أيضا ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٩ .

فخر الدين بن الزعفرانى، وزوج مظفر الدين أخته ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب ابن شادى، وكانت قبله مزوجة بسعد الدين(١) مسعود بن معين الدين آنر. وتوفى عنها مسعود سنة احدى وثمانين وخمسمائة .

وشهد مظفر الدين مع الملك الناصر صلاح الدين حروبه مع الفرنج ، وكان أخوه زين الدين يوسف قد وفد إلى السلطان — رحمه الله — نجدة وهو محاصر للفرنج المحاصرين لعكا ، فتوفى بالناصرة وهى قرية بالقرب من عكا ، كان انتقل إليها من العسكر السلطانى لما مرض، وذلك فى الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وخمسمائه . فالتمس مظفر الدين من السلطان أن ينزل عن الرها وحران وسميساط ويعوضه عن ذلك أربل، فأجابه إلى ذلك وضم إليه شهرزور فتوجه إلى أربل ودخل إليها فى ذى الحجة من السنة المذكورة . هذه خلاصة أمره .

قال [ابن خلكان](٢) : وكان له فى فعل الخير غرائب لم يُسمع أن أحدا فعل مثلها ، من ذلك أنه لم يكن شىء أحب إليه من الصدقة ، كان له كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز(٣) تفرق على المحاويج فى عدة مواضع من البلد، يجتمع فى كل موضع(٤) خلق كثير ، ويفرق عليهم فى أول النهار . [وإذا نزل من الركوب يكون قد اجتمع جمع كثير عند بابه فيدخلهم إليه ، ويدفع لكل واحد منهم كسوة على قدر الفصل من الشتاء والصيف . ومع الكسوة شىء من الذهب من الدينار

(١) فى ابن خلكان (وفيات ، ج ١ ، ص ٤٣٥) « زوجة سعد الدين » .

(٢) مابين الحاصرتين للتوضيح .

(٣) فى المخطوطة « الخير » وهو تصحيف ، انظر ابن خلكان ، ص ٤٣٦ .

(٤) فى المخطوطة « يوم » وهو تصحيف ، انظر ابن خلكان ، ص ٤٣٦ .

والاثنين والثلاثة وأقل وأكثر (١) . وكان قد بنى أربع خانكاهات للزَّمْنى (٢) والعميان ، وملأها من هذين الصنفين ، وقرر لهم ما يحتاجون إليه كل يوم . وكان يأتيهم بنفسه فى عصرية كل اثنين وخميس (٣) ، ويدخل إلى كل واحد منهم [١٧٩ ب] فى بيته ويسأله عن حاله ، ويتفقده بشيء من النفقة ، ويباسطهم ويمزح معهم ويجبر قلوبهم .

وبنى دارا للنساء الأرامل ، ودارا للصغار الأيتام ، ودارا لِلُّقَطَاء ، ورتب بها جماعة من المراضع ، وكل مولود يلتقط يحمل إليهن فيرضعنه . وأجرى لأهل كل دار ما يحتاجون إليه فى كل يوم . [وكان يدخل إليها فى كل وقت ويتفقد أحوالهن ويعطيهن النفقات زيادة على المقرر لهن] (٤) . وكان يدخل إلى البيمارستان ويقف على مريض مريض ، ويسأله عن مبيته وكيفية حاله . وكان له دار مضيف يدخل إليها كل قادم إلى البلد من فقيه أو فقير أو غيرهما ، وما كان يُمنع منها كل من قصد الدخول إليها ، وله الراتب الدار فى الغداء والعشاء . وإذا عزم الانسان على السفر أعطى نفقة على ما يليق بمثله .

وبنى مدرسة رتب فيها فقهاء الفريقين من الشافعية والحنفية . وكان كل وقت يأتيها بنفسه ويعمل السماط بها ، ويبيت [بها] (٥) ويعمل السماع . وإذا طاب

(١) فى المخطوطة « الدنانير الاثنين » والصيغة المثبتة من ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٤٣٦ .

(٢) رجل زمن أى مبتلى والزمانة العاهة ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٧ ، ص ٦٠ .

(٣) كذا فى المتن وفى ابن خلكان (ج ١ ، ص ٤٣٦) « فى كل عصرية اثنين وخميس » .

(٤) ورد ما بين الحاصرتين فى قليل من التعديل فى المخطوطة ، والصيغة المثبتة من ابن خلكان (ج ١ ، ص ٤٣٦) الذى ينقل عنه ابن واصل .

(٥) ما بين الحاصرتين من ابن خلكان ، ج ١ ص ٤٣٦ .

خلع شيئا من ثيابه وسيّر (١) إلى الجماعة بكرة شيئا من الأنعـام . ولم يكن له لذة سوى السماع ، فإنه لم يكن يتعاطى شرب المسكر (٢) ، ولا يمكّن أحدا من إدخاله إلى البلد . و بنى للصوفية خانقاتين ، فيهما خلق كثير من المقيمين والواردين . و يجتمع فى أيام المواسم فيهما خلق كثير يفوت الأحصاء . ورتّب لهما أوقافـا كثيرة تقوم بجميـع ما يحتاج إليه ذلك الخلق العظيم . ولابد عند سفر كل واحد من صوفية الخانقاتين من نفقة يأخذها . وكان ينزل بنفسه إليهم ، يعمل عندهم السماعات فى كثير من الأوقات .

وكان يُسيّر فى كل سنة دفعتين من أمنائه (٣) جماعة إلى ساحل الشام ومعهم جملة كثيرة من المـال لا ستفكاك أسرى المسـلمين من الكفار . و إذا وصلت إليـه الأسرى أعطى كل واحد منهم شيئا ، ومن لم يصل منهم أعطاه الأمناء شيئا بوصيته إليهم بذلك .

وكان يقيم فى كل سـنة سبيلا للحاج ، ويُسير مع السبيل جميع ما تدعو حاجة المسافر إليه فى الطريق ، ويسير صحبته أمينا [معه] (٤) خمسة أو ستة آلاف دينار (٥) لينفق بالحرمين على المحاويج وأرباب الرواتب . وله بمكة ــ حرسها الله تعالى ــ [١٨٠ ا] آثار جميلة ، وبعضها باق إلى الآن . وهو أول من أجرى المـاء إلى جبل عرفات

(١) فى المتن « ويسير » ، والصيغة المثبتة من ابن خلكان (نفس الجزء والصفحة) .

(٢) فى ابن خلكان « المنكر » ، والصيغة المثبتة من المخطوطة .

(٣) فى المتن « أمرائه » ، والصيغة المثبتة من ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٤٣٦ .

(٤) ما بين الحاصرتين مذكورة فى هامش المتن .

(٥) فى المخطوطة « خمسة آلاف ستة آلاف دينار » والصيغة المثبتة من ابن خلكان (وفيات ، ج ١ ، ص ٤٣٦)

ليلة الوقوف ، وغرم عليه جملة كثيرة . وعمر بالجبل مصانع للماء[(١)] وبنى تربة هناك .

وأما احتفاله بمولد النبى — صلى الله عليه وسلم — فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به . قال [ابن خلكان][(٢)] : ولكننا نذكر طرفا منه ، وهو أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه ، فكانوا كل سنة يصل من البلاد القريبة من أربل مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك النواحى من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء خلق عظيم . ولا يزالون يتواصلون من المحرم إلى شهر ربيع الأول . ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب كل قبة أربع طبقات أو خمس ، ويكون عدد القباب عشرين قبة ، وأكبرها قبة له والباقى[(٣)] للأمراء وأعيان الدولة ، لكل واحد قبة . فإذا كان أول صفر زينوا[(٤)] تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المتجملة ، وقعد فى كل قبة جوق من المغانى ، وجوق من أرباب الخيال ، وفى كل طبقة من طبقات تلك القباب يكون فيها جوق . وتبطل معايش الناس فى تلك المدة كلها ، ولا يبقى للناس شغل إلا التفرج والدوران على تلك القباب . وكانت القباب تنصب من حدّ باب القلعة إلى باب الخانقاة المجاورة للميدان . وينزل مظفر الدين كل يوم بعد صلاة العصر ويقف على قبة قبة إلى آخرها ، ويسمع غناء المغانى ، ويتفرج على خيالاتهم وما يفعلونه فى القباب . ثم يبيت فى الخانقاة بعد الفراغ[(٥)] ، ويركب عقيب صلاة الصبح

---

(١) المصانع هنا بمعنى ما يصنعه الناس من الآبار ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٠ ، ص ٧٩ .
(٢) ما بين الحاصرتين للتوضيح .
(٣) فى المخطوطة « البواق » ، والصيغة المثبتة من ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٤٣٧ .
(٤) فى المخطوطة « بنوا » والصيغة المثبتة من ابن خلكان (نفس الجزء والصفحة) .
(٥) كذا فى المخطوطة وفى ابن خلكان (ج ١ ، ص ٤٣٧) ورد « ثم يبيت فى الخانقاه ويعمل السماع فيها » .

ويتصيد ، ثم يرجع إلى القلعة بعـد الظهر[(١)] ، هكذا يفعـل فى كل يوم إلى ليـلة المـــولد[(٢)] .

وكان يعمله سنة فى ثامن الشهر ، وسنة فى ثانى عشره ، لأجل الخلاف الذى وُقع فيـه . فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقـر والغنم شيئا عظيما يجل عن الوصف ، وزفّها بجميع ما عنده من الطبول والمغانى ، حتى يؤتى بها إلى الميدان ، ثم يشرع فى نحرها وتنصب القدور ، و يطبخ الطباخون الألوان المختلفة . و إذا كانت ليلة المولد[(٣)] عملت السماعات بعد أن يصلى المغرب فى القلعة ، [١٨٠ ب] ثم ينزل و بين يديه من الشموع المشتعلة[(٤)] شيء كثير ، وفى جملتها شمعتان أو أكثر[(٥)] . قال [ابن خلكان[(٦)]] : أشك فى ذلك من الشموع الموكبية[(٧)] التى تحمل كل واحدة منها على بغل ، ومن ورائها رجل يسندها ، وهى مربوطة على ظهر البغل حتى ينتهى إلى الخانقاة . فإذا كان صبيحة ليلة المولد أنزل الخلع من القلعة [إلى الخانقاة[(٨)]] على أيدى الصوفية ، على يد كل شخص منهم بُقجه ، وهم متتابعون كل واحد وراء الآخر ، فينزل من ذلك شيء كثير لا يحصى عدده . ثم ينزل مظفـر الدين إلى الخانقاة ،

---

(١) كذا فى المخطوطة ، وفى ابن خلكان (نفس الجزء والصفحة) « قبل الظهر » .

(٢ — ٣) فى المخطوطة « ليلة الميلاد » ، والصيغة المثبتة من ابن خلكان .

(٤) فى المخطوطة « المشعلة » والصيغة المثبتة من ابن خلكان (ج ١ ، ص ٤٣٧) .

(٥) كذا فى المخطوطة ، وفى ابن خلكان « شمعتان أو أربع » .

(٦) ما بين الحاصرتين للتوضيح ، انظر ابن خلكان (ج ١ ، ص ٤٣٧) .

(٧) ذكر المقريزى (الخطط ، ج ٢ ، ص ٩٦) عند حديثه عن سوق الشماعين بالقاهرة أن الواحدة من الشموع الموكبية كانت تزن عشرة أرطال ، ومن الشمع ما كان يحمل على العجل و يبلغ وزن الواحدة منها قنطار .

(٨) ما بين الحاصرتين للتوضيح من ابن خلكان (ج ١ ص ٤٣٧) .

ويجتمع به الأعيان والأكابر وطائفة كبيرة من بياض البلد . وينصب كرسى الوعظ ، وقد نُصب لمظفر الدين برج خشب له شبابيك إلى الموضع الذى فيه الناس وكرسى الوعظ ، وشبابيك أخر للبرج أيضا إلى الميدان ، وهو ميدان كبير فى غاية الاتساع . ويجتمع فيه الجند ، ويعرضهم ذلك النهار ، وهو تارة ينظر إلى عرض الجند ، وتارة ينظر إلى مجلس الوعظ . ولا يزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم . وعند ذلك يقدم السماط فى الميدان للصعاليك ، ويكون سماطا عاما عظيما[1] . ويمد سماط آخر فى الخانقاه للمجتمعين عند كرسى الوعظ . وفى مدة العرض ووعظ الوعاظ يُطلب واحد واحد[2] من الأعيان والرؤساء والوافدين لأجل هذا الموسم ، ممن قدمنا ذكره من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ، فيخلع على كل واحد منهم ويعاد إلى مكانه . فإذا تكامل ذلك كله حضروا السماط ، وحمل من يعتاد الحمل إلى داره[3] . ولا يزالون كذلك إلى العصر أو بعدها . ويبيت تلك الليلة هناك ، ويعمل السماعات إلى بكرة ، هكذا يعمل فى كل سنة . وإذا فرغ هذا الموسم تجهزوا للانصراف إلى بلدانهم[4] ، فيدفع إلى كل شخص شىء من النفقة .

وممن وفد إليه من العلماء الشيخ الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية المحدث[5] — وسيأتى ذكره فيما يأتى إن شاء الله تعالى — فأكرمه إكراما

(١) كذا فى المخطوطة وفى ابن خلكان (ج ١ ، ص ٤٣٧) « ويكون سماطا عاما فيه من الطعام والخبز شىء كثير لا يحد ولا يوصف » .

(٢) كذا فى المخطوطة وفى ابن خلكان « يطلب واحدا واحدا » .

(٣) أى حملوا من طعام السماط وفى ابن خلكان (وفيات ، ج ١ ، ص ٤٣٧) « وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل إلى داره » والصيغة المثبتة من المخطوطة .

(٤) كذا فى المتن وفى ابن خلكان « تجهز كل انسان للعود إلى بلده » .

(٥) انظر ما سبق ص ٥٢ حاشية ٢ .

عظيما . ولما رأى غرام مظفر الدين لمولد النبي ، صلى الله عليه وسلم، صنف له كتابا سماه (التنوير فى مولد السراج المنير) وقرأه [١٨١ ا] على مظفر الدين بنفسه . قال القاضي شمس الدين [أحمد بن خلكان](١) : وسمعناه على مظفر الدين فى ست مجالس ، وختم الحافظ بن دحيه هذا الكتاب بقصيدة أولها :

لولا الوشاة وهم أعداؤنا ما وهموا

فدفع الملك المعظم [مظفر الدين كوكبورى](٢) إلى الحافظ بن دحيه ألف دينار . وذكر القاضي شمس الدين أن هذه القصيدة فى ديوان الأسعد بن مماتى المصرى(٣) .

قال القاضي شمس الدين [ابن خلكان](٤) : وكان مظفر الدين إذا استطاب شيئا من الطعام لا يختص به ، بل إذا أكل من زبدية منه لقمة [طيبة(٥)] قال لبعض الجاندارية : « احمل هذه إلى الشيخ فلان أو فلانة » ممن هم عنده مشهورون بالصلاح . وكذلك كان يعمل فى الحلوى والفاكهة وغير ذلك من المطاعم [والمشارب والكساء(٦)] .

وكان(٧) حسن الأخلاق ، كثير التواضع ، حسن العقيدة ، سالم الطوية ، شديد الميل إلى أهل السنة والجماعة ، لا ينفق عنده من أرباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين ، ومن عداهم لا يعطيه شيئا إلا تكلفا . وكذلك الشعراء لا يقول

(١ — ٢) أضيف مابين الحاصرتين للتوضيح .

(٣) ذكر ابن خلكان (وفيات ، ج ١ ص ٦٩) عند ترجمة الأسعد بن مماتى أنه قرأ هذه القصيدة فى مجموعة منسوبة إلى ابن مماتى .

(٤) أضيف مابين الحاصرتين للتوضيح .

(٥ — ٦) مابين الحاصرتين من ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٤٣٧ .

(٧) فى ابن خلكان (نفس الجزء والصفحة) « سالم البطانة » والصيغة المثبتة من المخطوطة .

بهم، ولا يعطيهم إلا إذا قصدوه فما كان يضيع قصدهم. وكان يميل إلى علم التاريخ، وعلى خاطره شىء يذاكر به(١). ولم يزل مؤيدا فى مواقفه ومصافاته(٢) مع كثرتها، لم يُنقل أنه انكسر فى مصاف قط.

قال شمس الدين: ولم أذكر عنه شيئا على سبيل المبالغة بل كل ماذكرته عن مشاهدة وعيان، وربما(٣) حذفت بعضه طلبا للإيجاز.

قال: وكانت ولادته بقلعة الموصل ليلة الثلاثاء السابعة والعشرين من المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وتوفى — رحمه الله — وقت الظهر يوم الأربعاء ثامن عشر شهر رمضان سنة ثلاثين وستمائة بداره التى كانت لمملوكه(٤) شهاب الدين قرطايا(٥) لما قبض عليه سنة أربع عشرة وستمائة أخذها وصار يسكنها بعض الأوقات. ثم نُقل إلى قلعة أربل ودفن بها، ثم حمل بوصية منه إلى مكة(٦) [١٨١ ب] — شرفها الله تعالى — وكان قد أعدّ له بها قبة تحت جبل عرفات فى ذيله ليدفن بها. فلما توجه الركب إلى الحجاز سنة إحدى وثلاثين وستمائة سيروه فى الصحبة. واتفق رجوع الحجاج قبل أن يصلوا إلى مكة بسبب حادثة لينة(٧). قلت: وهى التى سنذكرها فى حوادث تلك السنة، فردوه ودفنوه بالكوفة بالقرب من مشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

---

(١) فى المخطوطة «تذاكر به» ولعله تصحيف، والصيغة المثبتة من ابن خلكان، ج ١، ص ٤٣٧.

(٢) فى المخطوطة «ومصفاته».

(٣) فى المخطوطة «وإنما» والصيغة المثبتة من ابن خلكان (ج ١، ص ٤٣٨).

(٤) كذا فى المتن وفى ابن خلكان (وفيات ج ١، ص ٤٣٨) «بداره فى البلدة التى كانت لمملوكه».

(٥) كذا فى المخطوطة بينما ورود الاسم فى ابن خلكان (نفس الجزء والصفحة) «شهاب الدين قراطيا».

(٦) الكلمة مكررة فى المتن.

(٧) لينة موضع فى بلاد نجد وهو المنزل الرابع لقاصد مكة من واسط، انظر ياقوت (معجم البلدان).

وتوفيت زوجته الخاتون ربيعة بنت أيوب، أخت الملك العادل — رحمهما الله — فى شعبان سـنة ثلاث وأربعين وستمائة . قال [ابن خلكان](١) : وغالب ظنى أنها جاوزت ثمانين سنة ، وأدركت من محارمها الملوك من أخوتها وأولادهم وأولاد أولادهم أكثر من خمسين ملكا، غير محارمها(٢) من غير الملوك . كانت أربل لزوجها المذكور، والموصل لولدى بنتها اللذين(٣) تغلب عليهم بدر الدين لؤلؤ وأبوهما وعمهما؛ أعنى الملك القاهر وعماد الدين زنكى صهراها، والملك الأشرف صاحب خلاط وبلاد الشرق ابن أخيها ، والملك الظاهر وابنه الملك العزيز ابنـا(٤) أخيها ، والملك المنصور وأبناه الملك الناصر والملك المظفر من ذرية أخيها ، والملك الأمجد صاحب بعلبك ابن ابن أخيها، والملك المعظم وابنه الملك الناصر داود صاحبا دمشق والملك العزيز صاحب بانياس وولداه أولاد أخيها ، والملك الكامل وأولاده الملك العـادل والملك الصالح والملك المنصـور أصحاب مصر واليمن أولاد أخيها ، وغير هؤلاء ممن لم نذكرهم . قلت : وكان مظفر الدين مع ما ذكرنا فيـه ظلم وعسف على رعيته ، والحاح فى استخراج الأموال ، وأحدث مكوسا ومظالم . وقد حكى لى من ذلك شىء كثير فكرهت ذكره(٥) — رحمه الله وعفا عنه .

---

(١) مابين الحاصرتين للتوضيح .

(٢) فى المتن « ومحارمها » والصيغة المثبتة من ابن خلكان (ج ١ ، ص ٤٤٨) .

(٣) السطور التالية حتى نهاية الخبر وردت فى ابن خلكان فى صيغة مختلفة انظر (وفيات ، ج ١ ، ص ٤٣٨ .

(٤) كذا فى المخطوطة .

(٥) نهاية الجزء الساقط من نسخة س ، انظر ماسبق ، ص ٥٢ حاشية ٦ .

ذكر استيلاء الملك العزيز [بن السلطان الملك الظاهر](١)
صاحب حلب على شيزر

كانت شيزر بيد الأمير شهاب الدين يوسف بن عز الدين مسعود [١١٨٢] ابن سابق الدين عثمان بن الداية ، وقد كنا ذكرنا فيما سلف أن سابق الدين هـذا كان هو وأخوته شمس الدين و بدر الدين [ومجد الدين أولاد الدايه](٢) عظماء الدولة النورية ، وكانت بأيديهم الإقطاعات الجليلة ، وكانوا هم القائمين بأعباء دولة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي — رحمه الله .

ثم كنا ذكرنا أنه بعد(٣) وفاة نور الدين — رحمه الله — وملك ولده الملك الصالح اسماعيل أنه اعتقل [المدبرون لدولة الملك الصالح](٤) شمس الدين وسابق الدين بحلب ، وأن الملك الناصر صلاح الدين — رحمه الله — أنكر على مقدمى الملك الصالح(٥) ذلك ، وجعل ذلك(٦) ذريعة إلى قصد الشام [وخلصهما](٧) ، وجرى ماذكرناه(٨) من تملكه الشام . ثم أنه اتصل الأمير سابق الدين بخدمة الملك الناصر [صلاح الدين](٩)

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة م ، وورد بدلها فى نسخة س « كانوا » .

(٣) انظر ما سبق ، ابن واصل ، ج ٢ ، ص ١٠ — ١١ .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٥) فى نسخة س « على المقدمين من أصحاب الملك الصالح » ، والصيغة المثبتة من م .

(٦) فى نسخة س « وجعله » والصيغة المثبتة من م .

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٨) فى نسخة س « وجرى ما قدمنا ذكره » والصيغة المثبتة من نسخة م ، وانظر ما سبق ، ابن واصل ، ج ٢ ص ١٧ — ٢١ .

(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

وكانت شيزر إقطاعا له فى الأيام النورية وأقره عليها(١)، فبقيت فى يده. وزاده الملك الناصر حصن بوقبيس(٢) بعد قتل صاحبه ناصح الدين خمارتكين . ولم يزل هذا الإقطاع فى يده إلى أن مات بعد موت(٣) الملك النـاصر صلاح الدين ، وصار بعـده لولده عز الدين(٤) مسعود واستمر فى يده، وكان مضافا إلى الملك الظاهر صاحب حلب . ثم مات عز الدين فصار الإقطاع المـذكور إلى ولده شهـاب الدين يوسف ، واستمر على الإضافة إلى مملكة حلب .

فلما كانت هـذه السنة — أعنى سـنة ثلاثين وستمائة — خرج الملك العزيز [ابن الملك الظاهر(٥)] صاحب حلب لرمى البندق(٦) فى العمق وحارم(٧) ، ثم توجه إلى دركوش ثم إلى أفاميه(٨) ، فلم يحتفل به شهاب الدين [يوسف بن عز الدين مسعود ابن الداية(٩)] صاحب شيزر ، وسـير أقامة يسيرة وهى شىء قليـل من الشعير على حمير سخرها من بلد شيزر ، فغضب من ذلك الملك العزيز[و بقى فى قلبه منه(١٠)] .

(١) فى نسخة س « فأقر إقطاعه عليه » والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٢) فى نسخة س «أبو قبيس» والصيغة المثبتة من م وكلاهما صحيح، وأبو قبيس حصن فى مقابلة شـيزر ، انظر ياقوت (معجم البلدان) .

(٣) فى نسخة س « وفاة » والصيغة المثبتة من م .

(٤) فى نسخة م « لعز الدين » والصيغة المثبتة من نسخة س .

(٥) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٦) عن رمى البندق ، انظر ما سبق ابن واصل ج ٤ ، ص ١٦٤ حاشية ١ .

(٧) فى نسخة س « لرمى البندق إلى حارم » والصيغة المثبتة من نسخة م ، والعمق كورة من نواحى حلب وحارم حصن حصين وكورة تجاه أنطاكية من أعمال حلب ، انظر ياقوت (معجم البلدان) .

(٨) دركوش حصن قرب أنطاكية ، وأفاميه مدينة حصينة من سواحل الشام وكانت كورة من كور حمص ، انظر ياقوت (معجم البلدان) .

(٩) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(١٠) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م ، وعقب ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٢١٤) على الحادث بقوله « فشق عليه ذلك » .

ولما دخل إلى حلب سير الأمير سيف الدين على بن قلج إلى خاله السلطان الملك الكامل، يستأذنه فى حصار شيزر وأخذها من شهاب الدين[١]. وكان السلطان الملك الكامل بدمشق فقرر [سيف الدين][٢] مع السلطان [الملك الكامل][٣] الأمر على مايختاره الملك العزيز. فسير سيف الدين إلى الملك العزيز يعلمه بذلك، فحينئذ أخرج الملك العزيز عسكر حلب والزردخاناه[٤]، وسار إلى شيزر بعد أن وصل إليه سيف الدين بن قلج [١٨٢ ب]، ونصب عليها المجانيق[٥] من جهة الجبل وهو شرقيها، ونصب المنجنيق المغربي[٦] قبالة بابها. وأرسل السلطان الملك الكامل إلى الملك العزيز نجابين، ومعهما خمسة آلاف دينار مصرية، ليستخدم بها رجالة، يستعين بهم على الحصار.

[وقدم نجدة للملك العزيز ابن خالته الملك المظفر صاحب حماة ومساعدا ومعاضدا. واحتيط على مافى رستاق شيزر من المغلات][٧]. وسير الملك العزيز إلى شهاب الدين صاحب شيزر يقول له : « والله لئن قُتل واحد من أصحابى لأشنقنك بدله »، فتقدم شهاب الدين إلى الجرخيه[٨] الذين بالقلعة أن لا يرمى أحد منهم بسهم، وأسقط

(١) فى نسخة م « منه » والصيغة المثبتة من س.

(٢) ما بين الحاصرتين للتوضيح، انظر ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢١٤.

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م.

(٤) عن الزردخاناه أى خزانة السلاح، انظر ما سبق ابن واصل، ج ٢ ص ٣٥٧ حاشية ٤.

(٥) فى نسخة س « المناجنيق » والصيغة المثبتة من م.

(٦) فى نسخة س « الغـربى »، والصيغة المثبتة من نسخة م ومن ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢١٥.

(٧) ورد ما بين الحاصرتين مختصرا فى نسخة س والصيغة المثبتة من م.

(٨) جمع جرخى أى رامى الجرخ وهى آلة حربية كانت تستعمل لرمى السهام والنفوط والحجارة، انظر : محيط المحيط؛ المقريزى، السلوك، ج ١، ص ١٠٠٣ حاشية ١؛ Dozy: Supp. Dict. Ar., Vol. I, p. 182

فى يده(١)، وخاف خوفا شديدا . وأرسل إلى الملك العزيز يبذل له تسليمها وتسليم بوقبيس(٢)، على أن يبقى عليه أمواله التى بشيزر، ويحلف له على أملاكه التى بحلب. [فامتنع أن يجيبه إلى ذلك إلا بشرط أن يقرر عليه جملة كثيرة من المال، حُكى لى أنها مائة ألف دينار، فنزل إلى خدمته ونادمه . وكان شهاب الدين — على ما حُكى لى — يعانى اللعب بالجغانة(٣)، فأمره الملك العزيز أن يلعب بها بين يديه ففعل، فأطلق له الملك العزيز ما كان ألزمه إياه من المال، وأذن له فى حمل أمواله معه إلى حلب وأبقاها جميعها عليه، ووفى له بإبقاء أملاكه بحلب عليه . وصعد الملك العزيز إلى قلعة شيزر وأقام بها ثم رحل إلى حلب(٤)] .

ولما فُتحت شيزر هنأ شهاب الدين يحيى بن موفق الدين خالد بن القيسرانى(٥) — كاتب الأنشاء — الملك العزيز بفتح شيزر بقوله(٦) :

يا مالكا عم أهل الأرض نائله ... وخص أحسانه الدانى مع القاصى
لما رأت شيزر رايات نصرك فى ... أرجائها ألقت العاصى إلى العاصى

(١) فى نسخة س « وقد سقط فى يده » والصيغة المثبتة من م ، انظر أيضا ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢١٥ .

(٢) فى نسخة س « أبو قبيس » ، والصيغة المثبتة من م وكلاهما صحيح .

(٣) الجغانة اسم آلة موسيقية ، انظر Dozy, Supp. Dict.Ar., I, P. 199.

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة م وورد بدلها فى نسخة س « فأجابه الى ذلك . ونزل شهاب الدين من شيزر الى خدمة الملك العزيز ، ووفى له الملك العزيز بما شرطه عليه ، وصعد الى القلعة فأقام بها أياما ، ثم رحل إلى حلب ومعه شهاب الدين فأقام بحلب الى أن مات » .

(٥) والده هو الوزير موفق الدين خالد بن محمد القيسرانى خال السلطان نور الدين محمود ، أرسله نور الدين سنة ٥٦٨ هـ إلى مصر بعد أن كثرت الإشاعات بخروج صلاح الدين على الدولة النورية لعمل حساب البلاد المصرية وكشف أحوالها واختبار طاعة صلاح الدين ؛ انظر المقريزى ، السلوك ، ج١ ، ص ٥١ — ٥٢ ، ٥٤ ؛ حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٦٠ .

(٦) فى نسخة س « ولما فتحت شيزر هنأ شهاب الدين صاحب ديوان انشائه يحيى بن موفق الدين خالد بن القيسرانى الملك العزيز صاحب حلب بقوله » والصيغة المثبتة من نسخة م .

ذكر استيلاء الملك المظفر صاحب حماة على [حصن](١) بعرين وانتزاعها من أخيه الملك الناصر [قلج أرسلان](٢)

كنا قد ذكرنا(٣) أن الملك المظفر لما تسلم حماة تقدم إليه الملك الكامل أن يسلم بعرين إلى أخيه الملك الناصر قلج أرسلان، فسلمها إليه فبقيت في يده [١٨٣ ا] إلى هذه الغاية .

ثم أنه(٤) بعد أن فتح السلطان الملك الكامل آمد طلب منه الملك المظفر الإذن في أن يقصد بعرين وينتزعها من أخيه الملك الناصر، واعتذر إليه بأنه يخاف إن تركها في يده أن يقصدها الفرنج لأنهم جيرانها، فيأخذوها منه لضعفه عن حمايتها، فيقوى الضرر بذلك على المسلمين ؛ فأن بعرين تجاور حصن الأكراد وصافيتا ، ولهم عليها قطيعة ، وهم في كل وقت يقصدونها، وبعض قراياها(٥) بين المسلمين والفرنج مناصفة ، فأذن له السلطان [الملك الكامل](٦) في ذلك . فقصدها الملك المظفر في هذه السنة — أعني سنة ثلاثين وستمائة ، ونازلها بعسكره بعد أن بعث إلى أخيه يأمره بالنزول عنها ، وأن يسلمها إليه ، ويتهدده إن لم يجبه إلى ذلك ، فلم يلتفت وأصر على العصيان والامتناع . ولما نازلها الملك المظفر زحف عليها ،

(١ — ٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م انظر أيضا ، المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

(٣) انظر ماسبق ، ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٢٧٣ والسطور التالية وردت في نسخة س مع بعض التقديم والتأخير ، والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٤) في نسخة س « ولما كانت هذه السنة ، وهي سنة ثلاثين وستمائة ... » ، والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٥) في نسخة س « قراها » ، والصيغة المثبتة من م .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

فأذعن حينئذ الملك الناصر إلى التسليم فسلمها إليه، ونزل إلى خدمته، واجتمع به، فطلب الملك المظفر منه أن يقيم عنده و يعطيه [من الأقطاع[(1)]] ما يقوم به، فامتنع [من ذلك[(2)]] وسار إلى الديار المصرية، فبذل له خاله السلطان الملك الكامل خبزا بالديار المصرية يقوم بمائتى فارس[(3)]، وأن يسلم إليه أملاك والده بمصر والغــور.

فحُكى لى[(4)] أنه نزل إليه فُلك الدين المسيرى[(5)] من عند السلطان وعرض عليه ما قال السلطان فغضب وقال: «لا والله، لا أرضى إلا بعود بلادى إلىّ»، وأراد عليها شيئا آخر. فرجع فلك الدين بهذا الجواب إلى السلطان، فعلم السلطان أنه قد اختل واضطرب مزاجه، فاعتقله بقلعة الجبل. ولم يزل معتقلا إلى أن مات سنة خمس وثلاثين وستمائة قبل موت السلطان الملك الكامل بأيام. ودُفن فى تربة الملك المعظم شمس الدولة فخر الدين تور انشاه بن أيوب — رحمه الله — خارج باب النصر. وورد كتاب السلطان الملك الكامل إلى الملك المظفر يخبره بموت أخيه، ويعزيه به، وفى الكتاب أنه ملك تسعا واعتُقل تسعا[(5)].

(١ — ٢) مابين الحاصرتين من نسخه س وساقط من م.

(٣) فى نسخة س «خبز مائتى فارس»، والصيغة المثبتة من نسخة م.

(٤) ورد هذا الخبر مختصرا فى نسخة س، والصيغة المثبتة من م.

(٥) فى نسخة م «فلك الدين السرى» بدون تنقيط ولم يرد الإسم فى نسخة س، ولعل الصيغة المثبتة هى الصحيحة، إذ المعروف أن فلك الدين عبد الرحمن المسيرى كان من كبار موظفى السلطان الكامل وتولى منصب الوزارة زمن السلطان العادل الثانى بن الكامل؛ انظر: المقريزى، الخطط، ج ٢ ص ٥١؛ السلوك، ج ١ ص ٢٧٤، وحاشية ١؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٢٩.

ولما(١) ملك الملك المظفر بعرين، مدحه الشيخ شرف الدين عبدالعزيز بن محمد(٢) وهنّاه بما تيسر له من هذا الفتح بقصيدة مطلعها :

يوم نصرت به العلياء والجودا　　وساعة غادرت صيْدا لك الصِيدا
وموقف سؤت كل الحاسدين به　　كما سَرَرت به ءدلا وتوحيدا
أنطقت بالفتح أعواد الوشيج وما　　أحلات(٣) من ذِكره من منبر عودا
لولاك ما شُدّ أزْرُ المسلمين كما　　بنيانُ عزِّهم لولاك ما شِيدا
بادرت « بارين(٤) » إذ بارت رعيتها　　جهدا وغُودر منها الأمن مطرودا
واستبطأت منك وعدا لا تخاف له　　خُلفا فأنجزتَها(٥) تلك المواعيدا
بكرت مفترعا بالسيف عُذرتها　　من دون كل الورى حيّا ومولودا
لم تطلُع الشمس قيد الرمح(٦) ضاحية　　حتى غدا إرثُك الممنوع مردودا
ولا انقضى يومُها حتى دَلَفت لها　　مصرفا أمرَها : عزلا وتقليدا
فأصبحت كحماةٍ في حمى ملك　　بالعدل يجمع فيها الشاء والسيدا(٧)

(١) وردت الجملة التالية في صيغة مختلفة في نسخة س ، والصيغة المثبتة من م .

(٢) هو العلامة الأديب الشاعر شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد الحموى المعروف بابن قاضي حماه . ولد في دمشق سنة ٥٨٦ هـ ، وتعلم على شيوخ عصره وبرع في العلم والأدب ، وسكن حماه . وكان صدرا كبيرا نبيلا فصيحا ، جيد الشعر وله في لزوم ما لا يلزم مجلدا كبيرا ، وتوفى سنة ٦٦٢ هـ ، انظر : أبو المحاسن ، المنهل الصافى ، ترجمة عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ؛ الكتبى ، فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٥٩٨ — ٦٠٧ ؛ الزركلى ، الأعلام ، ج ٤ ص ١٥١ .

(٣) في نسخة س « وما أحليت » ولعله تصحيف والصيغه المثبتة من م .

(٤) بارين أي بعرين وهي بليدة بين حمص والساحل ، انظر ياقوت (معجم البلدان) .

(٥) في نسخة س « منك » ؛ والصيغة المثبتة من م .

(٦) في نسخة س « الصبح » والصيغة المثبتة من م وهي أبلغ .

(٧) المقصود بالسيد الذئب ، انظر لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢١٧ .

ألمى شقيقك عن إلف الشقاق بها (١) رنات (٢) بيض (٣) حكت فى الهام تغريدا
لم ينـه إصراره حتى بذلت له طعنا دراكا وضربات أخاديدا
ارجأته مدة الأسبوع تُرشده عدلا وتُوسعه لوما وتهديدا
حتى إذا قعد الرأى السديد به وعاد عنه سبيل الرشد مسدودا
صبّحت أشياعه فيها بصاعقة تخرمت والدا منهم ومولودا
أبقى خميسك يوم الأربعاء به ماحلّ فيه بعاد إذ عَصَوا هودَا
أظمأته (٤) بظبى كالنار مشعلة فروّه وِرْدَ أمن منك مورودا
قد كان بالخوف مصفودا فغادره بَذْلُ الأمان له بالعفو مصفودا
ألقى مقاليده فى كف ذى لُبد لو ساور الدهر أعطاه المقاليدا
أكذَبت ماظنه من سلب مهجته منه وصدقت من سّماك محمودا
كم رام صدّك عما جئت طالبه جهلا ، متى كنت عما رمت مصدودا ؟
أيوم (٥) دمياط إذ رعت الفرنج بما أبقى (٦) ثناءك اذ (٧) لم تبق مقصودا
أم يوم أفيون (٨) إذ بددت جمعهم وقد أتوا فى لُهام يملأ البيدا

(١) فى نسخة س « انف » ولعله تحريف والصيغة المثبتة من م .
(٢) فى نسخة س « ومات » ولعله تصحيف والصيغة المثبتة من م .
(٣) فى نسخة م « حلب » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من نسخة س .
(٤) فى نسخة س « اطمانه » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .
(٥) فى نسخة س « كيوم » والصيغة المثبتة من م .
(٦) فى نسخة س « بما أبقى مال » وهو تحريف ، وفى نسخة م « بما أبقى ثناك » وهى الصيغة المثبتة والصحيحة . (٧) فى نسخة س « إذا » ، والصيغة المثبتة من م .
(٨) بلدة ببلاد الروم ما زالت قائمة بالأناضول عرفت بهذا الاسم لكثرة ما يزرع فيها من الأفيون ، وكانت تعرف باسم قرا حصار ، و يلاحظ أن اسم قرا حصار أطلق على أماكن كثيرة أغلبها فى بلاد الروم ؛ انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٤ (قرا حصار) ، لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٨٥ .

أم يوم آمد إذ زاحفتها(١) عجلا مصادما بالجلاميد الجلاميدا

وقائع عجزت عن وصفها فطن الـ ـورى وإن أكثروا فيها الأسانيدا(٢)

عمرى: لقد خص هذا الفتح جانبنا ومن إقليمنا أمنا وتمهيدا

حتى لقد عاد يوم الأربعاء لنا مثل العروبة(٣) في أسبوعنا عيدا

لازلت تفدى لمن(٤) جاوزت رتبته كيما يخلدك الرحمن تخليدا

ودام قولى في مدحيك(٥) مشتهرا ودام فعلك يا محمود محمودا

(١) في نسخة س « راجفتها » ، والصيغة المثبتة من م .

(٢) في نسخة س « وإن أكثروا الأناشيدا » وبها يختل الوزن ، والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة م .

(٣) في نسخة س « العروسة » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة الصحيحة من نسخة م والمقصود بالعروبة يوم الجمعة ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ص ٨٢ .

(٤) في نسخة س « بما » والصيغة المثبتة من م .

(٥) أى مدحى لك .

ودخلت سنة إحدى وثلاثين وستمائة(*)

والسلطان الملك الكامل مقيم بالديار المصرية ، وعنده ابن أخيه الملك(1) الناصر داود بن الملك المعظم [نازل بدار الوزارة(2) ، وحصل له مرض شديد ، ثم أبل منه . ووصل إلينا كتابه وأنا مقيم بالكرك فى خدمته ، وإنعامه الغزير متصل به يبشر بما منّ الله سبحانه عليه من العافية بعد أن كان به حمى حادة داخل العروق قارب فيها التلف ، فشكرنا الله سبحانه على ما منّ به من عافيته(3)] . والملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ببلاد الشرق(4) ، وأتابكه الأمير شمس الدين صواب [العادلى(5)] وهو الحاكم فى البلاد الشرقية [والمتصرف فيها(6)] عن السلطان الملك الكامل .

ذكر وفاة الأتابك شهاب الدين طغريل رحمه الله

[واتفق مرض الأتابك شهاب الدين طغريل فى السنة الماضية ، ودام مرضه إلى أن توفى(7)] ليلة الإثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم من هذه السنة . فحضر

(*) يوافق أولها ٧ اكتوبر سنة ١٢٣٣ ميلادية .

(١) فى نسخة س « السلطان الملك » والصيغة المثبتة من م .

(٢) دار الوزارة أنشأها الأفضل بن بدر الجمالى واستقر بها صلاح الدين والأيوبيون من بعده وصاروا يسمونها الدار السلطانية ، انظر ما سبق ابن واصل ج ١ ص ١٦٤ حاشية ١ .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٤) فى نسخة م « بالشرق » والصيغة المثبتة من نسخة س .

(٥ — ٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٧) ورد ما بين الحاصرتين فى نسخة س كما يلى « وكانت وفاته بحلب ... » والصيغة المثبتة من نسخة م .

السلطان الملك العزيز [صاحب حلب][1] — رحمه الله — جنازته فى صبيحة الليلة المذكورة . ومشى خلف جنازته من داره إلى أن صلى عليه خارج باب الأربعين[2] . ودفن فى تربته التى بناها[3] ووقفها مدرسة على مذهب[4] الإمام أبى حنيفة — رحمه الله . وبكى الملك العزيز بكاء عظيما . ثم حضر عزاءه يومين بالمدرسة السلطانية التى أنشأها الأتابك تحت القلعة ، وجعل فيها تربة السلطان الملك الظاهر [غياث الدين غازى][5] — رحمه الله .

وكان[6] — رحمه الله — صالحا عادلا ، كثير المعروف . وحافظ على مملكة ولد أستاذه الملك الظاهر من حين مات الملك الظاهر ، و[عُمْر][7] الملك العزيز سنتان وكسر ، إلى أن جاوز الملك العزيز عشرين سنة واستقل بالملك . وكان خصيا روميا شاهدته وأنا بحلب ، وأنا على باب المدرسة السلطانية ، وهو على برج من أبراج القلعة . وكان قد وقع منها فى تلك السنة عدة أبراج ، ولم يزل مهتما بها إلى أن نجزت ، رحمه الله ، وجازاه عن قيامه بدولة أستاذه أحسن الجزاء .

---

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٢) باب الأربعين من أبواب حلب القديمة ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢١٦ حاشية ١ ؛ وانظر أيضا سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٥٣ .

(٣) ورد فى ابن العديم (نفس المصدر والجزء والصفحة) أنه أنشأها بتل قيقان ، ومن المعروف أن تل قيقان بظاهر حلب .

(٤) كذا فى نسختى المخطوطة وفى ابن العديم « أصحاب » .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٦) السطور التالية حتى نهاية الخبر وردت فى هامش نسخة م وساقطة من نسخة س .

(٧) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

ذكر مسير السلطان الملك الكامل من الديار المصرية لقصد الدخول إلى مملكة الروم

وكان السبب فى خروج السلطان الملك الكامل من الديار المصرية فى هـذه السـنة [١٨٤ ب] أن السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو صاحب بلاد الروم قصد ولاية خلاط (١) وتعرض لأخذها (٢)، فاتفق رأى السلطان الملك الكامل وأخيـه الملك الأشرف على قصده وانتزاع البلاد [الروميـة (٣)] التى فى يده منـه . فخرج السلطان الملك الكامل من مصر فى عساكره المتوافرة، [وتوجه الملك الناصر من مصر إلى الكرك لترتيب أموره وتهيئته لأسباب الحركة . ووصلت أنا بعد سفره إلى دمشق من الكرك، فشاهدت يوم وصولى إليها وصول العساكر المصرية وهم فى أحسن تجمل وزى (٤)] . وخرج أهل دمشق للتفرج عليهم وكان يوما مشهودا .

ثم رحل السلطان الملك الكامل من دمشق بالعساكر العظيمة قاصـدا بلاد الروم، فنزل شمالى سلمية بالقرب من شُمَيميش (٥) وهى القلعة التى أنشأها الملك المجاهد صاحب حمص . واجتمعت بالملك الناصر — رحمه الله — فى تلك المنزلة، فأخذت منه دستورا لأقيم بوطنى، وفارقته فى تلك المنزلة على كره منه لذلك (٦) . وشاهدت

(١) فى نسخة س « أخلاط » والصيغة المثبتة من م .

(٢) فى نسخة س « وتعرض لهـا حتى يأخذها » والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٤) ورد ما بين الحاصرتين مختصرا فى نسخة م ، والصيغة المثبتة من نسخة س .

(٥) وردت فى نسختى المخطوطة « سميميس » والصيغة المثبتة من المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٤٦ ، وابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٤ ، وهى إحدى بلاد كورة حمص .

(٦) وردت هذه الجملة فى نسخة س « وكنت أنا مع الملك الناصر داود فاستأذنته فى العود إلى وطنى ونحن بسلمية فأذن لى بالكره منه » ، والصيغة المثبتة من نسخة م .

من عظمة العساكر وكثرتها يومئذ ماغلب على ظنى أنه لم يجتمع مثـله فى الأعصار القريبة منا لملك من الملوك . وكان نزول العساكر بسلميه فى شهر رمضان من هذه السنة، [ووصلت أنا إلى حماه](١) .

ثم رحل السلطان بالعساكر ونزل بمنبج ، وهى من بلاد الملك العزيز صاحب حلب ، بعد أن استأذن الملك العزيز فى ذلك ، فأذن له وسير إليـه الملك العزيز الأقامه الكثيرة والزردخاناة . وسير إليه عسكر حلب نجدة . وقدم عليهم عمه الملك المعظم فخر الدين تورانشاه بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين . ثم سار(٢) السلطان الملك الكامل من جهـة تل باشر ، فوصل إلى خدمته ابن عمـه الملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك الناصر صلاح الدين صاحب البيرة وأخوه الملك المفضل موسى صاحب سميساط وابن أخيهما المـلك الصالح صلاح الدين أحمـد بن الملك الظاهر صاحب عين تاب . ووصل أيضا إليه الملك المظفر شهاب الدين غازى ابن الملك العـادل صاحب ميافارقين وأخوه الملك الحافظ نور الدين أرسلان(٣) شاه ابن الملك العادل صاحب قلعة جعبر [وغيرهم](٤) .

فذُكر لى أنه كان فى معسكر السلطان الملك الكامل(٥) ستة عشر دهليزا لستة عشر ملكا [١٨٥ أ] لم يجتمع مثلهم(٦) لملك قبل الملك الكامل ؛ منهم الذين عددنا الآن

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٢) فى نسخة س « سافر » والصيغة المثبتة من نسخة م انظر أيضا ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣، ص ٢١٧ .

(٣) فى نسخة م « رسلان شاه » والصيغة المثبتة من نسخة س

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٥) فى نسخة م « الملك العادل » وهو تصحيف وورد فى نسخة س « فاجتمع فى العسكر الكاملى ستة عشر دهليزا » ، انظر ابن العـديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ؛ وورد فى المقـريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٤٨) « فسار وقد سار معه ستة عشر دهليزا لستة عشر ملكا ، وقيـل بل كانوا ثمانية عشر ملكا » .

(٦) فى نسخة س « قبلهم » والصيغة المثبتة من م .

ومنهم السلطان الملك الأشرف [بن الملك العادل[1]] وأخوه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل. [وكان أخوهما الملك العزيز قد توفى فى سنة ثلاثين وستمائة[2]، وملك بانياس وبلادها ولده الملك الظاهر . ثم توفى بعده بمدة يسيرة ، وولى أخوه الملك السعيد بن الملك العزيز وهو طفل صغير ، فأقرها السلطان الملك الكامل له . وكان فى العسكر من الملوك السلطان الملك المظفر صاحب حماه ، والملك المجاهد أسد الدين صاحب حمص ، والسلطان الملك الناصر داود بن الملك المعظم بن الملك العادل صاحب الكرك . وبالجملة فكان عسكرا عظيما فى كثرة رجاله وملوكه وتجمله . لولا ماعرض على ماسنذكره إن شاء الله تعالى لم يتأخر فتح بلاد الروم ولا غيرها[3]].

وسير السلطان علاء الدين كيقباذ صاحب بلاد الروم — لما تحقق قصد السلطان الملك الكامل له — إلى الملك العزيز صاحب حلب يقول له : « أنا راض بأن تمده[4] بالأجناد والرجال على أن لا تنزل إليه أبدا » . وأعفى الملك الكامل الملك العزيز من النزول إليه . ورضى كل من السلطانين بفعله .

ثم تقدم السلطان بعساكره[5] إلى جهة الدربند[6] ، فوجد السلطان علاء الدين

---

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٢) عن وفاة الملك العزيز عثمان بن العادل ، انظر سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٤٨ — ٤٤٩ .

(٣) ورد مابين الحاصرتين مختصرا فى نسخة م والصيغة المثبتة من س .

(٤) فى نسخة س « بأن تمد الملك الكامل » والصيغة المثبتة من م ، انظر أيضا ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢١٧ .

(٥) فى نسخة س « ثم تقدمت العساكر الكاملية » والصيغة المثبتة من م .

(٦) الدربند أو دربند شروان هى باب الأبواب وكانت مدينة على شاطئ بحر الخزر (قزوين) قرب تفليس ، انظر ياقوت ، (معجم البلدان) ؛ البغدادى (مراصد الاطلاع) .

[كيقباذ][١] قد حفظ طرقاته[٢] بالأجناد والرجال، وهى طرقات صعبة ضيقة جدا، يصعب سلوكها على العساكر . فنزل السلطان الملك الكامل على النهر الأزرق[٣] وهو فى أوائل بلد الروم . وجاءت عساكر السلطان علاء الدين حتى نزلوا قبـل مكان يقال له زلىّ، بينها[٤] و بين الدربند . وصعدت الرجاله[٥] الذين للروم إلى فم[٦] الدربند بالقرب من نوركغال[٧]، و بنوا عليه[٨] سـورا وقاتلوا منه، ومنعوا أن تطلع عساكر الملك الكامل إليهم . وقلت الأقوات فى عسكر الملك الكامل جداً[٩] .

وانضاف إلى ذلك أنه نمى إلى السلطان المـلك الأشرف والمـلك المجاهد صاحب حمص أن السلطان المـلك الكامل ذكر فى الباطن أنه إن مَلَكَ بلاد الروم نقل الملوك من أهل بيته إليها، وفرقها عليهم، وانفرد [هو][١٠] بملك الشام مع الديار المصرية . فاستوحشا من ذلك وأطلعا ملوك أهل البيت الأيوبى عليـه، فتغيرت[١١] نيات الجميع وتخاذلوا ولم ينصحوا، إلا أن ذلك [لم يُعلم عند الجمهور ذلك الوقت و إنمـا ظهر][١٢] تأثيره فيما بعد على ماسنذكره إن شاء الله تعـالى .

---

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٢) فى نسخة س « طرقات بلاده » والصيغة المثبتة من م .

(٣) النهر الأزرق، نهر بين بهسنا وحصن منصور كان يجرى فى طرف بلاد الروم من جهة حلب، انظر ياقوت (معجم البلدان) .

(٤) فى نسخة م « بينه » والصيغة المثبتة من نسخة س ومن ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢١٧ .

(٥) فى نسخة س « رجالة الروم » والصيغة المثبتة من م .

(٦) فى نسخة س « فم » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م ومن ابن العـديم، نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٧) كذا فى نسختى المخطوطة وكذلك فى ابن العديم (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢١٧) ولم نهتد إلى موقعها .

(٨) فى نسخة س « عليهم » وهو تصحيف، والصيغة المثبتة من نسخة م ومن ابن العديم .

(٩) كلمة « جدا » غير واردة فى نسخة س ومثبتة فى م .

(١٠) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(١١) فى نسخة س « فضعفت » والصيغة المثبتة من م

(١٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وورد بدلهـا فى م « لم يشتهر وظهر » .

ولما أحس [١٨٦ ب] الملك الكامل بتخاذلهم وعدم نصحهم، وكثرة الغلاء وعزة الأقوات، وامتناع الدربند بمن عليه من الرجال، رحل (١) بالعساكر إلى أطراف بلد بهسنا، ونزل على بحيرة اربدب (٢). وجهز بعض الأمراء إلى حصن منصور فهدموه. ووصل إلى خدمته صاحب خرتبرت ودخل فى طاعته، وأشار عليه بالدخول إلى بلاد الروم من جهة خرتبرت (٣).

ذكر رحيل السلطان الملك الكامل إلى السويداء ونزوله بها، وما جرى للملك المظفر صاحب حماة وبعض العسكر الكاملى بخرتبرت (٤)

ولما جرى ما ذكرناه من الذى أشار به صاحب خرتبرت على السلطان الملك الكامل، رحل بالعساكر وقطع الفرات من جسر العادل (٥)، [وكان قطع العساكر له فى أيام متعددة لكثرتهم] (٦). ثم سار [الملك الكامل] (٧) إلى السويداء من بلد آمد فنزل بها، وتقدم إلى الملك المظفر صاحب حماه بأن (٨) يستصحب معه ميمنة العسكر ويمضى بهم إلى خرتبرت. [وبعث معهم الأمير شمس الدين صواب

(١) فى نسخة س «خرج» والصيغة المثبتة من م.

(٢) بدون تنقيط فى نسختى المخطوطة وكذلك فى ابن العديم (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢١٨) ولم يرد ذكرها فى المصادر المتداولة.

(٣) فى نسخة س «إلى بلد الروم من جهته» والصيغة المثبتة من م، ولعل صاحب خرتبرت هو الخضر بن إبراهيم الأرتقى عامل السلاجقة منذ سنة ٦٣١ هـ، أنظر زامباور، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٤) فى نسخة س ورد «ذكر رحيل السلطان الملك الكامل نحو خرتبرت، وحصر الملك المظفر صاحب حماه فيها وخلاصه منها»، والصيغة المثبتة من م.

(٥) فى نسخة س «جسر العادلى» والصيغة المثبتة من م.

(٦) مابين الحاصرتين من نسخة م وورد فى س «فقطعوه فى أيام كثيرة لكثرة العساكر».

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م.

(٨) فى نسخة س «أن» والصيغة المثبتة من م.

العادلى[(١)] . وكان عزمه أن يرحل [خلفه[(٢)]] ببقية العسكر ليكون الدخول إلى بلاد الروم من تلك الجهة . [فرحل الملك المظفر وشمس الدين صواب ومن معهما من العسكر ، وكانوا ألفين وخمس مائة فارس ؛ فيهم الأمير فخر الدين البانياسى وهو من أجلّ الأمراء المصرية وغيره من الأمراء[(٣)]] ، فتوجهوا إلى أرقنين[(٤)] ثم منها الى البهرمان[(٥)] ، ثم منها إلى البحيرة الصغيرة ، ثم منها إلى خرتبرت ، فوصلوا إليها جرائد بغير خيم .

ولما طلع الفجر أقبلت عساكر السلطان علاء الدين صاحب الروم فى اثنى عشر ألف فارس[(٦)] ومقدمهم القيمرى ، وضربوا معهم مصافا . واستمر القتال بينهم من أول النهار إلى آخره ، فانكسر عسكر الملك الكامل[(٧)] ، وظهر عسكر علاء الدين عليهم . ودخل الملك المظفر إلى قلعة خرتبرت مع صاحبها ومعهما شمس الدين صواب العادلى وفخر الدين البانياسى . و نزل باقى العسكر فى ربض خرتبرت . وزحف[(٨)] إليهم عسكر علاء الدين [١٨٦ ا] وهم فى الربض[(٩)] ، فملكوه عنوة ، وأسر أكثر من كان فيه من عسكر الملك الكامل . ورمى بعضهم بأنفسهم إلى باب القلعة ، وعبروا إليها .

(١ — ٢) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ، ومثبت فى م .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة م وورد فى نسخة س « فرحل الملك المظفر فى ثلاثة آلاف وخمسمائة فارس وفيهم الأمير شمس الدين صواب العادلى نائب الملك الكامل بالشرق ، وفخر الدين البانياسى وغيره من الأمراء » . وورد فى سبط ابن الجوزى (مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٥٣) « وتقدم صواب فى خمسة ألف وقاتل » .

(٤) ورد فى ياقوت (معجم البلدان) أن أرقنين بلد بالروم غزاه سيف الدولة بن حمدان ، وذكره أبو فراس فى شعره . (٥) كذا فى نسخة م ، وفى نسخة س « السهرمان » ولم يرد ذكرها فى المصادر المتداولة . (٦) فى نسخة س « فى أربعة عشر ألف فارس » ، والصيغة المثبتة من م .

(٧) فى نسخة س « فانكسر العسكر الكاملى » والصيغة المثبتة من م .

(٨) فى نسخة س « فزحف » والصيغة المثبتة من م .

(٩) فى نسخة س « وهجموا الربض » والصيغة المثبتة من م .

ثم[(١)] وصل السلطان علاء الدين ومعه بقية عساكره وأحدقوا بقلعــة خرتبرت ، ونصبوا عليهــا تسعة عشر منجنيقا ، ودام الحصار عليهــا أربعة وعشرين يوما . ووجد المحاصرون من قلة المــاء وكثرة العطش ما لا يمكن وصفه . وعدم الزاد عندهم لقلة المؤن المدخرة بهــا ؛ فإنه اجتمع فى القلعة مع ذلك اثنا عشر ألف نفس من الأجنــاد والعوام . فأخرج الملك المظفر قريبا من نصفهم وضــاق الأمر به وبمن معه جدا . وذُكر أن جميع ما كان فى القلعة من الغلة قريبا من خمس مائة مكوكا[(٢)] بالحلبى ، وكانت الذخائر قليلة جدا .

ذكر استيلاء السلطان علاء الدين [كيقباذ][(٣)] [صاحب بلاد الروم][(٤)] على خرتبرت وتخلص الملك المظفر [صاحب حماة منه][(٥)]

ولمــا رأى الملك المظفر مــا هو فيه ومن معه من عساكر [السلطان][(٦)] الملك الكامل من الضائقة رأى المصلحة فى طلب الأمان له ولمن معه [فراسل السلطان علاء الدين كيقباذ][(٧)] على لسان الأمير بهــاء الدين بن ملكيشو[(٨)] أحد أمراء السلطان

(١) وردت السطور التالية الى نهاية الخبر فى قليل من التعديل فى نسخة س ، والصيغة المثبته من م .

(٢) المكوك وجمعه مكاكيك — مكيال الحبوب يسع صاعا ونصفا ، انظر ابن منظور : لسان العرب ، ج ١٢ ص ٣٨١ ؛ القاموس المحيط .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة م وورد بدلها فى نسخة س « منها » .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ، ومثبت فى م .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س ، وفى م « فراسله » .

(٨) فى نسخة س « بهاء الدين مكورش » والصيغة المثبتة من نسخة م ومن ابن أيبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٢٨ .

الملك الكامل(١) فى طلب الأمان وتسليم القلعة(٢) إليه فأجاب [السلطان علاء الدين كيقباذ ملك الروم](٣) إلى ذلك. ودخل فى الأمان صاحب خرتبرت أيضا فأمنهم علاء الدين على أنفسهم وأموالهم وأصحابهم، وحلف لهم على ذلك. فنزل الملك المظفر والأمراء الذين معه وأصحابهم(٤) إلى مخيم علاء الدين [كيقباذ](٥) سلطان الروم. فتلقى علاء الدين الملك المظفر أحسن تلق(٦)، ونادمه وخلع عليه، وقدم له تحفا جليلة. وتسلم علاء الدين خرتبرت وما معها من القلاع وكانت [سبع قلاع. وكان صاحبها](٧) من الملوك الأرتقية. والتزم له علاء الدين أن يُسلم إليه عوضا عنها من بلاد الروم أقشهر(٨) وغيرها، فلم يف له علاء الدين بما التزم [به](٩) وإنما عفا عن مهجته.

وكان نزول الملك المظفر من قلعة خرتبرت يوم الأحد لسبع بقين [١٨٦ ب] من ذى القعدة من هذه السنة — أعنى سنة إحدى وثلاثين وستمائة. [وأقطع علاء الدين صاحب خرتبرت إقطاعا يقوم به، ورحل معه إلى بلده فأقام به عنده إلى أن مات(١٠)].

(١) فى نسخة س «أحد الأمراء الكاملية» والصيغة المثبتة من م.

(٢) فى نسخة س «فى تسليم القلعة إليه وأخذ الأمان»، والصيغة المثبتة من م.

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وفى نسخة م «علاء الدين».

(٤) فى نسخة س «وصاحب خرتبرت» والصيغة المثبتة من م.

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م.

(٦) فى نسخة س «ملتقا» والصيغة المثبتة من م.

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س، وورد بدلها فى م «سهمة» وهو تصحيف.

(٨) أقشهر ويقال لها أقشار، ذكر أبو الفدا (تقويم البلدان، ص ٣٨٣) نقلا عن ابن سعيد أنها كانت من أنزه المدن وبها بساتين كثيرة، وكانت على مسافة ثلاثة أيام من قونية.

(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م.

(١٠) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م، وعن هـذا الإقطاع انظر، ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢١٨.

ورحل [الملك المظفر] (١) من معسكر علاء الدين [كيقباذ] (٢) لخمس بقين من ذى القعدة بأصحابه وبمن بقى معه من العسكر [الكاملى] (٣)، فوصل إلى السلطان الملك الكامل وهو نازل بالسويداء فعظم فرحه به واشتد سروره (٤) بسلامته .

ذكر استيحاش الملك الكامل

من ابن أخيه الملك الناصر داود بن الملك المعظم

وفى هـذه المدة (٥) حصل فى قلب السلطان الملك الكامل استيحاش وتغير [ونفرة من] (٦) ابن أخيه الملك الناصر [داود] (٧) بن الملك المعظم بسبب أشياء باطنة [لم يطلع عليها] (٨)، [أوحشت قلب الملك الكامل منه] (٩) .

وكنا قد ذكرنا (١٠) أنه لما وصل الملك الكامل الجون فى سنة تسع وعشرين عَقَد عقْد نكاحه على عاشوراء بنت الملك الكامل . فلما حصل عند الملك الكامل فيه ما حصل فى هذه السنة تقدم إليه بأن يطلق ابنته فطلقها ، وأشهد عليه بذلك

(١ — ٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة م ، وساقط من س .

(٤) فى نسخة س « سرورا » والصيغة المثبتة من م .

(٥) فى نسخة س « السنة » والصيغة المثبتة من م .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وورد بدلها فى م « على » .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٨) ما بين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .

(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(١٠) انظر ما سبق ، ص ١٣ — ١٦ والفقرة التالية إلى نهاية الخبر وردت مختصرة وفى قليل من التعديل فى نسخة س والصيغة المثبتة من م .

وأعرض عنه بالكلية . وحكى لى بعض أولاد الملك الناصر — رحمه الله — أن ذلك كان بسبب اتفاقه مع الملوك لما كانوا داخلين من جهة الدربند ، وقد كنا أشرنا إلى ذلك .

[ذكر بناء قلعة المعره](١)

فى هذه السنة [أعنى سنة إحدى وثلاثين وستمائة](٢) كان أشار على الملك المظفر صاحب حماه سيفُ الدين بن أبى على [الهذبانى](٣) — وكان غالبا على أمره كله ومتحكما فى دولته التحكم الكلى والأمور كلها راجعة اليه — أن تبنى فى المعرة قلعة(٤) . وأوهمه أن فى ذلك مصلحة ظاهرة ، فأجابه إلى ذلك وجدّ فى بنائها فبنيت فى مدة شهرين . وساعده على ذلك ما فى المعره من الحجارة(٥) المنحوتة المهيأة ظاهر البلد و باطنه(٦) . وسلم إلى كل أمير من أمراء الدولة برج من أبراجها ، فكمل بناؤها فى هذه المدة اليسيرة . ورُتب فيها جامع ، وحشدت بالرجالة والوالى . وأُودعت من العدد وآلات الحرب ما جرت به العادة . ولم يكن بناؤها مصلحة ، ولم يكن [الرأى](٧) الذى أشار به سيف الدين صوابا [١٨٧ ا] . وظهر فساد هذا الرأى لما انتزعها الحلبيون من أيدى نواب الملك المظفر ، وصارت بأيدى الحلبيين .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى م .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س ، وساقط من م .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س

(٤) وردت هذه الفقرة فى نسخة س بصيغة مخالفة ولكن بنفس المعنى ، والصيغة المثبتة من م .

(٥) فى نسخة س « الأحجار » والصيغة المثبتة من م

(٦) فى نسخة س « وداخله » والصيغة المثبتة من م .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من نسخة م .

ولمـا كمل بناؤها [١] مدح الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد الأنصارى الملك المظفر وهنأه ببنائها بقصيدة مطلعها : —

مضى بمضاء عزمك القضاء وشـاء لك [٢] المهيمن ما تشاء
فمُـر وانْهَ الزمان تجده طوعا له منـــك ائتمـار وانتهـاء
وما أيام دهـرِكَ والليـالى إذَنْ إلا عبيدٌ أو إماء [٣]
بهرت خلائقـا شَرُفت كمالا فللدنيـا بهـا ولك الهنـاءُ
وصُلَت كما وصَلت فكل قلب تَعارَض فيه خوفك والرجاء

ومنهـا [يقول [٤]] :

وَوَافيتَ المعـــرة مسـتجدا بنـاء لا يُطـاوله [٥] بنـاءُ
لديه تخضَـع الأملاك صُغرا وفيه تحسُد الأرضَ السماءُ
دلفت له بجد غير كابٍ وجدٌّ لا يُفـــــــتره التـــوآء
حَميتَ به حمى ثغـر مـذال تَصول على الأسُـود به الظبآء [٦]
مَضَيتَ على يقين الرشد حتى شَفَيتَ سَقَامَه والشـك داء
فأضحى [٧] والبلاد سـوى حمـاة وما فيهـا لقلعتهـا فـداء [٨]

---

(١) فى نسخة س « ولمـا كملت قلعة المعرة » والصيغة المثبتة من م .

(٢) فى نسخة س « وأعطاك » والصيغة المثبتة من م .

(٣) فى نسخة س « إلا عبيدك والأماء » ، والصيغة المثبتة من م وكلاهما صحيح .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٥) فى نسخة م « لايطاولها » ، والصيغة المثبتة من س .

(٦) سقط البيت من نسخة س ومثبت فى نسخة م .

(٧) فى نسخة س « وأضحى » ، والصيغة المثبتة من م .

(٨) فى نسخة س « كفاء » ، والصيغة المثبتة من م .

تتيه على بروج الشمس فخرا — وأنت لكل أبـرُجها(١) ذُكاءُ(٢)
لقـد أتممتها(٣) نورا ومجــدا — فتم بهـا السنا ونمى السـناء
لهـا بوقارك الوافى ثبـاتٌ(٤) — ومن طماح همتك اعتــلاءُ
تناهت فى مدى ستين يوما — وقــد(٥) بارى أياديك الشتاء
ولولا لزبةٌ عرضَت وطالت — لكان لهـا على الشهر(٦) استواء

وآخرها [يقول](٧) :

سمـا برًّا ففــداه البرايا — بأنفسهم وقــلّ له الفــداءُ
وبـــذّ(٨) العالمين إلى المعالى — وطاولهـم(٩) فطال له البقـاء

وفى(١٠) هذه السـنة سافر القاضى شهاب الدين قاضى حمـاه إلى جهة العـراق بنيـة الحـج مع الحاج العـراقى . واستناب بحمـاة القاضى شمس الدين ابراهيم ابن عبد الله بن البارزى(١١) . ولمـا وصل إلى بغداد سافر مع الحاج العراقى ، ولمـا وصلوا

---

(١) فى نسخة س « أبراجها » ومعها يختل الوزن ، والصيغة المثبتة من م .
(٢) ذُكاء بالضم اسم الشمس ، انظر ، لسان العرب ، ج ١٨ ، ص ٣١٤ .
(٣) فى نسخة م « ألمها » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من س .
(٤) فى نسخة س « لهـا بوقارك الباقى ثنايا » ، والصيغة المثبتة من م .
(٥) فى نسخة س « بوقد » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .
(٦) فى نسـخة س « الدهر » وهو تحـريف كما يفهم من البيت السابق عليـه ، والصيغة المثبتة من نسخة م .
(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(٨) فى نسخة س « و يد » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من م .
(٩) فى نسخة س « وطالهم » وبها يختل الوزن وهو تحريف ، والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة م .
(١٠) السطور التالية حتى نهاية حوادث السنة ساقطة من نسخة س ومثبتة فى م .
(١١) هو قاضى حماه شمس الدين ابراهيم المعروف بابن البارزى المتوفى سنة ٦٦٩ هـ عن تسع وثمانين سنة ، انظر ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٢٨ .

إلى منزلة يقال لها لينـــه[١]، قطع عليهم العرب الطريق وجرت عليهم شدة عظيمة، ورجعوا إلى بغـداد نخلع الخليفة على القاضى شهاب الدين ، وعاد إلى حمـاه فى السنة القابلة .

(١) لينة موضـع فى بلاد نجـد كانت المنزل الرابع لقاصـد مكة من واسـط ، انظر ياقوت (معجم البلدان) .

ودخلت سنة اثنتين وثلاثين وستمائة (*)

والسلطان الملك الكامل بالشرق (١) ، وقد انثنى عزمه عن قصد بلاد الروم [لما حصل بينه و بين أخيه وأهل بيته فى الباطن من الاستيحاش، ولما جرى على عسكره والملك المظفر من الكسرة بخرتبرت ، فعزم على العود إلى الديار المصرية .

ذكر رجوع السلطان الملك الكامل إلى الديار المصرية والملوك إلى بلادهم

ورجع السلطان الملك الكامل إلى الديار المصرية (٢)]. ومضى كل واحد من الملوك إلى بلده، فرجع الملك الأشرف إلى دمشق، والملك الناصر إلى الكرك وهو خائف من عمه الملك الكامل لما ظهر [له (٣)] من تغيره عليه واستيحاشه منه ، وإلزامه تطليق ابنته . وعلم أنه يقصد الكرك ومابيده من البلاد التى بقيت له فينتزعها منه، فصمم [عزمه (٤)] على قصد العراق والاعتصام بخليفة الزمان المستنصر بالله (٥) ، فكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

(*) يوافق أولها ٢٦ سبتمبر سنة ١٢٣٤ ميلادية .

(١) فى نسخة س « بالبلاد الشرقية » والصيغة المثبتة من م .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة م وورد مكانه فى نسخة س « ثم رحل إلى الديار المصرية » .

(٣ — ٤) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٥) هو الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظاهر تولى الخلافة بين سنتى ٦٢٣ — ٦٤٠ هـ ، انظر، زامباور ، ج ١ ، ص ٤ ؛ Bosworth: Islamic Dynasties, p. 8

ومضى [الملك المظفر](1) شهاب الدين غازى إلى ميافارقين ، والملك الحافظ إلى قلعة جعبر ، والملك المجاهد إلى حمص ، وأقاموا ببلادهم . [وأما الملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك الناصر صلاح الدين فإنه كان مرض بالمعسكر الكاملى فرجع إلى البيرة مريضا](2) .

ذكر وفاة الملك الزاهر(3)
واستيلاء الملك العزيز على البيرة

[١٨٨ ا] [ولما اشتد مرض الملك الزاهر](4) بالبيرة استدعى ابن أخيه السلطان الملك العزيز صاحب حلب(5) فوصل إليه ، فأوصى له بالبيرة ، وبخزائنه وقلاعه ، وعين لأولاده شيئا من ماله . ثم توفى بالبيرة والملك العزيز [بن الملك الظاهر](6) عنده فى أوائل صفر من هذه السنة . ولما توفى تسلم الملك العزيز البيرة وبلادها . وأقام الملك العزيز بها يرتب أحوالها . [وكان الملك الزاهر شقيق الملك الظاهر رحمهما الله تعالى . ورتب الملك العزيز بها واليا من قبله](7)

(١) ما بين الحاصرتين من هامش نسخة س ، وساقط من م .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٣) هو أبو سليمان داود الملقب الملك الزاهر مجير الدين بن السلطان صلاح الدين ، ولد بالقاهرة سنة ٥٧٣ هـ ، انظر ترجمته فى ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١٧٦ — ١٧٧ .

(٤) ورد ما بين الحاصرتين فى نسخة س بصيغة مخالفة وبنفس المعنى ، والصيغة المثبتة من م .

(٥) ورد فى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢١٨) أن الملك الزاهر عندما مرض طمع بعض أولاده بملك البيرة ، وشرعوا فى تحصينها وتقويتها ، وعندما بلغ الملك الزاهر ذلك سير إلى الملك العزيز واستدعاه .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س ، وساقط من م .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س وفى م « وأقام بها واليا من قبله » .

ذكر وفاة القاضى بهاء الدين بن شداد رحمه الله تعالى[1]

[وورد على الملك العزيز الخبر بوفاة القاضى بهاء الدين بن شداد رحمه الله . وهو يوسف بن رافع بن تميم ، وإنما اشتهر بالنسبة إلى شداد[2]] . وكانت وفاته — رحمه الله — يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر من هذه السنة ، وكان عمره نحو ثلاث وتسعين سنة ؛ لأن مولده — رحمه الله — سنة تسع وثلاثين وخمسمائة[3] . وصحب السلطان الملك الناصر صلاح الدين ، وكان قاضى عسكره ومن أجل أصحابه . ولما توفى الملك الناصر صلاح الدين كان [عمر القاضى بهاء الدين ابن شداد إذ ذاك[4]] نحو خمسين سنة . ثم عاش بعده نحو ثلاث وأربعين سنة ، [عند إبنه الملك الظاهر ، ثم عند ابن إبنه الملك العزيز محترما مكرما ، متوليا الحكم فى جميع ممالك حلب ، ومرجوعا إلى رأيه ومشورته فى أمر الملك . ونال من المنزلة والحرمة والمكانة ونفاذ الكلمة ما لا أعرف أن معمما فى عصرنا هذا ناله .

وبنى بحلب مدرسة عظيمة بالقرب من داره ، ووقف عليها وقفا جليلا . وبنى إلى جانب المدرسة دارا لسماع حديث النبى صلى الله عليه وسلم[5]] . [وأوقف

---

(١) عنوان الخبر ساقط من نسخة م ومثبت فى س ، وعن ترجمة بهاء الدين بن شداد ، انظر ابن خلكان ، ج ٢ ص ٣٥٤ — ٣٦٠ .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة م وفى س « وفى هذه السنة توفى القاضى بهاء الدين بن شداد رحمه الله » .

(٣) فى نسخة س « تسع وستين وخمسمائة » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من م ، انظر ابن خلكان ، ج ٢ ، ص ٣٥٤

(٤) مابين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س وفى م « عمره »

(٥) ورد مابين الحاصرتين مختصرا وبنفس المعنى فى س ، والصيغة المثبتة من م .

عليهـا أيضا وقفا كثيرا ، وبنى موضعا لتربته بين دار الحديث والمدرسة متصلة بدار الحديث ولهـا شباك إلى المدرسة[١]] . ورتب مقرئين يقرؤن القرآن فى التربة فى حال حياته ، واستمروا كذلك بعد وفاته . وكان ولى مشيخة دار الحديث الإمام[٢] العـلامة نجم الدين بن الخباز الموصلى[٣] شيخنا ـــ رحمـه الله . وكان [نجم الدين[٤]] فريد عصره فى المذهب والخلاف والأصولين وغير ذلك من الفنون[٥]. وكان القاضى بهـاء الدين يذكر بنفسه الدرس فى مدرسته ، فلما أسن [١٨٨ ب] وضعف عن ذكر الدرس ، بقى المعيـدون [فى كل يوم[٦]] يقـرأ عليهم فى المدرسة العـلم ، ولا يذكر أحد درسا بالمدرسة إلى أن توفى .

وكنت بحلب سنة سبع وعشرين وسنة ثمـان وعشرين وستمائة ، وكان الأمر جاريا على ذلك . وكانت الربعة تُحضر فى كل يوم فيقرأ [منها[٧]] ما تيسر ثم يدعو الداعى له ولا يذكر له لقبا بل يقول : « وارض عن واقف هذه البنيه ، راجى رحمة ربه الكريم ، يوسف بن رافع بن تميم[٨] » . [وكان قد غلبت عليه النسبة إلى شداد ،

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وفى م « وجعل بين المدرسة ودار الحديث مكانا يدفن فيه » ، وفى ابن خلكان (وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٥٠٦) أنه جعـل للتربة « بابان باب إلى المدرسـة وباب إلى دار الحديث وشباكان إلى الجهتين وهما متقابلان » .

(٢) فى نسخة س « وكان ولى تدريس دار الحديث للشيخ الإمام » والصيغة المثبتة من م .

(٣) عن الإمام نجم الدين بن الخباز ، انظر ماسبق ؛ ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٣١١ ، ٣١٤

(٤) ما بين الحاصرتين للتوضيح من س .

(٥) فى نسخة س « فى الحديث والفقه والأصولين والخـلاف وغير ذلك من العـلوم » والصيغة المثبتة من م .

(٦ ـــ ٧) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٨) فى نسخة س « وارض من بان هذه البنيه أو واقف هذه البنية ، الفقير إلى رحمتك يوسف ابن رافع بن تميم » والصيغة المثبتة من م .

بل لعل ذلك فى نسب أمه ، ولم يكن فى أيامه من اسمه شداد ، وأصله من الموصل[1]] .

وكان — رحمه الله — عالما فاضلا دينا محسنا إلى كل من يرد إلى حلب من الفقهاء وأهل العلم . وكان اقطاعه على السلطان يزيد على مائة ألف درهم فى السنة . ولم يعقب وتزوج ابنتى الشيخ الصالح عبد الرحمن بن علوان المعروف بابن الأستاذ واحدة بعد أخرى ، [لما ماتت الأولى تزوج الثانية[2]] . كانتا فى غاية الصلاح والدين ، لم تلد واحدة منهما له ولدا . وكان والدهما[3] من المشهورين بالزهد . وولى القاضى بهاء الدين أخاهما زين الدين أبا محمد عبد الله نيابة الحكم بحلب بعد نجم الدين ابن العجاج . وكان زين الدين هذا فاضلا يقظا شديد الأحكام . [وكان يذكر الدرس فى أيام القاضى بهاء الدين فى المدرسة الظاهرية التى فيها تربة الملك الظاهر تحت القلعة ، ويحكم فى المدرسة التى أنشأها القاضى بهاء الدين[4]] .

ولما توفى القاضى بهاء الدين كان السلطان الملك العزيز بالبيرة — كما ذكرنا — [وورد عليه الخبر بموت القاضى بهاء الدين . وكان كمال الدين عمر بن العجمى ، وهو من أكابر حلب وأغنيائها ، متطاولا إلى منصب القضاء[5]] فكاتب السلطان يطلب منه أن يوليه القضاء[6] ، فلم يجب إلى ذلك . وسار [الملك العزيز[7]] من البيرة [لما رتب أمورها[8]] إلى حارم . [فتوجه كمال الدين إلى حارم[9]] ، وبذل له فى قضاء حلب

(١ — ٢) مابين الحاصرتين من س وساقط من م .

(٣) فى نسخة س « أبوهما » والصيغة المثبتة من م .

(٤ — ٥) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٦) فى نسخة س « أن يوليه قضاء حلب » ، والصيغة المثبتة من م .

(٧ — ٩) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

ستين ألف درهم، وأن يحمل إليه كل سنة من فواضل أوقاف الصدقة(١) ومن كتابة الشروط خمسين ألف درهم . فلم يصغ الملك العزيز — رحمه الله — إلى شيء من ذلك . وكتب إلى القاضي زين الدين أبي محمد عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن [بن علوان(٢)] المعروف بابن الأستاذ [يأمره(٣)] أن يحكم بين الناس على جاري [١٨٩ ا] عادته في أيام القاضي بهاء الدين — رحمه الله — إلى أن يدخل إلى حلب .

فلما دخل الملك العزيز إلى حلب اجتهد كمال الدين [عمر(٤)] بن العجمي في قبول مابذله [له . وبذل شيئا غير ذلك لخواص الملك العزيز، فحسنوا للملك العزيز قبول مابذله(٥)] وإجابته إلى ما سأله . فجرى على منهاج أبيه [الملك الظاهر(٦)] وجده الملك الناصر صلاح الدين [رحمهما الله(٧)] في الإحسان . ولم يبع الشريعة المطهرة ومنصب المصطفى صلى الله عليه وسلم بالأثمان(٨) . ونظر في مصلحة الرعية، وأرضى الله [تعالى(٩)] ونبيه [صلى الله عليه وسلم(١٠)]، وقلد القضاء لزين الدين بن الأستاذ المقدم ذكره يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الآول من هذه السنة .

---

(١) في نسخة م « الأوقاف »، والصيغة المثبتة من س .

(٢—٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٦—٧) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت في م .

(٨) في نسخة س « ولم يرى بيع منصب النبي صلى الله عليه وسلم بالأثمان » والصيغة المثبتة من م .

(٩—١٠) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

ذكر قدوم السلطان الملك المظفر صاحب حماه إلى حماه ومولد ولده مولانا السلطان الملك المنصور ناصر الدين أبى المعالى محمد قدس الله روحه (١)

ولما رجع السلطان الملك الكامل إلى الديار المصرية ورجعت الملوك إلى بلادهم رجع الملك المظفر إلى حماة . وكان دخوله إليها [يوم الخميس](٢) لخمس بقين من ربيع الأول من هذه السنة؛ أعنى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة . واتفقت ولادة ولده الملك المنصور ناصر الدين [أبى المعالى](٣) محمد — عز نصره(٤) — فى الساعة الخامسة من يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول بعد مقدم والده بيومين(٥) . [وأمه الصاحبة غازية خاتون بنت السلطان الملك الكامل ، فعظمت المسرة عند العامة والخاصة بمولده(٦)] . وعملت له عقيقة(٧) بالقلعة المحروسة فى اليوم السابع [من مولده(٨)] حضرها أكابر المعممين والأجناد، وكان يوما فيه قرة عين الأولياء، وكبت قلوب الحساد [والأعداء(٩)] . وفى الهنا بهذه النعمة العظيمة والمنحة

(١) ورد عنوان الخبر فى نسخة س : « ذكر قدوم السلطان الملك المظفر رحمه الله إلى حماه ومولد السلطان الملك المنصور ناصر الدين أبى المعالى محمد رحمه الله » والصيغة المثبتة من م .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى م .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س، وساقط من م .

(٤) فى نسخة س شُطبت الكلمتان وكتب فى الهامش « رحمه الله » بخط مخالف ، مما يبرهن على صحة القول بأن نسخة م كتبت فى زمن ابن واصل .

(٥) فى نسخة س « بعد يومين من قدوم والده » والصيغة المثبتة من م .

(٦) فى نسخة س « فتضاعف بقدوم الوالد والولد السرور ، وشمل الخاصة والعامة الفرح والحبور » والصيغة المثبتة من م .

(٧) العقيق شعر كل مولود يخرج على رأسه فى بطن أمه ، وعق عن ابنه أى حلق عقيقته أو ذبح عنه شاة ولذلك سميت الشاة المذبوحة لهذا الغرض عقيقة ، وكان يتم ذلك عادة فى احتفال ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ؛ ، ص ٣٠ ؛ الزبيدى ، تاج العروس ، ج ٧ ، ص ١٥ ؛ القاموس المحيط .

(٨ — ٩) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى م .

الحسيمة قال الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد الأنصارى ــ رحمه الله ــ مهنئا [للملك المظفر ــ رحمه الله ــ ومادحا بقصيدة مطلعها](١) :

غدا الملك محروسَ الذُرى والقواعد ... بأشرف مولـودٍ لأشرف والد
بمَـلك تمنتــه الممالك حقبــة ... فاوفى عليهـا مُرغما كُلَّ حاسد
حُبينـا به يوم الخميس كأنه ... خميس(٢) بدا للناس فى شخص واحد(٣)
تهيــأ منــه للعالى مثقف(٤) ... تجمع من أشتاتها كلَّ شارد
دعته أباها وهو فى المهد فأعجبوا ... لفـرع مساوٍ(٥) أصلَه فى الموالد
وسميتَــه باســم النبي محمــدٍ ... وجدّ به فاستوفى جميع المحامد
تردّد فى أصلاب صيدٍ أشاوسٍ ... كِلا طرفيـه ماجد من أماجد
فجيئت به رحب الذراعين واضح الـ ... جبينين سبط(٦) الكف صدق السواعد
محـاسنُ خلق آذنت بخـلائق ... يقصر عنهـا كل شهـم وجائد(٧)
تخوف منــه كل أغلبَ ضيغم ... وتصبو(٨) إليــه كلّ عذراء ناهد
كأنى به فى ســدة الملك جالسا ... وقد ســاد فى أوصافه كلَّ سائد
وقام بمـا أوليتــه متأيـدا(٩) ... وزاد على جَهد الورى غير جاهد

---

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة م وفى س « ومادحا يقول : » .
(٢) الخميس هو الجيش الجرار ، انظر لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٣٧٢ .
(٣) فى نسخة م « زى » والصيغة المثبتة من نسخة س وهى أبلغ .
(٤) فى نسخة س « مثقفا » وهو تصحيف والصيغة الصحيحة المثبتة من م .
(٥) فى نسخة س « نشا » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة من م .
(٦) فى نسخه س « بسط » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .
(٧) فى نسخة س « وحاسد » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة من م .
(٨) فى نسخة س « وتصبى » وهو تحريف والصيغة الصحيحة من نسخة م .
(٩) فى نسخة س « متأدبا » ، والصيغة المثبتة من نسخة م وكلاهما صحيح .

ووافاك من أبنائه وبنيهم (١) بأنجم سعد نورها غير خامد
وأولى ملوكَ الأرض منشور بره (٢) وأثبت من معروفه في الجرائد
وزهد في عصيانه (٣) [كلّ راغب] (٤) ورغّب في إحسانه كلّ زاهد
وأعلاه (٥) من أبناء أيوب كلّهم (٦) مُلوك عنهم في جميع المشاهد
ألست الذي بذ الأكارم سؤددا (٧) بدمياط كرّارا (٨) على كل مارد
وروّى قناه من دم القِرن مُقدما يحلّق لمّا فرّ كل مجالد
ووافى حماة وافيا بعهوده (٩) لمن حلها من مسلم ومعاهد
فأيِس منها كل طاغٍ مُغافص (١٠) وشرد عنها كلّ باغ وحاسد (١١)
ولم (١٢) يثنه حر الجراح عن العدى فأفضى إلى ظل من العيش بارد
وفازت به ملكا وفاز (١٣) برشفه سُلافَتها من بين سُم الأساود
وأذكُر بدرا يوم أفنون إذ سطا على شُمسه بالبارقات الرواعد

(١) في نسخة س « منسوب » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة من م .
(٢) في نسخة س « فأثبت » ، والصيغة المثبتة من نسخة م وكلاهما صحيح .
(٣) في نسخة س «إحسانه» وهو تحريف كما يفهم من سياق المعنى ، والصيغة المثبتة من نسخة م .
(٤) ما بين الحاصرتين مذكور في الهامش في نسخة س .
(٥) في نسخه س « عن » والصيغة المثبتة من م .
(٦) هذا البيت مذكور في الهامش في نسخة س .
(٧) في نسخة س « سودد » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من نسخة م .
(٨) في نسخة س « كرار » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من نسخة م .
(٩) في نسخة س « خلقا » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة من نسخة م .
(١٠) في نسخة س « وناقض » والصيغة المثبتة من نسخة م ، وورد في (لسان العرب ، ج ٨ ، ص ٣٢٨) « غافص الرجل أخذه على غرة » .
(١١) في نسخة س « معاند » والصيغة المثبتة من م .
(١٢) في نسخة س « وكم » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة من نسخة م .
(١٣) في نسخة س « وقارب ملكا وقار » وهو تحريف والصيغة المثبتة من م .

محوت(١) من الكفار فيـه كتائبـا ... يضيق(٢) بهـا طِرس الربا والفَدافد
وَصُلت على باربن بالزحف(٣) صولة ... أغذت إلى فتـح لمجدك شـائد
فوبلجتها(٤) بالسيف [صلتا](٥) وأذعنت ... فأغمدته بالعفـو ياخـير غامد
وجزت المدى(٦) فى خرتبرت إلى العلا ... بأضعاف ما أحرزت فى فتح آمد
غداة أغص الموتُ من وِرْد(٧) الوغى ... وضاقت على المحتال طرق المكائد
أقمت بها سوق الحروب فسوقها ... ترى القتلَ فيهـا نافقا غير كاسد
لقيت على فقد المواسى(٨) جموعهم(٩) ... فروعت قلب الجحفل المتعـاقد
علوتَهم كالبدر من فوق شـامخ ... سنـابكه محـذوة بالفراقـد(١٠)
تقـدّم لا تُرديه(١١) طعنـة شـاجر ... برمح ، ولا يلويه صدمة طـارد
فطاعنتَهـم حتى تحطمت القنـا ... وضاربت حتى فُلّ حَدُّ الحدائد
وعانقتَ أبطال الـنزال مكافحـا(١٢) ... وقد حَام عنـه صادرا(١٣) كلُّ وارد

(١) فى نسخة س « حوت » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة من م .
(٢) فى نسخة س « يطيق » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة من م .
(٣) فى نسخة س « بالفتح » والصيغة المثبتة من م .
(٤) فى نسخة س « تو لجتها » والصيغة المثبتة من م .
(٥) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .
(٦) فى نسخة س « الذى » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .
(٧) فى نسخة س « مورد » والصيغة المثبتة من م وكلاهما صحيح .
(٨) فى نسخة س « المواشى » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .
(٩) فى نسخة س « جموعهم » ، والصيغة المثبتة من م .
(١٠) الفرقدان نجمان فى السماء لا يغربان وقالوا فيهما الفراقد ، انظر لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٣٣١ .
(١١) فى نسخة س « لا ترويه » ، وهو تصحيف والصيغة المثبته من م .
(١٢) فى نسخة س « مكالفها » وهو تحريف يخل بالوزن ، والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة م .
(١٣) فى نسخة س « صادر » وهو تحريف والصيغة المثبتة من م .

وخضت غمارا(١) ينفدُ العمر دونها   فأحرزت منهـا سؤددا غير نافد
تفردت بالبأس الشديد فلم يقم   بوصفك(٢) ما أحكمته في قلائدي(٣)
وإن كان تبرا غـير زيف(٤) فإنه   يرى منك معروضا على خير ناقد
مليــكٌ كفـاه الله عين كماله   يُراعى للعلا طرف(٥) له غير هاجد
فتى الحرب كم شُدت بما رام أزرُه   وجشمه غشيانها من شـدائد
يراها ـ على ما كان منها ـ حبيبة   فأكرم به(٦) من عاشـق غير حاقد
يريك نداه بُخــل كعب وحاتم(٧)   ويُروى سُـطاه عن علي وخالد
مساع(٨) لمجـد أقعدت كل ناهض   وهباته قـد انهضت كل قاعد(٩)
ألا أيهـا الملك المظفر دعـــوة(١٠)   سَيُورى بها زندي ويشتد ساعدي
هنيئا لك الملك الذي بقـــدومه   ترحّل عنـا كُلّ هــم معاود(١١)
وبشرنا من قبـل مولده به   من الله آي صادقات المواعــد

---

(١) في نسخة س « غمار » وهو تحريف والصيغة المثبتة من م .

(٢) في نسخة س « لوصفك » والصيغة المثبتة من م .

(٣) في نسخة س « ما أحرزته من فرائد » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .

(٤) في نسخة س « وان كان ترى غير رهب » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة من م .

(٥) في نسخة س « يراعى العلا طرفا » والصيغة المثبتة من م .

(٦) في نسخة س « بها » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة من م .

(٧) يقصد كعب بن مامة وحاتم الطائي وكلاهما من أجواد العرب .

(٨) في نسخة س « مشاع » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من م .

(٩) ورد الشطر الثاني من البيت في نسخة س مختلا ، والصيغة المثبتة من م .

(١٠) في نسخة س « دعوى » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة من م .

(١١) في نسخة س « معاردى » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من م .

فحمـــدا وشـكرا للإله مخلدا على منن منـه جِسام خـوالد
فذا اليوم نال الملك أشرف مقصد (١) وحققت النعمى (٢) ظنون القصائد (٣)

ذكر استيلاء السلطان علاء الدين سلطان الروم على حران والرها من بلاد السلطان الملك الكامل وخلاط من بلاد الملك الأشرف (٤)

ولما رجع السلطان الملك الكامل إلى الديار المصرية وخرج فصل الشتاء ، [١٩٠ ب] خرج السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو صاحب بلاد الروم إلى الشرق مقابلة للملك الكامل على قصد بلاده. واشتد طمعه لرجوع الملك الكامل من غير أن يحفل بطائل (٥)، وما انتهى إليـه من تقاعـد ملوك بنى أيوب عن الملك الكامل (٦)، فنازل الرها وضايقها ونصب عليها المجانيق (٧) وجدّ فى حصارها (٨). ووقع حجر من حجارة المنجنيق على القاضى علاء الدين قاضى القضاة بالشرق ، وكان فى قلعة الرها ، فقتله (٩). [وكان فقيها فاضلا يعرف المذهب الشافعى ، وكان له كرم

(١) فى نسخة س « مقصدا » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة من م .
(٢) فى نسخة س « بالنعمى » والصيغة المثبتة من م .
(٣) ورد بعد ذلك فى نسخة س خمسة أسطر غير مثبتة فى م من رجوع الملك الناصر داود إلى الكرك ، وهو تكرار لما ذكر آنفا ، انظر ما سبق ص ٨٧ .
(٤) فى نسخة س « ذكر خروج السلطان علاء الدين كيقباذ ملك الروم الى الشرق واستيلائه على حران والرها » ، والصيغة المثبتة من م .
(٥) فى نسخة س « يحظى بطائل » والصيغة المثبتة من م ، وفى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٢٢٠) « ولم يحظ بطائل » .
(٦) فى نسخة س « ولما فهمه من تقاعد الملوك من أهل بيته عنه » والصيغة المثبتة من م .
(٧) فى نسخة س « المناجنيق » ، والصيغة المثبتة من م .
(٨) فى نسخة م « ووقعت » ، والصيغة المثبتة من س .
(٩) فى نسخة م « فقتلته » ، والصيغة المثبتة من س .

ورياسة، وحشمة وسؤدد ، وهو من أكابر الفقهاء الأكراد (١)] . وكان له تقدم عظيم فى الدولة الكاملية والأشرفيه (٢) ، [وبه تقدم القاضى بدر الدين يوسف بن الحسن — رحمه الله — الذى كان فى آخر أمره قاضى القضاة بالديار المصرية . وسنذكر أوصافه ومناقبه فى أخبار الملك الصالح نجم الدين — رحمه الله (٣)]

ولم يزل الحصار مستمرا على الرها إلى أن ملكها علاء الدين (٤) واستولى عليها . وحاصر أيضا حران واستولى عليها وعلى قلعتها، وولى فى حران والرها وما معهما من البلاد نوابه، ثم رجع إلى بلاده لخروج الصيف وإقبال الشتاء (٥) . [ثم استولى على خلاط وبلادها وانتزعها من أيدى نواب الملك الأشرف (٦)] .

(١) مابين الحاصرتين من نسخة م ، وورد بدلها فى س « وكان فقيها جيدا يفرق فى المذهب الشافعى » .

(٢) فى نسخة س « وكان مقدم » والصيغة المثبتة من م .

(٣) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٤) فى نسخة س « كيقباذ » ، والصيغة المثبتة من م .

(٥) وردت هذه الفقرة فى نسخة س مع قليل من التعديل والصيغة المثبتة من م .

(٦) مابين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .

ودخلت سنة ثلاث وثلاثين وستمائة (*)

والسلطان الملك الكامل بالديار المصرية ، وأخوه الملك الأشرف بدمشق [وقد تغير ما بينهما فى الباطن] (١) ، [والممالك الباقية على حالها فى السنة الماضية] (٢) .

ذكر توجه الملك الناصر داود بن الملك المعظم [إلى بغداد واعتضاده بالخليفة المستنصر بالله رحمه الله] (٣)

وقد ذكرنا استشعار الملك الناصر من عمه السلطان الملك الكامل وخوفه منه ، وأنه صمم العزم على قصد الخليفة والاستجارة به ، فحصل عنده من النجب والروايا (٤) ما يحتاج إليه لسفر البرية . ثم سافر ملتجئا إلى الخليفة ومستجيرا به (٥) ومتمسكا بذيله ، ومعه فخر القضاة نصر الله بن بزاقه (٦) والشيخ شمس الدين [عبد الحميد] (٧) الخسروشاهى

(*) يوافق أولها ١٦ سبتمبر سنة ١٢٣٥ ميلادية .

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة م وفى س «إلى الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين واعتضاده به» .

(٤) النجيب من الأبل والجمع النجب هو القوى منها الخفيف السريع ، والروايا جمع الراوية وهو البعير أو البغل أو الحمار الذى يستقى عليه الماء ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ص ٢٤٥ ؛ ج ١٩ ، ص ٦٤ .

(٥) فى نسخة س « ثم سافر قاصد مدينة السلام بغداد ملتجئا إلى الخليفة » والصيغة المثبتة من م .

(٦) عن الصاحب الوزير فخر القضاة نصر الله بن هبة الله بن بزاقة الغفارى انظر ، ما سبق ص ١٩ حاشية ٥ وانظر أيضا ؛ الملك الأمجد بن الناصر داود ، كتاب الفوائد الجلية فى الفرائد الناصرية ، ص ٣٧ ، ٣٩ — ٤٢ ؛ ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، ج ٥ ، ق ٤٣١ — ٤٣٢ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

والخواص من مماليكه وألزامه . ولما قرب من بغداد [١٩١ ا] أمر الخليفة [المستنصر بالله][(١)] بتلقيه[(٢)] وإكرامه .

ودخل بغداد ونزل بها مكرما معظما . وقدم للخليفة ما استصحبه[(٣)] معه[(٤)] من الجواهر النفيسة [المثمنة][(٥)] والتحف الجليلة . وأمر الخليفة له بالأقامات الكثيرة ، [وله ولأصحابه بالخلع والعطايا . وكان طامعا أن يأذن له الخليفة بالحضور بين يديه ويقبل يده ويشاهد صورته][(٦)] ، كما فعل ذلك بمظفر الدين كوكبورى ابن زين الدين [على كوجك][(٧)] [صاحب إربل][(٨)] ؛ فإنه كان قدم إلى بغداد[(٩)] ، وطلب الاجتماع بالخليفة فأذن له فى ذلك ، فحضر وبرز له الخليفة ، فشاهد صورته . فرغب الملك الناصر [داود][(١٠)] أن يعامل بتلك المعاملة فإنه أكبر بيتا من بيت مظفر الدين ، وأعرق فى الملك ، وإنه بطريق الأولى جدير بأن ينال هذه المرتبة السنية . فلم يؤذن له فى ذلك ، وطال مقامه ببغداد وهو يردد الضراعة وسؤال ذلك[(١١)] ، فلم تقع الإجابة . وكان مقصود الخليفة من ذلك أن لا يحصل

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٢) فى نسخة س « بلقياه » والصيغة المثبتة من م .

(٣) فى نسخة س « فأنزل » والصيغة المثبتة من م .

(٤) فى نسخة س « ما استضمه » والصيغة المثبتة من م .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٦) ورد ما بين الحاصرتين مع قليل من التعديل فى نسخة س ، والصيغة المثبتة من م .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٨) ما بين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .

(٩) فى نسخة س « الديوان العزيز » والصيغة المثبتة من م .

(١٠) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(١١) فى نسخة س « والمسألة فى ذلك » والصيغة المثبتة من م .

بسبب ذلك عتب من السلطان الملك الكامل(١) ؛ فإنهم يعلمون أنه ماورد عليهم إلا وهو ساخط على عمه مباين له . فعمل الملك الناصر [داود](٢) قصيدة يعرض فيها بقصده(٣) ، ويذكر مهاجرته إلى الأبواب [العزيزة](٤) العالية مرتكبا متن الخطر مع بعد المسافة ، ويعرض فيها بأن مظفر الدين(٥) بن زين الدين وصل من مسافة قريبة وليس هو مثله فى أصالته و بيته ، وأنه شرف(٦) بهذا الأمر الجليل ، ويعرض بأنه أحق من مظفر الدين بذلك . والقصيدة فى غاية الحسن ، وازن بها(٧) قصيدة أبى تمام التى منها [يقول](٨) :

لأمرٍ عليهم أن تـتم(٩) صـدورُه وليسَ عليهـم أن تـتمّ(١٠) عواقبـه

والقصيدة هى هذه :

ودانٍ ألمت بالكثيب ذوائبـه وجُنحِ الدُجى وَحْفٌ(١١) تجول غياهبه

تقهقـه فى تلك الربوع رعـودُه وتَبكى على تلك الطلول سحائبـه

---

(١) فى نسخة س « وكان مقصود الخليفة أن لا يقع بذلك مراغمة لعمه الملك الكامل » والصيغة المثبتة من م .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٣) فى نسخة س « بمقصده » والصيغة المثبتة من م .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٥) فى نسخة س « وتعرض لمظفر الدين » والصيغة المثبتة من م .

(٦) فى نسخة س « تشرف » والصيغة المثبتة من م .

(٧) فى نسخة س « منها » والصيغة المثبتة من م .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٩) فى نسخة م « تتم » وفى نسخة س « يتم » والصيغة المثبتة من ديوان أبى تمام (شرح وتعليق شاهين عطية) ، ص ٤٤ .

(١٠) فى نسخة س « تتم » والصيغة المثبتة من نسخة م ومن ديوان أبى تمام ص ٤٤ .

(١١) الوحف الشعر الأسود ، انظر لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٢٦٨ .

أرقتُ له لما توالت بروقه … وحلّت عزاليه وأسبل ساكبه
إلى أن بدا من أشقر الصبح قادم … يُراع له من أدهم الليل هاربه
وأصبح ثغر الأُقحوانة ضاحكا … تدعدعه(١) ريح الصَبا وتداعبه(٢)
تمر(٣) على نبت الرياض بَليلة(٤) … تُجمشه(٥) طورا وطورا تلاعبه
وأقبل وجه الأرض طلقا وطالما … غدا مكفهرا موحشات جوانبه
كساه الحيا وشيا(٦) من النبت فاخرا … فعاد قشيبا غُوره وغَواربه
كما عاد بالمستنصر بن محمد … نظام المعالى حين قلّت كتائبه
إمام تحلّى الدينُ منه بماجد … تحلت بآثار النبى مناكبه
هو العارض الهتّان لا البرق مخلف … لديه ولا أنواؤه وكواكبه
إذا السنة الشهباء شحت بطلّها … سخا وابلٌ منه وسخت سواكبه
فأحيي ضياء البرق ضوءُ جبينه … كما بخلت جودَ العوادى مواهبُه
له العزمات اللائى لولا نضالها … تزعزع ركن الدين وانهد جانبه
بصير بأحوال الزمان وأهله … حذور فما تخشى عليه نوائبه
بديهته تغنيه عن كل مشكل … وإن حنكته فى الأمور تجاربه(٧)

(١) فى نسخة س وفى الفوائد الجلية فى الفرائد الناصرية للملك الأمجد بن الملك الناصر داود ، ص ١٣٧ ، « يدغدغه » والصيغة المثبتة من م .
(٢) فى نسخة س « ويداعبه » ، وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .
(٣) فى نسخة س « يمر » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .
(٤) كذا فى نسختى المخطوطة وفى الفوائد الجلية ، ص ١٣٧ « كليلة » .
(٥) فى نسخة س « تخمسه » وهو تصحيف والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة م ، والجمش المغازلة وقد جمشه وهو يجمشها أى يقرصها ويلاعبها ، انظر لسان العرب ، ج ٨ ، ص ١٦٣ .
(٦) فى الفوائد الجلية ، ص ١٣٧ « وشيئا » وهو تصحيف .
(٧) هذا البيت ساقط من نسخة م ومثبت فى س وكذلك فى الفوائد الجلية ، ص ١٣٧ .

حوى قصبات السبق مذ كان يافعا وأربت على زهر النجوم مناقبه (١)

تــزينت الدنيا به وتشــرفت بنورها فأضحى خافض العيش ناصبه (٢)

لئن قَوِّهَتْ باسم الإمام خلافـة وورقَّتْ (٣) الزاكى النِجار (٤) مناسـبه

فأنت إمامُ العدل (٥) والمعرق الذى به شُرِفت (٦) أنسـابُه ومناسـبه

جمعت شتيت المجـد بعد افتراقه وفرقت جمع المـال فانهال كاثبه

واغنيت حتى ليس فى الأرض معدم يجـور عليـه دهرُه ويحاربه

ألا يا أمـير المؤمنين ومن غدت على كاهـل الجوزاء تعلو مراتبه

ومن جَدُّه عم النـبى وخِـدنه إذا صَارَمَتْـهُ أهـله وأقاربه

أيحسنُ فى شرع المعـالى ودينها وأنت الذى تُعزى إليـه مذاهبه

وأنت الذى يُعـنى حبيب (٧) بقـوله [الا هكذا فليكسب الحمد كاسبه] (٨)

بأنى أخـوض الدَوَّ (٩) والدَوُّ مقفر (١٠) سباريتُه (١١) مغـبرة وسباسـبه (١٢)

(١) فى نسخة س « ثواقبه » والصيغة المثبتة من م .

(٢) فى نسخة م « خاصب » والصيغة المثبتة من نسخة س ومن الفوائد الجلية ص ١٣٨ .

(٣) فى نسخة س « ورجمت » وهو تحريف والصيغة المثبتة من م .

(٤) النجار معناه الأصل والحسب ، انظر لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٤٥ .

(٥) كذا فى نسختى المخطوطة وفى الفوائد الجلية ، ص ١٣٨ « الإمام العدل » وكلاهما صحيح

(٦) فى نسخة س « تشرفت » وبه يختل الوزن .

(٧) فى نسخة م « الحبيب » ، وهو تصحيف والصـيغة الصحيحة المثبتة من س ومن الفـوائد الجلية ص ١٣٨ ، ويقصد أبا تمام حبيب بن أوس الطائى الشاعر المشهور .

(٨) مابين الحاصرتين عجز بيت لأبى تمام وصدره « فلو نطقت حرب لقالت محقة » ، انظر ديوان أبى تمام ، (ط . بيروت ١٩٦٨) ، ص ٤٥ .

(٩) المقصود بالدَو المفازة أو الفلاة أو الصحراء ، انظر ابن منظور ، لسان العـرب ، ج ١٨ ، ص ٣٠٢ ؛ انظر أيضا ابن سيده ، المخصص (ط . بيروت) ج ٣ ، ص ١١٤ .

(١٠) فى نسخة س « مقفرا » وهو تصحيف .

(١١) السباريت واحدها سُبروت وهى الأرض التى ليس بها آثار ، انظر ابن سـيده ، المخصص ج ٣ ، ص ١١٥ ؛ الزبيدى ، تاج العروس ج ٣ ، ص ٢٥٣

(١٢) المقصود بالسباسب القفار واحدها سبسب . انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ، ص ٤٤٣ .

وأرتكب الهول المخوف مخاطرا　　بنفسى ولا أعبا بما أنا راكبه

وقد رصد الأعداء لى كُلّ مرصد　　فكلهم نحوى تدب عقاربه

وآتيك والعضب المهند مصلت　　طرير شباة قانيات ذوائبه

وأنزل آمالى ببابك راجيا　　فواضل(١) جاه يبهر النجم ثاقبه

فتقبل منى عبد رق فيغتدى　　له الدهر عبدا طائما لا يغالبه

وتنعم فى حق بما أنت أهله　　وتُعلى محلّى فالسُّها لا يُقاربه

وتُلبسنى من نسج ظلك ملبسا(٢)　　يشرف قدر النيرين جلاببه

وتركبنى نُعمى(٣) أياديك مركبا　　على الفلك الأعلى تسير مواكبه

وتسمح لى بالمال والجاه بغيتى　　وما الجاه إلا بعض ما أنت واهبه

ويأتيك غيرى من بلاد قريبة　　له الأمن فيها صاحب(٤) لا يجانبه

وما اغبر من جوب الفلا حرّ وجهه　　ولا انضيت بالسير فيها ركائبه

فيلقى دنُوا منك لم ألقَ مثله　　ويحظى ولا أحظى(٥) بما أنا طالبه؟

وينظر من لألاء قدسك نظرة　　فيرجع والنور الإلهى صاحبه

ولو كان يعلونى بنفس ورتبة　　وصدق ولاء لست فيه أصاقبه

لكنت أصد(٦) النفس عما ترومه(٧)　　وكنت أذود العين عما تراقبه(٨)

(١) فى نسخة م « نواهد » وفى نسخة س « تواصل » والصيغة المثبتة من الفوائد الجلية ، ص ١٣٨ والصيغ الثلاث صحيحة .

(٢) فى نسخة س « حلة » والصيغة المثبتة من م وبها يتفق سياق البيت .

(٣) فى نسخة س « نعما » وهو تصحيف والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة م .

(٤) فى نسخة س « صاحبا » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .

(٥) كذا فى نسختى المخطوطة ، وفى الفوائد الجلية ، ص ١٣٩ « وما أحظى » وكلاهما صحيح .

(٦) فى نسخة م وفى الفوائد الجلية ص ١٣٩ « أسلى » والصيغة المثبتة من نسخة س وهى تتفق مع كلمة « أذود » الواردة فى عجز البيت .

(٧) فى نسخة م « أرومه » والصيغة المثبتة من س .　　(٨) ورد هذا البيت فى هامش نسخة س .

ولكنـــه مثـــلى ولو قلتُ : إننى أزيدُ عليــه ، لم يعب ذاك عائبــه
وما أنا ممن يمــلأ المــالُ عينَــه ولا بســوى التقريبُ تقضى مآربه
ولا بالذى يُرضـيه دون نظـيره ولــو أنعلت بالنـيرات(١) مراكبـه
وبى ظمأٌ ، رؤياك منهـل ريه ولاغرو أن تصـفو لدىّ مشاربه
ومن عجب أنى لدى(٢) البحر واقفٌ واشكو الظما(٣) والبحـر جم عجائبه
وغير ملوم من يؤمك قاصـــدا إذا عظمت أغراضُــه ومطالبــه(٤)
وقد رَضيت مقصودى فتمت صدوره ومنــك أرجى أن تتـم(٥) عواقبــه

ولما وقف الخليفة [الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين رحمه الله](٦) [على هذه القصيدة](٧) أعجبته إعجابا كثيرا ، وأراد أن يجمع بين المصلحتين ويجبر بحسن تأنيه الجهتين ، فاستدعاه [إليه](٨) سرا لا جهرا(٩) ، جبرا لقلبه ورعاية فى عدم الجهر للسلطان(١٠) الملك الكامل .

(١) فى نسخة س « ولو أن حلت بالنيرين » والصيغة المثبتة من م .
(٢) فى نسخة س وكذلك فى الفوائد الجلية ص ١٣٩ «لذا» والصيغة المثبتة من م ومعناها « عند »
(٣) فى نسخة س « الضما » وهو تصحيف .
(٤) فى نسخة م « ومذاهبــه » والصيغة المثبتــة من س ومن الفوائد الجليــة ، ص ١٣٩ ، وكلاهما صحيح .
(٥) هذا البيت ساقط من نسخة م ومثبت فى س .
(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة م وورد بدلها فى س « عليها » .
(٨) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(٩) فى نسخة س « لا جهارا » والصيغة المثبتة من م .
(١٠) فى نسخة م « السلطان » والصيغة المثبتة من س ، وعن مراعاة الخليفــة لشعور السلطان الكامل ، انظر المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥١ .

[فحكى الملك الناصر — رحمه الله —](١) قال : استدعانى الخليفة بعد شطر من الليل ، فدخلت من باب السر إلى إيوان فيه ستر مضروب ، فقبلت الأرض بين يديه ، فأمرنى بالجلوس فجلست . ثم أخـذ الخليفة يحدثنى من خلف الستر ويؤنسنى(٢) . ثم أمر الخدام فرفعوا الستر ، وقمت(٣) فقبلت الأرض ثانيا . وتقدمت فقبلت يد الخليفة [١٩٣ ب] فأمرنى بالجلوس فجلست بين يديه . وجارانى(٤) فى أنواع من العلوم وأساليب من الشـعر [إلى آخر الليل](٥) . ثم خرجت من عنده وعدت إلى منزلى فى باقية الليـلة(٦) . ثم حضر المـلك الناصر المدرسة المستنصرية التى بناها الخليفة [المستنصر بالله — رحمه الله —](٧) على شاطئ(٨) دجلة ، وسنذكر(٩) — إن شاء الله — صفتها عند ذكر سيرة الإمام المستنصر بالله — رحمه الله . وكان الخليفة فى روشن(١٠) ينظر ويسمع كلامهـم ، وحضر جماعة الفقهـاء الذين هم منزلون فى المدرسـة وغيرهم من الطوائف الأربعة(١١) . وبحث الملك الناصر واسـتدل واعترض وناظر

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٢) فى نسخة س « و يوانسى » والصيغة المثبتة من م .

(٣) فى نسخة س « فقمت » والصيغة المثبتة من م .

(٤) فى نسخة س « فجارانى » والصيغة المثبتة من م .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٦) فى نسخة م « ليلا » والصيغة المثبتة من م .

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٨) فى نسخة س « شط » والصيغة المثبتة من م .

(٩) فى نسخة س « ذكرنا » والصيغة المثبتة من م .

(١٠) الروشن وجمعها رواشن ، هى النافذة أو الكوة للاضاءة ، انظر سعيد عاشور ، العصر المماليكى ص ٤٢١ .

(١١) وردت الجملة السابقة فى نسخة س فى قليل من التقديم والتأخير ولكن بنفس المعنى ، والصيغة المثبتة من م .

الفقهاء مناظرة حسنة[١] . [وكان — رحمه الله — جيد المناظرة ، صحيح الذهن ، له فى كل فن مشاركة جيده[٢]] .

وقام يومئذ رجل من الفقهاء ومدح الخليفة بقصيدة يقول فيها مخاطبا الخليفة[٣] :

لو كنت فى يوم السقيفة حاضرا كنت المقـدم والأمام الأروعا

فغضب الملك الناصر لله تعالى لكون ذلك الفقيه لأجل [سحت[٤]] الدنيا أساء الأدب على أبى بكر الصديق [خليفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وثانى إثنين[٥]] ، وعلى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، [وسادات المهاجرين والأنصار الحاضرين يوم السقيفة[٦]] ، وجعل الخليفة المستنصر مقدما[٧] عليهم . فقـال [الملك النـاصر[٨]] لذلك الفقيه : « أخطأت فيما قلت ، كان ذلك اليـوم جدّ سيدنا ومولانا الإمام المستنصر بالله العباس بن عبد المطلب — عم رسول الله صلى الله عليـه وسلم — حاضرا ، ولم يكن المقـدم والإمام الأروع إلا أبا بكر الصديق رضى الله عنـه » . فخرج المرسوم فى [ذلك[٩]] الوقت بنفى ذلك الفقيه [من بغداد[١٠]] فنفى . [وذلك الفقيه هو وجيه الدين القيروانى ، وكان فقيها فاضلا

(١) فى نسخة س « و بحث الملك الناصر مع الفقهاء وناظرهم » والصيغة المثبتة من م .

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٣) وردت الجملة السابقة مع بعض التعديل ولكن بنفس المعنى فى نسخة س والصيغة المثبته من م .

(٤ــ٥) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٦) مابين الحاصرتين من نسخة م وفى س « والعباس بن عبـد المطلب رضى الله عنهم الحاضرين يوم السقيفة » .

(٧) فى نسخة س « راجحا » والصيغة المثبتة من م .

(٨ــ١٠) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

اجتمعت به بالقاهرة وكان صاحبي . وولى تدريس المدرسة التي هي منسوبة إلى الصاحب صفي الدين بن شكر وزير السلطان الملك العادل والسلطان الملك الكامل بعده ، وتوفي — رحمه الله — بعد سفري من صفر .](١)

ذكر مسير السلطان الملك الكامل من الديار المصرية إلى الشرق واستعادة حران والرها من نواب سلطان الروم(٢)

[كنا ذكرنا(٣) أن السلطان علاء الدين سلطان الروم خرج في السنة الماضية من بلاده وقصد الشرق واستولى على حران والرها ، وولى فيهما من قبله ، فسار السلطان الملك الكامل في هذه السنة — أعني سنة ثلاث وثلاثين وستمائة — متوجها إلى الشرق بعساكره . وسار معه أخوه الملك الأشرف بعساكر دمشق ، والملك المجاهد صاحب حمص ، والملك المظفر صاحب حماه ، وقطعوا الفرات ونازلوا الرها ، فسلمت إلى الملك الكامل فأمر بهدم قلعتها فهدمت(٤)] . ثم نازل حران فسلمت إليه وقبض على أجناد علاء الدين [كيقباذ](٥) الذين كانوا بحران والرها

(١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في م .

(٢) في نسخة س « السلطان علاء الدين » ، والصيغة المثبتة من م .

(٣) انظر ماسبق ص ٩٨ — ٩٩

(٤) ورد مابين الحاصرتين بصيغة مختلفة و بنفس المعنى في نسخة س ، والصيغة المثبتة من م ، وورد في المقريزي (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥١) أن السلطان الكامل أسر من أهل الرها « زيادة على ثمانمائة من الأمراء » .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

[ونوابه][1] . وأمر بحملهم مقيدين [فى محاير[2]] على الجمال ، [وسيرهم أسارى إلى الديار المصرية . واستقبح الناس هـذه الفعلة من الملك الكامل ، ولم يجر له ولا لأحد من أهل بيته عادة بمثلها ، وإنمـا حمله على ذلك أنه كان ممتلئا غيظا على علاء الدين .

ذكر عود السلطان الملك الكامل إلى دمشق واستقراره بها إلى آخر السنة

ولمـا قضى السلطان الملك الكامل غرضه من استرداد البلاد التى استولى عليها علاء الدين سلطان الروم ، عاد إلى دمشق وأقام بهـا عند أخيـه السلطان الملك الأشرف إلى أن خرجت هذه السنة[3] .]

ذكر قدوم الملك الناصر من بغداد إلى دمشق مع رسول الخليفة ثم مسيره إلى الكرك[4]

ثم إن الخليفة المستنصر بالله خلع على الملك النـاصر داود بن الملك المعظم خلعة سنية عمامة سـوداء وفرجية سـوداء مذهبة[5] ، وخلع على أصحابه وممـاليكه

(١ – ٢) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م . والمحاير جمع محارة وهى شبه الهودج ، وكان للحاير سوق خاص بالقاهرة فيـه عدة حوانيت لعمـل المحاير التى يسافر فيها إلى الحجاز وغيره ؛ انظر : محيط المحيط ؛ المقريزى ، المواعظ ، ج ١ ، ص ١٠١ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ حاشية ٢ .

(٣) مابين الحاصرتين ورد مختصرا فى نسخة س والصيغة المثبتة من م .

(٤) ورد هذا العنوان فى نسخة س بصيغة مختلفة و بنفس المعنى .

(٥) فى نسخة س « وجبة » وهو تحريف والصيغة المثبتة من م .

خاما سنية[(١)] وأعطاه مالا جليلا [لتسفيرهم[(٢)]] . و بعث في خدمته رسولا [مشرفا[(٣)]] من أكبر خواصه إلى السلطان الملك الكامل يشفع إليه في إخلاص نيته له[(٤)] ، [و إبقاء بلاده عليه ، وجريه على عادته في الاحسان إليه والتعطف عليه[(٥)]] . فوصل الملك الناصر إلى دمشق ومعه رسول الخليفة ، [والسلطان الملك الكامل بها عند أخيه الملك الأشرف . فخرج السلطان الملك الكامل والملك الأشرف إلى لقائه وتلقاه إلى القصير[(٦)]][(٧)] .

وأقبل [الملك الكامل[(٨)]] على الملك الناصر إقبالا كثيرا ، وقبل شفاعة الخليفة فيه . ونزل الملك الناصر بالقابون[(٩)] بقصره الذي ورثه من أبيه الملك المعظم ، وكان قبل ذلك للملك المظفر تقي الدين عمر [بن شاهنشاه بن أيوب[(١٠)]] فاشتراه الملك المعظم من ورثة تقي الدين . [وأقام الملك الناصر بدمشق أياما يركب كل يوم إلى خدمة عمه الملك الكامل ، وربما دخل إلى داره المعروفة بدار عز الدين أسامة[(١١)]] .

---

(١) في نسخة س « جليلة » والصيغة المثبتة من م .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م ، انظر أيضا : المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥١ .

(٤) في نسخة س « في إخلاص النية له » والصيغة المثبتة من م .

(٥) في نسخة س « وابقاء مملكته عليه والاحسان عليه » والصيغة المثبتة من م .

(٦) القصير اسم ضيعة كانت أول منزل لمن يريد حمص من دمشق ، انظر ياقوت (معجم البلدان)

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س وفي نسخة م « فخرج السلطان الملك الكامل لتلقيهما إلى القصير »

(٨) ما بين الحاصرتين من نسخة س ، وساقط من م .

(٩) بدون تنقيط في نسختي المخطوطة . وذكر ياقوت (معجم البلدان) أن قابون كان موضعا بينه وبين دمشق ميل واحد في طريق القاصد إلى العراق في وسط البساتين .

(١٠) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(١١) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في م .

وسافرت أنا من حماه[1] لأهنئ الملك الناصر بقدومه فاجتمعت به وهو داخل من قصره إلى [خدمة] عمه[2] الملك الكامل . ولازمت خدمته إلى أن سافر إلى الكرك فسافرت معــه ، وأقمت عنده [بالكرك[3]] إلى أن دخلت سنة أربع وثلاثين [و ستمائه[4]] . ثم سافرت من خدمته ورجعت إلى حماه . [وكان - رحمه الله - يؤثر كثيرا مقامى عنده ، لكنى آثرت المقام بالوطن[5]] .

وكان قدوم الملك الناصر إلى دمشق [فى شوال[6]] من هذه السنة - أعنى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة - ومعه الأعلام السود رنك[7] الخليفة ، وجعل رنكه كله أسود إنتماء إلى الخليفة . وكان الخليفة قد لقبه[8] « الولى المهاجر » مضافا إلى لقبــه . [وأمر الملك الناصر خطباء بلاده أن يذكروا فى الدعاء له اللقب الذى شرفه الخليفة به[9]] . ولما سافر إلى الكرك سافر رسول الخليفة معه إلى الكرك ليلبسه الخلعة ، ويتأكد

(١) فى نسخة س « قال صاحب التاريخ : وسافرت من حماة إلى دمشق . . » والصيغة المثبتة من م .

(٢ - ٣) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى م .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٧) الرنك - وجمعه رنوك - لفظ فارسى معناه اللون ، وقــد استعمل بمعنى الشعار أو العلامة التى يتخـذها الشخص لنفسه و يتميز بها دون غيره و ينقشها على أبواب بيوته والأماكن المنسوبة إليه ، كما يضعها على قماش خيوله وسيوفه وأدواته المعدنية والخشبية وغيرها ؛ انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٦١ - ٦٢ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٦٧٢ حاشية ٤ ؛ محمد مصطفى ، الرنوك المملوكية ، مجلة الرسالة (مارس ١٩٤١) ؛ إبراهيم على طرخان ، مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، ص ٣٢٤ - ٣٣٤ ؛ أحمد عبد الرازق أحمد ، الرنوك على عصر سلاطين المماليك ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢١ (١٩٧٤) ، ص ٦٧ - ١١٦ .

(٨) وردت الجملة فى بعض التقديم والتأخير فى نسخة س ، والصيغة المثبتة من م .

(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى م .

بذلك أمره ، وتحسم مادة الطمع فيه(١) . ولما وصل إلى الكرك ضربت له خيمة في الوادي الذي هو غربي الكرك ، مد فيها سماطا حضره الأكابر من الأجناد والمعممين وغيرهم(٢) . وحضره الملك الناصر [داود(٣)] وعليه خلعة الخليفة ، وضُربت البشائر [بالكرك(٤)] سرورا بذلك . ثم خلع على رسول الخليفة(٥) [وأعطاه شيئا كثيرا(٦)] ، ورجع إلى بغداد . وأقام الملك الناصر بالكرك مطمئنا آمنا لانتسابه(٧) إلى الخليفة .

(١) وردت الجملة في نسخة س في صيغة مخالفة ولكن بنفس المعنى والصيغة المثبتة من م .

(٢) في نسخة س « ضرب له خيمة في وادي الكرك بها السماط وحضره الأكابر من المعممين والأمراء والأجناد » ، والصيغة المثبتة من م .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .

(٥) في نسخة م « الرسول » ، والصيغة المثبتة من س .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة م وفي س « وحباه » .

(٧) في نسخة س « بنسبته » ، والصيغة المثبتة من م .

ودخلت سنة أربع وثلاثين وستمائة (*)

والسلطان الملك الكامل وأخوه الملك الأشرف مقيمان بدمشق ، [والملك الناصر داود بالكرك وقد أمن بانتمائه إلى الخليفة المستنصر بالله ، والسلطان الملك المظفر بحماة محاربا للفرنج وعسكره معه نازلا ببعرتورين فى مقابلة العدو .] (1)

ذكر رجوع الملك الكامل إلى الديار المصرية (2)

وفى أوائل هذه السنة سافر الملك الكامل — رحمه الله — إلى الديار المصرية [١٩٤ ا] وكان قد أقام بها شهورا بعد رجوعه من الشرق واسترجاعه الرها وحران من نواب السلطان علاء الدين كيقباذ صاحب بلاد الروم .

ذكر وفاة الملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك الظاهر صاحب حلب — رحمه الله (3)

وفى أوائل (4) هذه السنة غضب السلطان الملك العزيز صاحب حلب — رحمه الله — على وزيره زين الدين بن حرب . [وكنا ذكرنا (5) توليته له الوزارة بعد

(*) يوافق أولها ٤ سبتمبر سنة ١٢٣٦ ميلادية .

(1) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(2) ورد هذا الخبر فى صيغته المثبتة فى نسخة م ، وورد بدله فى نسخة س « ثم رحل السلطان الملك الكامل والعساكر المصرية إلى ديار مصر » .

(3) فى نسخة س « رحمهما الله تعالى » والصيغة المثبتة من م .

(4) وردت السطور الخمسة التالية فى غير موضعها فى نسخة م .

(5) انظر ما سبق ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٣١٢ — ٣١٣

خطابته[(١)] قلعة حلب ، وأنه نال عنده مرتبة عالية ، وحصّل أموالا جمة[(٢)]] . ولما عزله [وألزمه داره بقلعة حلب[(٣)]] رد الوزارة إلى القاضى [الأكرم جمال الدين أبا الحسن بن يوسف القفطى[(٤)]] .

وخرج الملك العزيز — رحمه الله — فى أواخر[(٥)] صفر [من هـذه السنة[(٦)]] إلى البيرة[(٧)] ثم توجه إلى حارم[(٨)] ، وكان يؤثر التنزه بها كثيرا ، وله بها جوسق [نزه[(٩)]] تحته نهر جار إلى جانبه بستان ، ثم حضر الملقة[(١٠)] لرمى البندق . واغتسل بماء بارد ، فحُمّ ودخل إلى حلب والتقاه الناس وهو موعوك ، ودامت به الحمى وقوى مرضه ،

(١) فى نسخة م « خطابه » وهو تصحيف ، وذكر ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢١١) أن زين الدين عبد المحسن بن محمد بن حرب كان « خطيب القلعة وابن خطيبها » .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وورد فى م « جمال الأكرم القفطى » ، انظر ما سبق ، ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٣١٢ وحاشية ٦ ؛ وانظر ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٢٢١) .

(٥) فى نسخة م « أوائل » والصيغة المثبتة من س وكذلك من ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢١) .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٧) فى نسخة س « الثغرة » وفى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٢٢١) النقرة ويبدو أن كليهما به تصحيف إذ ورد فى ياقوت (معجم البلدان) أن « ثغرة » من أعراض المدينة والنقرة بطريق مكة ؛ والصيغة المثبتة من نسخة م ولعلها الصحيحة كما يفهم من سياق الحديث .

(٨) فى نسخة س « إلى داره » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من نسخة م ، انظر أيضا ابن العديم (نفس المصدر والجزء والصفحة) .

(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .

(١٠) كذا فى نسختى المخطوطة وكذلك فى ابن العديم (ج ٣ ص ٢٢١) والملقة هى الصخرة الملساء ، انظر الزمخشرى (أساس البلاغة ، ج ٢ ص ٤٠٠) ، وذكر ابن منظور (لسان العرب ج ١٢ ص ٢٢٤ ؛ ج ١٩ ، ص ١٩٧) « ويقال للصفاة الملساء اللينة ملقه » و« الصفاة صخرة ملساء » ويبدو أن المقصود به الميدان الخاص بلعب البندق .

فاستحلف الناس لولده الملك النـاصر صلاح الدين يوسف . وأرسل الصاحب كمال الدين بن العديم إلى أخيه[1] الملك الصالح صلاح الدين أحمد بن الملك الظـاهر صاحب عين تاب فاستحلفه[2] لنفسه ولابنه الملك الناصر بعده . ثم توفى — رحمه الله — فى[3] شهر ربيع الأول من هذه السنة . وعظمت المحنة[4] بموته ، وكان عمره ثلاثا[5] وعشرين سنة وشهورا فإن مولده كان فى سنة عشر وستمائة .

ذكر سـيرته رحمـه الله

كان [الملك العزيز][6] — رحمه الله — ملكا عادلا رحوما مشفقا على رعيته متوددا إليهم ، مائلا إلى أهل الدين والخير . ويكفيه من المناقب الحسنة[7] ما حكيناه عنه[8] من رده كمال الدين بن العجمى لما طلب القضاء بحلب ، وبذل جملة كثيرة يقدمها فى الحال وشيئا مقررا يحمله كل[9] سنة من الأوقاف والشروط وغيرها ، وأنه لم يصغ إلى ذلك ولم يلتفت إليه ، ورأى أن ذلك يكون ذريعة إلى الجور فى الأحكام والعدول عن القوانين الشرعية ، وأن من يُقدم[10] على أن يبذل فى القضاء [١٩٤ ب] هذه الجملة

(١) فى نسخة س « أخوه » وهو تصحيف والصيغة الصحيحة المثبتة من م .

(٢) ورد فى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢١) « وسيرنى إلى أخيه الملك الصالح إلى عين تاب ، يستحلفه له ولابنه الملك الناصر وعدت » .

(٣) فى نسخة س « وذلك فى » ، والصيغة المثبتة من م .

(٤) فى نسخة س « الفجيعة » ، والصيغة المثبتة من م .

(٥) فى نسخة س « ثلاثة » وهو تحريف والصيغة الصحيحة المثبتة من م .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٧) فى نسخة س « الجليلة » ، والصيغة المثبتة من م .

(٨) فى نسخة س « له » ، والصيغة المثبتة من م ، وانظر ما سبق ص ٩١ — ٩٢ .

(٩) فى نسخة س « فى كل » والصيغة المثبتة من م .

(١٠) فى نسخة س « وأن تقدم » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .

[لايكون مأمونا على الأموال والفروج](١). فأبت سجيته الكريمة ودينه الوافر(٢) أن يجيب إلى ذلك(٣)، وأقر الحق فى نصابه، وعدل إلى النائب فى الحكم عن القاضى بهاء الدين [ابن شداد](٤) [الذى هو القاضى زين الدين بن الأستاذ رحمه الله](٥) [ثقة بالقاضى بهاء الدين أنه إنما اختاره لديانته وعلمه ونزاهته، فقلده الحكم وولاه](٦). ولم يلتفت الى قول من أشار عليه من أصحابه بخلاف ذلك لعلمه انهم إنما أشاروا بما أشاروا به لما يأخذونه من كمال الدين من السحت وهو الذى حملهم على بيع دينهم بالقليل التافه .

وكان من رأيه ورأى والده وولده من بعده — رحمهم الله أجمعين — أن أى أمير مات أقر ولده موضعه، وإن كان صغيرا يرتب(٧) معه من يقوم بتثقيفه(٨) وتأديبه والخدمة نيابة عنه إلى أن يكبر الصغير ويتأهل للخدمة . وكذلك كان رأيهم(٩) فى المدرسين وأرباب المناصب . وإنما تلقوا هذه الخلة الجميلة من جدهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين — رحمهم الله أجمعين .

---

(١) مابين الحاصرتين من نسخة م وورد بدله فى س « إنما تكون مولة على أكل المال بالباطل » .

(٢) فى نسخة م « وديانته » والصيغة المثبتة من س .

(٣) فى نسخة س « أن يفعل ذلك » ، والصيغة المثبتة من م .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .

(٦) مابين الحاصرتين من نسخة س وفى م « لعلمه بديانته ونزاهته فقلده الحكم » .

(٧) فى نسخة س « رتب » ، والصيغة المثبتة من م .

(٨) فى نسخة س « به » وفى م « تثقيفه » .

(٩) فى نسخة م « أبيهم » والصيغة المثبتة من س .

ذكر تمليك الملك الناصر صلاح الدين أبى المظفر يوسف حلب بعد ابيـه الملك العزيز رحمهما الله (١)

ولمـا توفى المـلك العزيز ــ رحمـه الله ــ تقرر فى الملك بعـده ولده الملك الناصر صـلاح الدين [أبو المظفر يوسـف] (٢) . وقد كنا ذكرنا مولده (٣) فى سـنة سبع وعشرين وستمائة ، وأنه ولد للملك العزيز فى تلك السنة ولدان آخران هما الملك العـادل والملك الظاهر وماتا فى تلك السـنة (٤) . وكانت أم الملك الناصر [جارية (٥)] تركية أولدها الملك العزيز الملك الناصر [وأخيه (٦)] الملك الظاهر . ولم يخلف الملك العزيز ذكرا غيرهما . وأولدها أيضا بنتا واحدة تزوجها الملك الأمجـد مجـد الدين حسن بن الملك الناصر داود [صاحب الكرك (٧)] ، ومات عنها بعد أن أولدها ولدا ذكرا .

وخلف الملك العزيز بنتين (٨) أخريين إحداهما أمها فاطمة خاتون بنت (٩) السلطان الملك الكامل وتسمى (١٠) عائشة خاتون تزوجها مولانا السلطان الملك المنصور بن الملك

---

(١) ورد العنوان فى صيغة مختلفة و بنفس المعنى فى نسخة س ، والصيغة المثبتة من م .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٣) انظر ما سبق ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ص ٢٨٣ ، والسـطور التالية حتى « وقام بتدبير . . » وردت فى غير مكانها فى نسخة س ق ٢٠١ أ .

(٤) فى نسخة س « وماتا فى حياة أبيهما الملك العزيز » والصيغة المثبتة من م .

(٥ ــ ٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٨) فى نسخة س « إبنتين » والصيغة المثبتة من م وكلاهما صحيح .

(٩) فى نسـخة س « من بنت » وهو تصحيف ، والصيغة الصحيحة المثبتة من نسـخة م ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٢٠٧ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

(١٠) فى نسخة س « والأخرى تسمى » وهو تصحيف كما يفهم من سياق المعنى ، والصيغة المثبتة من م .

المظفر [قدس الله روحه](١) وأولدها [ولده مولانا السلطان مالك الرق الملك](٢) المظفر تقى الدين محمود [أخلد الله سلطانه](٣) ؛ والأخرى أمها أم ولد [تسمى غازية خاتون(٤) عُقِدَ عقدها بحلب على السلطان غياث الدين كيخسرو ابن كيقباذ فمات ولم تحمل إليه(٥) ، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى . ثم تزوجها](٦) الملك السعيد بن الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل وماتت عنده . فهؤلاء أولاد الملك العزيز — رحمه الله — الذين عاشوا بعده إبنان وثلاث بنات . وكان عمر الملك الناصر بن الملك العزيز لما ولى الملك بعد أبيه نحو سبع سنين .

وقام بتدبير مملكته(٧) الأميران شمس الدين لؤلؤ الأمينى وعز الدين عمر بن محلّى ، ووزير الدولة القاضى جمال الدين القفطى(٨) ، و جمال الدولة إقبال الخاتونى يحضر بينهم(٩) فى المشورة ، فإذا اتفق رأيهم على شيء دخل جمال الدولة(١٠) إقبال إلى الصاحبة ضيفة خاتون بنت السلطان الملك العادل ، وعرفها مااتفق رأى الجماعة عليه [فتأذن لهم فى فعله ، والعلامات على التواقيع والمكاتبات إليها](١١) . فكانت الأمور كلها منوطة(١٢) بها .

(١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى هامش نسخة م .

(٢ — ٣) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٤) يقصد غازية خاتون ابنة الملك العزيز ، انظر زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ .

(٥) عن هذا الزواج انظر ابن العديم ، نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٦) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٧) فى نسخة س « الملك » والصيغة المثبتة من م .

(٨) فى نسخة س « جمال الدين الأكرم » والصيغة المثبتة من م .

(٩) فى نسخة م « معهم » والصيغة المثبتة من س ومن ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢٥) .

(١٠) فى نسخة س وكذلك فى المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٠٢) « الستر الرفيع » والصيغة المثبتة من م .

(١١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وكذلك من ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢٥) .

(١٢) فى نسخة س « منوطة » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من م .

ولما تقررت [هذه] (١) القـواعد [كما ذكرنا] (٢) توجه القاضى زين الدين ابن الأستاذ (٣) — رحمه الله — وبدر الدين بدر بن أبى الهيجاء رسولين إلى السلطان الملك الكامل ، واستصحبا معهما كراغند (٤) الملك العزيز — رحمه الله — وزرديته وخوذته ومركوبه . فلما وصلا إلى مصر وأديا الرسالة وأحضرا (٥) ما معهما ، أظهر [الملك الكامل] (٦) الألم والحزن لموته ، وقصر فى إكرامهما وعطائهما ، وحلف للملك الناصر على الوجه الذى اقترح عليه . وخاطب الرسولين بما يشير به (٧) من تقدمة الملك الصالح بن الملك الظاهر صاحب عين تاب على العسكر ، وأن يقوم بتربية (٨) ابن أخيه الملك الناصر . ولما رجع الرسولان إلى حلب وأنهيا إلى الصاحبة ذلك لم تره صوابا ، وكذلك الجماعة القائمون بترتيب أمر الدولة .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى م .

(٢) ما بين الحاصرتين من س وساقط من م .

(٣) فى نسخة س « قال قاضى القضاة جمال الدين صاحب هذا التاريخ : فوجه الملك الناصر القاضى زين الدين قاضى حلب . . » والصيغة المثبتة من م ، انظر أيضا ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

(٤) الكزاغند أو القزاغند معناه المعطف القصير يلبس فوق الزردية ، انظر ما سبق ابن واصل ، ج ٢ ، ص ٤٤ ، حاشية ٥ .

(٥) فى نسخة س « وأحضرا » والصيغة المثبتة من م .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٧) فى نسخة س « بما يشير به عنده » وفى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢٦) « بما يشيران به عنه » والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٨) فى نسخة س « بتدبير » ولعله تصحيف ، والصيغة المثبتة من نسخة م ، انظر أيضا ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢٦) .

ثم بعد مدة سير السلطان الملك الكامل خلعة للملك الناصر بغير مركوب، وسير عدة خلع لأمراء الدولة، وسير مع رسول آخر خلعة للملك الصالح بن الملك الظاهر صاحب عين تاب على أن يمضى بالخلعة[1] إليه إلى عين تاب [١٩٥ ب] فاستشعرت الصاحبة وأرباب الدولة من ذلك . وحصل عند الصاحبة وحشة [عظيمة][2] من أخيها الملك الكامل بسبب ذلك ؛ فاتفق رأى الجماعة على أن لبس الملك الناصر خلعة الملك الكامل ، ولم يخلع على أحد من الأمراء شئ مما سير إليهم ، وردوا الرسول الوارد إلى الملك الصالح بخلعته ، ولم يمكنوه من الوصول إليه . واستحكمت الوحشة فى قلوبهم من الملك الكامل[3] .

ذكر اتفاق الملوك على مباينة الملك الكامل

قد ذكرنا استيحاش الملوك من الملك الكامل لما قصد بلاد الروم[4] . ولما كانت هذه السنة وجرى ماذكرناه من موت الملك العزيز [صاحب حلب][5] وماجرى من الملك الكامل من إشارته بتقديم الملك الصالح بن الملك الظاهر على عسكر حلب ، وإنفاذ الخلع إلى الأمراء بها ، واستيحاش [الصاحبة][6] والدة الملك العزيز [وأرباب الدولة][7] من ذلك ، راسل السلطان الملك الأشرف أخته الصاحبة بحلب [والجماعة][8] على أن تكون كلمتهم واحدة على الملك الكامل ، وأنهم يتفقون على منعه من

(١) فى نسخة م « على أن يمضى الخلعة » ، والصيغة المثبتة من س .
(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(٣) عن هذه الوحشة انظر أيضا ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .　(٤) انظر ماسبق ص ٧٧
(٥ — ٦) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م
(٧) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة م ومثبت فى س
(٨) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

النزول إلى الشام ، وأن يقتصر على الديار المصرية ، وعلى أن يكاتبـوا السلطان علاء الدين [كيقباذ](١) صاحب الروم ليكون معهم على ذلك .

وكان المؤكد لهـذا الأمر عنـد الملك الأشرف والمحسّن له أن يبـاين أخاه الملك الكامل بعد ما كان بينهما من الاتفاق العظيم ، أنه تتابعت عليه من أخيه الملك الكامل أفعـال كثيرة أوجبت ضيق صـدره ، وكان يغض على نفسـه(٢) ويحتملها ؛ من ذلك أنه أخذ منـه بلاده الشرقية حين أعطاه مدينـة دمشق(٣) ، وأخذ من مضافات(٤) دمشق مواضع متعـددة . [واتفـق مع ذلك ما ذكرنا(٥) من استيلاء علاء الدين سلطان الروم على بلاد خلاط منـه وهى مملكة عظيمة تقارب مملكة مصر(٦)] . فضاق ما بيـد الملك الأشرف جداً(٧) . وكان المـلك الكامل ينزل

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٢) فى نسخة س « وكان يعرض على نفسه » ، ولعله تصحيف والصيغة المثبتة من نسخة م ، وكذلك ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢٦) ، وورد هذا الخبر مختصرا فى المقريزى : السلوك ، ج ١ ص ٢٥٤ .

(٣) فى نسخة س « من ذلك أنه أخذ من بلاده الشرقية حين أعطاه مدينة دمشق شىء كثير » ، والصيغة المثبتة من م .

(٤) فى نسخة س « مناصفات » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .

(٥) انظر ما سبق ص ٩٨ . (٦) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٧) ذكر ابن أيبك الدوادارى (الدر المطلوب ، ج ٧ ص ٣١٧ — ٣١٨) معلومات هامة عن أسباب الخلاف بين الأشرف والكامل هى : (وفيها وقع الخلف بين الأشرف والسلطان الكامل ؛ وذلك أن الملك الأشرف استخدم الخوارزمية الذين كانوا فى عسكر السلطان جلال الدين وقويت شوكته ، فسير طلب من السلطان الرقة . وكان الملك الكامل لما عزم على أخذ الروم قال أسد الدين صاحب حمص للأشرف : « متى أخذ الروم تعينا به ، وبقينا بين يديه يقلبنا كيف شاء » ، فاتفقا عليه . وفهم الكامل منهما ذلك فعجل فى عودته إلى مصر حسبما تقدم من الكلام . وبعث الأشرف يقول له : « أخذت الشرق منى وأعطيته لولدك وقد افتقرت ، وايش هى دمشق إلا بستان ومالى فيها رزق » . فبعث إليه الكامل بعشرة آلاف دينار فردها الأشرف عليه وقال : « أنا أعطى هذه لأمير عندى » . فغضب الكامل وقال : « إيش يعمل الأشرف بالملك ؟ تكفيه عشرته للمغانى وتعليمه صناعتهم » . فبلغ ذلك الأشرف فقال : « والله لأعرفنه قدره ») انظر أيضا سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٦٣ .

فى كل سنة إلى دمشق فى عبوره إلى الشرق و رجوعه منه فيقيم بدمشق مدة ويحتاج الملك الأشرف فى ضيافته وضيافة أصحابه إلى جملة كثيرة . وقبض أيضا [١١٩٦] الملك الكامل على أملاك الملك الأشرف التى بحران والرقة والرها وسروج ورأس عين وعلى جميع أملاكه التى ملكها بتلك البلاد . وفتح [الملك الكامل][١] آمد وهو فى صحبته ولها بلاد كثيرة وهى مملكة واسعة ، فلم يطلق له منها شيئا ، وخذله فى انتزاع سلطان الروم [بعض ممالك][٢] خلاط منه فلم ينصره عليه ولم يعاضده . فلهذا وأشباهه مضافا إلى ما كان بلغه وقت دخول الدربند [ببلاد الروم][٣] عنه من انتزاع الشام من الجماعة [ملوك البيت الأيوبى][٤] وتعويضهم ما يملكه[٥] من بلاد الروم قوى عزمه على منابذته والممالأة عليه .

وكان الملك المجاهد أسد الدين شيركوه — صاحب حمص — من أشد الجماعة موافقة على ذلك وقياما فيه ، لكن الملك المظفر — صاحب حماة — كان مائلا إلى خاله الملك الكامل لأنه الذى ملّكه حماة [[٦] بعد انتزاعها من أخيه الملك الناصر وصاهره [وأذن له بعد ذلك فى انتزاع بعرين منه][٧][٨] . فاتفق الملك الأشرف والملك المجاهد والحلبيون على أن يستميلوه[٩] إليهم إذ لا يتم غرضهم بخروجه عنهم ، وأنه إن لم يوافقهم حاربوه . فتوسط الملك المجاهد [صاحب حمص][١٠] بينه وبين

(١ — ٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٥) فى نسخة س « مالمكه » والصيغة المثبتة من م .

(٦ — ٧) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٨) فى نسخة س « فاتفقوا على أن ... » ؛ والصيغة المثبتة من م .

(٩) أى الملك المظفر صاحب حماة .

(١٠) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

الملك الأشرف، ولم يزل به إلى أن أجاب إلى الاتفاق معهم خوفا منهم على بلاده، وهو فى الباطن مع الملك الكامل. فألزمه الملك المجاهد أن يمضى إلى دمشق ويجتمع بالملك الأشرف ويحلف له. فأجاب الملك المظفر إلى ذلك، وسار إلى دمشق، واجتمع بالملك الأشرف وحلف له، ثم رجع إلى حماة. وانتظمت كلمة الكل على ذلك.

وبينما هم يبرمون(١) هذه القاعدة، [وقد سيروا رسلا إلى علاء الدين ليحلف لهم وتصير كلمتهم واحدة(٢)] إذ وقع من الاتفاق موت السلطان علاء الدين فى أول شوال(٣) من هذه السنة، وقام ولده غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ فى الملك مقامه(٤). [وكان الرسول من جهة الملك الأشرف القاضى شمس الدين الخويى(٥) قاضى دمشق، رحمه الله، ومن جهـة الملك المظفر صاحب حماة الشيخ شرف الدين عبـد العزيز محمد الأنصارى، ومن الحلبيين الصاحب كمال الدين عمر بن أبى جرادة المعروف بابن العديم. ومات علاء الدين قبـل اجتماعهم فاجتمعوا بالسلطان غياث الدين [١٩٦ ب] كيخسرو بن علاء الدين كيقباذ، فأدوا الرسالة إليـه واستحلفوه على القاعدة التى وقع الاتفاق عليها. وكان تحليف كمال الدين له فى ذى القعـدة من هذه السنة(٦)].

(١) فى نسخة س « يرتبون »، والصيغة المثبتة من م.

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س.

(٣) كذا فى نسختى المخطوطة وفى المقريزى (السلوك، ج ١ ص ٢٥٤) « سابع شوال ».

(٤) وردت الجملة مع بعض الاختلاف فى نسخة س، والصيغة المثبتة من م.

(٥) انظر ما سبق ص ٣٩ وحاشية ٣.

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة م وورد فى نسـخة س مختصرا: « فاتفقوا على أن يسيروا من يستحلفه على الموافقة معهم على ما اتفقوا عليه » وذكر ابن العديم (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٣٢): « وسيرت رسولا إلى ابنه غياث الدين كيخسرو القائم فى الملك بعده بالتعزية وتجديد الأيمان عليه على القاعدة التى كانت مع أبيه، فحلفته على ذلك فى ذى القعدة ».

ذكر مسير الملك الناصر داود بن الملك المعظم إلى الديار المصرية واتفاقه مع عمه السلطان الملك الكامل(١)

ولما جرى ما ذكرناه ، أرسل الملك الأشرف إلى [ابن أخيه](٢) الملك الناصر [داود](٣) يدعوه إلى موافقته وأن ينتظم فى سلكه كما فعل صاحب حمص وصاحب حماة والحلبيون [وسلطان الروم](٤) ، وأن يحلف(٥) على ذلك ، وشرط له أن [الملك الناصر](٦) يكون ولى عهده ويزوجه ابنته ؛ ولم يكن للملك الأشرف ولد غيرها .

وعند ورود رسوله إليه بذلك ورد على الملك الناصر من الملك الكامل القاضى الأشرف بن القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى(٧) يدعوه إلى موافقته ويقول [له](٨) : « أنت تعلم غدر الملك الأشرف ، وأنه لما مات أبوك الملك المعظم التجأت إليه وأعرضت عن جانبى ، فأدى ذلك إلى أن غدر بك ومالأ عليك ، وأخذ دمشق منك ، ولو كنت التجأت إلىّ لم يذهب منك من مُلك أبيك شىء .

---

(١) فى نسخة س « ذكر توجه الملك الناصر داود بن الملك المعظم إلى الملك الكامل واتفاقه معه » ، والصيغة المثبتة من م .

(٢ — ٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى م .

(٥) فى نسخة س « يحلفوا » وهو تصحيف كما يفهم من السياق ، والصيغة المثبتة من م .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى م .

(٧) هو القاضى الأشرف بهاء الدين أبو العباس أحمد بن القاضى الفاضل ، وكان القاضى الأشرف كوالده كبير المنزلة عند الملوك ، ولد سنة ٥٧٣ هـ بالقاهرة ومات بها سنة ٦٤٣ هـ ، انظر ابن خلكان (وفيات الأعيان . ترجمة القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى) .

(٨) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م . والسطور التالية إلى نهاية الفقرة وردت فى نسخة س فى صيغة مختلفة ولكن بنفس المعنى والصيغة المثبتة من م .

والآن فقد بلغنى أنه وعدك أنه يجعلك ولى عهده [فى دمشق ، وأنت تعلم عـدم وفائه](١)،وأنا التزم لك إن وافقتنى أن أخرج معك بعساكرى وانتزع دمشق منـه وأسلمها إليك ناجزا ، وترجع إليك مملكة والدك كلها » .

ولما ورد على المـلك الناصر رسالة عميه الملك الأشرف والملك الكامل بما أرسـلا به إليـه حار فى أمره فاستشار(٢) والدته فيما يفعـل [ولمن يوافق منهما(٣)] ، فأشارت عليه [بأن يكون موافقا للملك الكامل ويمضى إلى خدمته لئلا يجرى عليه ماجرى فى المرة الأولى . فصمم عزمه على ذلك ورحل إلى الديار المصرية صحبـة القاضى الأشرف . فسير القـاضى الأشرف يُعلم الملك الكامل ذلك ، فسر بذلك وأمر بترتيب الإقامات الكثيرة له ، واحتفل به والتقـاه أحسن ملتقى، وزينت القاهرة له(٤)] .

وأنزله بدار الوزارة ثم خلع عليه خلع(٥) السلطنة ، وأركبه بالسناجق السلطانية، وأمر الأمراء ومن عنده من المـلوك أن يحملوا الغاشية(٦) [١٩٧ ا] بين يديه [بالنوبة(٧)] . وأول من حمل الغاشية بين يديه الملك العادل سـيف الدين أبو بكر ابن الملك الكامل ، ولى عهد أبيه ، ثم حملها ابن عمه الملك الجـواد مظفر الدين

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٢) فى نسخة س « وشاور » والصيغة المثبتة من م .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى م .

(٤) ما بين الحاصرتين ورد فى صيغة مختلفة فى نسخة س ، والصيغة المثبتة من م .

(٥) فى نسخة س « خلعة » ، والصيغة المثبتة من م .

(٦) عن الغاشية ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى، ج ٤ ، ص ٧ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٥ حاشية ٢ .

(٧) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة م ومثبت فى س ، انظر أيضا المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

يونس بن مودود بن الملك العادل [بن أيوب](١) ، ثم حملها الأمراء على مراتبهم واحدا بعد واحد(٢) إلى أن صعد إلى القلعة . ثم أمر الملك الكامل بتجديد عقده على [ابنة عمه](٣) عاشورا خاتون [بنت السلطان الملك الكامل](٤) فجدد العقد . [وبلغنى أنه كتب الملك الناصر لما جرى ذلك إلى نائبه بالكرك يخبره بإحسان الملك الكامل إليه . وتمثل فى الكتاب ببيت من أبيات أبى الطيب المتنبى وهو](٥) :

سيعلم قوم خالفونى وشرّقوا   وغرّبت أنى قد أصبت وخابوا(٦)

وأرسل الملك الأشرف والموافقون له رسلا إلى الملك الكامل يقولون له(٧) : « إنا قد اتفقت كلمتنا ، ونطلب منك إنك لا تعود تخرج من مصر ولا تنزل إلى الشام ، وتحلف لنا على ذلك » . فلما سمع رسالتهم(٨) قال لهم : [« أنتم قد اتفقتم ، فما تطلبون من يمينى ؟ احلفوا لى أنتم أيضا أن لا تقصدوا بلادى ، ولا تتعرضوا لشىء مما فى يدى ، وأنا أوافقكم على ما تطلبون »(٩)] . ثم اتفق أنه

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة م ومثبت فى س .

(٢) فى نسخة س « واحد » والصيغة المثبتة من م .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى م .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من م ومثبت فى س .

(٥) ورد ما بين الحاصرتين فى صيغة مختلفة فى نسخة س والصيغة المثبتة من م .

(٦) كذا فى نسختى المخطوطة وورد البيت فى الديوان كما يلى :

وأعلم قوما خالفونى فشرقوا   وغربت أنى قد ظفرت وخابوا

انظر : ديوان أبى الطيب المتنبى ، ط . برلين ١٨٦١ ، ص ٦٨٧ ؛ اليازجى ، العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب ، ج ١ ، ص ٥٢٠ .

(٧) فى نسخة س « فلما تقررت القاعدة أرسلوا رسلا من جهتهم إلى الملك الكامل إلى مصر وقالوا له » والصيغة المثبتة من م .

(٨) فى نسخة س « فلما مضت رسلهم بذلك إلى الملك الكامل » والصيغة المثبتة من م .

(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س وورد مع قليل من الاختلاف فى م ، انظر ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢٨) .

عرض للملك الأشرف مرض ولحقــه ذرب[1] ، فكان لا يستقر الطعام فى معدته ، وطال مرضه واتصل إلى أن خرجت هذه السنة [وهى سنة أربع وثلاثين وستمائة[2]] .

ذكر[3] المتجددات فى هذه السنة

أن شهاب الدين [يوسف بن عز الدين مسعود بن سابق الدين عثمان[4]] الذى كان صاحب شيزر اتفق هو وكمال الدين بن العجمى[5] على أن سيّرا رجلا من جهتهما يقال له عز الدين بن الأطفانى[6] إلى المــلك الأشرف يطمعانه فى ملك حلب . ووِعـدا[7] من أنفسهما أنهــا يساعدانه بأموالهما[8] . [وأوهمه الكمال بن العجمى أن أقاربه وجماعة كثيرة من الحلبيين يبايعونه ويوافقونه على ذلك . وأوهمــه شهاب الدين صاحب شيزر أن معظم الأمراء بحلب يوافقونه عليــه[9]] . واشترط كمال الدين على الملك الأشرف أن يوليه قضاء حلب إذا أخذها[10] فمضى رسولهما

---

(١) فى نسخة س « فاتفق فى هــذا الوقت أنه مرض الملك الأشرف بالذرب » والصيغة المثبتة من م ، والذرب هو مرض اسـتطلاق البطن المتصل وهو من الأمراض المزمنة ، انظــر المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٥ حاشيه ١ .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٣) فى نسخة س « ومن » ، والصيغة المثبتة من م .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٥) فى نسخة م « الكمال العجمى » ، والصيغة المثبتة من س .

(٦) الكلمة غير واضحة فى نسختى المخطوطة والصيغة المثبتة من ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢٨) .

(٧) فى نسخة س « ووعداه » ، والصيغة المثبتة من م .

(٨) فى نسخة س « يساعدانه بأنفسهما وأموالهما » ، والصيغة المثبتة من نسخة م ومن ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢٨) .

(٩) ورد مابين الحاصرتين فى نسخة س مع بعض التقديم والتأخير ، والصيغة المثبتة من م .

(١٠) فى نسخة م « أن يولى قضاء حلب » ، والصيغة المثبتة من س .

عز الدين المذكور إلى الملك الأشرف بدمشق [واجتمع بفُلك الدين المسيرى، وكان متقدما فى الدولتين الكاملية والأشرفية](١)، وذكر له الأمر الذى جاء بسببه . [فذكر فلك الدين ذلك للملك الأشرف فأنكره](٢) ولم يجب إليه، وأجاب بأنه لا يمكن أن يبدو(٣) منى غدر(٤) ولا قبيح فى حق أحد من ذرية الملك الظاهر(٥) .

واتصل هذا الخبر(٦) بالصاحبة [إبنة السلطان الملك العادل](٧) والمقدمين بحلب، فسيروا من وقف للرسول فى طريقه . فلما رجع الرسول [إلى حلب](٨) قُبض عليه وأُصعد(٩) إلى القلعة، وسئل عن الحديث، فأخبرهم به على فصه(١٠) فحبس، وحُلقت لحيته، وسُيِّر(١١) [به](١٢) إلى دربساك، فاعتقل بها . وأُحضر كمال الدين بن العجمى

(١) مابين الحاصرتين من نسخة م وفى س « واجتمع ببعض خواصه » .
(٢) مابين الحاصرتين من نسخة م وفى س « فلما بلغ ذلك الملك الأشرف ... » .
(٣) كذا فى نسختى المخطوطة وفى ابن العديم (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٢٩) « يبدر » .
(٤) فى نسخة س « غرر » وهو تصحيف، والصيغة المثبتة من م ومن ابن العديم، ص ٢٢٩ .
(٥) ذكر ناسخ نسخة س بعد ذلك « وكان الشخص المتكلم فى ذلك بين الملك الأشرف ورسول المذكور بن فلك الدين بن المسيرى » .
(٦) فى نسخة م « الأمر » والصيغة المثبتة من نسخة س ومن ابن العديم (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٢٩) وذكر ابن العديم أن فلك الدين المسيرى أخبره بأنه هو الذى كان المتكلم بين الملك الأشرف وبين رسولهما .
(٧) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(٨) مابين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .
(٩) فى نسخة س « وصعد »، والصيغة المثبتة من م ومن ابن العديم (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٢٩) .
(١٠) كذا فى نسخة م وفى ابن العديم (نفس الجزء والصفحة) وفى نسخة س « قصته » وورد فى لسان العرب، ج ٨، ص ٣٢٣ أن فص الأمر أصله وحقيقته .
(١١) فى نسخة س « بحلس بعد أن حلقت لحيته » وهو تصحيف، والصيغة المثبتة من م وانظر ابن العديم (نفس الجزء والصفحة) .
(١٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

وشهاب الدين صاحب شيزر فاعتقلا بالقلعة[(١)]، وأُخذت أموال شهاب الدين جميعها، [فيقال أنها كانت أربعين عجلة محملة ذهب وفضة[(٢)]]. ولم يتعرضوا[(٣)] لأمـوال كمال الدين بن العجمي تطييبا لقلوب أهله. وهذا الحديث كان فى جمادى الأولى من هذه السنة، فداما فى الاعتقال[(٤)] إلى أن مات الملك الكامل ثم أطلقا[(٥)].

ومن المتجددات[(٦)] فى هـذه السنة أن أميرا من أمراء التركمان يقـال له قنغـر جمع جمعا [كثيرا[(٧)]] من التركمان بعد وفاة الملك العزيز، وعاث[(٨)] فى البلاد وأطراف حلب من ناحية قُورُس[(٩)]، ونهب ضياعا متعددة، وكان يغار[(١٠)] ويدخل إلى بلد الروم[(١١)]، فخرج إليه عسكر حلب فكسرهم ونهبهم. فتخوف[(١٢)] المقدمون بحلب أن يكون ذلك بأمر سلطان الروم، فسيروا إليه رسولا فى معناه. فأنكر ذلك وأمره برد ما أخذه[(١٣)] من بلد حلب. فردّ بعضه، وانكف عن العيث والفساد[(١٤)].

(١) فى نسخة س «واعتقل»، والصيغة المثبتة من م.

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م.

(٣) فى نسخة س «ولم يتعرض» والصيغة المثبتة من م.

(٤) فى نسخة س «الحبس» والصيغة المثبتة من م.

(٥) فى نسخة س «إلى أن ماتا السلطانين الأشرف والملك الكامل» والصيغة المثبتة من م، انظر ابن العديم (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٢٩).

(٦) فى نسخة س «ومن الحوادث» والصيغة المثبتة من م.

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م.

(٨) فى نسخة س «وغار» والصيغة المثبتة من م ومن ابن العديم، ص ٢٢٩.

(٩) قورس كانت كورة من نواحى حلب؛ وذكر ياقوت (معجم البلدان) أنها كانت فى أيامه خرابا.

(١٠) كذا فى نسختى المخطوطة وفى ابن العديم، ص ٢٣٠.

(١١) فى نسخة م «بلاد» والصيغة المثبتة من س ومن ابن العديم.

(١٢) فى نسخة م «نخاف» والصيغة المثبتة من س، وفى ابن العديم (نفس المصدر، ج ٣، ص ٢٣٠) «وتخوف».

(١٣) فى نسخة س «ما أخذ» والصيغة المثبتة من م ومن ابن العديم.

(١٤) فى نسخة س «فرده ولم يرد الكل وكف من العيث والفساد»، والصيغة المثبتة من نسخة م ومن ابن العديم.

وبذل سلطان الروم من نفسه الموافقة والنصرة للسلطان الملك الناصر [بن الملك العزيز](١) ، ومنع من يقصده أو يتعرض لبلاده بأذى أو فساد . فسير إليه من حلب تقدمة سنية على يد [الأمير](٢) شرف الدين أمير جاندار(٣) ، فأكرم الرسول إكراما كثيرا ، وسير إليه [القاضى العلامة](٤) أوحد الدين الدوينى [رحمه الله ، وكان إمام وقته فى علم الخلاف](٥) فاستحلفه للسلطان الملك الناصر فى الذب عن بلاده ودفع(٦) من يقصدها [بأذى](٧) .

ذكر الوقعة بين عسكر السلطان الملك الناصر صاحب حلب والفرنج(٨)

كانت(٩) بغراس من جملة فتوح السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب — رحمه الله — [١٩٨ ا] وقد تقدم ذكر ذلك(١٠) ، ثم هدمت كما ذكرنا

---

(١) مابين الحاصرتين من س وساقط من م .

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى م .

(٣) كذا فى نسختى المخطوطة ، وفى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٠) « شرف الدين ابن أمير جاندار » .

(٤) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى م .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة م وورد بدله فى س « قاضى منبج » ، بينما ورد فى ابن العديم (ج ٣ ، ص ٢٣٠) « قاضى خلاط » .

(٦) فى نسخة م « ومنع » والصيغة المثبتة من س ومن ابن العديم (نفس المصدر والجزء والصفحة) .

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٨) فى نسخة س « ذكر إيقاع عسكر السلطان الملك الناصر صاحب حلب بالفرنج » والصيغة المثبتة من م .

(٩) فى نسخة م « كان » والصيغة المثبتة من س .

(١٠) فى نسخة س « ذكره » والصيغة المثبتة من م ، انظر ما سبق ابن واصل ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ — ٢٦٩ .

فاستولى عليها الداوية وعمروها، فخرجوا فى هـذه السنة بعد موت الملك العزيز وأغاروا على العمق ، واستاقوا أغنـاما للتركمان ومواشى كثيرة لهم ولغيرهم[١] . فسير إليهم من حلب الملك المعظم [فخـر الدين[٢]] تورنشاه بن صلاح الدين[٣] مقدما على عسكر حلب ، فنازل بهم بغراس وحصرها مدة ، حتى تهـدم[٤] مواضع من سورها بالمنجنيق[٥] ، وفقد[٦] ما كان عند أهلها من الذخائر ، وأشرفت على الأخذ ، فشفع فيهـم الأبرنس — صاحب أنطاكية[٧] — بعـد أن كان مغاضبا لهم ، فرأى الملك المعظم[٨] والعسكر المصلحة فى إجابته إلى ذلك ، وعقدوا الهـدنة مع الداوية على بغراس ، فرحلوا عنها ، ولو أقاموا [عليها[٩]] يومين آخرين لملكوها .

ثم سار العسكر عن بغراس بعد أن خربوا بلدها خرابا شنيعا ونزلوا بالقرب من دربساك ، فجمعت الداوية جمعـا كثيرا واستنجدوا بصاحب جبيـل وغيره من الفرنج ، وجمعـوا راجلا كثيرا ، وساروا من جهة حجر شغلان[١٠] إلى دربساك ، ليكبسوا ربض دربساك على غرة من أهله ، ولينالوا غرضا منـه[١١] . وفطن بهم

(١) كذا فى نسختى المخطوطة وفى ابن العديم (زبـدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٠) « ومواشى لغيرهم كثيرة » .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .

(٣) أى ابن الملك الناصر (الثانى) صلاح الدين يوسف ، تولى حلب سنة ٦٣٤ هـ .

(٤) فى نسخة س « هدمت » والصيغة المثبتة من م .

(٥) فى نسخة س « بالمناجنيق » والصيغة المثبتة من م .

(٦) فى نسخة س « ونفذ » والصيغة المثبتة من م .

(٧) كان أمير أنطاكية فى هذه السنة بوهمند الخامس (١٢٣٣ — ١٢٥١) .

(٨) فى نسخة س « الملك الناصر » والصيغة المثبتة من م ولعلها الصحيحة .

(٩) مابين الحاصرتين ساقط من م ومثبت فى س وفى ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٣١ .

(١٠) ذكر المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٤١) أن حجر شغلان من حصون الأرمن .

(١١) فى نسخة س « ولينالوا منهم غرضا » وفى ابن العديم (بغية الطلب ، ج ٣ ، ص ٢٣١) « وأن ينالوا منه غرضا » والصيغة المثبتة من م .

مَن بالربض من الأجناد واستعدوا لهم . ونزل لمساعدتهم جماعة من أجناد القلعة . ووصل إليهم الفرنج فقاتلوهم قتالا شديدا ، وحموا الربض منهم .

وبلغ الخبر العسكر الإسلامى النازل قريبا منهم ، ومقدمهم الملك المعظم [ابن صلاح الدين] (١) ، فركبوا وساقوا إليهم ، وقد تعبت الفرنج ، وكلّت خيولهم ، فوقع المسلمون عليهم وبذلوا فيهم السيف فانهزم الفرنج هزيمة شنيعة ، وقتل منهم خلق [كثير] (٢) . واستولى المسلمون على فارسهم وراجلهم ، وكان فيهم جماعة من المقدمين . واختبى (٣) جماعة [منهم] (٤) من الخيالة والرجالة خلف الأشجار فى الجبل ، فأُخذوا ولم ينج منهم إلا القليل . وكان هذا الفتح من الفتوح الجليلة المشهورة . [ورجع العسكر الحلبى مظفرا منصورا ، ودخل العسكر إلى حلب ورؤس الفرنج محمولة على الرماح ، والأسرى معهم . وكان يوم دخولهم يوما مشهودا . ثم حبست الأسارى فى القلعة ، وأُنزلوا بعد ذلك إلى الخندق] (٥) .

ذكر استخدام الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن السلطان الملك الكامل [بن الملك العادل] (٦) — صاحب البلاد الشرقية — للخوارزمية

[١٩٨ ب] كنا ذكرنا فى حوادث سنة تسع وعشرين وستمائة (٧) أن السلطان

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م وفى ابن العديم (نفس المصدر والجزء والصفحة) « وقتل منهم خلق عظيم » .

(٣) كذا فى نسختى المخطوطة والمقصود « واختبأ » ، انظر أيضا ابن العديم (نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٣٢) الذى اعتمد ابن واصل عليه كثيرا عند ذكر هذا الخبر .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .

(٥) ورد مابين الحاصرتين فى نسخة س فى صيغة مخالفة ، والصيغة المثبتة من م .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٧) فى نسخة س « سنة ثلاثين وستمائة » ، والصيغة المثبتة من م ، انظر ماسبق ص ١٢ ، ١٦-١٧ .

[الملك الكامل[(١)]] [لما سار من الديار المصرية إلى الشرق لفتح آمد[(٢)]]، تقدم إلى ولده الملك الصالح بالمضى إلى الشرق [ليكون نائبه بها وولى عهده فى مملكتها[(٣)]] . وأنه سار إلى الشرق بجماعته وأهله وأولاده . وأنه ترتب فى الشرق نائبا عن أبيه ومعـه الطواشى شمس الدين صواب العـادلى، والملك الصالح عنـده لا يتصرف فى شىء من الممـالك ، وإنمـا هو فى صورة النائب عن أبيه فى الملك والمعهود إليه بالسلطنة [بعده[(٤)]] .

ثم توفى شمس الدين صـواب[(٥)] فسلم السلطان الملك الكامل إلى الملك الصـالح حصن كيفا وما فيـه من الذخائر والمـال ، وجعل له الحكم فى[(٦)] البـلاد . فصار [المـلك الصالح[(٧)]] يحكم فى آمد وبلادها وحران والرقة والرها وسروج ورأس عين وما يتبع ذلك من البلاد . وكنا ذكرنا[(٨)] هلاك السلطان جلال الدين [بن علاء الدين[(٩)]] خوارزم شاه بعد كبس التتر[(١٠)] له بالقرب من آمد ، وأن عساكره تفرقت وتشتتت[(١١)] ، ثم اجتمعوا وقصدوا جهـة بلاد الروم فاستخدمهم السلطان علاء الدين [كيقباذ ابن كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقى[(١٢)]] وتقوى بهم . وكانت عدتهم تزيد على

(١) مابين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .
(٢ — ٣) مابين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .
(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(٥) فى نسخة س « ثم أنه توفى صواب » والصيغة المثبتة من م .
(٦) فى نسخة س « على » والصيغة المثبتة من م .
(٧) مابين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .
(٨) انظر ماسبق ، ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٣٢٠ ومابعدها .
(٩) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(١٠) فى نسخة س « بعد أن كبسه التتر » والصيغة المثبتة من م .
(١١) فى نسخة س « وأن عساكره تشتتوا » والصيغة المثبتة من م .
(١٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

اثنى عشر ألف فارس ، ولهم جماعة من المقدمين منهم حسام الدين بركة خان وكشلوخان [و بردى خان](١) وساروخان وفرخان فأقاموا فى خدمة علاء الدين إلى أن توفى ، وملك والده غياث الدين كيخسرو فقبض على بركة خان(٢) وكان أكبر المقدمين فيهم ، فهربت الخوارزمية من الروم ونهبوا ما فى طريقهم من بلاد الروم وما قدروا عليه(٣) ، وعبروا الفرات ، فاستمالهم السلطان الملك الصالح [نجم الدين أيوب](٤) ، وكتب إلى والده الملك الكامل يستأذنه فى استخدامهم [عنده](٥) فأذن له فى ذلك ، فاستخدمهم وأقطعهم مواضع بالجزيرة(٦) ، وتقوى بهم . [ثم خلص مقدمهم بركة خان من يد غياث الدين كيخسرو ملك الروم](٧) . [و بركة خان(٨) مقدمهم والمرجوع إليه فى أمورهم](٩) .

---

(١) فى نسخة م «وخان بردى» والصيغة المثبتة من س ، انظر ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٠) .

(٢) فى نسخة م «فرخان» ، والصيغة المثبتة من نسخة س ولعلها الصحيحة كما يفهم من سياق المعنى .

(٣) فى نسخة س « ونهبوا فى طريقهم من الروم ما قدروا عليه » والصيغة المثبتة من م .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة م وورد بدلها فى س « بن الملك الكامل » .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٦) فى س « بالبلاد الجزرية » والصيغة المثبتة من نسخة م ، وفى المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٥) « بالبلاد الجزرية » .

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٨) فى الأصل « بركتخان » وسبق أن ورد الاسم بالصيغة المثبتة .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .

ودخلت سنة خمس(1) وثلاثين وستمائة(*)

والسلطان الملك الكامل [مقيم](2) بالديار المصرية وعنـده ابن أخيـه الملك الناصر داود [بن الملك المعظم](3) [نازلا بدار الوزارة](4) وقد اشتد أزره به(5)، والملك الأشرف بدمشق وقد اشتد به المرض جدا(6) وعهد بالملك بعـده إلى أخيه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل [بن الملك العـادل](7) صاحب بُصرى ، والملك المجاهد [أسد الدين](8) بحمص ، وبحماة الملك المظفر(9) ، والحكم بحلب للصاحبة(10) والدة [١٩٩ ا] الملك العزيز ومن ذكرنا من مقدمى الدولة . وقد اتفقت كلمة الجميع على مباينة الملك الكامل ومنعه من الخروج من الديار المصرية ، وقد اتفق معهم على ذلك غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ سلطان الروم .

(*) يوافق أولها ٢٤ أغسطس سنة ١٢٣٧ ميلادية .

(١) فى نسخة س « خمسة » والصيغة الصحيحة المثبتة من م .

(٢) ما بين الحاصرتين مذكور فى هامش نسخة س وساقط من م .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٥) فى نسخة س « وقد اشتد أزر الملك الكامل به » ، والصيغة المثبتة من م .

(٦) فى نسخة س « وقد اشتد به مرض الذرب » والصيغة المثبتة من م .

(٧ — ٨) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٩) فى نسخة س « والملك المظفر بحماة » ، والصيغة المثبتة من م .

(١٠) فى نسخة س « إلى الصاحبة » ، والصيغة المثبتة من م .

ذكر وفاة السلطان الملك الأشرف
ابن [السلطان](١) الملك العادل — رحمه الله(٢)

واشتد مرض الملك الأشرف [في أول هذه السنة](٣)، وأخذت قواه في الضعف والانحلال بسبب ما تواتر [عليه](٤) من الاستفراغ . فحُكى لي أنه اشتهى لحم عجل فأحضر إليه وتناول منه مقداراً(٥) لم تف قوته الهاضمة بهضمه ، [وكان هذا في آخر مرضه](٦)، وأسرف(٧) به القيام ، ووقع اليأس منه(٨) .

وكان يتردد إليه من الحكماء جماعة منهم سعد الدين الحكيم الدمشقي(٩) وهو من فضلاء الأطباء، ومنهم موفق الدين إبراهيم(١٠) وكان سامريا ثم أسلم(١١) وحسُن إسلامه ، وكان متدينا متقشفا . وكان من حكماء السلطان الملك العادل — رحمه الله — ثم أمره بملازمة ولده الملك المظفر شهاب الدين غازي فأقام عنده بالرها مدة ، ثم انتقل إلى دمشق ولازم الملك الأشرف . وكان متقنا لصناعة

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(٢) في نسخة س « رحمهما الله تعالى » ، والصيغة المثبتة من م .
(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة م ، وورد بدلها في س « رحمه الله » .
(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س ، وساقط من م .
(٥) في نسخة س « فتناول منه شيئا يسيرا » والصيغة المثبتة من م .
(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(٧) في نسخة م « فأسرف » والصيغة المثبتة من س .
(٨) في نسخة س « به » ، والصيغة المثبتة من م .
(٩) هو سعد الدين بن عبد العزيز الحكيم . قال عنه ابن أبي أصيبعة (عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ١٩٢) « وكان الحكيم سعد الدين أوحد زمانه وعلامة أوانه في صناعة الطب ، قد أحكم كليات أصولها وأتقن جزئيات أنواعها وفصولها ، ولم يزل مواظبا على الاشتغال ملازما له في كل الأحوال » .
(١٠) هو إبراهيم بن خلف السامري ، أشار إليه ابن أبي أصيبعة (عيون الأنباء ، ج ٢ ، ص ١٩٣) وذكر أنه نبغ وصار طبيبا فاضلا .
(١١) في نسخة س « فأسلم » والصيغة المثبتة من م .

الطب ، حسن المعالجة . فذُكر أن الملك الأشرف فى آخر مرضه — عندما أيقن[١] الحكماء باليأس منه — أمر بطلب الحكيم موفق الدين إبراهيم هذا ، فطلبه الغلمان من[٢] المواضع التى جرت عادته أنه يكون[٣] بها فلم يوجد فيها . وتألم الملك الأشرف لغيبته عنه ، ثم إنهم وجدوه بمشهد بَرْزَة[٤] الذى فيه مقام إبراهيم عليه السلام ، فأحضروه إلى الملك الأشرف فقال له : « يا حكيم أين كنت ؟ » . فقال : « يا مولانا كنت فى مقام إبراهيم عليه السلام أدعولك » . فقال : « يا حكيم ووصل الحال إلى أنك تدعو لى ، وما بقى فىّ رجاء من حيث الطب » . [ثم توفى الملك الأشرف بعد يومين من هذا الكلام[٥]] فى المحرم من هذه السنة ، [وهى سنة خمس وثلاثين وستمائة[٦]] . وكان عمره قريبا من ستين سنة ، وكانت مدة ملكه لدمشق[٧] ثمان سنين وشهورا .

ذكر سيرته رحمه الله[٨]

كان — رحمه الله — ملكا جوادا مفرط السخاء ، يطلق الأموال الجليلة

---

(١) فى نسخة م « حينما اتفق » والصيغة المثبتة من س .

(٢) فى نسخة س « فى » والصيغة المثبتة من م .

(٣) فى نسخة س « أن يكون فيها » والصيغة المثبتة من م .

(٤) بدون تنقيط فى كلا النسختين ، و برزة قرية من غوطة دمشق ، انظر ياقوت (معجم البلدان) .

(٥ — ٦) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٧) فى نسخة س « مدينة دمشق » والصيغة المثبتة من م .

(٨) أنظر أيضا عن سيرة الملك الأشرف : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٣٨ — ١٤١ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٧٠ — ٤٧٤ ؛ ابن أيبك الدوادارى ، الدر المطلوب ، ص ٣٢٠ — ٣٢٥ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

حتى قيل أنه كان يصل إليه الحمل [الذى](١) فيه المال المستكثر فيطلقه لأحد(٢) الحاضرين عنده [١٩٩ ب] . ولم نسمع أن أحدا من الملوك والعظماء بعد آل برمك فعل فعله فى التوسع فى العطاء والكرم .

وتقل عنه مع ذلك من حسن الخُلق(٣) وجميل العشرة لأصحابه مالم ينقل مثله من أحد من الملوك المتقدمين . فحكى لى بعض من كان يصحبه قال : أُهدى إليه يوما خيار فى أول باكورته وأنا عنده ، فوضعه(٤) بين يديه وشرع فى تقشيره واحدة بعد واحدة . وكلما قشر واحدة أكلها حتى أتى على ذلك الخيار الذى أُهدى اليه ، وكان [عَدده قليلا](٥) . [ثم أمر لمن أتاه بذلك الخيار بخمسمائة درهم فأخذها وانصرف](٦) . قال : فعجبنا من كونه لم يؤثر أحدا من الحاضرين بشىء منه(٧) . وكانت عادته — رحمه الله — أنه إذا أُتى بشىء(٨) أكل بعضه وآثر الحاضرين ببقيته . فلما لم يفعل هذا ذلك اليوم ، وخالف عادته تعجبنا منه . فلما فرغ منه قال : « هل علمتم ما السبب فى أنى لم أعطكم من هذا الخيار شيئا ؟ » .

(١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٢) فى نسخة س « لأحدى » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من م .

(٣) فى نسخة س « وكان مع ذلك حسن الخلق » والصيغة المثبتة من نسخة م .

(٤) فى نسخة س « فوضع الخيار » والصيغة المثبتة من م .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة م وفى نسخة س « يسيرا » .

(٦) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٧) وردت هذه الجملة فى نسخة س فى قليل من التعديل ، والصيغة المثبتة من م .

(٨) فى نسخة س « شىء » والصيغة المثبتة من م .

فقلنا : « لا » . فقال : « والله ما قشرت [منـه](1) واحدة إلا ووجدتها مُرّة(2) ، فما أمكننى أن أذكر ذلك ، ولا أن أرمى منـه واحدة لئـلا ينكسر قلب الذى جاء به . فكنت كلما تطعمت بواحدة التزمت أكلها(3) حتى أتيت على الجميع » .

وكان ميمون القيمرى ، سعيدا إلى الغاية ، مظفرا فى حروبه ومصافاته(4) ، تأتيه السعادة وتواتيه بما لا يكون فى حسابه(5) ولا حساب أحد من الخـلق . ووقعت [له](6) من ذلك أشياء خارقة لم يتفق مثلها لغيره ؛ منهـا ما قدمنا ذكره(7) أنه قـدم إلى [خلاط زائرا لأخيـه](8) الملك الأوحد ، عائدا له من مرضه(9) ، فأقام عنـده إلى أن أبل(10) من مرضه ودخل الحمام ، فأراد [الأشرف](11) أن ينصرف إلى بلاده ، فقال له طبيب الملك الأوحد : « أقم الليلة فإن الملك الأوحد ميت لامحالة » . فأقام تلك الليلة ، واتفق موت(12) الملك الأوحد ، واستولى على مملكة خلاط جميعها .

(١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م .

(٢) فى نسخة س « وجدتها » والصيغة المثبتة من م .

(٣) فى نسخة س « بأكلها » والصيغة المثبتة من م .

(٤) فى نسخة س « وكان سعيدا إلى الغاية » والصيغة المثبتة من م . ووردت هذه الجملة كاملة فى غير موضعها فى نسخة س .

(٥) فى نسخة س « أو فى حساب » والصيغة المثبتة من م .

(٦) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

(٧) انظر ماسبق ، ابن واصل ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة س وورد بدلها فى م « أخيه » .

(٩) فى نسخة س « من مرضة مرضها » والصيغة المثبتة من م .

(١٠) فى نسخة س « تماثل » والصيغة المثبتة من م .

(١١) مابين الحاصرتين للتوضيح .

(١٢) فى نسخة س « فمات » والصيغة المثبتة من م .

ومن مصافاته التى نُصر فيهـا أنه كسر عسكر الموصل على بُوشَمزه [١] ، وكان جمع صاحب الموصل أكثر من جمعه [بكثير] [٢] . وخرج سلطان الروم فى جمع عظيم ومعه الملك الأفضل بن صلاح الدين مقدرا فى نفسه أنه يملك الشام [والشرق] [٣] جميعه ، ويستولى على ممالك بنى أيوب ، فقصده الملك الأشرف فانكسر سلطان الروم بمقدمة عسكر الملك الأشرف وبعض الجند ، وولى [سلطان الروم] [٤] منهزما لا يلوى على شئ ، واستعاد [منه] [٥] الملك الأشرف كل ما اخـذ من البـلاد . وأعطى الملك الأشرف كل ما [٦] فتحه للملك العزيز [١٢٠٠] صاحب حلب لم [٧] يأخذ منه [لنفسه] [٨] شيئا . ولحسن سيرته التجى [٩] إليه صاحب الموصل وصاحب حماة وصاحب حمص وذبّ عن الجميع وحماهم .

وكان [رحمـه الله] [١٠] حسن العقيدة ، جميل الطوية ، يميل إلى أهل الصلاح والدين والعـلم ، [ويكره الفتن والعصبيّة فى المـذاهب] [١١] . ووقعت بين الشافعية والحنابلة فتنة بدمشق [١٢] بسبب العقائد ، وتعصب الشيخ عز الدين [بن] [١٣] عبد السلام على الحنابلة جدا لميـله إلى [مذهب] [١٤] أبى الحسن الأشعرى . وجرى بسبب

(١) انظر ماسبق ابن واصل ، ج ٣ ، ص ١٥٧ : « فالتقى الفريقان بقرية يقال لها بوشزه » .
(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(٣ — ٥) مابين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .
(٦) فى نسختى المخطوطة « كلما » .
(٧) فى نسخة س « ولم » والصيغة المثبتة من م .
(٨) مابين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .
(٩) أى التجأ .
(١٠) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(١١) مابين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .
(١٢) وردت الجملة فى نسخة س « ووقعت مرة بدمشق فتنة » والصيغة المثبتة من م .
(١٣) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى م .
(١٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .

ذلك خطب طويل ، [وأوجب فرط العصبية من الشيخ عز الدين أن كتب إلى الملك الأشرف أن باب السلامة ـ لما حضر الملك الأفضل والملك الظاهر دمشق ، والملك العادل محصور بدمشق ـ فتحه بعض الحنابلة المحاصرين حتى أوجب ذلك هجومهم إلى البلد . وقصد عز الدين بذلك إيذاء الحنابلة وإغراء الملك الأشرف بهم . ولم يكن هذا حسنا من عز الدين ولا أعجب الملك الأشرف بل غاظه عليه ، وكتب فى جواب ورقتـه : يا عز الدين الفتنة نائمـة فلعن الله مثيرها][1] ، وأما حديث باب السلامة فالأمر فيه كما قال الشاعر :

وجُرمٍ جرّه سـفهاءُ قـوم فحـل بغـير جارمه العذاب[2]

ولما ورد جواب الملك الأشرف بهذا، أقصر عز الدين والجماعة المتعصبون من الشغب[3] ، وسكنت الفتنة . [ووقفت أنا على خط الملك الأشرف الذى أجاب به عز الدين][4] .

وكانت له ــ رحمه الله ــ صدقات دارّة ، ومعـروف كثير جدا . وبنى بدمشق دار الحديث النبوى ووقف[5] عليها وقفا جليلا . وذكر الدرس فيها الشيخ

---

(١) مابين الحاصرتين من نسـخة م وورد بدله فى نسخة س « حتى كتب عز الدين إلى السلطان الملك الأشرف يقع فى الحنابلة وذكر أولاد الناصح الحنبلى ، وعرض بأن الناصح الحنبلى كان له مساعدة على فتح باب السـلامة لعسكر الملك الأفضل والملك الظاهر لما حاصرا الملك العادل بدمشق . فكتب الملك الأشرف رحمـه الله بخطه ــ قد شاهدت هذا الخط ووقعت عليه ــ ما صورته : يا عز الدين الفتنة ساكنة فلعن الله مثيرها » .

(٢) فى نسخة س « جانيـه العذاب » وفى نسخة م « جارمه العقاب » ، والبيت للمتنبي والصيغة المثبتة من ديوان المتنبي (ط . برلين ١٨٦١ م) ص ٥٤٦ .

(٣) فى نسخة س « عن التعصب » والصيغة المثبتة من م .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .

(٥) فى نسخة س « وأوقف » والصيغة المثبتة من م .

العلامة تقى الدين بن الصلاح[١] — رحمه الله — إمام وقته فى مذهب الشافعى والحديث النبوى . وهدم الملك الأشرف خانا بالعقيبة[٢] يعرف بخان ابن الزنجيلى[٣] كان تباع فيه الخمور ويعلن فيه بارتكاب الفواحش[٤] فطهره من ذلك، وبنى موضعه جامعا تقام[٥] فيه الصلوات الخمس ، ويصلى فيه الجمع ، وجاء فى غاية الحسن [وسماه جامع التوبة[٦]]، ووقف[٧] عليه وقفا جليلا . وأمر بإقامة الجمع فى جامع خارج باب الصغير يقال له مسجد الجراحى[٨] .

وحصلت له [٢٠٠ ب] خاتمة صالحة فإنه كان كما اشتهر عنه مغرى باللهو واللذة واستماع الأغانى والأمور الملهية ، وبنى القصور الحسنة النزهة فى الشرق

(١) هو العلامة تقى الدين عثمان بن عبد الرحمن الكردى الشهرزورى بن الصلاح أحد أئمة المسلمين علما ودينا ، ولد سنة ٥٧٧ هـ ، وسمع الحديث بالموصل وبغداد ونيسابور ومرو وغيرها ، وكان أحد فضلاء عصره فى التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ، اشتغل بالتدريس فى دمشق وغيرها ، وتوفى سنة ٦٤٣ هـ . انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣١٢ ؛ السبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٥ ، ص ١٣٧ — ١٣٨ .

(٢) العقيبة من أحياء دمشق المعروفة اليوم ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٥٠ حاشية ١ .

(٣) فى نسخة س « بخان الزنجيل بالعقيبة » والصيغة المثبتة من نسخة م ، وورد الاسم بصيغة « خان الزنجارى » فى سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٥٩ ؛ وابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

(٤) فى نسخة س « ويرتكب فيه ويعلن بالفواحش » والصيغة المثبتة من م .

(٥) فى نسخة س « وتقام » والصيغة المثبتة من م .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م ، وعن جامع التوبة ، انظر محمد كرد على ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٦٢ .

(٧) فى نسخة س « وأوقف » والصيغة المثبتة من م .

(٨) ذكر محمد كرد على (خطط الشام ، ٦ ، ص ٦٢) أن جامع الجراح فى باب الصغير عمّره الملك الأشرف موسى سنة ٦٣١هـ .

ودمشق التى لم يُر فى حسنها ونزاهتها مثلها [فى جميع البلاد](١). ولما بنى قصره بالنيرب(٢) المعـروف بالدهشة والصُّفة المعروف بصفة بقراط اللذين من رآهمـا سبيا عقـله وأدهشاه(٣)، [كان يقول : «أنى بعت ممالك المشرق كلها بهذين الموضعين ؛ إذ ليس ثمرة الملك إلا الاستمتاع بالملاذ والراحات »](٤)(٥) . فلما وقع ـ رحمه الله ـ فى مرضه الذى مات به وطالت مدته(٦)، أقبل على الابتهال إلى الله تعالى والاستغفار من ذنوبه وخطياته(٧)، وأكثر من ذكر الله تعالى والالتجاء إليه . ولم يزل هذه حاله إلى أن تُوفى [إلى رحمة الله تعـالى](٨) ، [تائبـا من ذنبـه مستغفرا لمـا سلف من ذنوبه](٩) . وهذه خاتمـة حسنة يُرجى له بها السعادة فى الأخرى مضافا إلى ما كان أُعطيه من السعادة فى الدنيـا .

وكان(١٠) قد فسد ما بينه و بين أخيه الملك الكامل فى آخر عمره مع ما كان بينهما من التصافى والاتحاد . ولم يكن السبب فى ذلك إلا ما نمى إليه من عزم الملك الكامل على الانفراد بملك مصر والشام ؛ وأنه لمـا فتح آمد و بلادها ، وهو عمـل عظيم ومملكة واسعة ، لم يسمح له منه بشىء إلا ما يجعله عوضا على ما بيده من الشام ، فاستوحش خاطره من ذلك ، وأيضا فإنه كان بيده البلاد الجزيرية أخذها الملك

(١) فى نسخة س « فى الشرف بدمشق » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة من م .
(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(٣) نيرب قرية مشهورة بدمشق ، انظر ياقوت (معجم البلدان) .
(٤) فى نسخة س « وأدهشه وأدهشاله » والصيغة المثبتة من م .
(٥) ورد ما بين الحاصرتين فى نسخة س فى قليل من التعديل ، والصيغة المثبتة من م .
(٦) فى نسخة س «فلما وقع فى المرض وطال به » والصيغة المثبتة من م .
(٧) فى نسخة س « وخطاياه» وكلاهما بمعنى واحد .
(٨) ما بين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .
(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(١٠) السطور التالية حتى نهاية الفقرة ساقطة من نسخة م ومثبتة فى س .

الكامل منه، وأخذ جلال الدين أخلاط وقتل كل من بها وخربت . ثم لما كسر جلال الدين عادت أخلاط إلى الملك الأشرف خرابا ، فخرج سلطان الروم علاء الدين كيقباذ وأخذها واحتوى عليها فلم ينجده الملك الكامل . وهذا وأشباهه هو الذى حمله على التغير على أخيه الملك الكامل .

ولما مات دفن فى تربة بنيت له ينفذ شباكها إلى الكلاسة بجامع دمشق . ورُتب عليها(١) من يقرأ القرآن [عليه(٢)] ليلا ونهارا، رحمه الله ورضى عنه . ولم يخلف [من الأولاد(٣)] إلا بنتا واحدة تزوجها [بعده ابن أخيه(٤)] الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن الملك العادل . ثم لما ملك دمشق عمها الملك الصالح الكرّة(٥) الثانية فسخ نكاحها من الملك الجواد بأن(٦) أثبت عند الحاكم بدمشق أنه حلف بطلاقها فى أمر أنه لا يفعله وفعله ، وزوجها(٧) لابنه الملك المنصور [نور الدين محمود(٨)] وهى معه إلى الآن(٩) .

[وكان مولده رحمه الله سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بمصر ، وتوفى نهار يوم الخميس أربع مضين من المحرم من هذه السنة — أعنى سنة خمس وثلاثين وستمائة . وكان فى خدمته جماعة من الأماثل وأهل الفضل منهم شيخنا

(١) فى نسخة س «فيها» والصيغة المثبتة من م .
(٢ — ٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من م .
(٤) مابين الحاصرتين من نسخة م وساقط من س .
(٥) فى نسخة س «المرة» والصيغة المثبتة من م .
(٦) فى نسخة س «بأنه» والصيغة المثبتة من م .
(٧) فى نسخة س « ثم زوجها » والصيغة المثبتة من م .
(٨) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى م .
(٩) عن هذا الخبر انظر أيضا ابن أيبك : الدر المطلوب ، ص ٣٢٣ — ٣٢٤ .

فى العـلوم الرياضية علم الدين قيصر بن أبى القاسم بن عبـد الغنى ، وكان عظيما فى العلوم الرياضية . وعمّر له مواضع حسنة منها الجوسق المعروف بطيحة[1] فى مدينة رأس عين فى غاية الحسن على شكل مثمن و بإزائه نهر يتصل ببلاد الخابور][2] .

ذكر استيلاء الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بعد وفاة السلطان الملك الأشرف ابن الملك العادل على دمشق

كنا قد ذكرنا[3] أنه لمـا اتفق الملك الأشرف مع الملك المجاهد صاحب حمص ، وراسل الملك الناصر صاحب الكرك والسلطان الملك المظفر صاحب حماة والحلبيين وسلطان الروم على مباينة السلطان الملك الكامل ، وكاتب الملك الأشرف فى رسالته إلى ابن أخيـه الملك النـاصر يدعوه إلى الوصـول إليه ، والاتفاق معـه ، والتزم أنه يجعله ولى عهده بدمشق و يزوجه ابنته — كما تقدم ذكره — وأنه أبى ذلك وانحاز إلى عمـه الملك الكامل ومضى إليه إلى مصر . وكان هذا من الأمور التى اقتضاها من سوء حظه ، فإنه كان مع وفور [فضـله[4]] وعقله ناقص الحظ قليل جدا ، انحاز فى أول مرة إلى الملك الأشرف وترك الملك الكامل فكان ذلك سببا لخروج دمشق ومعظم بلادها من يده . وانحاز ثانيا إلى الملك الكامل ،

(١) الكلمة بدون تنقيط فى الأصل ولعل المقصود الصيغة المثبتة .

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى م ، وإلى هنا تنتهى نسـخة مكتبة ملا چلبى التى رمز لها بحرف [م] . والصفحات التالية لاتوجد سوى فى نسخة س وحدها [ورقات ٣٠٨ أ — ٣١٠ ب] ، وسوف يشار إلى نهاية الجزء الساقط ، انظر مايلى ص ١٥٣ حاشية ٤ .

(٣) انظر ماسبق ، ص ١٢١ — ١٢٨ .

(٤) مابين الحاصرتين مذكور فى هامش نسخة س .

وترك الملك الأشرف وهو مريض مشرف على الموت ، وقد وعده بولاية عهده وتزويج ابنته فكان ذلك سببا لحرمانه مملكة دمشق و بعض بلاد الشرق مضافا إلى ما في يده . ولو حصلت له دمشق مع قوته بالحصون التي بيده وموافقة الحلبيين وصاحب حمص، كان تعذر على الملك الكامل إزالة ذلك من يده ، لكن إذا أراد الله تعالى شيئا هيأ أسبابه .

ولما[1] امتنع الملك الناصر [داود][2] من القدوم إلى الملك الأشرف وتوجه إلى مصر ، ولى الملك الأشرف ولاية عهده لأخيه الملك الصالح [عماد الدين اسماعيل][3] ولم يكن بيده غير بُصرى من أيام أبيه الملك العادل .

ولما[4] توفى الملك الأشرف ركب الملك الصالح بالسناجق السلطانية واستولى على دمشق و بعلبك وما لدمشق من الأعمال إلى عقبة فيق . وسير ابنه الملك المنصور نور الدين محمود إلى الشرق ليتسلم — من نواب الملك الأشرف — سنجار ونصيبين والخابور[5] . وأرسل إلى الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص، والملك المظفر صاحب حماة والحلبيين ليحلفوا[6] له و يتفقوا معه على القاعدة المتقررة التي كانت بينهم و بين الملك الأشرف .

---

(١) في نسخة س « قال ولما » .

(٢) ما بين الحاصرتين مذكور في الهامش .

(٣) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٤) في نسخة س « قال ولما » .

(٥) ورد في ياقوت (معجم البلدان) أن الخابور اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة ، وتقع على النهر بلدان جمة « غلب عليها اسمه فنسبت إليه » ولعل البلد الوارد بالمتن هنا أحدها ، انظر أيضا البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج ١ ، ص ٤٤٤ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٦ حاشية (٤) .

(٦) انظر المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

فأما صاحب حمص والحلبيون فإنهم أجابوا إلى ذلك وحلفوا له . وأما الملك المظفر فإنه امتنع من ذلك وأظهـر الانحياز إلى خاله السـلطان الملك الكامل ، وأرسل إلى الملك المجاهد صاحب حمص : "أنى لا أجيب إلا بشرط أن تعطينى سلمية وقلعة شميميش[1] » لمـا يعلم أنه لا يجيب إلى ذلك . وجعـل ذلك ذريعة إلى موافقـة خاله الملك الكامل . ثم سـير الشيخ أبا سالم ابن القاضى كمال الدين مظفر بن الثقفى — وهو من أعيان فقهاء حماة وأكابر أهلها — رسولا إلى السلطان الملك الكامل يعلمـه أنه لم يزل مملوكه ومنتميا إليه ، وإنمـا كان وافق الملك الأشرف اضطرارا وخوفا على بلده من الملك الأشرف والحلبيين وصاحب حمص وسلطان الروم غياث الدين .

ولمـا وصل رسـول الملك المظفر صاحب حمـاة إلى الديار المصرية أكرمه [السلطان الملك الكامل[2]] غاية الإكرام . وقبل الملك الكامل عذر الملك المظفر، ووعده أن يضيف إليـه سلمية ، ويأخذها له من صاحب حمص هى وقلعتها ، وحلف له على ذلك . ورجع رسول الملك المظفر من عند الملك الكامل مكرما .

وسير الحلبيون الصاحب كمال الدين بن العديم[3] رسولا ومعـه علاء الدين طيبغا متولى حلب الظاهرى إلى السلطان الملك المظفر والملك المجاهد لتوفيق الأمر بينهما . فأبى كل واحد منهما أن يجيب صاحبه إلى ما يريد . وقال السلطان الملك المظفر :

---

(١) فى المتن « شميمس » والصيغة المثبتة من ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٤ ؛ انظر ما سبق ، ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ ، حاشية ٧ .

(٢) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

[(٣) ذ]كر ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ — ٢٣٥) تفصيلات هامة عن هذه [المهمة التى] قام بها مع الأمير علاء الدين طيبغا الظاهرى ليوفق بين صاحب حمص وصاحب حماة .

«لا أجيب إلا بأن أعطى سلمية وقلعتها شميميش»(١) التى حددها. فقال الملك المجاهد: «هذه يمين الملك المظفر لى، وقد حلف لى على كل ما بيدى(٢)». وأبى أن يجيبه إلى ذلك. فقال الملك المظفر: «لا أجيب إلا بهذا الشرط». فقال كمال الدين له: «أن هذا الذى تجادله فيه نقض العهد الذى قد تقرر بين الجماعة». فقال الملك المظفر: «هو قد نقض عهدى، واستفسد(٣) جماعة من عسكرى، ولا بد لى من قصده، فإذا نزل الملك الكامل على حمص نزلت معه عليها، وفعلت ما يصل إليه جهدى. وأما حلب فإنى أبذل مالى ونفسى دون الوصول إلى قرية من قراها(٤)، ولا أرجع عن اليمين التى حلفت [بها](٥) للستر العالى وللسلطان الملك الناصر». فقال له كمال الدين [بن العديم](٦): «المولى(٧) يعلم ماجرى بيننا وبين صاحب حمص من الأيمان، وما نقض معنا(٨) عهدا، [وإذا قصده إلى حمص قاصد تعين إنجاده ونصرته(٩)]، وإذا وصل عسكر من حلب لنجدته، كيف(١٠) يفعل المولى؟» فقال: «أنا أقاتله، ومن قاتلنى قاتلته».

---

(١) فى المتن «شميمس» انظر الصفحة السابقة حاشية ١.

(٢) فى ابن العديم (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٣٤) «هذه نمينة لى، وقد حلف لى على كل ما بيدى».

(٣) فى ابن العديم (نفس المصدر والجزء والصفحة) «وأنفذ ليفسد».

(٤) فى ابن العديم «دون الوصول إلى قرية منها».

(٥) ما بين الحاصرتين من ابن العديم، ج ٣، ص ٢٣٤.

(٦) ما بين الحاصرتين للتوضيح.

(٧) فى ابن العديم (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٣٤)، «فالمولى».

(٨) فى ابن العديم «منها».

(٩) فى ابن العديم «وإذا قصده قاصد إلى حمص يتعين إنجاده ونصرته».

(١٠) فى ابن العديم «فكيف».

فحكى الصاحب كمال الدين قال : « كتبت بما جرى كتاباً إلى حلب ، فجاء الأمر إلينا بالتوجه إلى حلب ، فسرنا فى الحال من غير توديع ، حتى وصلنا إلى العبادى[1] ليلة الإثنين مستهل جمادى الأولى ، من سنة خمس[2] وثلاثين وستمائة ، فلحقنا المهمندار[3] من حماة بالخلع والتسفير ، فلم نقبل منها شيئا وسرنا إلى حلب[4] » .

ذكر مسير السلطان الملك الكامل إلى دمشق واستيلائه عليها وتعويضه الملك الصالح عنها بعلبك

ولما بلغ السلطان الملك الكامل وفاة أخيه الملك الأشرف ، سار إلى دمشق فى عساكر مصر ، ومعه الملك الناصر داود بن الملك المعظم ، وهو لا يشك أن الملك الكامل إذا ملك دمشق يُسلمها إليه لما كان قد تقرر بينه وبينه[5] .

---

(١) يرجح سامى الدهان (زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ، ج ٣ ص ٢٣٥ ، حاشية ١) أن المقصود بها « العبادية » وهى من قرى المرج حول دمشق .

(٢) فى المتن « خمسة » وهو تحريف .

(٣) المهمندار هو الذى يتصدى لتلقى الرسل وينزلهم دار الضيافة ، ويتحدث فى القيام بأمرهم ، والكلمة مركبة من لفظين فارسيين ؛ أحدهما مهمن ومعناه الضيف ، والثانى دار ومعناه ممسك ، أى ممسك الضيف أو المتصدى لأمره ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ ؛ انظر أيضا ماسبق ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٤٧ ، حاشيه ٢ .

(٤) فى ابن العديم « فلم نقبل منه شيئا » .

(٥) أى بين السلطان الملك الكامل وبين الملك الناصر داود ، انظر أيضا المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

وكان بقلعة عجلون نائب الملك الأشرف ، فكاتبه الملك الناصر داود فى تسليمها إليه على مال شرطه له ، فسلّمها إليه فتسلمها نوابه . ولم ينكر الملك الكامل ذلك وأقره عليها .

ولما قرب الملك الكامل إلى دمشق دخل[1] إليها الأمير عز الدين أيبك المعظمى صاحب صرخد معاضدا للملك الصالح ، وجاءت إلى دمشق نجدة حمص ونجدة حلب مقدمها ناصح الدين الفارسي . ووصل الملك الكامل ومعه الملك الناصر ونازلوا دمشق . وكان الملك الصالح قد استعد للحصار وهيأ أسبابه ، فضايق الملك الكامل دمشق ، وزحف إليها الملك الناصر داود من جهة العقيبة وباب توما ، ووصل إلى قرب الأسوار ، وكاد يملك البلد فى ذلك اليوم . فلم يعجب الملك الكامل ذلك ، وسيّر إليه من ردّه عن الزحف فرجع . وخرج الغد من يوم الزحف الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بالحراقة والنفاطين فأحرق العقيبة وما فيها من الخانات والأسواق والدور حتى جعلها قاعاً صفصفاً[2] .

و بعث الملك المجاهد أسد الدين [صاحب حمص][3] جماعة من الرّجالة يزيدون على خمسين رجلا نجدة لدمشق ، فظفر بهم السلطان الملك الكامل فأمر بشنقهم جميعهم فشنقوا بين البساتين ، ولم تكن هذه عادته وإنما كان مُحرجاً[4] على صاحب حمص .

---

(١) فى المتن « ودخل » .

(٢) عن حريق العقيبة وخرابها انظر ، ابن أيبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٢٤ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٧٤ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

(٣) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٤) أى غاضبا على صاحب حمص ، محرجا من الحرج وهو ضيق الصدر ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ج ٣ ، ص ٥٧ .

وفى مـدة الحصار على دمشق سـيّر الملك الكامل إلى السلطان الملك المظفر توقيعا بسلمية ، فتسلمها الملك المظفر وبعث نوابه إليها . وكان الحصار على دمشق فى جمادى الأولى من هذه السنة فى قوة الشتاء والبرد .

ولمـا اشتد الحصار على الملك الصالح أذعن بتسـليم دمشق إلى أخيه الملك الكامل ، على أن يعوض عن دمشق بعلبك والبقاع مضافا إلى بصرى والسّواد[(١)] ، فأجابه المـلك الكامل إلى ذلك . وكان المتوسط بينهما فى تقرير قواعد الصلح الصاحب محيي الدين أبا المظفر يوسف بن الشيخ جمال الدين أبا الفرج بن الجوزى رسول الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين . وكان قد ورد من الخليفة رسولا إلى الملوك ليوفق الأمر بينهم ، و يزيل ما وقع من الاختلاف .

ولمـا تقرر ذلك ، وحلف الملك الكامل لأخيه الملك الصالح ، سـلم الملك الصالح إلى أخيه الملك الكامل دمشق ، وتوجه إلى بعلبك وتسلمها . ودخل السلطان الملك الكامل إلى قلعة دمشق و بين يديه ابن أخيه الملك الناصر بن الملك المعظم . واستقر الملك الكامل بقلعـة دمشق لأحد عشر ليـلة بقيت من جمادى الأولى[(٢)] . ونزل الملك الناصر داود بداره المعروفة بدار شـامة داخل البلد .

ثم تقدم السلطان الملك الكامل إلى العسكر بالمسير إلى حمص لمنازلتها ، فبرزت العساكر وتقدم السلطان الملك الكامل إلى السلطان الملك المظـفر صاحب حماة

---

(١) فى ابن العـديم (زبدة الحلب ج ٣ ، ص ٢٣٥) وفى المقريزى ، السـلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٧ « أبقى له بعلبك و بصرى وأخذ منه دمشق » .

(٢) كذا فى المتن ، وكذلك فى ابن العـديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٥) الذى ذكر أن الكامل أخذ دمشق فى تاسع عشر جمادى الأولى ، بينما ذكر المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٧) أن السلطان الكامل تسلم دمشق فى عاشر جمادى الأولى .

بالتقدم إلى جهة حمص . فرحل فى عسكر حماة ونزل على الرستن[١] مهتما بمنازلة حمص مع السلطان الملك الكامل . وأُسقط عند ذلك فى يد الملك المجاهد ، وخاف من الملك الكامل ، وبعث يتضرع إلى الملك الكامل ويخضع له ، فلم يلتفت إليه وأصر على قصده . فبعث نساءه إلى الملك الكامل يشفعن فيه ، وبذل جملة عظيمة من المال فلم يلتفت إليه .

ذكر استيلاء السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل على سنجار ونصيبين والخابور[٢]

وذكرنا أن الملك الصالح عماد الدين اسماعيل المالك لدمشق سير ولده الملك المنصور نور الدين محمود إلى الشرق ، فتسلم ما كان بيد الملك الأشرف وهو سنجار ونصيبين والخابور . فلما نازل الملك الكامل دمشق ، سيّر[٣] إلى ولده الملك الصالح يأمره بقصد سنجار فقصدها ونازلها فسلّمها إليه ابن عمه الملك المنصور بالأمان فتسلمها الملك الصالح نجم الدين وما معها من البلاد[٤] .

ذكر وفاة السلطان الملك الكامل [ابن الملك العادل[٥]] رحمه الله

ولما[٦] ملك السلطان الملك الكامل دمشق لم يلبث فى قلعتها[٧] إلا مدة يسيرة[٨]

(١) الرستن : بليدة قديمة كانت على نهر العاصى بين حماة وحمص ، انظر ياقوت (معجم البلدان) .

(٢) ورد هذا الخبر مختصرا فى المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٧) . (٣) انظر ما سبق ص ١٤٧ .

(٤) نهاية الجزء الساقط ، انظر ما سبق ص ١٤٦ حاشية ٢ ، وسوف يعتمد التحقيق من الآن فصاعدا على نسخة باريس رقم ١٧٠٣ كأصل للنشر ورمز إليها بحرف [ب] مع مقابلتها بنسخة باريس رقم ١٧٠٢ التى رمز إليها فيما سبق بحرف [س] .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب . (٦) فى نسخة س « لما » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) فى نسخة س « فى قلعة دمشق » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) فى نسخة س « إلا أياما » والصيغة المثبتة من ب .

حتى مرض واشــتد مرضه . وكان [سبب] مرضه على ما حَـكى لى [الرشيد أبو حليقة[٢]] طبيبه ، أنه أصابه [زكام فدخل الحمام فى ابتدائه ، فصب ماء شديد الحرارة على رأسه ، وعمل ذلك اتباعا لقول محمــد بن زكريا الرازى فى كتاب سماه « طب ساعة » ذكر فيه أن من أصابه زكام فصبّ على رأسه ماء شديد الحرارة انحــلّ زكامه لوقته . وهــذا وأمثاله ممـا يوجد فى الكتب لا ينبغى أن يُعمل به على الطبيعــة . قال : فانصب من دماغه مادة مادة إلى فم معــدته فتورمت ، وعرضت له حمّى شديدة . وأراد القىء فنهاه الأطباء عنــه ، وقالوا : « إن فعل هذا هلك فى الوقت » ، فخالفهم وتقيأ فهلك لوقته .

(١) appears above سبب; (٣) above ساعة.

وحكى لى رضى الدين بن الحكيم موفق الدين إبراهيم — الذى كنا قدمنا ذكره فى خبر وفاة الملك الأشرف[٤] — قال : أن الملك الكامل عرضت له خوانيق[٥] وأنها انقطعت[٦] وتقيأ دما كثيرا ومِدّة[٧] ، وأراد القىء فشاور الأطباء ، فمنهم من أشار به . فقال له الحكيم موفق الدين إبراهيم المذكور لا يفعل ، وأنكر على من أشار بالقىء ، فخالفه وتقيأ ، فانصبت بقية من المــادة إلى قصبة الرئة وسدتها ، فمات رحمه الله[٨]] .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من ص ومثبت فى ب .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة ص ومثبت فى ب ، وهو الطبيب رشــيد الدين أبو حليقة ابن الفارس بن أبى سليمان داود ، انظر ابن أبى أصيبعة (عيون الأنباء ، ج ٢ ، ص ١٢١) .

(٣) ورد عنوان هذا الكتاب بصيغته المثبتة فى نسختى المخطوطة وكذلك فى ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٣٧) الذى نقل عن ابن واصل . ولم نعثر على عنوان هــذا الكتاب فى المصادر المتداولة .

(٤) انظر ماسبق ، ص ١٢٧ — ١٢٨

(٥) هو المرض المسمى بالذبحة ، ومن أنواعه الذبحة الصدرية ، انظر المقريزى ، السلوك ، ج ١ ص ٥٥ حاشية ٨ .

(٦) الكلمة غير واضحة بالمتن ولعل الصيغة المثبتة هى المقصودة .

(٧) المدة : بالكسر مايجتمع فى الجرح من القيح ، انظر ابن منظور (لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٤٠٥) .

(٨) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وورد فى كثير من الاختصار فى نسخة ص ، وذكر ابن أيبك الدوادارى (الدر المطلوب ، ص ٣٢٦) أن السلطان الكامل « كان قد مرض مدة عشرين يوما بالإسهال والسعال ، ونقرس كان فى رجليه » .

وكانت وفاته لسبع بقين من [شهر](١) رجب من هـذه السنة — أعنى سنة خمس وثلاثين وستمائة(٢) . وكان بين موته وموت أخيه الملك الأشرف [رحمهما الله](٣) نحو ستة أشهر . وكانت مدة ملكه [لمصر](٤) من حين مات أبوه [الملك العادل واستقل بالملك عشرين سنة وكسرا . وناب عن أبيه بالديار المصرية قريبا من عشرين سنة ، فحكم في ملك الديار المصرية قريبا من أربعين سنة نائبا ومستقلا](٥) . وأشبه حاله في ذلك حال معاويه بن أبي سفيان(٦) فإنه ولى الشام [نائبا عن عمر وعثمان ومحاربا لعلى ، رضى الله عنهم ، نحو عشرين سنة . ثم ولى مستقلا نحو عشرين سنة [١٢] أخرى ، فولى الشام أميرا وخليفة أربعين سنة](٧) . [وكانت مدة ملك الملك الكامل لدمشق شهرين الا يومين(٨) .

ومن الأمور المستظرفة أن محيي الدين بن الجوزى — رحمه الله — كان يتردد في هذه السنة والتى قبلها إلى الملوك للإصلاح بينهم . فاتفق في هذه المدة أنه مات سلطان الروم والسلطان الملك الكامل والأشرف فقال بعض الشعراء وأظنه ابن المسجف(٩) يخاطب الخليفة المستنصر بالله :

(١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ومثبت في س .

(٢) انفرد ابن أيبك الدواداري (الدر المطلوب ، ص ٣٢٦) بذكر وفاة السلطان الكامل في حوادث سنة ٦٣٦هـ . والصحيح هو ماذكره ابن واصل ، انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٥٢ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة ب ، وورد مختصرا في نسخة س .

(٦) في نسخة س « معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة ب ، وفي س « أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة أخرى » .

(٨) ورد في المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٨) « فكانت مدة ملكه دمشق هذه المرة أحدا وسبعين يوما » .

(٩) هو الشاعر عبد الرحمن بن أبي القاسم بن غنائم بن المسجف الكنانى العسقلانى ، ولد سنة ٥٨٣ هـ وتوفى سنة ٦٣٥هـ . وكان أديبا ظريفا خليعا وأكثر شعره في الهجاء ، انظر ترجمته وشيئا من شعره في الكتبي ، فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٥٣٧ — ٥٤٢ .

يا إمام الهــدى أبا جعفــر الـ ـمنصور يا من له الفخار الأثيل(١)
ماجرى من رسولك الآن محيي الدْ دِين فى هــذه البــلاد قليــل(٢)
جاء والأرضُ بالسلاطين تزهى وغـــدا والديار منهم طــلول
أقفـــر الروم والشام ومصرا أفهـــذا مغسّل(٣) أم رسـول ؟](٤)

ذكر سيرته رحمه الله [تعــالى](٥)

كان [الملك الكامل](٦) ملكا جليلا ، حازما مهيبا ، [سديد الآراء](٧) ، حسن التدبير لممالكه(٨) ، عفيفا عن سفك الدماء ، [حليما](٩) . [و بلغنى عن حلمه أن رجلا من شعراء مصر كان بمنزلة من الأدب تعرض لهجوه(١٠) مرارا ، وهو يُغضى عنه(١١) ولا يعاقبه ، فبلغ من لآمة ذلك الشاعر حين رأى أن السلطان لا يقابله على فعله(١٢) أن قال :

(١) وردت فى نسخة ب « الأجل » وعليها يختل الوزن ، والصيغة المثبتة من نسخة س ومن الكتبى (فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٥٤١) .

(٢) فى نسخة ب « الدار » والصيغة المثبتة من نسخة س ومن الكتبى (فوات الوفيات ج ١ ، ص ٥٤١) .

(٣) فى نسخة ب « فهذا خل » وعليه يختل الوزن والصيغة المثبتة من نسخة س ومن الكتبى ، فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٥٤١ .

(٤) ما بين الحاصرتين مثبت فى نسخة ب ، وورد فى غير مكانه مع قليل من التفصيل فى نسخة س حوادث سنة ٦٣٦ هـ .

(٥ — ٧) ما بين الحاصرتين من نسـخة س وساقط من ب ، انظر ترجمة السلطان الكامل فى ابن خلكان (وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٥٠ — ٥٤) .

(٨) فى نسخة ب « لملكه » والصيغة المثبتة من س ، بينما ورد فى المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٩) « لماليكه » ولعله تصحيف .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(١٠) فى نسخة س « لهجو الملك الكامل » والصيغة المثبتة من ب .

(١١) فى نسخة س « يعفى عنه » والصيغة المثبتة من ب .

(١٢) فى نسخة س « على قوله » والصيغة المثبتة من ب .

وما تركهم للقتل حلما وإنما		يرون بقاء المرء فى عصرهم أشق

فبلغ الملك الكامل ذلك فلم يلتفت إلى قوله ، ومع هذا الحلم (١) [العظيم ، كان عظيم الهيبة .

وبلغ من هيبته أن الرمل الذى بين العريش وديار مصر كان يمر به الإنسان وحده ومعه الذهب الكثير ، أو الجماعة اليسيرة ومعهم الأحمال من القماش فلا يخافون سارقا ولا قاطع طريق] (٢) . ولقد سرق فى الرمل مرة بساط ، فأحضر العرب الذين يخفرون الطريق ، فقال : « أريد البساط بعينه وأريد سارقه ، وإلا أذهبت (٣) نفوسكم ، ونهبت أموالكم » ، فبذلوا له عوضه شيئا كثيرا ، فأبى أن يقبل شيئا من ذلك ، وأصر على مطالبتهم بالمأخوذ بعينه فأحضروه له .

[٢ ب] وكان يباشر الأمور بنفسه ، واستوزر فى أول ملكه وزير أبيه الصاحب صفى الدين بن شكر (٤) ، ثم لما مات صفى الدين لم يستوزر بعده أحداً (٥) .

وكان (٦) فى أول زيادة النيل يخرج بنفسه وينظر فى الجسور وإصلاحها ، ويرتب على كل جسر من الأمراء من يتولاه ، ويجمع الرجال لإصلاحه وعمله ، ثم يشرف على الجسور بنفسه ، فأى جسر منها اضطرب بتفريط من يتولاه عاقب المتولى له أشد العقوبة . فعمرت فى أيامه ديار مصر عمارة كثيرة (٧) .

(١) ورد مابين الحاصرتين فى نسخة س فى غير مكانه ، والصيغة المثبتة كما وردت فى نسخة ب .

(٢) ورد مابين الحاصرتين مختصرا فى نسخة س ، والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة س « ذهبت » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) فى نسخة س « كان يباشر الأمور فى أول ملكه وزير أبيه الصاحب صفى الدين بن شكر » .

(٥) ورد فى المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٩ — ٢٦٠) « وكان [الكامل] يباشر أمور الملك بنفسه من غير اعتماد على وزير ولا غيره ، واستوزر أولا الصاحب صفى الدين بن شكر ست سنين ، وانكف بصره وهو يباشر الوزارة حتى مات ... فلما مات الصاحب صفى الدين لم يستوزر الكامل بعده أحدا » .

(٦) فى نسخة س « فكان » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) عن اهتمام السلطان الكامل بالجسور ، انظر ، النابلسى ، لمع القوانين المضية فى دواوين الديار المصرية ، ص ٣٩ — ٤٠ .

وأخرج من زكوات الأموال مهم الفقراء والمساكين[(١)]، وأخرجها فى مصارفها بأن رتب عليها جامكيات الفقهاء[(٢)] والصلحاء والفقراء .

وكان محبا للعلمـاء ومجالستهم وسماع مناظراتهم . وكانت عنده[(٣)] مسائل غريبة من الفقـه والنحو، إذا حضر الفقهاء والنحاة سألهم عنها وامتحن بها علومهم ؛ فمن أجاب منهم الجواب الصحيح حظى عنده وقربه .

وفى بعض أسفاره إلى دمشق استحضر بهـا جماعة من العلماء ؛ وكان فيهم الشيخ زين الدين بن معطى[(٤)] النحوى المغربى ـ رحمه الله ـ وكان إماما فى علم العربية

---

(١) فى نسخة س «مهما للفقراء والمساكين» والصيغة المثبتة من ب، عن زكوات الأموال انظر:
Hassanein Rabie: The Financial System of Egypt, pp 95 - 100.

(٢) فى نسخة س « للفقهاء » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة س « عدة » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من ب .

(٤) هو يحيى بن عبد المعطى بن عبد النــور الزواوى المغــربى الحنفى، يلقب زين الدين، ويكنى أبا الحسين، ويعرف بابن معط، وتكتب أيضا ابن معطى وكلاهما صحيح . كان إماما مبرزا فى علوم العربية وأحد أئمــة عصره فى النحو واللغــة . ولد بالمغرب سنة ٥٦٤ هـ . ولا تذكر المصادر التاريخية شيئا عن حياته فى أول عمــره ، وانتقل إلى دمشق وأقام بها زمانا طويلا حيث نظم ألفيته فى النحو . وكان ابن معطى بدمشق أحد الشهود، ولم يكن له من طرق الكسب ما يقوم بكفايته . واتصــل أثناء إقامتــه بدمشق بالملك المعظم عيسى بن العادل الأيوبى . وعندما توفى المعظم عيسى سنة ٦٢٤ هـ اتصل ابن معطى بالسلطان الكامل، وسافر إلى مصر، حيث قرر له الكامل معلوما على أن يقرىء الناس الأدب والنحو بالجامع العتيق بمصر. ولم تطل مدة حياته بالديار المصرية إذ توفى فى ذى القعدة سنة ٦٢٨ هـ . وله مؤلفات عدة لم يبق منها الزمن إلا ثلاثة كتب هى : الألفية التى تسمى الدرة الألفية فى علم العربية، والفصول الخمسون فى النحو، والبــديع فى صــناعة الشعر . انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ ؛ ياقوت ، معجم الأدباء ، ج ٢٠ ، ص ٣٥ — ٣٦ ؛ السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، ج ٢ ، ص ٣٤٤ ؛ الذهبى ، شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ١٢٩ ؛ ابن كثير ، البــداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٢٩ ، ١٣٤ ؛ محمود محمد على الطناحى ، ابن معطى وآراؤه النحوية مع تحقيق كتابه « الفصول الخمسون » ، رسالة ماجستير قدمت إلى كليــة دار العلوم بجامعة القاهرة ، سنة ١٩٧١ ، ص ٧ — ٢٢ .

لا يجارَى فيه ، إلا أنه كان فقيرا ناقص الحظ[1] ، يقعد مع الشهود[2] تحت الساعات[3] يورّق و يشهد . و بلغ من السن مبلغا كثيرا ، وهو فقير ليس له مايقوم بكفايته . فسألهم الملك الكامل عن قولهم «زيد ذُهِبَ به» هل يجوز فى «زيد» النصب؟ . فقالوا كلهم : «لا يجوز إلا الرفع» . واعتمدوا كلهم على قول الزمخشرى[4] صاحب المفصَّل «زيدٌ ذُهِبَ به ليس فيه إلا الرفع» . فقال زين الدين ـ رحمه الله ـ «يجوز فيه النصب[5] على أن يكون المرتفع بـ «ذُهِبَ»[6] المصدر الذى دل عليه ذهب وهو الذهاب؛ وعلى هذا فموضع الجار والمجرور الذى هو «به» النصب، فيجئ من باب : زيد مررت به ، إذ يجوز فى «زيد» النصب ، فكذلك ها هنا[7] . فاستحسن الملك الكامل جوابه، وأمره بالسفر إلى مصر فسافر إليها . وقرّر له[8] [الملك الكامل][9] معلوما جيدا يقوم بكفايته ، وحسنت أحواله ، إلا أنه لم تطل مدته وتوفى بعد

(١) فى نسخة س «قليل» والصيغة المثبتة من ب .

(٢) كان الشهود جماعة يختارهم القاضى لمعاونتـه فى أعماله ، وكانوا يعرفون أحـوال الناس ويشهدون فى القضايا ؛ انظر السبكى ، معيـد النعم ومبيد النقم ، ص ٦٣ — ٦٤ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦ حاشية ٤ .

(٣) عرف أحد أبواب الجامع الأموى بدمشق باسم باب الساعات ، حيث كان هناك الساعات التى يعلم بهـا كل ساعة تمضى من النهار ؛ انظـر النعيمى ، الدارس فى تاريخ المدارس ، ج ٢ ، ص ٣٨٦ — ٣٨٧ ؛ وكان الشهود فى ذلك الوقت يجلسون تحت هـذه الساعات ، انظر ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

(٤) هو صاحب كتاب المفصـل ، وقد قام الشـيخ موفق الدين يعيش بن على بن يعيش النحوى المتوفى سنة ٦٤٣ هـ بكتابة «شرح المفصل» فى مجلدين ، ط . ليبزج سنة ١٨٨٢ — ١٨٨٦ م ؛ ط . القاهرة فى عشرة مجلدات .

(٥) فى نسخة س «الرفع» وهو تصحيف والصيغة الصحيحة المثبتة من ب .

(٦) أى «بكلمة ذُهِب» .

(٧) انظر محمود الطناحى : ابن معطى وآراؤه النحوية ، ص ١٠ - ١١ .

(٨) فى نسخة س «فقرر» والصيغة المثبتة من ب .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

مدة يسيرة . فرأى الملك [الكامل](١) جنازته [من القلعة](٢) وليس [١٣] معها الا نفر يسير، [فسأل عنها فقيل إنها جنازة زين الدين بن معطى](٣) ، فغضب على الفقهاء الذين بمصر والقاهرة حيث لم يشيعوا جنازته . [وأراد أن يقطع جماعة منهـم ، فشُفع فيهم عنده فتركهم](٤) .

ووفد إلى الملك الكامل جماعة من أهل العلم ، فأكرمهم وقرر لهم الجامكيات [وأحسن إليهم](٥) ، فمن وفد إليه الشيخ تاج الدين الأرموى ، إمام وقته فى الأصولين والمعقولات ، وأقام عنده مدة مكرما . ووفد إليه الإمام أفضل الدين الخونجى(٦) ، وكان فاضلا فى المنطق والمعقولات والطب ، وأما ذهنه ففى غاية(٧) التوقد والإدراك ، فاستحضره(٨) الملك الكامل فسأله(٩) عن مسألتين فى الطب ، فاتفق أنه أخطأ فيهما

---

(١) مابين الحاصرتين مثبت فى س وفى هامش نسخة ب .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٤) فى نسخة ب « وأمر بقطع رواتبهم ثم ردها إليهم » والصيغة المثبتة من س .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٦) هو الإمام العالم قاضى القضاة أفضل الدين أبو عبد الله محمـد الخونجى ، نسبة إلى خونج أو خونا ، وهى بلدة من أعمال أذربيجان بين مراغة وزنجان فى طريق الرى . ذكر ابن أبى أصيبعة (عيون الأنباء، ج ٢ ، ص ١٢٠ — ١٢١) أنه كان « سيد العلماء والحكماء ، أوحد زمانه وعلامة أوانه » وأنه تميز فى العلوم الحكمية وأتقن الأمور الشرعية ، وأنه التقى به فى القاهرة سنة ٦٣٢ هـ . وقرأ عليه بعض الكليات من كتاب القانون لابن سينا . ولأفضل الدين من الكتب ؛ شرح ماقاله الرئيس ابن سينا فى النبض ، وكتاب كشف الأسرار فى علم المنطق ، وكتاب أدوار الحميات ، وغير ذلك ، وتوفى فى القاهرة سـنة ٦٤٦ هـ بعد أن تولى منصب قضاء القضاة ؛ انظر أيضا ياقوت (معجم البلدان) ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، ٣١٥ ، ٣٣٢ .

(٧) فى نسخة س « فكان فى غاية » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) فى نسخة س « واستحضره » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) فى نسخة س « وسأله » والصيغة المثبتة من ب .

فانحط عنده قليلا . سأله عن الخيار كيف ينبغى أن يؤكل ؟ . وسأله لم إذا أُكل[١] الحلو مع غيره يُتقيأ الحُلو بعد ما أكل معه[٢]، وإن أُكل الحلو أولا ؟ . فأجاب عن الأولى بأن الخيار أفضل ما أُكل مع قشره ، وأخطأ فى ذلك لأن قشره فى غاية الغلظ ، فأفضل ما يؤكل أن يُقشر[٣] ويقطع ويؤكل بالخل . وإنما غَلَّطَ أفضل الدين [الخونجى[٤]] قول أبى على بن سينا فى القانون أن الخيار ينبغى أن يؤكل مع قشره، وهذا خطأ من أبى على، وقد غلّطهُ فيه سائر الأطباء . وأجاب عن الثانية بجواب غير مرضٍ[٥] ولم أحفظه . [والجواب الحق[٦]] ؛ أن الطبيعة لملائمتها الحلو تشح به ، فلهذا يُتقيأ أخيرا .

ولما أجاب أفضل الدين الملك الكامل بما أجابه به دخل الحكيم الرشيد بن أبى حليقة[٧] على الملك الكامل فسأله عن هاتين المسئلتين فأجاب بالجواب[٨] الصحيح . فقال الملك الكامل : « فقل لمولاى الذى قال كذا وكذا » تهكما به . وخجل[٩] أفضل الدين . وليس هذا[١٠] إنصافا من الملك الكامل ، فإنه ليس الغلط فى مسئلة أو مسائل قليلة مما يقضى بعدم الفضيلة ، فإنه ليس يمكن الإحاطة بجميع المسائل .

---

(١) فى نسخة س « وسأله إذا » والصيغة المثبتة من ب .
(٢) فى نسخة س « بعدما أكل » والصيغة المثبتة من ب .
(٣) فى نسخة س « ما اكل » والصيغة المثبتة من ب .
(٤) ما بين الحاصرتين للتوضيح .
(٥) فى المتن « غير مرض » .
(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .
(٧) فى نسخة ب « خليفة » وهو تصحيف والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة س ، انظر ما سبق ص ١٥٤ .
(٨) فى نسخة س « الجواب » ، والصيغة المثبتة من ب .
(٩) فى نسخة س « فخجل » ، والصيغة المثبتة من ب .
(١٠) فى نسخة س « وليس كان هذا » ، والصيغة المثبتة من ب .

ثم إن الملك الكامل قـرر لأفضل الدين جامكية جيدة ، وأقام مكرما عنده ، وبعثه رسولا إلى سـلطان الروم . ولما عاد من الرسالة اتفق موت [السلطان](١) الملك الكامل ، فرجع أفضل الدين إلى بلاد الروم وأقام ، ثم تولى القضاء . [٣ ب] واتفق وقـوع الكسرة على سـلطان الروم غيـاث الدين كيخسرو من التتر ، على ما سنذكره إن شاء الله تعـالى(٢) . واضطربت البـلاد بسبب التتر ، فسافر أفضـل الدين إلى الديار المصرية فولاه المـلك الصالح [نجم الدين أيوب(٣)] القضاء بمصر وتدريس المدرسة الصالحية المنسوبة إليه بالقاهرة(٤) ، وعظم شأنه ، وسيذكر ذلك فى موضعه .

وكان الملك الكامل [رحمه الله(٥)] مغرما بسماع الأحاديث النبوية ، شـديد العناية بجملة الحديث النبوى . وممن وفد إليه من علماء المحدثين الإمام مجد الدين أبو الخطاب عمـر بن دِحيه(٦) ، فتقدم عنده [وأكرمه(٧)] [ولازمـه(٨)] وبنى له دار

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٢) فى نسخة ب « على ما سنذكر » ، والصيغة المثبتة من س .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب ، انظر أيضا المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٣١٥ .

(٤) المدرسة الصالحية أنشأها السلطان الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م . وترجع أهميتها الى النظام الأربعى الذى اتسع لتدريس المذاهب الأربعة (الشافعى — الحنفى — المالكى — الحنبلى) فى بناء واحد ؛ انظر المقريزى : الخطط ج ٢ ، ص ٢٣٦ ، ٣٧٤ ؛ حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٧٧ — ٧٨ .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٦) عن الحافظ مجد الدين بن دحية ، انظر ما سبق ص ٥٢ وحاشية ٢ .

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ومثبت فى س .

(٨) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

الحديث(١) بين القصرين فى الجانب الغربى ، وجعله شيخها ، ووقف(٢) عليها وقفا جليلا . وكان يصعد إليه إلى القلعة فى غالب الأوقات ويستفيد منه . وكان فى أمهات مجد الدين هذا [امرأة(٣)] شريفة علوية ، فكان يكتب فى إجازاته وسماعاته [كذلك . وكان يكتب(٤)] ذو الحسبين(٥) والنسبين ابن دحية والحسين . وكان فى مجد الدين جرأة [وحدة كثيرة(٦)] . حضر يوما مع الملك الكامل مجلس وعظ فأنشد الواعظ :

تزود من الماء النقاخ(٧) فلن(٨) ترى ... بوادى الغضا(٩) ماء نقاخا(١٠) ولا بردا

فصحف الواعظ وقال النقاح بالحاء المهملة ، فصاح مجد الدين « أخطأت — لعنك الله — النقاخ بالخاء » .

---

(١) دار الحديث الكاملية أسسها السلطان الكامل سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م ، وهى أول دار من نوعها فى مصر للحديث النبوى وعلومه ؛ انظر ، المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ٣٧٥ ؛ حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٧٧ .

(٢) فى نسخة س « وأوقف » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وفى ب « وكتب » .

(٥) فى نسخة س « الحسنى » ولعله تصحيف ، والصيغة المثبتة من ب ، وذكر ابن خلكان (وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٨١) أنه « كان يكتب بخطه ذو النسبين دحية والحسين رضى الله عنهما » ودحية هو دحية الكلبى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س ، وفى ب « وحده وحه كثير » وهو تصحيف .

(٧) النقاخ هو الماء البارد العذب الصافى ، انظر الزبيدى (تاج العروس ، ج ٢ ، ص ٢٨٣) .

(٨) فى نسخة ب « ولن » والصيغة المثبتة من س وكلاهما صحيح .

(٩) ورد فى ياقوت (معجم البلدان) أن الغضا واد بنجد .

(١٠) فى نسخة س « ما نقاخ » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من ب .

وكان الملك الكامل — رحمه الله — يبيت عنده جماعة من الفضلاء فى بعض الليالى يأنس بهم مثل الشيخ جمال الدين اليمنى النحوى ، والفقيه عبـد الظاهر ، والأمير صلاح الدين بن شـعبان الإربلى (١) ، وكان متأدبا له شـعر حسن . وكانت تنصب لهم تخوت إلى جانب تخته ينامون عليها و يسامرونه (٢) و يحاورونه فى العـلوم والآداب (٣) .

والصلاح الإربلى المذكور ، هو أحمد بن [عبد] (٤) السيد بن شعبان من بيت كبير بإربل ، وكان أحد حجـاب مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين صاحب إربل ، فتغير عليه واعتقله مدة ثم أفرج عنـه ، فقصد الشام واتصل بخدمة الملك المغيث فتح الدين عمر بن السلطان الملك العادل ، وكان قد عرفه [٤ أ] لمـا كان بإربل عند عمته ربيعة خاتون بنت أيوب ، وحسنت حاله عنده .

ولمـا توفى الملك المغيث انتقل الصلاح إلى الديار المصرية ، واتصل بخدمة السلطان الملك الكامل . وعظمت منزلته عنده ، ووصل إلى ما لم يصل إليه غيره . واختص به فى خلواته وأمره . وكان صـلاح الدين ذا فضـيلة تامة ومشاركات حسنة . وذكر أنه كان يحفظ فى الفقـه « الخلاصة (٥) » للغزالى — رحمـه الله .

---

(١) فى نسخة س « الأمير صلاح الدين شعبان » والصيغة المثبتة من نسخة ب .

(٢) فى نسخة س « و يشاورونه » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من نسخة ب ، وورد فى المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٥٩) « فينصب لهم أسرة ينامون عليها بجانب سريره ليسامروه » .

(٣) الصفحات التالية ساقطة من نسخة س ومثبتة فى ب ، وسوف يشار إلى نهاية الجـزء الساقط ، انظر ما يلى ص ١٦٩ حاشية ١ .

(٤) ما بين الحاصرتين مذكور فى هامش نسخة ب ؛ انظر ترجمته فى ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٥٩ — ٦٠ .

(٥) لعله يقصد كتاب « خلاصة الوسائل إلى علم المسائل » للإمام أبى حامد الغزالى ، انظـر حاجى خليفة (كشف الظنون ج ١ ، ص ٧١٩) .

وله نظم حسن ودو بيت بديع[١]، وبه تقدّم عنـد الملوك . ثم إن المـلك الكامل تغير عليـه فى المحرم سنة ثمـان عشرة وستمائة وهو بالمنصورة فى مقابلة الفرنج بعد تملكهم دمياط . ولم يزل فى الاعتقال مضيقا عليـه إلى شهر ربيع الأول[٢] سـنة ثلاث وعشرين وستمائة . فكتب الصـلاح الى السلطان الملك الكامل بدو بيت يستعطفه ، وهو :

ما أمر تجنيـك على الصب خفى أفنيت زمانى بالأسى والأسـف
ماذا غضبٌ[٣] بقـدر ذنبي ولقـد بالغت وما أردت إلا تلـفى

وقيل أنه كتب إليه أيضا :

اصنع ما شئت أنت أنت المحبوب ما لى ذنب بلى كما قلت ذنوب
هـل تسمح بالوصال فى ليلتنـا تجلو[٤] صدأ القلب وتعفو وأتوب

فأطلقه من الأعتقال، وعادت منزلته إلى ما كان أولا وأحسن . وكان الملك الكامل قد تغير على بعض إخوته [وهو الملك الفائز سابق الدين ابراهيم بن الملك العادل[٥]] فدخل على الصلاح وسأله أن يصلح أمره مع [أخيه[٦]] الملك الكامل . فكتب إليه الصلاح :

(١) فى ابن خلكان (وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٥٩) « وله نظم حسن ودو بيت رائق وبه تقدم عند الملوك » . والدو بيت من فنون الشعر المعربة الخارجة عن وزن وتركيب البحور الستة عشر المعروفة فى الشعر العربى ، والدو بيت نقل من الفارسية إلى اللغة العربية ، واللفظ « دو بيت » مركبة من كلمتين ، معنى الأولى منهما اثنان ، وثانيتهما هى بمعناها العربى ، فلا يقال منه إلا بيتان بيتان فى أى معنى يريده الناظم ، انظر السيد أحمد الهاشمى ، ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب (القاهرة ١٩٦١) ، ص ١٤٤ .

(٢) كذا فى نسخة المخطوطة بينما ورد فى ابن خلكان (ج ١ ، ص ٦٠) « شهر ربيع الآخر » .

(٣) فى المخطوطة « غضـبا » ولعله تحـريف والصيغة المثبتة الصحيحة من ابن خلكان (وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٦٠)

(٤) فى المخطوطة « تجلوا » ، والصيغة المثبتة من ابن خلكان ، (نفس الجزء والصفحة)

(٥ — ٦) مابين الحاصرتين للتوضيح من ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٦٠ .

وشرط صاحب مصر أن يكون كما قد كان يوسف فى الحسنى لإخوته
أسوا فقابلهم بالعفو وافتقروا فسبرهم وتولاهم برحمته

وكان الملك الكامل قد سير الصلاح رسولا إلى الانبرطور — لما كان بعكا سنة ست وعشرين وستمائة — لتقرير القواعد واستحلافه له ، فاستحلفه وكتب إلى الملك الكامل :

زعم اللعين[1] الانبرور بأنه سلم يدوم لنا على أقواله
شرب اليمين فإن تعرض ناكثا فلنأكلن[2] لذاك لحم شماله

ومن شعر الصلاح :

وإذا رأيت بنيك فاعلم أنهم قطعوا إليك مسافة الآجال
وصل البنون إلى محل أبيهم وتجهز الآباء للترحال[3]

ولما كان الملك الكامل بالقرب من السويداء من بلد آمد — كما قدمنا ذكره فى السنة التى كانت فيها وقعة خرتبرت[4] — مرض الصلاح بالمعسكر الكاملى فنقل إلى الرها ، فمات قبل دخولها فى منتصف ذى الحجة[5] سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، فدفن بظاهرها ، ثم نقله ولده من هناك إلى الديار المصريه فدفنه فى تربته بالقرافة الصغرى فى آخر شعبان سنة سبع وثلاثين وستمائه . ومولده سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بإربل .

(١) فى ابن خلكان (وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٦٠) « الزعيم » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) الصيغة المثبتة من المخطوطة وفى ابن خلكان (نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٦٠) « فلنأكلن » وكلاهما صحيح .

(٣) فى المخطوطة « بالترحال » والصيغة المثبتة من ابن خلكان (نفس المصدر والجزء والصفحة) .

(٤) انظر ما سبق ، ص ٧٨ — ٧٩ .

(٥) الصيغة المثبتة من المخطوطة وفى ابن خلكان (وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٦٠) « فمات قبل دخولها فى الخامس والعشرين من ذى الحجة » .

وكان مجد الدين أبو الخطاب عمر بن دِحية مع فرط معرفته بالحديث وحفظه الكثير له، يُتهم بالمجازفة فى النقل. وبلغ ذلك الملك الكامل — على ما بلغنى — فأمره أن يعلق شيئا على كتاب الشهاب المنسوب إلى القضاعى[(١)]، فعلّق عليه كتابا طعن على بعض الأحاديث التى فيه وصحح البعض، وتكلم على الأسانيد. ولما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعده: «قد ضاع منى ذلك الكتاب، فعلّق لى مثله». ففعل، ولم يكن عنده مسودة الكتاب الأول، فجاء فى الكتاب الثانى مناقضة لما ذكر فى الكتاب الأول؛ فعلم الملك الكامل صحة ما نُقل عنه، فنزلت مرتبته فى عينه. وكان ولاه مشيخة دار الحديث الذى بين القصرين — كما قدمنا ذكره[(٢)] — فعزله عنها فى آخر وقته، وولاها لأخيه الحافظ أبى عمرو عثمان بن الحسن بن دِحية. وكان أسن من أبى الخطاب، وكان حافظا للغة العربية قيما بها.

وكان مولد أبى الخطاب مستهل ذى القعده سنة أربع وأربعين وخمسمائة. وتوفى فى الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بالقاهرة. ودفن بسفح[(٣)] المقطم — رحمه الله.

---

(١) يقصد كتاب (شهاب الأخبار فى الحكم والأمثال والآداب) من الأحاديث النبوية للقاضى أبى عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن على بن حكمون القضاعى الشافعى المتوفى سنة ٤٥٤ هـ، انظر حاجى خليفة، كتاب كشف الظنون، ج ٢، ص ١٠٦٧.

(٢) انظر ما سبق، ص ١٦٣.

(٣) الكلمة غير واضحة فى المتن والصيغة المثبتة من ابن خلكان (وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٨٢).

وتوفى أخوه أبو عمرو فى ثالث عشر جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين [٥ ا] وستمائة بالقاهرة ، ودفن بسطح المقطم . وكانت له رسائل يستعمل فيها حوشى اللغة(١) وغريبها ، من ذلك أنه كتب فى أول كتاب إلى الملك الكامل يقبل البوغاء(٢) ويبلطح(٣)، ومن هذا وشبهه مما تمجه الأسماع ولا تقبـله الطباع .

وقد روى للملك الكامل شعر ؛ فمن ذلك :

لا أوحشت من مغانى القوم أوطان ... ولا خلا منهـــم أثل ولا بان
وأين ما نزلوا فى الحالتين معـا ... فإنهم فى سـويداء القلب سُكَّانُ
يا غائبين لقــد خلَّفتم جسـدا ... ما فيـــه إلا صـبابات وأشجـان
يأبين رفقـا بأكـباد مقـرحة ... تُشبّ فيهـا من التفريق نيران
جارَ الفـــراق على قلـبي فأحرقه ... يا للــرجال ومن عينى غدران ؟

ومن ذلك فى معذَّرٍ(٤) :

يا بروحى معذر قام عـذرى ... فى هـــواه مراعيا لوشـاتى
خلب القلب، يخلب الصُّدغ(٥) منه ... ورمـاه فى جمــرة الوجنات
فسويداه حين أحرقهـا الشـعـ ... ـر تلاشت فى صورة الشعرات
واكتست بهجة وأضحت غدارا(٦) ... مرسّلا فى الجمـال بالمعجزات

(١) حوشى اللغة هو الغامض والمشكل والغريب ، انظر الزبيدى ، تاج العروس ، ج ٤ ، ص ٣٠٢ .

(٢) البوغاء : التراب ، انظر الزبيدى ، ج ٦ ، ص ٦

(٣) أى ضرب بنفسه الأرض ، انظر ، الزبيدى ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

(٤) ذكر ابن منظور (لسان العرب ، ج٦ ، ص ٢٢٤) أن العذار استواء شعر الغلام ، وعذار الرجل شعره النابت فى موضع العذار .

(٥) الصدغ هو الشعر المتدلى على الصدغ ، انظر الزبيدى (تاج العروس ، ج٦ ، ص ٢١) .

(٦) الغديرة هى الذؤابة ، وجمعها غدائر ، وقيل الغدائر للنساء وهى المضفورة ، والضفائر للرجال ، انظر الزبيدى ، ج ، ٣ ، ص ٤٤١ .

وممـا روى له من الشعر وهو حسن :

إذا تحققتم ما عنـد عبـدكم من الغرام فهذا القـدر يكفيه

أنتم سكنتم بقلبي فهـو منزلكم وصاحب البيت أدرى بالذى فيه (١)

و بالجملة فكانت سوق الفضائل عنده نافقة، ما قصده أحد من أهل الفضل إلا واعتنى به .

وكان فى خدمته القاضى الشريف شمس الدين الأرموى قاضى العسكر، وكان فاضلا فى الفقه والأصولين يبحث بحثا حسـنا ، وكان يذكر الدرس فى المدرسـة الناصرية الصلاحية التى بسوق الغزل بمصر (٢) .

وكان أخص الناس بخدمته أولاد الشيخ صدر الدين بن حمويه (٣) وهم : فخر الدين (٤) ، وعمـاد الدين ، ومعـين الدين ، وكمال الدين . وكان فخـر الدين (٥) [٥ ـ ب] قد خلع العمامة ولبس الشربوش والقباء ، ونادم الملك الكامل ، وكان فاضـلا متأدبا يشـارك فى كل فن . وكل (٦) من الباقين كان له نصيب من الفضيلة وافر .

(١) نهاية الجزء الساقط من نسخة س ، انظر ما سبق ص ١٦٤ حاشية ٣ .

(٢) هى المدرسـة التى أنشأها بجوار الجامع العتيق السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى أول المحرم سنة ٥٦٦ هـ برسم الفقهاء الشافعية ، وكان حينئذ يتولى وزارة مصر للخليفة العاضد ، وهى أول مدرسـة عملت بديار مصر ، ودرس بها الشريف القاضى شمس الدين أبو عبد الله الحنفى قاضى العسكر الأرموى ، فعرفت به وقيل لها المدرسة الشريفية من عهده إلى أيام المقريزى وربما بعد ذلك ؛ انظر ، المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ؛ حسنين ربيع ، النظم المالية فى مصر ، ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(٣) أولاد الشيخ بنو حمويه ، انظر ما سبق ، ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٩١ ، حاشية ٣ وكذلك المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٣ ـ ٣٤ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٦١ ؛ Gottschalk, Article "Awlād al-Shaykh" in Encyclopaedia of Islam, 2nd. edition.

(٤ ـ ٥) فى نسخة س « مجير الدين » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة من نسخة ب .

(٦) فى نسخة س « وكان » وهو تصحيف .

وكانت إليهم[١] مشيخة الخانقاة[٢] الناصرية الصلاحية تجاه دار الوزارة المعروفه بخانقاة سعيد السعداء[٣] ، وتدريس المدرسة المجاورة لقبر الإمام الشافعى[٤] — رحمـه الله ، وتدريس المدرسة المجاوره لضريح رأس الحسين — عليه السلام — بالقاهره .

وكل واحد من هؤلاء تقـدم على الجيوش و باشر الحـروب[٥] . وكانت أمهم إبنـة[٦] شهاب الدين بن الشيخ شرف الدين بن أبى عصرون . وذُكر أنها أرضعت الملك الكامل؛ فكل هؤلاء إخوته من الرضاعة؛ فهو سبب تقدمهم عنده .

ولم أجد فى شىء من التواريخ أن ثلاثة إخوة من المـلوك اجتمع لهم من [الشجاعه و[٧]] النجابة والفضائل ما اجتمع فى أولاد الملك العادل الثلاثة ، [وهم[٨] :] الملك الكامل ، والملك المعظم ، والملك الأشرف . وكان الملك الكامل أحزمهم وأسوسهم ، والملك المعظم أشجعهم وأعلمهم ، والملك الأشرف أسمحهم وأنداهم كفا، رحمهم الله أجمعين .

---

(١) فى نسخة س «لهم» ، والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س «الخانكاة» والصيغة المثبتة من ب .

(٣) هى الخانقاة التى جعلها صـلاح الدين يوسف بن أيوب برسم الفقراء الصوفيـة الواردين من البلاد الشاسعة ووقفها عليهم فى سنة ٥٦٩ هـ وولى عليهم شيخا ووقف عليها أوقافا عدة وكان سكان هذه الخانقاة من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم . وولى مشيختها الأكابر والأعيان كأولاد شيخ الشيوخ ابن حمويه وغيرهم ، لتفصيل ذلك انظر ، المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤١٥ — ٤١٦ ؛ حسنين ربيع ، النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين ، ص ٧٤ .

(٤) يقصد المدرسة التى شيدها صلاح الدين يوسف بن أيوب بجوار قبـة الإمام الشافعى أنظر ، المقريزى ، الخطط ج ٢ ص ٤٠٠ — ٤٠١ .

(٥) فى نسخة س « يقوم على الجيوش و يباشر الحروب » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٦) فى نسخة س «وكانت أمهم أم شهاب الدين بن الشـيخ شرف الدين بن أبى عصرون » وهو تحريف ، والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة ب ، انظر ، المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٦١ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٣ — ٣٤ .

(٧ - ٨) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ومثبت فى س .

وكانت أولاد الملك الكامل الذكور ثلاثة : الملك المسعود صلاح الدين يوسف صاحب اليمن ، وتوفى فى حياة أبيه ، وقد ذكرنا أخباره . والملك العادل سيف الدين أبو بكر، وولى الملك بعده. والملك الصالح نجم الدين أيوب، وولى بعد الملك العادل على ماسنذكره . وأكبرهم الملك المسعود وأصغرهم الملك العادل . وكان له عدة بنات . ودُفن [الملك الكامل](١) بالقلعة، ثم نقل إلى تربة بنيت له ، لها شباك [لافظ إلى](٢) جامع دمشق ، [وجاءت فى غاية الحسن](٣) .

ذكر استيلاء الملك الجواد مظفر الدين يونس ابن مودود بن الملك العادل على دمشق

ولما مات [السلطان](٤) الملك الكامل — رحمه الله — كانت العساكر والأمراء المصرية كلهم بدمشق، [وهم على عزم التحرك إلى جهة حمص وحلب وغيرها](٥) . وكان أرباب الدوله المشار(٦) إليهم بدمشق يومئذ أولاد شيخ الشيوخ [صدر الدين](٧) المذكورون والأمير سيف الدين [١٦ ا] بن قلج وأخوه(٨) عماد الدين ، وكانا من أمراء حلب ، ثم بعد موت الملك العزيز اتصلا بخدمة الملك الكامل .

---

(١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ، ومثبت فى ب .

(٢) فى نسخة س «فى حائط» والصيغة المثبتة من ب .

(٣ — ٤) مابين الحاصرتين من نسخة س ، وساقط من ب .

(٥) ورد مابين حاصرتين فى غير مكانه فى نسخة س (ورقة ٢١٤ ا) وما هنا من نسخة ب .

(٦) فى نسخة س « وكانت أكابر الدولة والمشار إليهم » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ومثبت فى س .

(٨) فى نسخة س « سيف الدين قلج » والصيغة المثبتة من نسخة ب ، وهو سيف الدين على بن قلج الظاهرى ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، ج ٣ ، ص ٢١٤ — ٢١٥ .

وكان الملك الناصر داوُد بن المـلك المعظم أيضا بدمشق نازلًا فى داره المعروفة بدار سامه (١) وهى التى بناها الشيخ نجم الدين (٢) البادرائى (٣) بعد ذلك مدرسة شافعية .

وكان الملك الناصر متوقعا من الملك الكامل أن يُعطيه دمشق حسب ما كان الاتفاق (٤) بينه و بينه . فلما مات الملك الكامل اتفق رأى أرباب الدولة على تحليف الأجناد للملك العادل سيف الدين [أبى بكر] (٥) بن الملك الكامل، وأن يرتب بدمشق نائبا عنـه ابن عمـه الملك الجـوادُ بن مودُود فى السلطنة ؛ إذ لا يمكن [أن] (٦) يحفظ دمشق إلا برجل من أهل بيت الملك (٧) يُرجى و يُخاف . ورأوا أن الملك الناصر إن فوّض هـذا الأمر إليه استبد بالملك لنفسـه وخيف جانبه (٨) ، فأخذوا [عند ذلك] (٩) فى ترتيب الملك الجواد نائبا عن ابن عمه الملك العادل .

---

(١) فى نسـخة س « شامة » والصيغة المثبتة من ب ، ودار سامة بدمشق تنسب إلى سامة الجبلى أحد أكابر الأمراء زمن السلطان العادل الأيوبى ، انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٦٣ ، حوادث سنة ٦٠٩ هـ .

(٢) فى نسخة س « مجد الدين » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة ب « البادراى » وهو تحريف والصيغة الصحيحة المثبتة من س ، وهو الشيخ الإمام نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبى الوفاء البادرائى البغدادى الفرضى ، ولد سنة ٥٩٤ هـ ، وسمع من جماعة وتفقه ، ودرس بالنظامية ، وحدّث بحلب ودمشق ومصر و بغداد ، و بنى بدمشق المدرسة البادرائية ، وتوفى سنة ٦٥٥ هـ ؛ عن هذه المدرسة انظر النعيمى ، الدارس فى تاريخ المدارس ، ج ١ ، ص ٢٠٥ — ٢١٥ .

(٤) فى نسخة س « حسب ما وقع الاتفاق » والصيغة المثبتة من ب .

(٥ — ٦) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٧) فى نسخة س « إلا رجل من أهل البيت » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) فى نسخة س « استبد بالأمر لنفسه و بالملك وخيف من جانبه » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س ، وساقط من ب .

ولما علم الملك الناصر [بن الملك المعظم](١) موت(٢) عمه ظن أن الأمراء يساعدونه [على تمليك دمشق](٣) ، فلم يتم له ما ظنه . وبعث إليه أرباب الدولة يأمرونه بالخروج من دمشق ، فركب من داره خارجا إلى قصره بالقابون(٤) ، وكان أهل دمشق مائلين إليه جدا . فلما ركب اجتمعوا ودعوا له ، ونَوَّهُوا باسمه . [وخرج من دمشق ولا يصدق بالنجاة خوفا أن يُقْبَضَ عليه ، ومضى إلى القابون ونزل به . ثم بلغه أنهم](٥) على عزم التعرض له فسافر إلى بلاده .

وقام الملك الجواد(٦) بالأمر مظهرا أنه نائب(٧) عن الملك العادل ابن عمه . وسافر أكثر العسكر(٨) إلى الديار المصريه ، وبقي عندُه بعض الأمراء لحفظ البلد ؛ منهم الأمير عماد الدين بن شيخ الشيوخ ، وعماد الدين(٩) بن تلج وجمع من العساكر المصرية والمماليك الأشرفيه . وكانوا شوكةً قويةً ، مقدمهم [الأمير](١٠) عز الدين أيبك [الأسمر](١١) الأشرفي .

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٢) في نسخة س « بموت » ؛ والصيغة المثبتة من ب .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وورد بدله في ب « على ذلك » .

(٤) في نسخة س « بالقانون » وهو تحريف والصيغة الصحيحة المثبته من نسخة ب . وذكر ياقوت (معجم البلدان) أن قابون موضع بينه وبين دمشق ميل واحد في طريق القاصد إلى العراق في وسط البساتين .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٦) في نسخة س « ولما رتبوا الملك الجواد بدمشق قام الملك الجواد » والصيغة المثبته من ب .

(٧) في نسخة س « أنه نائبا » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من ب .

(٨) في نسخة س « العساكر » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) في نسخة س « عز الدين » ولعله تصحيف والصيغة المثبتة من نسخة ب ، انظر ماسبق ص ١٧١ .

(١٠ — ١١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في ب .

ذكر استقلال [السلطان](1) الملك العادل سيف الدين أبى(2) بكر ابن الملك الكامل [بملك الديار المصرية](3)

[٦ ب] ووصلت إلى مصر [أكثر](4) العساكر الكاملية وفيهم فخـر الدين(5) ابن شـيخ الشيوخ وأخواه كمال الدين ومعين الدين ، وسيف الدين بن قلج(6) ، وأكابر الدولة وعظماؤها سوى من تخلف بدمشق مع الملك الجواد .

واستقل الملك العادل بملك الديار المصرية(7) ، وأخرج مافى الخزائن من الأموال وبذله ، وأكثر [من](8) العطاء حتى بدد(9) فى المـدة اليسيرة من الأموال الكثيرة ما جمعه أبوه فى المـدد(10) الطويلة(11) . وأقبل على الملاذ واللهو [واللعب](12) . واتخـذ لنفسه جماعة يساعدونه على ماهو بصدده من اللعب واللهو . وأبعـد أهل الرأى

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٢) فى نسخة س « أبو » وهو تحريف والصيغة الصحيحة المثبتة من ب .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة ب وفى نسخة س « بالديار المصرية بالمملكة » .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٥) فى نسخة س « مجير الدين » وهو تحريف ، انظر ماسبق ، ص ١٦٩ حاشية ٤ — ٥ .

(٦) فى نسخة س « سيف الدين قلج » والصيغة المثبتة من نسخة ب ، انظر ماسبق ، ص ١٧١ حاشـية ٨ .

(٧) فى نسخة س « بالديار المصرية بالمملكة » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٩) فى نسخة س « بدل » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من ب .

(١٠) فى نسخة س « المدة » ، والصيغة المثبتة من نسخة ب .

(١١) ذكر المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٩٦) أن « أباه الملك الكامل ترك ماينيف على ستة آلاف دينار مصرية ، وعشرين ألف ألف درهم ، فـرقها كلها . وكان العادل يحمل المـال إلى الأمراء وغيرهم على أقفاص الحمالين ، ولم يبق أحد فى دولته إلا وشمله انعامه » .

(١٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

والمعرفة، ومن كان أبوه يعتمد عليهم فى أموره . وكان ذلك سبب اختلال أموره (١) وزوال ملكه . وجرى عليه ما سنذكره [من الفساد فى أمره (٢)] إن شاء الله تعالى .

وأما الملك الجواد فإنه شرع فى بذل الأموال [أيضاً (٣)] بدمشق ، وأخرج ما فى الخزائن من الأموال والخلع . فخلع على الأمراء والأجناد وأكثر من العطاء ليستميلهم إليه (٤) ، وقوى طمعه فى ملك دمشق والاستبداد بملكها . وكان يُذكر [اسمه (٥)] فى الخطبة بعد ابن عمه الملك العادل .

وأما الملك الناصر داود فإنه لما مضى إلى بلاده استولى على غزة والسواحل التى كانت بيد [الملك (٦)] الكامل وأضافها إلى ملكه (٧) ، واستخدم عسكراً كثيراً ، [وأقام (٨)] بغزة . وكاتب ابن عمه الملك العادل يطلب منه أخذ دمشق ليكون نائباً عنه بها . فلم تقع إجابته (٩) إلى ذلك ، فأرسل إليه ثانيا يقول له : « إن أباك السلطان الملك الكامل التزم لى أنه يعيد (١٠) إلىَّ مملكة والدى ، وأنا قد وليت على البلاد الساحلية لأنها من جملتها ، فتساعدنى على تسليم دمشق وباقى البلاد ، وأكون من قبلك وفى (١١) طاعتك كما كنت مع أبيك » . وترددت بينه وبين الملك العادل الرسائل فى هذا المعنى .

---

(١) فى نسخة س « أمره » والصيغة المثبتة من ب .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ومثبت فى س .
(٤) فى نسخة ب « يستميلهم » والصيغة المثبتة من س ، وكلاهما صحيح .
(٥ — ٦) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ومثبت فى س .
(٧) فى نسخة س « مملكته » والصيغة المثبتة من ب .
(٨) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ومثبت فى س .
(٩) فى نسخة س « الإجابة » ، والصيغة المثبتة من ب .
(١٠) فى نسخة س « كان قد التزم أن يعيد » ، والصيغة المثبتة من ب .
(١١) فى نسخة س « ومن » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة من ب .

ذكر الأمور المتجددة[1] بعد موت[2] الملك الكامل بحمص وحماة وحلب والشرق

أما حمص فإن صاحبها الملك المجاهد [أسـد الدين[3]] كان قـد أيقن بالبوار والدمار، وكان [٧ أ] يتوقع وصول الملك الكامل بعساكره [إليه[4]] يوما بعد يوم[5]. وبينما هو فى قلقه وخوفه إذ جاءه الفرج بعد الشدة بغتة ، ووردت[6] عليه بطاقة من دمشق من بعض أصحابه يخبره [فيها[7]] بمـوت الملك الكامل . فحكى لى أنه لمـا وردت عليه البطاقة بذلك كاد يستطير من الفرح والسرور . وكان بنوه بين يديه فلم يطلعهم على الخبر بل قال : «شدوا لى على[8] خيل الكرة لأنزل إلى الميدان وألعب بالصوالجـة » . فتعجب أولاده من ذلك إذ لم يكن [من[9]] عادته اللعب لاسيما وهو فى عشر السبعين وهو فى تلك الحـال[10] الصعبة، وأولاده شركاؤه فيها ، فقالوا له : «فى مثل هذا الوقت الصعب نفعل مثل هذا»؛ فرفع صوته وقال : « مات الملك الكامل »، ونهض قائما على قدميه ونزل هو وأولاده إلى الميدان ولعبوا فيه بالصوالجة . وأخذ[11] فى الإغارة على بلد حماة وإخراب ضياعها .

---

(١) فى نسخة س « المتجددات » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « وفاة » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة ب ، وساقط من س .

(٥) فى نسخة ب « يوما فيوما » ، والصيغة المثبتة من س .

(٦) فى نسخة س « وردت » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة س ، وساقط من ب .

(٨) فى نسخة س « شدوا على » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(١٠) فى نسخة س « الحالة » ، والصيغة المثبتة من ب .

(١١) فى نسخة س « وأخذوا » ، والصيغة المثبتة من ب .

وأما الملك المظفر صاحب حماة فإنه — كما قدمنا ذكره[1] — كان نازلا بعساكره على[2] الرستن مترقبا لوصول الملك الكامل لينازل معه حمص ، [فلم يفجأه إلا][3] خبر موت خاله الملك الكامل ، فاشتد لذلك جزعه وحزنه[4] . ودخل[5] إلى حماة [لوقته][6] ، وأقام بها العزاء في الجامع الأعلى .

وبعث الملك المجاهد [صاحب حمص][7] نوابه إلى سلمية فتسلموها وطردوا منها نواب الملك المظفر . وقطع[8] القناة التي يجيء فيها الماء إلى حماة ، فخربت بسبب قطعها بساتين الحروف بحماة[9] وهي معظم بساتينها ، وجفت أشجارها . ثم عزم على قطع النهر العاصي عن حماة ، وهو يخرج من سد على بحيرة قُدس . وكان يقال أن حمص كانت لها ملكة في قديم الزمان فكانت تقطع العاصي بأن تسد مخرجه من البحيرة ، فيذهب العاصي إلى وادٍ يقال له وادي الحيات ، فكانت إذا فعلت ذلك حمل أهل حماه وشيزر القطيعة إليها فتطلق النهر لهم . فظن الملك المجاهد أن هذا يتم [له][10] وأنه يخرب بسبب قطعه النهر بقية البساتين ، ويتمكن من أخذ حماة بسبب [ذلك و][11] أنه ليس [٧ ب] بينها وبين النهر سور يمنع من الدخول

(١) انظر ما سبق ، ص ١٥٣ .

(٢) في نسخة س « الى » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٣) في نسخة س « فلم يشعر الا وقد دهمه » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) ذكر ابن أيبك الدواداري (الدر المطلوب ، ص ٣٣٠) أنه لما بلغ صاحب حماة موت الكامل : « انقطع ظهره ، واشتد خوفه من صاحب حمص » .

(٥) في نسخة س « ورجع » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في ب .

(٧) أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح . (٨) في نسخة س « وقطعوا » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) في نسخة س « نخربت بسبب قطعها بساتين حلب وهي الجروف » ولعله تصحيف ، والصيغة المثبتة من ب .

(١٠ — ١١) ما بين الحاصرتين من نسخة س ، وساقط من ب .

إليهـا ، فسد المخرج الذى يخرج العاصى منـه فانقطع العاصى عن حمـاة يومين ، و بطلت(١) النواعير والطواحين وذهب المـاء فى الأودية . ثم لمـا لم يجد له مسلكاً(٢) عاد بقوةٍ وهـدم البناء الذى بناه صاحب حمص فى السـد ، وعاد [المـاء(٣)] إلى مجـراه كما كان . ولمـا أعجزه ذلك أخذ فى الإغارة [على بلد حماة(٤)] والإفساد ونهب الضياع .

وأما الملك الصالح [نجـم الدين أيوب(٥)] بن الملك الكامل فإنه بعـد أخذه سنجار [و بلادها(٦)] سار — كما ذكرنا — إلى الرحبة ، وهى للملك المجاهـد صاحب حمص لحاصرها بتقدّم أبيه إليه فى ذلك . و بينما هو يحاصر الرحبة(٧) إذ و رد عليـه الخـبر بوفاة أبيـه الملك الكامل ، فرحل عن الرحبة ، وطمعت الخوارزمية فيه(٨) . وكانوا — كما قدمنا — قد استخدمهم [الملك الصالح(٩)] ودخلوا فى طاعته ، فخرجوا عن طاعته لمـا بلغهم موت الملك الكامل ، فخافهم(١٠) الملك الصالح وقصـد سنجار فاختفى بها خوفاً على نفسه . ثم ظهر ، وجرى له [بعد ذلك(١١)] ما سيـأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) فى نسخة س « فبطلت » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « ثم إن المـاء اذ لم يجد مسلكا » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٣ — ٦) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٧) فى نسخة س « محاصرا للرحبة » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٨) فى نسخة ب « وطمعه الخوارزميه فيهم » ، والصيغة المثبتة من س .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٠) فى نسخة س « نخاف منهم » ، والصيغة المثبتة من ب .

(١١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

وتحكمت الخوارزمية فى البلاد الجزرية [١]، وبعث الملك الصالح رسولاً إلى عمته الصاحبة والدة الملك العزيز [يشفع إليها فى الملك المظفر صاحب حماة، فلم يُجب سؤاله، فاعتذرت بما بدا منه، فطلب الرسول عن صاحبه الملك الصالح] [٢] الموافقة [٣] والمعاضدة على أن يسفر [٤] فى الصلح بينه وبين السلطان غياث الدين [كيخسرو] [٥] سلطان الروم، فأجيب جواباً لم يحصل منه على طائل.

وورد إلى حلب رسول [السلطان] [٦] الملك العادل صاحب مصر، يطلب الموافقة بينه وبينهم، على أن يجروا معه على قاعدة أبيه فى الصلح وإقامة الخطبة والسكة على ما كان فى زمن [٧] الملك الكامل. فلم تجبه الصاحبة إلى شىء من ذلك، ورجع الرسول بغير طائل. وكان المقدمون بحلب لما ملك [الملك] [٨] الكامل دمشق استشعروا من الملك الكامل وخافوا منه خوفاً شديداً. وغلب على ظنونهم أنه لابد أن يقصدهم. وكان لهم بدمشق عند الملك الصالح إسماعيل نجدة مقدمها ناصح الدين الفارسى ـ وقد ذكرنا [١٨] ذلك ـ فلم يتعرض الملك الكامل لتلك النجدة، ورجعوا إلى حلب.

---

(١) فى نسخة س «الجزيرية» والصيغة المثبتة من ب، وعن خروج الخوارزمية، انظر ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٤١ — ٢٤٣.

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س، ومثبت فى ب.

(٣) فى نسخة س «فى الموافقة» والصيغة المثبتة من ب.

(٤) فى نسخة س «يستقر»، والصيغة المثبتة من ب.

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س، وساقط من ب.

(٦) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س.

(٧) فى نسخة س «زمان»، والصيغة المثبتة من ب.

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

ثم استدعت الصاحبة الملك المعظم بن صلاح الدين وباقى إخوته وأقاربه، والأمراء[1] على طبقاتهم، فحلفوا للملك الناصر [بن الملك العزيز][2] ولجدّته الصاحبة أم الملك العزيز. ثم استحلفت أكابر البلد والرؤساء[3]، ثم الأجناد والعامة. واستعدت للحصار بالذخائر والأقوات والأحطاب وكل ما يحتاج إليه الحصار. ونقلت حجارة المنجنيق إلى أبواب البلد، واستخدمت جماعة من الخوارزمية وغيرهم. ووصل قُنغر[4] التركمانى فاستخدمته وقدّمته على التركمان. وقفز جماعة من عسكر الملك الكامل فاستخدمتهم، وتابعت الرسل إلى سلطان الروم غياث الدين كيخسرو لطلب النجدة[5]، فسيَّر [إليها][6] نجدة من أجود عسكره، وعرض تسيير[7] غيرها، فاكتفت[8] بمن سيَّره.

---

(١) فى نسخة س « وباقى الأمراء »، والصيغة المثبتة من ب.

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

(٣) فى نسخة س « ورؤساءها »، والصيغة المثبتة من ب.

(٤) فى نسختى المخطوطة « قنعر » وقنغر التركمانى هذا كان أميرا من التركمان حشد — فى سنة ٦٣٤ هـ بعد موت الملك العزيز — جمعا من التركمان وعاث فى أطراف بلاد حلب ونهب ضياعا متعددة، فخرج إليه عسكر من حلب فكسر قنغر ذلك العسكر؛ وذلك قبل استخدامه بحلب انظر، ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٢٩ — ٢٣٠، ٢٣٦.

(٥) فى نسخة س « تطلب منه النجدة » والصيغة المثبتة من ب، وفى ابن العديم (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٣٦) « وتابعت الرسل إلى ملك الروم لطلب نجدة تصل إلى حلب من جهته ».

(٦) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

(٧) فى نسخة س « بتسيير » والصيغة المثبتة من ب.

(٨) فى نسخة م « واكتفى » والصيغة المثبتة من س، وفى ابن العديم (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٣٦) « وعرض عليهم أن يسير غيرها، فاكتفوا بمن سيره ».

وسير غياث الدين [ملك الروم](١) رسولاً إلى الملك الكامل يخاطبه فى الامتناع عن قصد حلب . واتفق(٢) موت الملك الكامل . ولما وصل خبر موته(٣) إلى حلب عُمل له بها العزاء، وحضره السلطان الملك الناصر - [رحمه الله](٤) - وعمره يومئذ ثمان سنين . ثم تقدمت الصاحبة إلى عسكر حلب بالتوجه إلى بلاد الملك المظفر وقصده ، وأن تقع(٥) البداية بأخذ [قلعة](٦) المعرة وبلدها ، ثم بعد ذلك التقدم إلى حماة وحصارها . وقدمت على العساكر الملك المعظم فخر الدين توران شاه بن صلاح الدين .

ذكر منازلة عسكر حلب قلعة المعرة وتملكها والاستيلاء على المعرة وبلدها

فخرجت العساكر وتوجهوا إلى المعرة واستولوا عليها وأخذوا ما فيها من الحواصل ، وحاصروا قلعتها التى بناها الملك المظفر . ووصل إلى حلب رسول الملك المظفر يتلطف الحال فلم يستحضر(٧) ، وعاد إلى حماة . ونصب عسكر حلب

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٢) فى نسخة س « فتفق » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة س « خبر موت الملك الكامل » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٥) فى نسخة ب « يقع » والصيغة المثبتة من س .

(٦) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٧) وردت الجملة فى نسخة س : « فأرسل الملك المظفر رسولا إلى حلب يستعطف الصاحبة عليه فلم تأمر بحضوره » والصيغة المثبتة من ب .

على قلعـة المعرة المجانيق(١) ، وواتروا(٢) رميها بالحجارة [مدة يسـيرة](٣) فسُلمت إليهم بالأمان فملكوها ورتّبوا أمرها(٤) .

ذكر منازلة عسكر حلب لحماة وحصارها

ولمـا افتتح [الملك المعظّم و](٥) عسكر حلب المعرة ساروا إلى حماة ونازلوها .

وكان الملك المظفر صاحبها قد ابتنى من جهة القبلة سـورا من اللبن خارج السور الأصـل(٦) ، وجعل فيه بابًا سمـاه باب دمشق . ونهب عسكر حلب ضياع حماة ورساتيقها ، واستمر الحصار على حماة إلى آخر السنة [المذكورة](٧) .

ولم تُضايق حماةُ المضَايقة الشديدة ، ولا نصب عليهـا منجنيق فإن الصاحبة والدة الملك العزيز لم يكن قصدها إزالة(٨) ملك ابن أخيها الملك المظفر ، وإنما أرادت أن تنتقم منه بأخذ المعرة ومحاصرة حماة [وإشغال سره](٩) ، عقُوبةً له على ما فعـل من انحيازه إلى الملك الكامل ومظاهرته عليها بعد إتفاقه معها ، فأمرت العسكر أن ينازلوا البلد ويقطعوا(١٠) المـادة عنه ، ولا يجِدُّوا(١١) فى القتال والزحف .

---

(١) فى نسخة س « المناجنيق » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « وتواتروا » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب

(٤) وردت الجملة فى نسخة س فى صيغة مخالفة وبنفس المعنى .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٦) فى نسخة س « من لبن خارج سور الأصل » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٨) فى نسخة س « لازالة » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة ب ، وساقط من س

(١٠) فى نسخة س « ويقطعون » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من ب .

(١١) فى نسخة س « ولا يجدون » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من نسخة ب .

ذكر الوصلة بين السلطان الملك الناصر [ابن الملك العزيز](١) صاحب حلب والسلطان(٢) غياث الدين كيخسرو سلطان الروم

وقدم(٣) في هذه السنة — أعني سنة خمس(٤) وثلاثين وستمائة — رسول السلطان غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم(٥) [إلى حلب](٦) ، وطلب(٧) من الخاتون الصاحبة والدة الملك العزيز أن تزوجه بنت السلطان الملك العزيز ، وأن يُزوج السلطان الملك الناصر أخت غياث الدين . فأُجيب [غياث الدين](٨) إلى ذلك واستقر الأمر عليه .

واجتمع الناس في دار السلطنة بالقلعة(٩) . وعقد عقد السلطان غياث الدين [ملك الروم](١٠) على غازية خاتون بنت الملك العزيز . وتولى العقد الصاحب كمال الدين عمر بن أبي جرادة(١١) المعروف بابن العديم على مذهب أبي حنيفة —

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٢) في نسخة س « وبين السلطان » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٣) في نسخة س « وسُير » والصيغة المثبتة من ب ، وفي ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٧) « ووصل » .

(٤) في نسخة س « خمسة » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من ب .

(٥) في نسخة س « ملك الروم » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ومثبت في س .

(٧) في نسخة س « يطلب » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ومثبت في س .

(٩) في نسخة س « بقلعة حلب المحروسة » ، والصيغة المثبتة من ب ، وفي ابن العديم (نفس المصدر والجزء ، ص ٢٣٧) « في دار السلطان بالقلعة » .

(١٠) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١١) في نسخة س « بن جرادة » والصيغة الصحيحة المثبتة من ب ، انظر ترجمة ابن العديم في الجزء الأول من زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، ص ١٣ وما بعدها .

رضى الله عنه – لصغر الزوجة[1] على صداقٍ مبلغه[2] خمسون الف دينارٍ. وقبل النكاح عن غياث الدين رسوله الوارد من جهته وهو القاضى عز الدين قاضى دوقات[3]. ونثر الذهب عند الفراغ من العقد.

ووصل عند ذلك الخبر باستيلاء العسكر على قلعة المعرة، وضربت البشائر للأمرين[4] جميعا. وسُير[5] الصاحب كمال الدين بن العديم رسولا إلى بلاد الروم لعقد الوصلة[6] وهى عقد الملك الناصر على ابنة السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو[7]، وأمها ابنة السلطان الملك العادل سَيْف الدين أبى بكر بن أيوب. وكان أخوها الملك المعظم – صاحب دمشق – زَوَّجَها من علاء الدين كيقباذ؛ فابنة السلطان علاء الدين هذه هى ابنة خالة[8] [السلطان[9]] الملك العزيز [والد الملك الناصر[10]].

(١) فى نسخة ب « رحمه الله » والصيغة المثبتة من نسخة س وكذلك من ابن العـديم الذى ذكر فى كتابه (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٣٧) « وتوليت عقد النكاح، على مذهب الإمام أبى حنيفة – رضى الله عنه – لصغر الزوجة، على خمسين ألف دينار ».

(٢) فى نسـخة س « لصغر سن الزوجة » والصيغة المثبتة من نسخة ب وكذلك من ابن العـديم، ج ٣، ص ٢٣٧.

(٣) كذا فى نسختى المخطوطة وكذلك فى ابن العديم، ولعل المقصود بها توقات وهى بلدة فى أرض الروم بين قونيا وسيواس كانت ذات قلعة حصينة وأبنيـة مكينة، بينها وبين سيواس يومان، انظر، ياقوت : (معجم البلدان) ؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٣٨، حاشية ١.

(٤) فى نسخة ب « للأميرين » وهو تصحيف والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة س ومن ابن العديم (نفس المصدر والجزء والصفحة). (٥) فى نسخة س «وسيرت الصاحبة» والصيغة المثبتة من ب.

(٦) ينقطع النص هنا فى نسخة ب وسوف يشار إلى نهاية الجزء الساقط : انظر ما يلى ص ١٨٧ حاشـية ١.

(٧) فى المتن « كيخسروا ».

(٨) فى المتن « خال » وهو تصحيف، والصيغة الصحيحة المثبتة من ابن العـديم (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٣٩) ومن المعروف أن الظاهر بن صلاح الدين والد العزيز تزوج من ابنـة عمه الملك العادل ضيفة خاتون، وتزوج علاء الدين كيقباذ أختها فابنة علاء الدين هى ابنـة خالة الملك العزيز، انظر، ابن العديم (نفس المصدر والجزء، ص ١٦٣). (٩) ما بين الحاصرتين مذكور فى الهامش.

(١٠) ما بين الحاصرتين للتوضيح من ابن العديم، ج ٣، ص ٢٣٩.

ووصل كمال الدين بن العديم إلى بلاد الروم ، واجتمع بالسلطان غياث الدين بالكيقباذية(١) وهى على باب قيسارية وذلك يوم الثلاثاء لأربع(٢) عشرة ليلة بقيت من شوّال من هذه السنة . ووقعت الإجابة إلى عقد العقد ، وكان الوكيل من جهة غياث الدين كمال الدين كاميار . ولما تم أمر الإجابة دخل الصاحب كمال الدين بن العديم وكمال الدين كاميار إلى قيسارية الروم(٣) . وأحضر قاضى البلد والشهود ، فقبل العقد كاميار من جهة غياث الدين ، وقبل العقد عن الملك الناصر كمال الدين بن العديم ، ومبلغ الصداق خمسون ألف دينار مصرية نظير صداق غياث الدين على أخت الملك الناصر(٤) . وأُحضر فى ذلك اليوم من التجمل وآلات الذهب والفضة ما لا يمكن وصفه . ونُثر من الدنانير الواصلة مع الصاحب كمال الدين بن العديم ألف دينار(٥) . ونُثر فى دار السلطان من الدنانير والدراهم والثياب شىء كثير . وعاد كمال الدين إلى حلب بعد إنجاز هذا الأمر .

وسيّر السلطان غيّاث الدين رسولًا إلى حلب وهو الأمير قمر الدين الخادم ، و يعرف بملك الأرمن ، وعلى يده توقيع من غياث الدين للسلطان الملك الناصر بالرها وسرُوج ، وهما من بلاد السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل . وكان قد اتفق الأمر مع الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك

---

(١) فى المتن « بالمعادنا » ولعل الصيغة المثبتة هى الصحيحة من ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٤٠ .

(٢) فى المتن « عشر » .

(٣) هناك مدينة أخرى على ساحل بحر الشام كانت تحمل نفس الاسم ، انظر ياقوت (معجم البلدان) .

(٤) ذكر ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٤٠) : « وعقدت العقد مع كاميار على خمسين ألف دينار سلطانية ، مثل صداق كيخسرو الذى كُتب عليه لأخت السلطان الملك الناصر » .

(٥) قال ابن العديم (نفس المصدر والجزء والصفحة) : « ونثرت الدنانير الواصلة صحبتى وكانت ألف دينار » .

العادل على أن يخطب لغياث الدين ويُقطع حَرّان . وأقطَع الملك المنصور ناصر الدين الأرتقي — صاحب ماردين وسنجار ونصيبين — والملك المجاهد شيركوه صاحب حمص — عانة وغيرها من بلاد الخابور . وكل هذه كانت فى أيدى نواب الملك الصالح نجم الدين . واتفق الأمر أيضا على أن يأخذ السلطان غياث الدين سلطان الروم آمد و بلادها وسميساط[1] .

ولما قدم رسول السلطان غياث الدين على الصّاحبة قبلت التوقيع ولم تؤثر مضايقة ابن أخيها الملك الصالح فى البلاد ، فلم تتعرض لشىء منها . ولما بلغ الملك الصالح ذلك أرسل إلى عمته يقول لها إن : « البلاد كلها بحكمك ، فإن شئت[2] إرسال نائب يتسلم هذه البلاد وغيرها ، فأرسليه لأسلم إليه ما تأمُرين به[3] » فشكرته وطيبت قلبه .

ذكر محاصرة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الملك الصالح نجم الدين وهو بسنجار ثم هزيمة بدر الدين لُؤلؤ

ولما جرى ما ذكرناه من خروج الخوارزميّة عن طاعة الملك الصالح وتوجه إلى سنجار ، وتحكمت الخوارزمية فى البلاد الجزيريّة[4] ، طمع بدر الدين لؤلؤ فى الملك الصالح وقصد سنجار وحاصرها وضايقها ، ولم يبق إلا أن يتسلمها و يأخذ

(١) انظر ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٤١ .

(٢) فى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٤١) ، « وإن شئت »

(٣) فى ابن العديم (ج ٣ ، ص ٢٤٢) : « ما تأمرين بتسليمه » .

(٤) عن العلاقة بين الصالح نجم الدين أيوب والخوارزمية ، انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٤١ — ٢٤٣ ؛ سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٦٥ — ٤٦٦ ؛ ابن أيبك الدوادارى : الدر المطلوب ، ص ٣٣٠ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٧٠ — ٢٧٢

الملك الصالح أسيرا ، ويملك البلاد الشرقية بأسرها . وكان القاضى بسنجار بدر الدين يوسف بن الحسن الزرزارى متقدما فى الدولة الأشرفية ، ثم بعد موت الملك الأشرف تقدّم عند الملك الصالح نجم الدين أيوب . وكان رئيسًا فى نفسه ، كريمًا ذا همّةٍ عالية ، خبيرًا بأمور الملوك . وكان لما ملك الملك الأشرف دمشق ولاه قضاء بعلبك . وكان كثير التجمل جدا ، كثير البر والمعروف ، وله المماليك والغلمان والحاشية التى لا تكون مثلهم إلا لأكبر أمير من الأمراء . فأرسله الملك الصالح - وهو محصور بسنجار - إلى الخوارزمية ليصلح بينهم و بينه ، و يستدعيهم لنصرته ، ووعدهم بالوعود الجميلة . فخرج من البلد سرًّا بحيث لا يشعر به المحاصرون للبلد ، ومضى إلى الخوارزمية ، فاستمالهم وطيب قلوبهم ، ووعدهم الوعود الجميلة بعد أن كانوا قد اتفقوا مع صاحب ماردين ، وقصدوا بلاد الملك الصالح نجم الدين أيوب ، واستولوا على الأعمال ، ونازلوا حرّان وأجفل أهلها .

وكان الملك الصالح قد ترك ولده الملك المغيث فتح الدين عمر بقلعة حرّان فخاف من الخوارزمية ، فسار مختفياً ، وتبعه الخوارزمية ونهبوه ومن معه . وانفلت فى شرذمة قليلة من أصحابه ، ووصل إلى منبج مستجيرا بعمة أبيه (١) الملك الصالح والدة الملك العزيز ، فسيّرت إليه من ردّه عن الوصول إليها بوجه لطيف ، وقال الرسول [له](٢) : « نخاف(٣) أن يطلبك منا غياث الدين سلطان الروم(٤) ،

(١) نهاية الجزء الساقط من نسخة ب ، انظر ما سبق ، ص ١٨٤ حاشية ٦ .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٣) فى نسخة ب « إنا نخاف » والصيغة المثبتة من نسخة س وكذلك من ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٤٢) .

(٤) فى نسخة س « صاحب الروم » ، والصيغة المثبتة من ب ومن ابن العديم .

ولا يمكننا [منعك منه](١)» . فعاد إلى حرّان و وصله كتاب أبيه [الملك](٢) الصالح يأمره بموافقة الخوارزمية والوصول إليه بهم(٣) لدفع بدر الدين صاحب الموصل [عنه](٤) . فاجتمع بالخوارزمية ، واجتمع بهم القاضى بدر الدين(٥) قاضى سنجار . والتزم لهم القاضى [بدر الدين](٦) أن يُقطعوا حرّان والرها وغيرهما(٧) [من البلاد الجزرية](٨) ، فطابت قلوبهم بذلك ، وحلفوا للملك الصالح ، واشتملوا على خدمة [ولده](٩) الملك المغيث . [وقلد القاضى بدر الدين بفعلته هذه الملك الصالح مانة(١٠) عظيمة كانت سبب سعادته وتقدمته عنده لما ملك الديار المصرية](١١) . [وكان بدر الدين له ــ قَبلَ الملك الصالح ــ وجاهة عند عمه السلطان الملك الأشرف ، لما كان الملك الأشرف بالشرق . فلما ملك دمشق ولاّهُ قضاء بعلبك . وكان مع صغر ولايته يسلك من التجمل وكثرة المماليك والدواب والماشية وحُسن الزى مالم يسلكه وزراء الممالك الكبار ، فضلاً عن قضاتها . وكان مع ذلك كثير البر والعطاء ، مقصداً لمن يردُ عليه من الفقهاء والفضلاء وذوى البيوتات .

(١) فى نسخة ب «منعه» والصيغة المثبتة من س ومن ابن العديم .
(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب
(٣) فى نسخة ب «والوصول بهم إليه» والصيغة المثبتة من س ومن ابن العديم .
(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .
(٥) فى نسخة س «فاجتمع بالخوارزمية هو والقاضى بدر الدين» والصيغة المثبتة من ب .
(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .
(٧) فى نسخة س «وغيرها» والصيغة المثبتة من ب .
(٨) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .
(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .
(١٠) مانه يمونه مونا أى قام بكفايته والمانة هى المئونة ، انظر الزبيدى ، تاج العروس ، ج ٩ ، ص ٣٥٤ مادة (من) .
(١١) ورد ما بين الحاصرتين فى غير مكانه فى نسخة س (ورقة ٣١٨ ب) وفى قليل من التغيير ، والصيغة المثبتة من ب .

ولما أتقن حال الملك الصالح مع الخوارزمية [(١) ساروا مع القاضى بدر الدين والملك المغيث قاصدين سنجار(٢) [ومقدمهم الأمير حسام الدين بركة(٣) خان(٤)] . فلما سمع بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ومن معه من العسكر قرب الخوارزمية(٥) منهم أفرجوا عن سنجار ، وأدركتهم الخوارزمية ، فأوقعوا بهم وقعةً عظيمةً فهزموهم . وهرب بدر الدين لؤلؤ وعسكره إلى الموصل . [واحتوت الخوارزمية على أثقاله وخيمه وخيم العسكر وجميع أثقالهم ، ونهبوا منهم ما لا يحصى كثرة(٦)] ، فقوى الملك الصالح نجم الدين [أيوب بهم و(٧)] بهذا الفتح قوة عظيمة ، وعظم شأنه .

وكان ولده الملك المعظم غياث الدين توران شاه مُرَتَّبًا(٨) بمدينة آمد ومعه الأمير حسام الدين أبو على بن محمد بن أبى على الهذبانى ، وكان أستاذ دار الملك الصالح . وقد كنا ذكرنا(٩) أنه كان متصلاً بالملك المظفر صاحب حماة وأنه فارقه واتصل بخدمة الملك [٩ ب] الصالح لما كان ينوب عن أبيه بمصر ، وأن ابن عمه سيف الدين علياً اتصل بالملك المظفر وصار غالباً على أمره كله .

---

(١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٢) فى نسخة س « ساروا معه قاصدين سنجار » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى المتن « بركتخان » انظر أيضا ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٠ ، ٢٥٨ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٠ ، ٣٢١ .

(٤) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٥) فى نسخة س « ولما علم عسكر الموصل قرب الخوارزمية . . » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) ورد مابين الحاصرتين فى قليل من التغيير فى نسخة س والصيغة المثبتة من ب .

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٨) فى نسخة س « قريبا » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) فى نسخة س « وكنا ذكرنا » والصيغة المثبتة من ب ، انظر ماسبق : ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٢٥٩ .

ذكر إيقاع الخوارزمية بعسكر سلطان الروم

كان غياث الدين كيخسرو سلطان الروم قد سـير عسكرًا إلى آمد ، فأخذوا(١) بعض قلاعها ونازلوا آمد، وبها كما ذكرنا الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح [نجم الدين أيوب(٢)]. فتوجهت الخوارزمية [بعد أن كسروا صاحب الموصـل بدر الدين لؤلؤ(٣)] فواقعوا بعض(٤) عسـكر الروم ، وانهزم الباقون عن آمد ولم ينالوا منها غرضًا(٥) .

ذكر إقامة الخطبة بحلب للسلطان غياث الدين سلطان الروم

ووصل إلى حلب القاضى عز الدين قاضى دوقات(٦) رسولاً من غياث الدين [كيخسرو(٧)] فى هـذه السنة ، يطلب إقامة الخطبة على المنابر لغياث الدين وضرب السكة باسمـه . وكانت الأمراء والعساكر محاصرين لحماة على ما قدمنا ذكره. فتوقفت الصاحبة فى ذلك [وهى أم الملك العزيز(٨)]، ثم أشير عليها بموافقته على ما طلب(٩) فأجابت إلى ذلك . وخُطب(١٠) لسلطان الروم على منبر حلب وحضر

---

(١) فى نسخة س « فأخذ » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٣) فى نسخة س « بعـد أن أوقعوا وكسروا عسكر بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) فى نسخة س « فأوقعوا ببعض » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) فى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٤٣) « ولم ينالوا منها زبدة » .

(٦) انظر ماسبق، ص ١٨٤ حاشية ٣ .

(٧) أضيف مابين الحاصرتين للتوضيح .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب وفى ابن العديم (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٤٣) « فتوقفت الملكة فى ذلك » .

(٩) فى نسخة س « بموافقة صاحب الروم على ماطلب » والصيغة المثبتة من ب ومن ابن العديم .

(١٠) فى نسخة ب « وخطب له » والصيغة المثبتة من س .

جمال الدولة (١) إقبال الخاتونى . وصعد الرسول على المنبر ، ونثر الدنانير عند إقامة الدعوة (٢) . [ونثر أيضا جمال الدولة (٣)] .

وخرجت هذه السنة [وعسكر حلب ، مع مقدمهم الملك المعظم بن صلاح الدين ، يستمرون على محاصرة حماة (٤)] ، والملك المظفر يخرج بنفسه ويقاتل فينتصف منهم مرة وينتصفون أخرى (٥) . ولم يدنُ العسكر من البلد دُنُوًّا كثيرًا (٦) ، بل كانت منزلتهم بعيدة عن البلد ، ولم تكن الصاحبة مُؤْثِرة أخذ البلد (٧) من ابن أخيها ، وإنما كان غرضها التضييق عليه لينزل عن [طلب (٨)] المعرة .

ذكر المصاف الواقع فى هذه السنة
بين الملك الناصر داود صاحب الكرك
[وبين ابن (٩)] عمه الملك الجواد بن مودود صاحب دمشق

[١١٠] قد ذكرنا ترتب (١٠) الملك الجواد (١١) مظفر الدين يونس بن مودود بن الملك العادل نائبًا بدمشق عن ابن عمه الملك العادل بن الملك الكامل صاحب مصر ، وأنه استولى

---

(١) فى نسخة ب « جمال الدين » والصيغة المثبتة من نسخة س ومن ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٤٣ .
(٢) فى نسخة س « الخطبة » والصيغة المثبتة من نسخة ب ومن ابن العديم .
(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .
(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وورد بدلها فى نسخة س « والحصار مستمر على حماة » .
(٥) فى نسخة س « وينتصف منه مرة وينتصفون منه أخرى » وهو تصحيف والصيغة الصحيحة المثبتة من ب .
(٦) فى نسخة س « وإنما » والصيغة المثبتة من ب .
(٧) فى نسخة س « تؤثر أخذ حماة » والصيغة المثبتة من ب .
(٨) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .
(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س وفى ب « وابن » .
(١٠) انظر ما سبق ص ١٧١ — ١٧٣ .
(١١) فى نسخة س « الملك الجواد بدمشق وهو » ، والصيغة المثبتة من ب .

على الخزائن ، وفرق الأموال والخلع على الأمراء والأجناد واستمالهم إليه ، وطمع فى الاستقلال بالملك . وكان معــه فى قلعة دمشق عماد الدين بن شيخ الشيوخ ، وعماد الدين بن قلج[1] . وكان الملك الجواد يظهر الطاعة للملك العادل [بن الملك الكامل][2] وأنه نائبه ، ويعمل فى الباطن على التفرد بملك دمشق . وكان مفرط الجود والبذل ، وعنده شهامة كثيرة و إقــدام كثير ، لكن آراؤه[3] كان فيها ضعف ، فأرسل إلى عمته الصاحبة [صاحبة حلب] والدة[4] الملك العزيز يطلب منها معاضدته فلم تصغ إلى قوله ، وامتنعت أن تدخل بينه و بين ابن أخيها الملك العادل [بن الملك الكامل][5] .

وكان الملك الناصر داود [بن الملك المعظم صاحب الكرك][6] قد جمع وحشد واستولى على السواحل ونزل بغزه طالباً الاستيلاء على مملكة والده الملك المعظم . [فلما بلغ الملك الجواد ذلك رحل][7] من دمشق فيمن بقى[8] عنده[9] من العساكر المصرية ومقدمهم عماد الدين بن شيخ الشيوخ ، وفى عساكر دمشق والمماليك[10] الأشرفية ، وتوجه نحو الملك الناصر [بن الملك المعظم . فلما سمــع الملك الناصر بهــذه الحركة رحل إليه ليلقاه فالتقاه[11]] . فوقــع المصــاف على مكان يقال له ظهر حمار[12] بين نابلس وجينين[13] ،

(١) فى نسخة س « قليج » . (٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س ، وساقط من ب .

(٣) فى نسخة س « لكنه كان أراؤه » والصيغة المثبتة من ب .

(٤ ـ ٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س ، وفى ب « فرحل الملك الجواد » .

(٨) فى نسخة س « بقا » . (٩) فى نسخة س « معه » .

(١٠) فى نسخة س « الممالك » وهو تصحيف .

(١١) ما بين الحاصرتين من نسخة س ، وفى ب « فرحل الملك الناصر إليه ليلقاه » .

(١٢) ذكر ياقوت (معجم البلدان) أن ظهر حمار كانت قرية بين نابلس و بيسان كان بها قبر يقيا بين أخى يوسف الصديق .

(١٣) ذكر ياقوت (معجم البلدان) أن جينين بليدة حسنة بين نابلس وبيسان من أرض الأردن ، وهى جنين الحالية .

وانكسر الملك الناصر كسرة قبيحة، ومضى منهزماً إلى الكرك (١). واحتوى (٢) الملك الجواد على خزائنه وأثقاله . ثم مضى الملك الجواد إلى نابلس فنزل بها في دار الملك المعظم داخل البلد، واحتوى على مافيها . وولى فيها وفي أعمال القدس (٣) والأغوار من قبله . ورحل عماد الدين بن شيخ الشيوخ ومن معه من عسكر مصر إلى الديار المصرية .

[ولما بلغ الملك العادل هذه الكسرة لم يعجبه ذلك (٤)] خوفا من تمكن الملك الجواد واستيلائه على البلاد ، فأرسل إليه يأمره بالرجوع إلى دمشق ورد بلاد الملك الناصر [داود (٥)] إليه ، ففعل [ذلك (٦)] ورحل عائدا إلى دمشق . [قال صاحب هذا التاريخ (٧) : وكنت يومئذ مقيما بدمشق للاشتغال بالعلم . قال: فرأيت الملك الجواد قد دخل إلى دمشق في تجمل عظيم (٨)] . وعزم الملك العادل على صرفه عن (٩) النيابة [١٠ ب] عنه في دمشق ، فكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) عن هذه الوقعة انظر ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٦٨ ؛ ابن أيبك الدواداري ، الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ، ص ٣٢٩ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٧٢ — ٢٧٣ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٠٥ .

(٢) في نسخة س « فاحتوى » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) في نسخة س « قدس » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وفي نسخة ب « ولم تعجب هذه الوقعة الملك العادل » .

(٥ـ٦) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٧) أي القاضي جمال الدين بن واصل .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة س ، وورد في نسخة ب « ودخل الملك الجواد إلى دمشق في تجمل عظيم » .

(٩) في نسخة س « من » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من ب .

[وفى هذه الواقعة يقول جمال الدين بن عبد، وكان شاعرًا مغنيا متميزا ، وكان أحد ندماء الملك الجواد ، يمدحه و يذم الملك الناصر — رحمهما الله — ووافقه أن انهزام الملك الناصر كان على المنزلة المسماه ظهر حمار :

يا فقيهًا قد ضـــل سُبْل الرشاد ليس يُغنى الجـدال يوم الجلاد
كيف يَنجى ظهر الحمار هزيمًا من جـواد يكر فوق جواد

وكان جمـال الدين هذا قد اتصل بعـد ذلك بالملك الصالح نجم الدين أيوب لمـا ملك مصر ، واجتمعتُ به مرارا عنـد الأمير حسام الدين بن أبى على — رحمــه الله — وكنت سمعت أنه دخل يوما دار بعض الأكابر فأخرجه البرددار (١) فقـال :

مغن يخـرج قبـل الدخول وأقبـح شيء خروج المغنى

وهذا معنى ظريف ، فأنشدنى (٢) لأبى الحسين الجَزار (٣) ، شيئا يشبه هـذا اللون ، أنه أراد الدخول إلى بعض الأكابر فضربه البرددار ومنعه من الدخول فقال :

---

(١) ذكر القلقشندى أن أصل هذه الكلمة « فردا دار » وهو مركب من لفظين فارسيين أحدهما « فردا » ومعناه الستارة والثانى « دار » ومعناه « ممسك » أى « ممسك الستارة » . و يبـدو أن صاحب هذه الوظيفـة كان فى بداية الأمر يقف بباب الستارة ، ثم أصـبح بمضى الزمن — ربما فى العصر المماليكى — فى خدمة مباشرى الديوان متحدثا عن أعوانه والمتصرفين فيه ، انظر ، القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٤٦٨ — ٤٦٩) ، Dozy: Supp. Dict. Ar., I, p. 69.

(٢) فى المتن « فأنشدته » ، والكلمة مصححة بالهـامش .

(٣) هو الأديب والشاعر المشهور جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبدالعظيم بن يحيى بن محمد بن على المصرى المعروف بالجزار المتوفى سنة ٦٧٩ هـ ، ذكر أبو المحاسن فى المنهل الصافى أنه كان حامل لواء الشعراء فى عصره . وللجزار نوادر مستظرفة ومداعبات مع شعراء عصره ، وله ديوان شعر كبير، مدح الملوك والأعيان ، وكانت لديه صحبـة مع المؤرخ الصاحب كمال الدين عمر بن العـديم ، صاحب كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب ، انظـر ، أبو المحاسن ، المنهـل الصافى ، ج ٥ ورقه ٤٧٥ — ٤٧٩ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٣٤٥ ، انظر بعض أبيات من شعره فى الكتبى ، فوات الوفيات ، ج ٢ ص ٦٣٠ — ٦٣٢ .

أمولاى ما من طباعى الخروج		ولكن تعلمته من خمولى
وقفت ببابك أبغى الغنى		فأخرجنى الضرب قبل الدخول

فأعجبه وقال : « إلا أنا ؛ أُخرجتُ وما ضُربتُ »(١)] .

وكان الملك المجاهد صاحب حمص قد اتفق مع الملك الجواد ووصل إلى دمشق ونزل بداره التى بقرب الجامع . فلما قدم الملك الجواد إلى دمشق بعد كسره الملك الناصر [داود](٢) خرج لتلقيه ، وزينت دمشق لهذه الكسرة زينةً عظيمةً لم تزين قبل ذلك مثلها . وتمكن الملك الجواد بعد هذه الكسرة ، واستقل بالسلطنة ، إلا أن الخطبة باقية للملك العادل ويُخطَب للملك الجواد بعده . وكان الخطيب يومئذ الشيخ كمال الدين بن طلحة(٣) — رحمه الله — وكان إماما عالما بالأصولين ومذهب الشافعى والأدب . وأقام الملك المجاهد بدمشق معاضدًا للملك الجواد ومؤازرًا [له](٤) . [١١١] وخرجت(٥) هذه السنة والحال على هذه الصورة .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٣) هو الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشى العدوى النصيبى ، ولد سنة ٥٨٢ هـ وبرع فى الفقه والأصول والخلاف وحدث بحلب ودمشق ، ولى الوزارة بدمشق سنة ٦٤٨ هـ لمدة يومين وتركها وتزهد ، وهو مصنف كتاب العقد الفريد ، وكتاب الدر المنظم فى اسم الله الأعظم ، توفى فى حلب فى رجب سنة ٦٥٢ هـ ؛ انظر السبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٥ ، ص ٢٦ ؛ ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٥) فى نسخة س « ومضت » والصيغة المثبتة من ب .

وتوفى فى هذه السنة القاضى زين الدين بن الأستاذ[1] قاضى حلب — رحمه الله. وكان فقيهًا فاضلًا متورعًا سديد الأحكام، صحب القاضى بهـاء الدين بن شـداد — رحمه الله — مُدّة طويلة، وناب عنه فى القضاء بحلب بعد ابن العجاج[2]. ولمـا توفى القاضى بهاء الدين وُلّى القضاء بعـده كما تقـدم ذكره[3]. ولمـا توفى القاضى زين الدين ولّى القضاء بعده أخوه القاضى جمال الدين محمد، وكان أسن من القاضى زَين الدين، إلا أنه لم يكن فى الفضيلة وفى العلم مثله.

(١) هو قاضى حلب زين الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن الأسـتاذ، انظر ترجمته فى السبكى، طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٥٨؛ ابن العماد، شـذرات الذهب، ج ٥، ص ١٧٠؛ انظر أيضا ماسبق ابن واصل، ج ٤، ص ١٨٠؛ ج ٥ ص ٩٢.

(٢) انظر ماسبق، ابن واصل، ج ٤، ص ١٨٠.

(٣) انظر ماسبق، ص ٩٢.

ودخلت سنة ست وثلاثين[1] وستمائة[*]

والسلطان الملك العادل[2] سيف الدين أبو بكر بن الملك الكامل صاحب الديار المصرية وهو مقيم بها ؛ والملك الناصر داود [بن الملك المعظم][3] بالكرك ، وقد قل جيشه وضعفت قوته ؛ والملك الجواد بن مودود [بن الملك العادل][4] مالك دمشق ، وعنده الملك المجاهد صاحب حمص ؛ والملك المظفر صاحب حماة محصور[5] بحماة ؛ وعسكر حلب مع الملك المعظم بن صلاح الدين منازلون لحماة ؛ والملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل بسنجار وقد قوى بكسره بدر الدين[6] لؤلؤ صاحب الموصل وانضمام الخوارزمية ومقدمهم بركة خان إليه . وكان قد زوّج الملكُ الصالحُ أختَه لأمه[7] من بركة خان ، وأبوها الفارس قليب مملوك السلطان الملك الكامل ، [وقد سلم إليه حرّان والرها][8] . [وبيد الملك الصالح آمد وبلادها وما كان بيد الملك الكامل][9] والملك الأشرف من بلاد الشرق .

(*) يوافق أولها ١٤ أغسطس سنة ١٢٣٨ ميلادية .

(١) فى نسخة ب « تسع وعشرين » وهو تصحيف ، وفى نسخة س « ستة وثلاثين »

(٢) فى نسخة س « والملك العادل » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٤) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ، ومثبت فى ب .

(٥) فى نسخة س « محصورا » .

(٦) فى نسخة س « لبدرالدين لؤلؤ » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) فى نسخة س « أخته من أمه » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ، ومثبت فى س .

(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س وورد مختصرا فى هامش نسخة ب .

ذكر رجوع العسكر الحلبي المحاصر لحماة إلى حلب (١)

ولما طال الحصار على حماة وضجر العسكر ، تقدمت الصاحبة أم الملك العزيز إليهم بالرجوع إلى حلب فرجعوا ، وانفرج الضيق من حماة . وكان الملك المظفر قد ضاق الأمر عليه [جداً] (٢) ، وأنفق فى مدة الحصار أموالاً كثيرة . ولم تكن الصاحبة مؤثرة أخذ البلد منه كما ذكرنا ، ولم يكن مقصودها ، إلا أنه لا يتعرض لطاب المعرة . واستمرت المعرة فى أيدى (٣) الحلبيين ، وسلمية [١١ ب] فى يد صاحب حمص . ولم يبق بيد (٤) الملك المظفر من مضافات حماة إلا بعرين فقط . وكانت لها (٥) قلعة حصينة فخاف الملك المظفر أن يجرى فى أمرها نظير ما جرى فى المعرة (٦) فتقدم بهدمها فهدمت .

ذكر قدوم عماد الدين بن شيخ الشيوخ إلى دمشق ومقتله — رحمه الله

لما تحقق الملك العادل [بن الملك الكامل] (٧) صاحب مصر استقلال ابن عمه الملك الجواد بن مودود بملك دمشق وعصيانه بها ، أحضر أولاد شيخ الشيوخ الأربعة [وهم] (٨) فخر (٩) الدين ، وعماد الدين ، ومعين الدين ، وكمال الدين وقال :

(١) ورد العنوان فى نسخة س « ذكر رجوع الحلبيين المحاصرون لحماة إلى حلب » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب

(٣) فى المتن « يد » والصيغة المثبتة من نسخة س .

(٤) فى نسخة س « فى يد » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) فى نسخة س « لبعرين » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) فى نسخة س « للمرة » والصيغة المثبتة من ب .

(٧ — ٨) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٩) فى نسخة س « مجير الدين » وهو تصحيف .

« أنتم ضيعتم علىَّ مُلك دمشق ، فإن أبى الملك الكامل فتحها وتوفى وهو مالكها ، فسلمتم دمشق وخزائن أبى(١) إلى الملك الجواد ، فتغلب على دمشق وضيع الخزائن ، وما أعرفُ عَود دمشق إلىّ وانتزاعها من يد(٢) الملك الجواد إلا منكم » . فضمن عماد الدين بن الشيخ(٣) رجوعها(٤) للملك العادل . فسير الملك العادل عماد الدين بن الشيخ(٥) لهذا المهم(٦) .

ولما وصل [عماد الدين(٧)] إلى دمشق التقاه الملك الجواد وأنزله فى القلعة(٨) فطالبه عماد الدين بتسليم دمشق إلى السلطان الملك العادل ، وأعلمه أنه إن لم يسلم دمشق إليه نزلت العساكر المصرية إليه وملكوها منه عنوةً ، وقبض عليه واعتقل . وإن سلمها قبل أن تنزل العساكر إليه أُعطى عوضاعنها خبزاً [جيداً(٩)] بالديار المصرية ، وأُحسن إليه . فأجابه الملك الجواد بجواب ممغالط(١٠) . وكانت المماليك الأشرفية ومقدمهم عز الدين أيبك الأسمر قد رحلوا من دمشق على حمية بعد رجوع الملك الجواد إلى دمشق ، وساروا إلى الملك العادل وخدموا عنده .

(١) فى نسخة س « وخزائنها » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة ب « من يده » والصيغة المثبتة للتوضيح من نسخة س .

(٣) فى نسخة س « عماد الدين بن شيخ الشيوخ » .

(٤) فى نسخة ب « ذلك » والصيغة المثبتة من س .

(٥) فى نسخة س « عماد الدين بن شيخ الشيوخ » .

(٦) فى نسخة س « لهذا الأمر المهم » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٨) فى نسخة س « فأنزله عنده فى القلعة » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(١٠) فى نسخة س « مغلط » والصيغة المثبتة من ب ، وذكر ابن منظور (لسان العرب ، ج ٩ ، ص ٢٣٨) « والمغلطة والأغلوطة الكلام الذى يغلط فيه ويغالط به » .

ولما علم الملك الجواد تصميم الملك العادل على انتزاع دمشق منه ، وعلم أنه لا طاقة له بقتاله ، وأنه إن سلّم دمشق إلى الملك العادل لم يعطه إلا خبزًا [قليلًا] (١) بالديار المصرية ، سيّر الشيخ كمال الدين بن طلحة إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فطلب منه [١٢ ا] أن يعوضهُ من مدينة دمشق (٢) سنجار (٣) [والرقة] (٤) وعانه ، و يسلم [هو] (٥) دمشق إليه ، فمضى كمال الدين بن طلحه إلى الملك الصالح بذلك . فأجاب الملك الصالح إلى ذلك ، وحلف لابن عمه الملك الجواد على العِوض المذكور ، وزاده الحُدَيثه (٦) ، وجعلها (٧) باسم مملوك من مماليك الملك الجواد يقال له رُزَيق وكان أخص مماليكه به .

ولما وقع الاتفاق بينهما على ذلك ، وتوجه الملك الصالح إلى دمشق ، وعلم الملك الجواد قربهُ منها (٨) خاف الملك الجواد من عماد الدين بن الشيخ أن يفسد بينه (٩) وبين الملك الصالح فلا يحصل على ماوقع التقريرُ عليه من العِوض الذى طلبه منه ، فدس

---

(١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٢) فى نسخة ب « من دمشق » والصيغة المثبتة من نسخة س .

(٣) فى نسخة س « بسنجار » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب ، انظر أيضا ، المقريزى ، السلوك ج ١ ، ص ٢٧٩ .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٦) كذا فى نسخة ب وكذلك فى المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٧٩) ، وهى اسم لقلعة فى كورة بين النهرين ، التى بين نصيبين والموصل ، وأعمالها متصلة بأعمال حصن كيفا ، هـذا بينا ورد الاسم فى نسخة س « الحدسه » بغير نقط البته وربما يقصد الحديثة وهو اسم يطلق على مواضع عدة منها حديثة الموصل ، وحديثة الفرات ؛ والحديثة أيضا من قرى غوطة دمشق ، و يقال لها حديثة جرش ، انظر ياقوت (معجم البلدان) .

(٧) فى نسخة ب « وجعله » والصيغة المثبتة من س .

(٨) فى نسخة س « فلما علم الملك الجواد تقربه منه » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٩) فى نسخة س « ما بينه » ، والصيغة المثبتة من ب .

عليه رجلاً وقف لعماد الدين بقصة(١) [وقد ركب ليسير. فظنه عماد الدين](٢) متظلماً(٣) فتناول القصة ليأخذها منه، فضربه ذلك الرجل بسكين فقتله(٤). ثم قبض على ذلك الرجل واعتقله(٥) مدة ثم أطلقه.

وأظهر الملك الجواد التألم لقتله(٦). وجُهز عماد الدين(٧) [رحمه الله](٨) وحُملت جنازته إلى الجامع بدمشق، وصُلى عليه فيه، وتأسف الناس [عليه](٩) وحزنوا لقتله. وكان يوم دفنه(١٠) يوما مشهودا حضر(١١) جنازته معظم الناس من الفقهاء والصوفية وأهل الدين وغيرهم؛ لأنه رحمه الله(١٢) كان تام العقل والفضل والكرم [والبأس](١٣)

---

(١) في نسخة س «على عماد الدين». (٢) في نسخة س «له».

(٣) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في ب.

(٤) في نسخة س «فمد يده عماد الدين إلى القصة ليأخذها من ذلك الرجل» والصيغة المثبتة من ب.

(٥) في نسخة ب «واعتقل» والصيغة المثبتة من س. وذكر سبط ابن الجوزي (مرآة الزمان، ج ٨ ص ٤٧٧) رواية مخالفة إذ يقول: «فاستدعى صاحب حمص بعض نصارى قارا وأمره بقتله فركب ابن الشيخ يوما من القلعة وقت العصر فوثب عليه النصراني فضربه بالسكاكين حتى قتله». أما المقريزي فقد ذكر (السلوك، ج ١، ص ٢٧٧) رواية ثالثة «فسيروا فداأيين قتلاه على باب الجامع في سادس عشرى جمادى الأولى، وأشيع أنهما غلطا في قتله وإنما كانا يريدان قتل الملك الجواد، فإنه كان كثير الشبه به»، عن الفداوية انظر:

B. Lewis, The Assassins, London, 1967.

وترجمه الى العربيه سهيل زكار: الدعوة الاسماعيليه الجديدة (الحشيشية)، بيروت ١٩٧١.

(٦) في نسخة س «وأظهر الملك الجواد الحزن الكثير على قتل عماد الدين» والصيغة المثبتة من ب.

(٧) في نسخة س «وجهز الملك الجواد»، والصيغة المثبتة من ب.

(٨ — ٩) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في ب.

(١٠) في نسخة س «دفن عماد الدين» والصيغة المثبتة من ب.

(١١) في نسخة ب «حضره» والصيغة المثبتة من س.

(١٢) في نسخة س «رضى الله عنه» والصيغة المثبتة من ب.

(١٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

والرئاسة ، وكان مقصدا لمن يفد إليه . اجتمعت[(١)] به فى هذه السنة مرارا فى الدار التى أنزله فيها[(٢)] الملك الجواد التى تسمى دار المسرة ، وبحثت معه فى الأصول وغيره ، رحمه الله ورضى عنه [فإنه كان معدوم المثل فى وقته][(٣)] . وقطع الملك الجواد الخطبة لابن عمه الملك العادل ، وخطب لابن عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وضربت السكة باسمه . وسافر[(٤)] الملك المجاهد [أسد الدين][(٥)] إلى حمص خوفا من الملك الصالح لأنه علم أن الملك الصالح يقصده ، هو والملك المظفر [صاحب حماه][(٦)] ؛ وأنهما لايبقيان عليه . [وكان الملك المظفر لما قصد الملك الصالح إلى حماه التقاه وسافر معه إلى دمشق][(٧)] .

ذكر وصول السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب [ابن الملك الكامل][(٨)] إلى دمشق وتملكه لها [ومعه الملك المظفر صاحب حماه][(٩)] وتعويض الملك الجواد سنجار وغيرها

وسار الملك الصالح بعد الاتفاق بينه وبين الملك الجواد إلى دمشق وطلب نجدة من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل . وكان قد وقع الاتفاق بينه وبينه وصالحه ،

(١) فى نسخة س « قال جمال الدين بن واصل صاحب هـذا التاريخ واجتمعت » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « بها » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٤) فى نسخة س « فعند ذلك سافر » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٦-٧) مابين الحاصرتين من نسخة س ، وساقط من ب .

(٨) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ، ومثبت فى ب .

(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

فبعث إليه بدر الدين [لؤلؤ][1] نجدة . وأرسل إلى الملك المظفر صاحب حماة يدعوه إلى اللحاق به ليدخل معه إلى دمشق[2] ، فسر الملك المظفر بذلك سرورا كثيرا[3] ، ورجا أن يأخذ به ثأره[4] من صاحب حمص وينتقم منه ، [فلحقه إلى البرية بجماعة من عسكره][5] ومعه الأمير سيف الدين على بن أبى على الهذبانى .

وقدم السلطان الملك الصالح دمشق ، وزين البلد لقدومه ، وخرج الملك الجواد لاستقباله[6] . ودخل الملك الصالح قلعة دمشق[7] هو والسلطان الملك المظفر [صاحب حماة][8] والملك الجواد . ثم انتقل الملك الجواد إلى دار السعادة التى عند باب النصر ، وكانت للملك الأمجد صاحب بعلبك ـ كما تقدم ذكره[9] ـ ثم انتقلت بعده إلى الملك الأشرف . وكان الملك الجواد لما ملك[10] دمشق تزوج بنت عمه الملك الأشرف . وكان استيلاء الملك الصالح [نجم الدين][11] على دمشق فى جمادى الآخرة من هذه

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٢) وردت هذه الجملة فى نسخة س فى صيغة مخالفة ، والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة س « عظيما » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٤) فى نسخة س « رجاء أن يأخذ ثأره » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) فى نسخة س « فأتى اليه بجماعة من عسكره » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) ذكر سبط ابن الجوزى (مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٧٥) أن الملك الصالح عندما دخل دمشق كان « الجواد بين يديه قدحمل الغاشية من تحت القلعة وحملها المظفر صاحب حماه من باب الحديد ، واتفق أن صنجق الصالح انكسر عند باب القلعة ... » وذكر ابن أيبك (الدر المطلوب ص ٣٣٢) « واتفق أن سنجق الملك الصالح انكسر عند باب القلعة ، فتطيرت الناس من ذلك . وكان فألا لما ناله الملك الصالح بعد ذلك من تغلب اسماعيل الملك الصالح على دمشق واعتقال الملك الصالح بالكرك » .

(٧) فى نسخة س « إلى قلعة » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٩) فى نسخة س « كما قدمنا ذكره » ، والصيغة المثبتة من ب ، انظر ماسبق ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٨٤ .

(١٠) فى نسخة س « لما تملك » ، والصيغة المثبتة من ب .

(١١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

السنة ، أعنى سنة ست وثلاثين وستمائة . وكانت مدة ملك الملك الجواد لدمشق[١] عشرة أشهر وكسراً[٢] .

ولما استقر الملك الصالح بقلعة دمشق ندم الملك الجواد على ما فعل ، وخاف أن لا يفى[٣] الملك الصالح بما شرطه له ، واستقل الجماعة الذين جاءوا مع الملك الصالح . وكان العسكر الذى فى دمشق[٤] أكثر ، منهم فجاس [الملك الجواد][٥] فى دار السعادة ، وأحضر إليه عسكر دمشق ، وأخذ فى استحلافهم لنفسه ليثب[٦] على دمشق ، ويخرج الملك الصالح من القلعة . وكادت تقع فتنة عظيمة ، فقام الملك المظفر [صاحب حماه][٧] فى إطفاء هذه الفتنة ، ونزل من القلعة إلى دار السعادة ، واجتمع بالملك الجواد وعاتبه على ما فعل ، وضمن له عن[٨] الملك الصالح [نجم الدين أيوب][٩] [القيام][١٠] بما شرطه له ، فطاب قلب[١١] الملك الجواد بذلك ، واستحلفه الملك المظفر للملك الصالح [١١٣] واستحلف الملك الصالح له ؛ فحينئذ خرج الملك الجواد من

(١) فى نسخة س « دمشق » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٢) ورد فى المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٠) « فكانت مدة نيابته دمشق عشرة أشهر وستة عشر يوما » .

(٣) فى نسخة س « لا يفى له » والصيغة المثبتة من س .

(٤) فى نسخة ب « الذين بدمشق » والصيغة المثبتة من س .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٦) فى نسخة س « ليثبت على دمشق » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٨) فى نسخة س « من » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٠) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(١١) فى نسخة ب « قلبه » ، والصيغة المثبتة للتوضيح من نسخة س .

دمشق[1] وسار إلى الشرق وتسلم سنجار والبلاد التي عيذت له . [فعند ذلك أخرب الملك المجاهد أسد الدين صاحب حمص سلمية وقلعتها الجوانية ، ونقل أهلها إلى حمص و بُني لهم حوش كبير في حمص . وجعل أهل سلمية كلهم فيه . ثم بعد ذلك نادى فيهم « كل من جاب عيلته[2] إلى حمص أخرج من الحوش » . فلم يبق بسلمية إمرأة[3] ولا صبي ولا جويرة إلا اصارت في حمص . وخليت مدينة سلمية بعد الخراب فلما مات الملك المجاهد رجع[4] أهل سلمية إليها ، وجعلوا يعمرون دورهم ومنازلهم[5]] .

ذكر منازلة الخوارزمية والملك المظفر حمص ثم رحيلهم عنها

ولما سافر الملك الجواد إلى الشرق واستقر [مُلك السلطان[6]] الملك الصالح بدمشق ، [وفعل الملك المجاهد بأهل سلمية ما فعل بخراب دورهم وقلعتهم الجوانية[7]] ، رحل الملك المظفر من دمشق ، وجاءت الخوارزمية [ونازلوا حمص واجتمع بهم الملك المظفر ونازل حمص معهم[8]] ، فراسل[9] الملك المجاهد الخوارزمية واستمالهم[10] ،

(١) من خروج الملك الجواد من دمشق ودعاء الناس عليه ، وسبهم له في وجهه لكثرة ظلمه ، انظر سبط ابن الجوزى (مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٧٦) .

(٢) كذا في المتن .

(٣) في المتن « مرة » .

(٤) في المتن « رجعوا » .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ومثبت في س

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في ب

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ومثبت في س .

(٨) ما بين الحاصرتين من ب وورد بدلها في س « فاتفق معهم ونازلوا حمص ، وجد الملك المظفر في قتال حمص » .

(٩) في نسخة س « فعند ذلك راسل » والصيغة المثبتة من ب .

(١٠) في نسخة س « إلى الخوارزمية » والصيغة المثبتة من ب .

وبذل لهم مالا فأخذوه منه (١) ، واطلع (٢) الملك المظفر على ذلك نخاف منهم ، ورحل عن حمص ومضى إلى حماة . ثم رحلت الخوارزمية عن حمص وعادوا إلى الشرق فأقاموا به فى أخبازهم (٣) [التى أقطعها لهم الملك الصالح] (٤).

وتواترت (٥) رسل الملك المظفر إلى السلطان الملك الصالح يستحثه على قصد حمص ومنازلتها ، وراسل (٦) الملك الصالح [نجم الدين أيوب] (٧) عمه (٨) الملك الصالح عماد الدين اسماعيل [بن الملك العادل] (٩) فى معنى الاتفاق معه ، فأجابه إلى ذلك وقدم إلى دمشق (١٠) ، وأظهر له الموالاة والمصافاة (١١) وحلف له ، ثم رجع إلى بعلبك فى يومه .

[وورد إلى السلطان الملك الصالح كتب جماعة من أمراء المصريين يحثونه على القدوم إلى الديار المصرية ، ويعلمونه أنه متى دخل الرمل انقضت العساكر

(١) فى نسخة س « وبذل لهم مالا كثيرا فأخذوا منه المال » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « فاطلع » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة س « وأقاموا فى أخبازهم » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب وورد هذا الخبر مختصرا فى المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .

(٥) فى نسخة س « وبعد ذلك تواترت » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) فى نسخة س « وأرسل » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) مابين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

(٨) فى نسخة س « إلى عمه » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٩) ما بين الحاصرتين مثبت فى ب ، وساقط من س .

(١٠) فى نسخة ب « وقدم إليه » والصيغة المثبتة من س .

(١١) فى نسخة ب « والمصافات» والصيغة الصحيحة المثبتة من س .

كلهم إليه](١) . وانزعج الملك العادل [سيف الدين أبو بكر بن الملك الكامل](٢) وأمه وخواصه(٣) بقدوم الملك الصالح [أخيه](٤) إلى دمشق وملكه لها . وعلموا أنه لا بد(٥) أن يقصدهم(٦) لما يحققونه من ميل عسكر مصر إليه(٧) لأنه أكبر منه وأحسن سيرة وأعظم هيبة ، وأجدر بالقيام بأعباء الملك ، وخافوا منه خوفا شديدا .

وورد إلى دمشق على الملك الصالح [نجم الدين](٨) رسول ابن عمه(٩) الملك الناصر داود بن الملك المعظم ، وهو فخر القضاة نصرُ الله(١٠) بن بزاقه [يَعِدُه على مساعدته](١١) ومعاضدته على الملك العادل ، وأخذ مصر له . وطلب منه تسليم دمشق إليه وجميع البلاد التي كانت بيد أبيه(١٢) . فوعدهُ الملك الصالح بذلك إذا ملك مصر ، فأبى الملك الناصر إلا أن يُنجز له ذلك فلم يتفق بينهما أمر .

---

(١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في ب .

(٢) مابين الحاصرتين للتوضيح .

(٣) وردت الجملة في نسخة س بصيغة مختلفة ولكن بنفس المعنى .

(٤) مابين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

(٥) في نسخة س «لابدله» والصيغة المثبتة من ب .

(٦) في نسخة ب «يقصدها» ، والصيغة المثبتة من س .

(٧) في نسخة س « لما يحققون من ميل العساكر المصرية إليه » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٩) في نسخة س « رسول من ابن » ، والصيغة المثبتة من ب .

(١٠) في نسخة س « فخر الدين » والصيغة المثبتة من ب ، انظر ما سبق ، ص ١٩ حاشية ٥ ، ص ١٠٠ حاشية ٦ .

(١١) مابين الحاصرتين من نسخة ب وورد بدلها في س «لمساعدته»

(١٢) وردت الجملة في نسخة س «وطلب منه تسليم دمشق وجميع البلاد التي كانت بيد والده إليه» ، والصيغة المثبتة من ب .

ذكر رحيل الملك الصالح نجم الدين [أيوب](١)

الى ذيل ثنية العقاب(٢) وإقامته بها مدة ثم رجوعه الى دمشق

ولما تواترت الرسل من الملك المظفر(٣) صاحب حماة إلى السلطان الملك الصالح [نجم الدين أيوب](٤) يستحثه على الرحيل إلى حمص ليحاصرها(٥)، رحل الملك الصالح بعساكره(٦) ونزل فى ذيل ثنية العقاب وأقام بتلك المنزلة . وكان الأمير حسام الدين أبو على بن محمد بن أبى على الهذبانى أستاذ داره مرتبا — [كما ذكرنا(٧)] — مع ولده الملك المعظم غياث الدين توران شاه أتابكاً له [بآمد](٨). فلما سار الملك الصالح إلى دمشق بعث إليه يستدعيه(٩)، فقدم إلى دمشق بعد وصول الملك الصالح إليها، فقام بتدبير أمر الدولة وأقام فى خدمته . ولما رحل الملك الصالح رحل معه ملازماً خدمته وأستاذ داريته ، وإليه المرجع فى الأمور كلها . وكان حسام الدين هذا أميرًا جليلًا تام العقل وعنده فضيلة وأدب ، وكان صديقاً لى فلازمته(١٠) فى العسكر

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٢) فى نسخة س « ذيل عقبة ثنية العقاب » والصيغة المثبتة من ب ، وذكر ياقوت (معجم البلدان) أن ثنية العقاب «ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد من دمشق إلى حمص» .

(٣) فى نسخة س « رسل الملك المظفر » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) ما بين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

(٥) فى نسخة س «ليحاصراها» ، والصيغة المثبتة من ب .

(٦) فى نسخة س «بعسكره» والصيغة المثبتة من ب .

(٧ – ٨) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٩) فى نسخة س «يستدعيه إلى عنده» ، والصيغة المثبتة من ب .

(١٠) فى نسخة س «ولازمته» والصيغة المثبتة من ب .

الصالحى ، وكان فى العسكر كاتب الإنشاء بهاء الدين زهير ، وكان جيد الترسل بديع النظم [فى غاية الجودة](١) ، وكان فى العسكر(٢) [أيضا](٣) جمال الدين يحيى بن مطروح ناظر الجيش ، وكان أيضا فاضلا جيد الشعر(٤) . وكان هذان الرجلان(٥) — أعنى بهاء الدين زهيرا(٦) و جمال الدين بن مطروح — من أتم الناس مروءة واعتناء بمن يلوذ بهما و يصحبهما . فكانت دولة [السلطان](٧) الملك الصالح [نجم الدين أيوب](٨) بهما زاهية زاهرة .

وتواترت الرسل من الملك المظفر(٩) صاحب حماة إلى السلطان الملك الصالح — [كما ذكرنا](١٠) — يحثه على سرعة القدوم بالعساكر إلى حمص لمنازلتها ، والقُصّاد تأتى من جهة مصر من الأمراء [يدعونه إلى القدوم إلى مصر](١١) ، و يسهلون عليه أمرها فتحير فى أمره(١٢) هل يقصد مصر أو يقصد حمص و يحاصرها ؟ . وأقام(١٣) تحت ثنية العقاب إلى أوائل شهر رمضان من هذه السنة ، ثم إنه رأى أن البداية(١٤) بمصر أولى ،

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وفى ب « حسنه » .
(٢) فى نسخة ب « فيه » والصيغة المثبتة للتوضيح من نسخة س .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .
(٤) فى نسخة س « النظم » ، والصيغة المثبتة من ب .
(٥) فى نسخة س « وكانا هذان » ، والصيغة المثبتة من ب .
(٦) فى نسخة س « زهير » والصيغة الصحيحة المثبتة من ب .
(٧ — ٨) ما بين الحاصرتين للتوضيح من س .
(٩) فى نسخة س « رسل الملك المظفر » والصيغة المثبتة من ب .
(١٠) ما بين الحاصرتين من نسخة س .
(١١) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وفى نسخة س « يدعونهم إلى مصر للقدوم عليهم » .
(١٢) فى نسخة س « أموره » ، والصيغة المثبتة من ب .
(١٣) فى نسخة س « فأقام » والصيغة المثبتة من ب .
(١٤) فى نسخة س « رأى البداية » ، والصيغة المثبتة من ب .

وأنه إذا ملكها سهل عليه ما بعدها، فرحل(١) عائدا إلى دمشق فى أوائل رمضان .

ولأربع عشرة ليلة [١٤ ا] مضت منـه(٢) تقدم إلى الأمير حسام الدين بن أبى على —[رحمه الله](٣)— أن يرحل بشطر [من](٤) العسكر وينزل جينين من الساحل . فرحل [حسام الدين](٥) من دمشق بقطيعة(٦) كبيرة من العسكر طالبا تلك الجهة . وسافرت(٧) معه(٨) فنزل تحت عقبة الكرسى وخيم على بحـيرة طبرية(٩) إلى أواخر [شهر](١٠) رمضان [وأنا معهم](١١) . ووردت الأخبار ونحن بتلك المنزلة بأن جماعة من أمراء عسكر مصر منهم الأمير نور الدين على بن الأمير فخر الدين عثمان ، وكان أبوه أستاذ دار [السلطان](١٢) الملك الكامل ، و [الأمير](١٣) قضيب البـان و [الأمير](١٤) الدنيسرى

---

(١) فى نسخة س « بجـاء » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسـخة س « ثم إنه بعـد أربع عشر ليـلة مضت من رمضان » والصيغة المثبتة من نسـخة ب .

(٣ — ٤) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٦) فى نسخة س « بقطعة » .

(٧) أى المؤرخ جمال الدين بن واصل ، وهذه الجملة مضطربة فى نسخة س .

(٨) أى مع الأمير حسام الدين ، انظـر : المقريزى ، السـلوك ، ج ١ ، ص ٢٨١ .

(٩) ذكر المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨١) « عقبة الكرسى على بحيرة طبرية » .

(١٠) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(١١) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(١٢) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(١٣ — ١٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

وغيرهم من [أعيـان(١)] الأمراء فى جماعة كثيرة من أتباعهم وأجنادهم(٢) ، قد خرجوا على حمية [من القاهرة(٣)] مقفزين إلى السلطان(٤) الملك الصالح . [فلما وصلوا إلى غزة ونزلوا بها كتب السلطان الملك الصالح إلى(٥)] أستاذ داره الأمير حسام الدين يأمره بالرجوع والنزول بمن معه على خربة اللصوص ، [فرجع بالعسكر الذى معه إلى خربة اللصوص(٦)] فنزل بها .

ذكر مسير السلطان الملك الصالح نجم الدين [أيوب(٧)] من دمشق قاصدا الديار(٨) المصريه ونزوله بنابلس وإقامته بها

وخرج السلطان الملك الصالح من دمشق فى عساكره . وكان معه [من(٩)] العسكر نحو خمسة ألف فارس(١٠) ، وفيهم عماه الملك المعز مجير الدين يعقوب ، والملك الأمجد

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٢) ذكر المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨١) معلومات تزيد بكثير عما ورد فى ابن واصل بخصوص أمراء مصر إذا قال : « خرج من أمراء مصر سبعة عشر أميرا — منهم الأمير نور الدين على ابن فخر الدين عثمان الأستادار ، والأمير علاء الدين بن الشهاب أحمد ، والأمير عز الدين أيبك الكريدى العادلى ، والأمير عز الدين بلبان المجاهدى ، والأمير حسام الدين لؤلؤ السعودى ، والأمير سيف الدين بشطر الخوارزمى ، والأمير عز الدين قضيب البان العادلى ، والأمير شمس الدين سنقر الدنيسرى فى عدة كثيرة من أتباعهم وأجنادهم ، وخلق من مقدمى الحلقة والمماليك السلطانية » .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٤) فى نسخة س « إلى عند السلطان » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وورد بدلها فى ب «ووصلوا إلى غزة ونزلوا بها فكتب » .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٨) فى نسخة س « للديار » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

(١٠) فى نسخة س « نحو ستة آلاف فارس جياد غير الأتباع» والصيغة المثبتة من ب ، وورد فى المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٦) « وكانت عساكر دمشق مع الصالح نجم الدين أيوب على نابلس وهم خمسة آلاف » .

تقى الدين عباس إبنا الملك العادل ، والملك السعيد وأخوه تقى الدين [إبنا](١) الملك الأمجد بهرامشاه صاحب بعلبك و جماعة من الأمراء المعظمية وغيرهم .

وأما الأمير عز الدين أيبك المعظمى صاحب صرخد [فإنه](٢) لم ينزل إليه .
وكان خروج الملك الصالح [من دمشق](٣) لليلتين بقيتا(٤) من شهر رمضان . ووصل(٥) إلى خربة اللصوص وخيم بها(٦) واجتمع بها العساكر كلها(٧) .

و وصل الخبر بقرب العسكر المقفر من مصر ، فتقــدم السلطان الملك الصالح إلى الأمير حسام الدين [بن](٨) أبى على [١٤ ب] بتلقيهم ، فتلقاهم من(٩) الغور وقدم بهم إلى السلطان [واجتمعوا به ، فأكرم الأمير نور الدين بن فخر الدين](١٠) ، وقضيب البان والدنيسرى ومن معهم من الأمراء ، ونزلوا معه بخربة اللصوص ، وعيدوا بها عيد الفطر . وكان مع السلطان(١١) ولده الملك المغيث فتح الدين عمر وهو أكبر أولاده ، وأما ولده الملك المعظم [غياث الدين](١٢) تو ران شاه ، فإنه أمره بالمقام

(١ — ٣) مابين الحاصرتين ساقط من س ، ومثبت فى ب .
(٤) فى نسخة س « بقيا » والصيغة المثبتة من ب .
(٥) فى نسخة س « فوصل » ، والصيغة المثبتة من ب .
(٦) فى نسخة س « وخيمه بها » والصيغة المثبتة من ب .
(٧) فى نسخة س « واجتمع بالعساكر كلها » والصيغة المثبتة من ب .
(٨) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .
(٩) فى نسخة س « إلى » والصيغة المثبتة من ب .
(١٠) مابين الحاصرتين من ب وفى س « فاجتمعوا به بخربة اللصوص ، ووصل الأمير شمس الدين ابن فخر الدين عثمان » انظــر ما ســبق ص ٢١٠ وكذلك المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨١) حيث ورد اسم الامير نور الدين بن فخر الدين .
(١١) فى نسخة س « مع الملك الصالح » .
(١٢) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

بحصن كيفا فأقام بها(١) إلى أن كان [من أمره(٢)] ما سنذكره إن شاء الله تعالى . وكان له ولد آخر [صغير(٣)] يدعى الملك القاهر تركه(٤) بقلعة دمشق مع وزيره تاج الدين بن الولى المعروف بابن مهاجر . وبعد وصول السلطان الملك الصالح إلى نابلس وصل إليه الخبر بموته(٥) .

[ولما عيّد السلطان الملك الصالح(٦)] بخربة اللصوص عيد الفطر تقدم(٧) إلى العساكر بالرحيل ، فرحل الأمير حسام الدين [بن أبي على(٨)] ببعض(٩) العسكر ومعه(١٠) الملك المغيث . ورحل السلطان [الملك الصالح(١١)] بعده ، فقصد جهة نابلس بعد علمه أن الملك الناصر داود سار إلى الديار المصرية — على ما سنذكره [إن شاء الله تعالى .](١٢) فرحل السلطان والعساكر إلى نابلس(١٣) [فخيم ببرج فلاطة ثم دخل إلى نابلس(١٤)] فنزل في دار الملك المعظم . وأقام هو والعساكر(١٥) بنابلس إلى أن خرجت هذه السنة . وأوهمه

(١) في نسخة س « به » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٢ – ٣) ما بين الحاصرتين ساقط من س ، ومثبت في ب .

(٤) في نسخة س « فتركه » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) وردت هذه الجملة في نسخة س : « فورد عليه الخبر بموت ولده الذى بدمشق فتعذر وصول السلطان الملك الصالح إلى نابلس بموت ولده الذى بدمشق » .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وفي س « فعيد بخربة اللصوص » .

(٧) في نسخة س « ثم تقدم » .

(٨) ما بين الحاصرتين ساقط من ب ومثبت في س .

(٩) في نسخة س « ومعه بعض » ، والصيغة المثبتة من ب .

(١٠) في نسخة س « ومعه أيضا » ، والصيغة المثبتة من ب .

(١١ – ١٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(١٣) في نسخة س « فوصل السلطان والعسكر إلى نابلس » والصيغة المثبتة من ب .

(١٤) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في ب .

(١٥) في نسخة س « والعسكر » .

نور الدين بن فخر الدين عثمان (١) والأمراء الذين قدموا معه أن الديار المصرية (٢) في يده، وأنه إذا توجه إليها لا يرده عنها راد، وأن جميع عساكرها (٣) — إذا وصل — يدخلون (٤) فى طاعته ويتخلون عن أخيه الملك العادل .

ذكر مسير الملك (٥) الناصر داود [بن الملك المعظم] (٦) إلى الديار المصرية (٧) واتفاقه مع ابن عمـــه الملك العادل

ولما لم يقع الاتفاق (٨) بين الملك الناصر وابن عمـه [الملك (٩)] الصالح رحل إلى الديار المصرية، [فالتقاه الملك العادل بأحسن ملتق وأكرمه (١٠)] وأنزله بدار الوزارة. واتفقا على محاربة الملك الصالح [نجم الدين أيوب (١١)] ، ووعده الملك العـادل أنه يستخلص دمشق وبلادها له (١٢) . [١٥ ا] واضطربت عساكر مصر بوصول الملك الصـالح إلى نابلس . وتواترت على الملك الصالح كتب الأمراء وجواسيسهم

---

(١) فى نسخة س «شمس الدين بن فخر الدين عثمان» والصيغة المثبتة من ب، انظر ما سبق ص ٢١٢ وحاشية ١٠ .

(٢) فى نسخة س « ديار مصر » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة س « عسكرها » .

(٤) فى نسخة س « دخلوا » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) فى نسخة س « السلطان الملك » وهو تصحيف .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

(٧) فى نسخة س « إلى مصر » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) فى نسخة ب « ولما لم يتفق » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من س .

(١٠) فى نسخة ب « فأكرمه الملك العادل » والصيغة المثبتة من س .

(١١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٢) فى نسخة س « يستخلص له دمشق وبلادها » والصيغة المثبتة من ب .

فى السر يستدعونه إلى الوصول (١) . وتوقف (٢) [الملك الصالح (٣)] فى أمره خوفا أن لايكون لمـا كاتبوه [به (٤)] حقيقة ، وعلم أن (٥) عسكره لا يقوم بحرب عسكر مصر ، فتوقف حتى تتبين له الأمور ، وجواسيسه (٦) وقصاده ما تنقطع عن مصر . وكان الأمير فخر الدين (٧) بن شيخ الشيوخ من أجل الأمراء [وأعظمهم (٨)] [عند الملك العادل (٩)] ، ويقتاد به جماعة من الأمراء والجنـد ، فكاتب الملك الصالح واستحثه على سرعة القدوم [إلى الديار المصرية (١٠)] . وأطلع الملك الناصر على ذلك ، فأعلم به الملك العادل ، فقبض عليه واعتقله فى قلعة الجبل .

[ذكر بقية حوادث هذه السنة (١١)]

ولمـا استقر الملك الصالح بنابلس ولى عليها وعلى أعمـال القدس والأغوار والخليل وبيت جبريل والساحل وغيره إلى العريش . وتقدم (١٢) بضرب خيمة السبق بالعوجاء (١٣) ، وتقـدم إلى جماعة من [أمراء (١٤)] المصريين ، وجماعة من عسكر دمشق

(١) وردت هذه الفقرة فى نسخة س بصيغة مخالفة ولكن بنفس المعنى والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « فتوقف » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٥) فى نسخة س « لعلمه بأن » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) فى نسخة س « ومع هذا جواسيسه » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) فى نسخة س « مجير الدين » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من ب .

(٨) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

(٩ — ١٠) مابين الحاصرتين ساقط من ب ومثبت فى س .

(١١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(١٢) فى نسخة س « وتقدم بعد ذلك » والصيغة المثبتة من ب .

(١٣) فى نسخة س « إلى العوجاء بالعوجاء » وهو تصحيف ، وذكر ياقوت (معجم البلدان) أن العوجاء « نهر بين أرسوف والرملة من أرض فلسطين » .

(١٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

[أن يتقدموا إلى غزة ، فرحلوا إليها ونزلوا بظاهرها[(١)]] وقصاد[(٢)] عسكر مصر ما تنقطع عنه . وأخذ الملك الصالح فى تهيئة أسباب السفر[(٣)] ، وتقدم إلى الأمراء بأن يعملوا الأزواد لدخول الرمل — من البقسماط وغيره .

ووصل إلى معسكر[(٤)] الملك الصالح الصاحب محيي الدين يوسف بن جمال الدين ابن الجوزى رسـولا من الخليفة [الإمام[(٥)]] المستنصر بالله ليصلح بين الملك الصالح وأخيه الملك العادل[(٦)] .

وأرسـل الملك ، الصالح [نجم الدين أيوب[(٧)]] يطلب من عمـه الملك الصالح اسماعيل[(٨)] صاحب بعلبك أن يصل إليـه بنفسه ليمضى معه إلى الديار المصرية ، فتعلل واعتـذر ، وسير ولده الملك المنصور نور الدين محمود[(٩)] نائبا عنه فى الخدمة ، ووعد الوصول[(١٠)] إلى خدمته بعد ذلك ، وهو فى الباطن يعمل على السعى فى انتزاع دمشق منه .

---

(١) فى نسخة ب « فتقدموا إلى غزة ونزلوا ظاهرها » والصيغة المثبتة من س .

(٢) فى نسخة س « ومع هذا فإن قصاد » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة س « السفر وأسبابه » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) فى نسخة س « عسكر » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٦) من هذه السفارة انظر أيضا ، المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٣ .

(٧) ما بين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

(٨) فى نسخة ب « الملك الصالح عماد الدين » .

(٩) فى نسخة س « ناصر الدين محمود » والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة ب ، انظر ما يلى ص ٢٢٠ والمقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٢٤ ، ٣٧٣ .

(١٠) فى نسخة س « ووعده بالوصول » والصيغة المثبتة من ب .

وفى هذه السنة قَتل ألبي بن الملك السعيد نجم الدين غازى جده [١٥ ب] الملك المنصور ناصر الدين أرتق بن نجم الدين إيلغازى (١) بن ألبي بن تمرتاش ابن إيلغازى بن أرتق ، وساعده على قتله جماعة من المماليك ، وذلك فى العشر الأوسط من ذى الحجة . وكان الملك السعيد معتقلا بقلعة يقال لها البارعية ، اعتقله فيها أبوه الملك المنصور . ولما قتل الملك المنصور تولى البلاد (٢) ابنه الملك السعيد ، واعتقل ابنه ألبي إلى أن مات .

(١) فى نسخة ب « إيل غازى » والصيغة المثبتة من س .

(٢) فى نسخة س « تولى ابنه البلاد » والصيغة المثبتة من ب .

ودخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة (*)

والسلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن الملك الكامل بالديار المصرية وعنده ابن عمه الملك الناصر داود [بن الملك المعظم](١). وبرز الملك العادل إلى بلبيس وأقام بها وهو خائف من أخيه الملك الصالح ، لكنه أظهر قصد الشام ومحاربة أخيه الملك الصالح وانتزاع الشام منه(٢). وتقدمت مقدمة عسكره فنزلوا الخشبي(٣) وهو طرف الرمل .

وأخذ محيي الدين بن الجوزى رسول الخليفة فى الإصلاح بين الأخوين على أن تكون دمشق وبلادها التى كانت مضافة إليها فى أيام الملك الأشرف [بن الملك العادل](٤) إلى الملك(٥) الصالح نجم الدين [أيوب](٦)، ويرد إلى الملك الناصر [داود](٧) ما أخذ منه من البلاد ، وتكون الديار المصرية للملك العادل ، وتتفق الكلمة ويزول ما بينهم من الشحناء . وكان مع محيي الدين [رسول الخليفة](٨) ولده شرف الدين ، وكان شابا فاضلا ذكيا يتردد(٩) فى هذا المعنى بين الأخوين ، فكان(١٠) يذهب إلى مصر

---

* يوافق أولها ٣ أغسطس سنة ١٢٣٩ ميلادية .

(١) مابين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

(٢) وردت الجملة فى نسخة س فى صيغة مخالفة ولكن بنفس المعنى .

(٣) فى نسخة س « بالخشبي » وذكر ياقوت (معجم البلدان) أن « الخشبي بينه وبين الفسطاط ثلاث مراحل فيه خان ، وهو أول الجفار من ناحية مصر وآخرها من ناحية الشام » .

(٤) ما بين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

(٥) فى نسخة س « للملك » والصيغة المثبتة من ب .

(٦ — ٨) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٩) فى نسخة س « فتردد » والصيغة المثبتة من ب .

(١٠) فى نسخة س « وكان » والصيغة المثبتة من ب .

فيجتمع بالملك[1] العادل ثم يعود إلى الملك الصالح ، ومحيي الدين مقيم [بنابلس[2]] عند الملك الصالح . وآخر الأمر أنه تقارب ما بين الأخوين الملك العادل والملك الصالح ، ولولا ما حدث من الملك الصالح إسماعيل صاحب بعلبك كان الصلح انتظم بينهما .

ولما تقارب الأمر في معنى الصلح رحل محيي الدين بنفسه إلى الديار المصرية ، واستصحب معه جمال الدين يحيى بن مطروح ناظر الجيش رسولا من الملك الصالح لتقرير قواعد الصلح [بينهما[3]] ، فتوجها إلى [١١٦ ا] مصر وأخذا[4] مع الملك العادل في تقرير قواعد الصلح والاتفاق ، [فوصلا وأديا الرسالة ، وأقاما عند الملك العادل بمصر إلى أن جرى ما سنذكره إن شاء الله[5] تعالى] .

ذكر ما اعتمده الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل من التدبير إلى أن تم له ما أراد من تملك دمشق[6]

كانت مكاتبة الملك الصالح مترددة إلى عمه الملك الصالح إسماعيل صاحب بعلبك متقاضية[7] له بالوصول[8] إلى نابلس ليتفقا على المسير[9] إلى ديار مصر .

(١) في نسخة س « مع الملك » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت في ب .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من ب ومثبت في س .

(٤) في نسخة س « فلما دخلاها أخذا » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب ، انظر المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .

(٦) في نسخة س « ذكر استيلاء الملك الصالح عماد الدين إسماعيل على دمشق وهو استيلاؤه الثاني عليها » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) قضينا بمعنى عهدنا وهو بمعنى الأداء والانهاء ومنه قوله تعالى « وقضينا إليه ذلك الأمر » أي أنهيناه إليه وأبلغناه ذلك ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢٠ ، ص ٤٨ (مادة قضى) .

(٨) في نسخة س « بوصوله » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) في نسخة س « ليتفقا معه على المضى » وهو تصحيف ، والصيغة المثبتة من ب .

وكان الملك المنصور نورالدين محمود بن الملك الصالح إسماعيل فى نابلس عند [ابن عمه](١) الملك الصالح [نجم الدين أيوب](٢) — كما ذكرنا(٣) — نائبا عن أبيه فى الخدمة، وأبوه الملك(٤) الصالح إسماعيل لا يظهر إلا الطاعة، و يعده بأنه يصل إلى خدمته ويساعده على قضاء مآربه، وهو فى الباطن يكاتب الملك العادل [بن الملك الكامل](٥) صاحب مصر يخبره بما هو عازم عليه من أخذ دمشق من الملك الصالح نجم الدين [أيوب](٦)، وأنه إذا ملك دمشق كان نائبه فيها، وأقام الخطبة له، وضرب(٧) السكة باسمه. [وكتبه](٨) ورسله [أيضا](٩) متواتره إلى الملك المجاهد صاحب حمص فى تقرير قواعد ما عزم عليه من الوثوب على الملك الصالح نجم الدين وأخذ دمشق منه.

ولما أبطأ على الملك الصالح نجم الدين [أيوب](١٠) وصول عمه الملك الصالح [عماد الدين اسماعيل](١١) إليه، سير إليه الحكيم سعد الدين الدمشقى يتقاضاه(١٢) فى سرعة القدوم إلى نابلس، وأصحبه قفصا فيه حمام ليطالعه بالأخبار يوما فيوما(١٣). فجرت واقعة غريبة لم يسمع بمثلها وهى(١٤) أن سعد الدين الحكيم لما وصل إلى بعلبك أنزله الملك الصالح إسماعيل صاحبها [عنده](١٥)، وأبدل الحمام الذى فى قفصه

(١ — ٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.
(٣) انظر ما سبق ص ٢١٦.
(٤) فى نسخة ب «والملك» والصيغة المثبتة من س.
(٥ — ٦) ما بين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س.
(٧) فى نسخة س «وضربت» والصيغة المثبتة من ب.
(٨) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س.
(٩ — ١١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.
(١٢) فى نسخة س «حتى يتقاضاه» والصيغة المثبتة من ب.
(١٣) فى نسخة س «يوما بيوما» والصيغة المثبتة من نسخة ب.
(١٤) فى نسخة س «وهو» والصيغة المثبتة من ب.
(١٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

بحمام من حمام قلعة بعلبك ، وسعد الدين لا يشعر بذلك[1] ، وأخذ الملك الصالح [إسماعيل][2] فى التدبير على أخذ دمشق و جمع الرجال والأحشاد[3] والاحتفال لقصد دمشق . وتحقق سعد الدين مايفعله[4] ، فكان يكتب فى البطائق إلى مخدومه الملك الصالح نجم الدين أيوب بما يشاهده من غدر الملك الصالح [عماد الدين اسماعيل][5] وسعيه فى قصد دمشق . و يعلق البطائق فى أجنحة الحمام فيقع[١٦ب] الحمام فى برجها فيأخذ البرّاج البطائق منها ، ويحملها[6] إلى الملك الصالح[إسماعيل][7] ، فيأمر أن يكتب بدلها على لسان سعد الدين و يعلق فى أجنحة الحمام التى كانت فى قفص سعد الدين . ويذكر فى تلك البطائق أن المولى الملك الصالح [عماد الدين اسماعيل][8] مهتم بالمسير إلى العسكر المنصور بنابلس بنفسه ، وما يتأخر قدومه عن[9] السلطان ، فيصل الحمام إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين بذلك فيطيب قلبه ، و ينتظر وصول عمه [الملك الصالح][10] إليه . فتم للملك الصالح إسماعيل بهذا التدبير ما أراده من جمع الرجال

(١) انظر أيضا : سبط ابن الجوزى (مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٧٩ — ٤٨٠) ؛ ابن ايبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٣٦ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٣) فى نسخة س « وحشد وجمع الرجال والأجناد » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) فى نسخة س « وعلم سعد الدين وتحقق ما يفعله » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) مابين الحاصرتين ساقط من ب ومثبت فى س .

(٦) فى نسخة ب « ويحمله » .

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٩) فى نسخة س « على » .

(١٠) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

والأحشاد[١] لقصد دمشق ، وانقطاع[٢] الأخبار بذلك عن الملك الصالح نجم الدين [أيوب][٣] . ثم بعث الملك الصالح [عماد الدين][٤] إسماعيل إلى ولده الملك المنصور يستدعيه إليه ، وأوهم الملك الصالح نجم الدين أنه إنما يطلبه ليجعله نائبا عنه فى بعلبك و يصل إلى خدمته ، فتوجه الملك المنصور بأصحابه إلى والده [الملك الصالح عماد الدين إسماعيل][٥] . ثم سيّر الملك الصالح نجم الدين ولده الملك المغيث فتح الدين عمر إلى دمشق [ليحفظها][٦] فأقام بقلعتها .

ذكر قبض الملك المجاهد أسد الدين صاحب حمص على الأمير سيف الدين بن أبى على ومن معه من الأمراء وأكابر أهل حماة[٧]

ومن الغرائب التى وقعت فى هذه السنة ما نذكره الآن ، وهو أنّا كنا قد ذكرنا انتماء الملك المظفر صاحب حماة إلى ابن خاله السلطان الملك الصالح نجم الدين [أيوب][٨] ، وأنه عادى جيرانهم كلهم بسبب الانتماء إليه و إلى والده من قبله . و بلغه أن الملك الصالح [عماد الدين][٩] إسماعيل صاحب بعلبك قد اتفق هو والملك المجاهد صاحب حمص على قصد دمشق وأخذها من الملك الصالح نجم الدين

---

(١) فى نسخة ب « والاحتشاد » والصيغة المثبتة من س .

(٢) فى نسخة س « وانقطعت » والصيغة المثبتة من ب .

(٣ ــ ٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٧) عنوان الخبر من نسخة ب وورد بدله فى نسخة س : « قال جمال الدين بن واصل صاحب هذا التاريخ ... » .

(٨ ــ ٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

[أيوب] [١] . وتحقق أن الملك الصالح مقيم بنابلس فى العساكر كلها وأنه لم يترك بدمشق [مع ولده الملك المغيث] [٢] عسكرا يحفظها ، وأنه متى قصدها صاحب حمص وصاحب بعلبك أخذت لا محالة ، فرأى من المصلحة أن يُسيّر جماعة من عسكره وأهل بلده يحفظونها .

وكان الأمير [١١٧ ا] سيف الدين على بن أبى على الهذبانى غالبا على أمره كله — كما قدمنا ذكره [٣] . فاتفق الملك المظفر مع سيف الدين على [بن أبى على] [٤] أن يظهر سيف الدين الحرد [٥] عليه [٦] ومفارقته ، ويوهم [٧] سيف الدين أكابر [أهل] [٨] حماة بأن الملك المظفر قد عزم على تسليم حماة إلى الفرنج [٩] لما حصل عنده من الغبن من إساءة المجاورين له وقصدهم أخذ بلده منه . وقصد الملك المظفر وسيف الدين بهذا الذى اتفقا عليه أن تتم هذه الحيلة على الملك المجاهد صاحب حمص ، ولا يتعرض [١٠] لسيف الدين والعسكر الذين معه وأكابر البلد [١١] ، ويمضوا [١٢] إلى دمشق

(١ — ٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٣) انظر ماسبق ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٢٥٩ ، ٢٧١ — ٢٧٤

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٥) الحرد هو الغيظ والغضب ، انظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٤ ، ص ١٢١ .

(٦) فى نسخة س « على الملك المظفر » .

(٧) فى نسخة ب « وأعلم » والصيغة المثبتة من س ، انظر أيضا المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٦ .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٩) فى نسخة س « للفرنج » والصيغة المثبتة من ب .

(١٠) فى نسخة س « فلا » .

(١١) فى نسخة س « ولا للعسكر الذى معه ولا لأكابر حماة الذى معه أيضا » والصيغة المثبتة من ب

(١٢) فى نسخة س « حتى يمضون » والصيغة المثبتة من ب .

فيحفظوها للملك الصالح نجم الدين [أيوب](١) الى أن يملك الديار المصرية ويرجع الى دمشـق . [ففعـل سيف الدين ذلك](٢) وأظهـر(٣) الغضب على الملك المظفر والنفور منه ، واقتطع جمـلة من العسكر استمالهم(٤) اليـه وكذلك استمال جملة من أكابر الرعية(٥) من المعممين . وأوهمهم كلهم أن حماة قد عزم صاحبها الملك المظفر على تسليمها(٦) الى الفرنج(٧) ، ومتى قـدم الفرنج حماة(٨) [استولوا عليها وسبوا](٩) أولاد الرعية وذراريهم . واستخدم الملك المظفر جماعة من الفرنج وأنزلهم عنده بالقلعة [ليقوى هذا الإيهام](١٠) . فخافت الرعية والجند أن يستولى عليهم الفرنج ، فاجتمع الى سيف الدين [على بن أبى على](١١) خلق [كثير](١٢) ونزل بهم على تل صفرون ظاهر حمـاة . وكان الملك المظفر يركب كل يوم ويمضى الى خيمته(١٣) ويتفقان فى الباطن على ما يريدان ويدبرانه . وأوهم(١٤) الملك المظفر أصحابه أنه إنمـا يأتى الى سيف الدين مسترضيـا له ومستعطفا ، [فبقى على ذلك ثلاثة أيام](١٥) . ثم رحل

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٣) فى نسخة س « فأظهر سيف الدين » .

(٤) فى نسخة س « من عسكر حماه واستمالهم » .

(٥) فى نسخة س « استمال أيضا جملة من أكابر رعية حماة » .

(٦) فى نسخة ب « تسلمها » والصيغة المثبتة من س .

(٧) فى نسخة س « للفرنج » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) فى نسخة س « الى حماة » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة س وفى ب « سبوا » .

(١٠) ما بين الحاصرتين من نسخة ب ، وفى نسخه س « ليقوا الإيهام » .

(١١ - ١٢) مابين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

(١٣) فى نسخة س « ويمضى الى خيمته يعنى أن يسترضيه » والصيغة المثبتة من ب .

(١٤) فى نسخة س « وقد أوهم » .

(١٥) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

سيف الدين بمن معه من الجند والرعية ومعهم عيالاتهم وأطفالهم[١] فإنهم نزحوا من حماة نزوح من لا يتوهم العود إليها[٢] .

ولما وصلوا حمص نزلوا بحيرة قدس[٣] ، ولم يخف من الملك المجاهد [صاحب حمص[٤]] المقصود ، فركب وقصد إليهم . فلما صار بالقرب منهم طلب الاجتماع بسيف الدين ، فجاءه سيف الدين منفردا مطمئنا إليه ، فلو[٥] حاربه بمن معه وامتنع بالجيش الذى صحبه ، لما قدر الملك [١٧ ب] المجاهد عليه ، وكان وصل إلى دمشق وحفظها بمن معه ومن فيها[٦] إلى أن يصل الملك الصالح من نابلس بمن معه من العساكر[٧] ، وكان يتعذر على [عمه[٨]] الملك الصالح [إسماعيل[٩]] أخذ دمشق منه . ولكن إذا قضى الله أمرا فلا مرد له .

ولما اجتمع به سيف الدين ، رحب به الملك المجاهد[١٠] وأحسن تلقيه ، وسأله عن سبب مقدمه فقال له سيف الدين : « إنى ماسافرت من حماة [أنا[١١]] وهؤلاء الذين معى إلا لعلمنا من ميل الملك المظفر إلى الفرنج واعتضاده بهم ، وخفنا من

(١) فى نسخة س « وتبعهم » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « فإنهم فرحوا بخروجهم من حماة وإنهم مابقوا يعودون إليها » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة س « فلما وصلوا إلى حمص نزلوا على بحيرة قدس » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٥) فى نسخة س « ولو » .

(٦) فى نسخة س « بمن فيها ومن معه » .

(٧) فى نسخة س « إلى أن يصل من عند الملك الصالح عسكرا » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ، ومثبت فى ب .

(٩) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ، ومثبت فى س .

(١٠) فى نسخة س « ولما اجتمع سيف الدين بالملك المجاهد رحب به » ، والصيغة المثبتة من ب .

(١١) مابين الحاصرتين من نسخة ب ، وساقط من س .

تسليمها[(١)] إليهم، فأردنا النجاة لأنفسنا والخلاص[(٢)] من مخالطة [الكفار][(٣)] أعداء الدين».

فآنسه الملك المجاهد [عنـد ذلك ولاطفه][(٤)] وسام[(٥)] منه الدخول إلى حمص ليضيفه بهـا ، ثم يأذن له ولأصحابه فى السـفر إلى حيث شاؤا ، فاغتر [سـيف الدين][(٦)] بذلك ودخل معه إلى حمص ، وصعد معه إلى القلعة فأنزله بها[(٧)] فى دار [حسنة][(٨)] ، وأظهر إكرامه والإحسان إليه . ثم بعث إلى أصحاب سيف الدين يأمرهم بدخول حمص[(٩)] فدخل أكثرهم ، وهرب بعضهم ونجـا[(١٠)] ، وحصل أكثرهم فى القبضة ، ووقع عليهم خذلان من الله تعالى ، ولو قاتلوا لانتصفوا ونجوا .

ثم اعتقل الملك المجاهـد سيف الدين [بن أبى على][(١١)] وقيـده وضيق عليه ، واعتقل الأكابر من أهل حماة والجنـد وقيدهم وضيق عليهـم واستصفى ما كان معهم من الأموال والدواب والقماش . وعاقب بعضهم أشد العقوبة لاستخلاص[(١٢)] الأموال منهم ، وكان من جملتهم الحكيم[(١٣)] موفق الدين محمد بن أبى الخير الطبيب ، وكان

(١) فى نسخة ب « تسلمها » والصيغة المثبتة من س .
(٢) فى نسخة س « بأنفسنا والنجاة » والصيغة المثبتة من ب .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من س ، ومثبت فى ب .
(٤) ما بين الحاصرتين من س وساقط من ب .
(٥) سام يسومه سوما أى ألزمه ، انظر الزبيدى ، تاج العروس ، ج ٨ ، ص ٣٥٠ .
(٦) ما بين الحاصرتين من س وساقط من ب .
(٧) فى نسخة س « فأمر له » والصيغة المثبتة من ب .
(٨) ما بين الحاصرتين من س وساقط من ب .
(٩) فى نسخة س « بالدخول إلى حمص » والصيغة المثبتة من ب .
(١٠) وردت الجملة فى نسخة س فى صيغة مختلفة ولكن بنفس المعنى « فدخل أكثرهم من أجاب ومنهم من لم يجب فهرب ونجا » .
(١١) ما بين الحاصرتين من نسخة س .
(١٢) فى نسخة س « حتى يخلص » والصيغة المثبتة من ب .
(١٣) فى نسخة ب « الفقيه » والصيغة المثبتة من س .

فاضلا فى علم الطب متقنا له ، وكانت منزلته عند الملك المظفر عالية جدا ، وكان مع ذلك دينا متورعا . ومنهم أيضا الحكيم زين الدين بن سعد الدين بن سعد الله(١) ابن واصل ابن عمى . فأما موفق الدين فمات(٢) فى الحبس بسبب التضييق والضرب، وأما [الحكيم زين الدين ابن عمى](٣) فشفع فيه صاحب مصياف مقدم(٤) الإسماعيلية فخلص بعد مدة . وكان من [١٨ ا] جملتهم أيضا الأمير بدر الدين محمد بن أبى على الهذبانى والد الأمير حسام الدين(٥) أستاذ دار الملك الصالح نجم الدين [أيوب] وهو عم الأمير سيف الدين [بن أبى على](٦) والأمير علاء الدين قريبه . ومن جملتهم جماعة من أكابر بنى قرناص ، كانت لهم نعمة(٧) وافرة ومنزلة عند الملك المظفر علية ، هلك بعضهم فى الحبس وخلص الباقون(٨) بعد مدة بعد أن باعوا [أكثر](٩) أملاكهم(١٠) وأدوها [مع أموالهم](١١) إلى الملك المجاهد . وهلك سيف الدين [على بن أبى على](١٢) فى الحبس [بعد موت الملك المجاهد ، ثم خلص عمه بدر الدين ، والأمير حسام الدين وعلاء الدين قريبه](١٣) .

(١) فى نسخة س « زين الدين سعد الله » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « فإنه مات » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وفى ب « زين الدين » .

(٤) فى نسخة س « ومقدم » .

(٥ — ٦) مابين الحاصرتين من س .

(٧) فى نسخة س « نعم » .

(٨) فى نسخة س « وبعضهم خلص » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(١٠) فى نسخة ب « أموالهم » ، والصيغة المثبتة من س .

(١١–١٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٣) ما بين الحاصرتين من نسخة ب ، وورد بدله فى س « بعد ما ذاق الشدائد حتى مات » .

ذكر استيلاء الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن الملك العادل على دمشق وهو استيلاؤه الثانى عليها(١)

ولما جرى(٢) ما ذكرناه ضعف الملك المظفر – صاحب حماة – جدا(٣) لذهاب عسكره ورجاله . واغتنم(٤) الملك الصالح [عماد الدين](٥) إسماعيل والملك المجاهد صاحب حمص ذلك مع بعد الملك الصالح نجم الدين [أيوب](٦) من(٧) دمشق وخلو دمشق ممن يحفظها ، فرحل(٨) [الملك الصالح عماد الدين إسماعيل](٩) من بعلبك فى عسكره ومن جمع وحشد من الرجالة وقصد دمشق من جهة عقبة دمر(١٠) . ورحل الملك المجاهد من حمص فى عسكره وقصد دمشق من [جهة](١١) ثنية العقاب(١٢) وذلك فى شهر صفر من هذه السنة – أعنى سـنة سبع وثلاثين وستمائة – فاجتمعوا على دمشق(١٣)

(١) العنوان بأكمله ساقط من نسخة س .

(٢) فى نسخة س « قال الراوى ولما جرى » .

(٣) فى نسخة س « ضعف جدا » .

(٤) فى نسخة س « فاغتنم » .

(٥ – ٦) ما بين الحاصرتين ساقط من ب ومثبت فى س .

(٧) فى نسخة س « عن » .

(٨) فى نسخة س « فعند ذلك رحل » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) ما بين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

(١٠) عقبة دمر : وتسمى دُمَّر أيضا ، مكان مشرف على غوطة دمشق من جهة الشمال فى طريق بعلبك ، انظر ياقوت : معجم البلدان ، مادة دمر .

(١١) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(١٢) ذكر ياقوت (معجم البلدان – مادة العقاب) أن ثنية العقاب « فرجة فى الجبل الذى يطل على غوطة دمشق من ناحية حمص ، تقطعه القوافل المغـربة إلى دمشق من الشرق » انظر أيضا : مادة ثنية العقاب فى معجم البلدان .

(١٣) فى نسخة س « فاجتمعوا الملكين » والصيغة المثبتة من ب .

ولم(١) يشعر الناس بهم إلا وهم على أبواب دمشق بكرة النهار فى جمع عظيم من الخيالة والرجالة وليس فى دمشق من يمنع عنها ولا يذب . فتسلق جماعة من أصحاب الملك الصالح من خان ابن المقدم الذى يلى باب الفراديس ونزلوا منه، وكسروا قفل باب الفراديس، وساعدهم على ذلك جماعة مخامرون فى البلد ، فدخل الملك الصالح [عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل](٢) والملك المجاهد [صاحب حمص](٣) إلى دمشق، وطيب الملك الصالح قلوب الرعية ، وقال [لهم](٤) : « ادعوا للسلطان الملك العادل ، فأنا نائبه وغلامه » . ثم مضى إلى داره بدرب الشعارين فنزلها، ونزل الملك المجاهد فى داره التى بقرب [١٨ ب] الجامع .

ولما جرى ذلك امتنع الملك المغيث بن [السلطان](٥) الملك الصالح نجم الدين [أيوب](٦) فى القلعة ومعه(٧) جماعة قليلون ، وغلقوا باب القلعة واستحصروا بها . ثم زحف(٨) الملك الصالح [عماد الدين إسماعيل](٩) والملك المجاهد على القلعة [فسلمت

---

(١) فى نسخة س « فلم » .

(٢ — ٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٥) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٦) مابين الحاصرتين من س وساقط من ب

(٧) فى نسخة ب « ومعهم » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من س .

(٨) فى نسخة س « فزحف » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة س .

إلى الملك الصالح بالأمان ثانى يوم دخولهم إلى دمشق[1]] . وصعد المـلك الصالح [عماد الدين إسماعيل[2]] [إلى القلعـة[3]] واستولى عليهـا ، واعتقـل الملك المغيث ابن الملك الصالح [نجم الدين أيوب[4]] فى برج من أبراجها ،ولم يزل معتقلا فيه[5] إلى أن مات على ماسنذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر ماتجدد للملك الصالح نجم الدين أيوب بعـد أخذ دمشق منـــه ، من مسيره إلى دمشق[6] ومفارقة عسكره له ورجوعه إلى نابلس ومقامه بهـا

ووردت الأخبار إلى الملك الصالح نجم الدين [أيوب[7]] ومعه أكثر العساكر وبعضهم قد تقدمـ[8]ـه إلى غزة كما ذكرناه[9] ، أن عمـه الملك الصالح والملك المجاهـد

(١) مابين الحاصرتين من نسـخة ب وورد فى س « وضايقوها وقاتلوها أشـد قتال ثلاثة أيام فسلمت إلى الملك الصالح بالأمان رابع يوم من دخولهم إلى دمشق » . ولم تتفق رواية نسخة س مع المصادر المعروفة المتداولة إذ ذكر ابن العـديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٤٦) : « وحصر القلعة يوما أو يومين وفتحها » ، وذكر ابن أيبك (الدر المطلوب ، ص ٣٣٦) بعد فتح دمشق : « وأصبحوا يوم الأربعاء ثامن عشرين صفر على القلعة ، ونقبوها من ناحية باب الفرج ... واستولى على القلعة » ؛ انظر أيضا ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٨٠ .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٥) فى نسخة ب « فلم يزل معتقلا ... » والصيغة المثبتة من س .

(٦) فى نسخة س « ومسيره إليها » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) ما بين الحاصرتين للتوضيح من س .

(٨) فى نسخة س « تقدم » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٩) فى نسخة س « كما ذكرنا » .

[أسد الدين](١) على عزم قصد دمشق وأخذها منه ، فتقدم إلى أستاذ داره الأمير حسام الدين بن أبى على [محمد](٢) بالمضى بأصحابه إلى دمشق لحفظها(٣) قبل أن يصل الملك الصالح والملك المجاهد إليها .

فسار إليها حسام الدين(٤) بجماعته مسرعا وكنت(٥) فى صحبته . فلما وصل إلى عقبة فيق اعترضه جماعة من عسكر الملك الناصر فلم يتمكنوا من مقاتلته واندفعوا عنه . وصعد عقبة فيق وسار مُجداً ، فلما وصل إلى الصنمين(٦) أتاه قاصد وقت السحر ومعه كتاب من دمشق يخبر فيه أن الملك الصالح والملك المجاهد قد قصدا دمشق وهم يباكرونها . وكان ورد الكتاب بذلك إليه سحر، فقرأه على ضوء المشعل وجدّ فى السير . فلما قارب الكسوة(٧) ورد الخبر بمنازلتهما دمشق ، وعلم أنه لم يبق له سبيل إلى دخولها ، فرجع طالباً جهة مخدومه الملك الصالح نجم الدين، وترك ثقله وخزائنه . فترك [١١٩ ا] الثقل والخزانة بالقرية المعروفة بخياره(٨) فى جماعة من أصحابه الذين لم يمكنهم اللحاق به . وأقاموا بالقرية المذكورة بقية ذلك اليوم والليلة

---

(١) مابين الحاصرتين من ب وساقط من س .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٣) فى نسخة س « بالمضى من مكانه إلى دمشق بأصحابه ليحفظها » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) فى نسخة س « فسارعند ذلك حسام الدين إليها » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) أى جمال الدين بن واصل ، والسطور التالية وردت مختصرة فى نسخة س مع حذف ضمير المتكلم ودون ذكر الأماكن .

(٦) الصنمان : قرية من أعمال دمشق (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٧) الكسوة : بضم الكاف ، قرية كانت أول منازل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر ، انظر ياقوت (معجم البلدان) .

(٨) ذكر ياقوت (معجم البلدان) أن خياره قرية قرب طبرية من جهة عكا قرب حطين .

القابلة ، وبتُّ معهم فيها. فلما كان وقت طلوع الفجر جاء جماعة كثيرة من مماليك الملك الصالح [عماد الدين إسماعيل](١) فأحاطوا بالثقل والخزانة ودخلوا به إلى دمشق. ودخلتُ البلد ، والقلعة بَعْدُ لم تفتح . ثم فتحت فى آخر النهار من ذلك اليوم ، فتواريت ولم أظهر خوفا من صاحب حمص فإنه كان يتبع أهل حماة لعداوته لصاحبها .

وبعد رحيل الأمير حسام الدين من نابلس ، رحل الملك الصالح بمن معه فى نابلس بالعساكر . فلما وصل إلى بيسان من الغور وصل الخبر إليه بنزول عمه الملك الصالح على دمشق وتسلمه لها . ووصل إليه الأمير حسام الدين عائداً إليه من جهة دمشق ، فأمر بتحليف الجند وعنده أن القلعة لم تسلم . ولو بقيت ممتنعة حتى وصل بالعسكر إليها اندفع الملك الصالح ، وصاحب حمص .

ثم رحل الملك الصالح بالعسكر وقطع بهم نهر الأردن ، ونزل على القصر المعروف بقصير معين الدين(٢) . فتواترت الأخبار بتسلم الملك الصالح [عماد الدين إسماعيل](٣) قلعة دمشق ، ففسدت نيات العسكر ، وعلموا أنهم لا يمكنهم المقام معه والبلاد قد صارت لغيره ، وأيضا فأهاليهم وأولادهم بدمشق . وتحققوا أن الملك الصالح لم يبق له ملجأ ولا وَزَر(٤) وأنّ أمره قد تلاشى بالكلية(٥) . وكان معه

(١) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٢) فى المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٨) ، « القصير المعينى من الغور » .

(٣) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٤) الوزر : الملجأ ، وكل ما التجأت إليه وتحصنت به فهو وزر ، انظر ابن منظور (لسان العرب ، ج ٧ ، ص ١٤٥) .

(٥) نهاية الجزء الذى ورد مختصرا فى نسخة س ، انظر ما سبق ، ص ٢٢١ حاشية ٥ .

من [ملوك](١) أهل بيته [عماه](٢) الملك المعز مجير الدين يعقوب ، والملك الأمجد تقى الدين عباس إبنا الملك العادل ، والملك المظفر [تقى الدين](٣) والملك السعيد معين الدين إبنا الملك الأمجد صاحب بعلبك ، والملك المظفر بن [الملك المجاهد](٤) صاحب حمص ، [وكان قد فارق أباه وخدم الملك الصالح](٥) . فبعث هؤلاء والأمراء(٦) [إلى الملك الصالح](٧) يقولون له : « لا يمكننا المقام معك هاهنا فإن أهلنا وأولادنا بدمشق فاذن لنا فى الرحيل إلى دمشق »(٨) ، فأذن لهم ، فضربت كوساتهم ، ورحلوا وهو ينظر إليهم . وكان له خادم يقال له شهاب الدين فاخر [هو من أقرب الخدام إليه](٩) [١٩ ب] فنهب(١٠) شيئا كثيرا من قماشه [وخزائنه](١١) ، واستصحب جماعة من مماليكه الأصاغر وغلمانه وهرب(١٢) مع العسكر [هم](١٣) .

[وجاءه القاضى بدر الدين يوسف بن الحسن الزرزارى قاضى سنجار — وهو أجل أصحابه — وله من اليد عنده ما قدمناه من الإصلاح بينه وبين

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٢) مابين الحاصرتين مذكور فى الهامش فى نسخة س .

(٣ — ٥) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

(٦) فى نسخه ب « الأمراء » والصيغة المثبتة من س .

(٧) فى نسخة س « إليه » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) فى نسخة س « إنا لا يمكننا المقام معك هنا وأهالينا بدمشق فأذن لنا فى السفر إلى دمشق » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(١٠) فى نسخة س « فأخذ » والصيغة المثبتة من ب .

(١١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(١٢) فى نسخة ب « ورحل » والصيغة المثبتة من س ؛ عن هروب الطواشى شهاب الدين فاخر انظر أيضا ، المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٨ .

(١٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

الخوارزمية حتى رَحّلُوا عنه صاحب الموصل فاستأذنه فى المضى إلى دمشق فأذن له . ورحل العسكر كلهم ومن كان معـه من الكتاب والمتصرفين والغلمان إلى دمشق[1] . ولم يبق [مع المـلك الصالح نجـم الدين أيوب[2]] [من أمرائه[3]] غير خمسة أنفس[4]، أو ستة منهم الأمير حسام الدين بن أبى على [أستاذ داره[5]]، وزين الدين أمير جاندار[6] ، وشهاب الدين بن سـعد الدين بن كمشبة[7] ، وأبوه[8] سعد الدين ابن عمة الملك الكامل ، [وشهاب الدين بن الغرس[9]] . وبقى معـه من ممـاليكه الأكابر [جماعة ، ذكر لى أنهـم كانوا سبعين نفساً[10]] . وبقى[11] معه كاتب الإنشاء بهـاء الدين زهير . وأقام[12] الملك الصالح [نجم الدين أيوب[13]] بمنزلتـه بعد أن فارقه [أصحابه وعساكره[14]] بقية يومه .

---

(١) مابين الحاصرتين ورد مختصرا فى غير مكانه فى نسخة س ، والصيغة المثبتة من ب .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وفى ب « عنده » .

(٣) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س وفى ب « من أمراؤه » وهو تحريف .

(٤) فى نسخة س « نفر » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) مابين الحاصرتين ساقط من ب ومثبت فى س وكذلك فى المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٨) .

(٦) كذا فى نسختى المخطوطة ، وفى المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٨) « جانداره » .

(٧) فى نسخة ب « كشبا » وفى نسخة س « كى » وفى المقريزى (السـلوك ، نفس المصدر والجزء والصفحة) « كوجبا » والصيغة الصحيحة هى المثبتة ، انظر ما سبق ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ٤ ، ص ٢١٧ وحاشية ٢ .

(٨) فى نسخة س « وكان أبوه » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب ، وورود الاسم فى المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٨) « شهاب الدين البواشق » .

(١٠) مابين الحاصرتين من ب وفى س « وهم جماعة قليلون » .

(١١) فى نسخة س « وتخلف معه كاتبه بهاء الدين زهير » ، والصيغة المثبتة من ب .

(١٢) فى نسخة س « فأقام » .

(١٣) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(١٤) فى نسخة س « العسكر » ، ومابين الحاصرتين مثبت فى ب .

ولما جنه الليل أمر أن لا تشعل الفوانيس [ولا المشاعل][1] ، [ثم رحل بمن بقي معه من أصحابه ليلا طالبا جهة نابلس][2] . فحكى لي [بعد ذلك][3] الأمير حسام الدين قال : لما فارق الملك الصالح [نجم الدين أيوب العسكر ورحل من منزلته][4] اختلفت كلمة الجماعة الذين بقوا معه[5] ، فمنهم من أشار بالمضي إلى الشقيف[6] والتحصين به ، فلم ير هذا مصلحة ، وعلم أن الملك الصالح [اسماعيل][7] عمه ربما قصده ، وحاصره حتى يأخذه ويقبض عليه . ومنهم من أشار عليه بأن يمضي[8] إلى الشرق فإن له به حصن كيفا ، وهو حصن منيع ، وقلعة الهيثم وغيرها من معاقل آمد . وقال هذا القائل له[9] : « أن عمك [الملك الصالح][10] قد اشتغل بملك دمشق فما له فراغ لإتباعك » . فلم يجسر على هذا الأمر وخاف أن يتبع ويؤخذ والمسافة بعيدة[11] . وقال : « ما أرى إلا التوجه إلى نابلس والتجيء إلى ابن عمي الملك الناصر » فتوجه[12] إلى نابلس .

---

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٢) ورد مابين الحاصرتين في صيغة مضطربة في نسخة س والصيغة المثبتة من ب .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وفي ب « العسكر » .

(٥) في نسخة ب « هم » والصيغة المثبتة من س .

(٦) لعل المقصود بها شقيف أرنون التي قال عنها ياقوت (معجم البلدان) أنها « قلعة حصينة جدا في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها و بين الساحل » ، انظر أيضا أبو الفدا ، (تقويم البلدان ، ص ٢٤٤) .

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٨) في نسخة ب « من أشار إلى أن يمضي » ، والصيغة المثبتة من س .

(٩) في نسخة س « له بهذا » والصيغة المثبتة من ب .

(١٠) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(١١) في نسخة س « فلم ير أيضا أن هذا مصلحة وقال أخاف أن أتبع وأوخذ لأن المسافة بعيدة » والصيغة المثبتة من ب .

(١٢) في نسخة س « فعند ذلك توجه » ، والصيغة المثبتة من ب .

ولما[1] طلعت الشمس ورأى مماليكه ما هم فيـه من القلة والحالة التى دفعوا[2] إليها [١٢٠ ا] واقمهم البكاء والنحيب . واعترضهم جماعة من العربان وغيرهم وحاربوهم ، فقاتلهم الملك الصالح [نجم الدين أيوب[3]] وأصحابه فانتصر عليهم ، ومضى إلى نابلس فنزل بظاهرها [بالمنزلة التى يقال لها بُلاطة[4]] .

ولما وصلت العساكر [الذين فارقوه[5]] إلى دمشق قوى بهـم الملك الصالح [عمـاد الدين[6]] اسماعيل وتمكن أمره . وكان وزيره أمين الدولة سامريا[7] فأسلم فى صباه، وحسن إسـلامه . وكان عمه[8] وزير صاحب بعلبك الملـك الأمجد[9] ، [رحمه الله[10]] ، ومدبر دولته وفيه[11] يقول بعض الشعراء :

الملك الأمجـد الذى شهدت لـ ـه البرايا بالعقـل والفضـل
أصبح فى السامرى معتقـدا معتقـد السامرى فى العجل

وحُكى [لى[12]] أنه قال لابن أخيه أمين الدولة لما أسلم : « يا ولدى إن كنت ندمت على إسلامك ، فأنا أسيرك إلى [بلد من[13]] بلاد الفرنج تكون فيـه وترجع[14]

---

(١) فى نسخة س « فلما » ، والصيغة المثبتة من ب .
(٢) فى نسخة س « رقعوا » والصيغة المثبتة من ب .
(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س .
(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س ، وبُلاطة بالضم قرية من أعمال نابلس ، انظر ياقوت (معجم البلدان) . (٥ — ٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .
(٧) فى نسخة س « وكان سامريا » والصيغة المثبتة من ب .
(٨) فى نسخة س « عم هذا الوزير » والصيغة المثبتة من ب .
(٩) فى نسخة س « الملك الأمجد صاحب بعلبك » .
(١٠) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .
(١١) فى نسخة ب « فيه » والصيغة المثبتة من س .
(١٢) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .
(١٣) ما بين الحاصرتين مذكور فى هامش نسخة ب ومثبت فى س .
(١٤) فى نسخة س « فترجع » والصيغة المثبتة من ب .

إلى دينك » ، فقال : « ما أسلمت إلا بنية صادقة ، وأنا معتقد دين الإسلام » . فقال له : « إذا [1] كان الأمر على ماتقول فكن مسلما جيدا » .

ولما ملك الملك الصالح دمشق كانت أمور المملكة كلها [2] مفوضة إلى أمين الدولة ، وكان قد صحب أمين الدولة القاضى رفيع الدين الجيلى [3] ، وكان بدمشق خاملا وهو فقيه فى بعض المدارس ، فقدمه أمين الدولة . ولما [4] ملك الملك الصالح [عماد الدين اسماعيل [5]] دمشق [ولاه أمين الدولة [6]] المدرسة التى وقفتها [7] ست الشام بنت أيوب خارج البلد ، وهى مدرسة جليلة [8] . ثم اتفقت وفاة القاضى شمس الدين الخوىّ — رحمه الله — فولى أمين الدولة القضاء بدمشق لرفيع الدين الجيلى [9] وقربه إلى الملك الصالح ، فسلك الرفيع الجيلى [10] سيرة ردية جدا . وسنذكر [11] إن شاء الله تعالى ما آل [12] أمره وأمر أمين الدولة إليه .

(١) فى نسخة س « إن » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة ب « كأنها » والصيغة المثبتة من س .

(٣) فى نسخة س « وكان أمين الدولة قد صحب القاضى رفيع الدين الحلى » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة هى الصحيحة من نسخة ب نسبة إلى الجيل ، وهى قرية من أعمال بغداد تحت المدائن (ياقوت ، معجم البلدان) ؛ وهو عبد العزيز بن عبد الواحد بن اسماعيل الجيلى الشافعى الملقب بالرفيع ، مات مقتولا سنة ٦٤٢ هـ ، ذكر ابن تغرى بردى (النجوم ج ٦ ، ص ٣٤٢) عن أبى المظفر أنه كان فاسد العقيدة مستهترا بأمور الشريعة .

(٤) فى نسخة س « لما » .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٦) فى نسخة س « وولاه » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) فى نسخة س « أوقفتها » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) يقصد بها المدرسة الشامية البرانية التى أنشأتها ست الشام أخت الملك الناصر صلاح الدين ، وكانت من أكبر المدارس وأعظمها وأكثرها فقهاء وأكثرها أوقافا ، انظر النعيمى (الدارس فى تاريخ المدارس ، ج ١ ، ص ٢٧٧ ومابعدها) ؛ محمد كرد على (خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٨١) .

(٩ — ١٠) فى س الحلى وهو تحريف .

(١١) فى نسخة س « وسنذكر ذلك » والصيغة المثبتة من ب .

(١٢) فى نسخة س « بما آل » والصيغة المثبتة من ب .

ولمـا دخلت العساكر الذين كانوا مع الملك الصالح إلى دمشق (١) كانـ فيهم نور الدين بن فخر الدين عثمان و [الأمير] (٢) الدنيسرى وقضيب البان وهم الذين كانوا قفزوا من مصر [إلى عند الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ثم قفزوا من عنده إلى عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل . فلما استقر الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بدمشق جفل منهم (٣)] فاعتقلهم ولم يزالوا [٢٠ ب] فى حبسه إلى أن ماتوا .

وأما العسكر (٤) الذين كانوا [تقدموا مع حسام الدين أبى على إلى غزة فإنه لمـا رجع إلى عند مخدومه لم يرجع أكثرهم . فلما تحققوا ما جرى على الملك الصالح نجم الدين أيوب رجعوا إلى الديار المصرية (٥)] .

وأما الملك المظفر صاحب حماة (٦) فإنه اجتمع عليه فى هذا الوقت (٧) أمران مؤلمـان جدا أحدهما القبض على الأمير سيف الدين [أبى على] (٨) وخـواص عسكره وكبراء والده (٩) ، والثانى أخذ دمشق وماجرى على الملك الصالح نجم الدين [أيوب] (١٠) من مفارقة العساكر له ، فاستمر على الانتمـاء إلى الملك الصالح [نجم الدين أيوب] (١١)،

(١) فى نسخة س « ولمـا دخلت العساكر الى دمشـق الذين كانوا مع المـلك الصالح نجم الدين أيوب » .

(٢) مابين الحاصرتين من س وساقط من ب .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وورد بدله فى ب « فاستشعر الملك الصالح اسماعيل منهم » .

(٤) فى نسخة س « العساكر » .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة س وفى ب « قد تقدموا إلى غزة فإنهم لمـا بلغهم ماجرى رحلوا إلى الديار المصرية » .

(٦) فى نسخة س « فى حماة » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) فى نسخة س « اجتمع له فى الوقت » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٩) فى نسخة س « وأمراء بلده وكبرائهم » ، والصيغة المثبتة من ب .

(١٠ — ١١) مابين الحاصرتين من نسخة س .

و إقامة الخطبة له ببلده إلى أن جرى ما سنذكره [إن شاء الله تعالى](١) . وضاق الأمر على الملك المظفر لأنه لم يبق له من البلاد إلا بعـرين ، وأعداؤه محيطون به من كل جانب وقد تمكنوا وقووا .

ذكر قدوم الملك(٢) الناصر داود بن الملك المعظم من الديار المصرية إلى بلاده واعتقاله لابن عمه [السلطان(٣)] الملك الصالح نجم الدين [أيوب بن الملك الكامل(٤)]

كنا قد ذكرنا مقام الملك الناصر داود بالديار المصرية عند ابن عمه الملك العادل ، وفى هذه السنة حصل عند الملك العادل وحشة من الملك الناصر(٥) وتغير عليه ، فسافر الملك(٦) الناصر من ديار مصر ومعه الأمير سيف الدين على بن قلج فقدم إلى الكرك . واتفق ما جرى ذكره من مفارقة العساكر للملك الصالح نجم الدين [أيوب(٧)] ورجوعه إلى نابلس ومقامه بها مع شرذمة [قليلة(٨)] من أصحابه ، فأرسل [الملك الناصر(٩)] إلى ابن عمه الملك الصالح [يطيب قلبه](١٠) ويعده النصرة والمساعدة ، وأشار عليه أن ينتقل إلى

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

(٢) فى نسخة س « السلطان الملك » .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب ،

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٥) فى نسخة ب « منه » ، والصيغة المثبتة للتوضيح من س .

(٦) فى نسخة س « فلما رأى الملك الناصر ذلك سافر » والصيغة المثبتة من ب .

(٧ — ٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٠) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

الدار التى كان نازلاً[(١)] بها وهى دار الملك المعظم ـــ رحمه الله ـــ فانتقل إليها وأذن له أن يبعث ولاته إلى غزة والسواحل .

ثم قدم[(٢)] الملك الناصر فى عسكره إلى نابلس ، ولم يجتمع بابن عمه الملك الصالح [نجم الدين أيوب[(٣)]] . وأمر يوما بضرب البوق فضربت[(٤)] ، وأوهم أن الفرنج قد أغاروا على بعض النواحى فركب عسكره وجماعة الملك الصالح [نجم الدين أيوب[(٥)]] الذين كانوا معه . وتقدم الملك الناصر حينئذ[(٦)] بتسيير الملك الصالح إلى الكرك ، [وكان ذلك ليلا[(٧)]] . وبعث معه [٢١ ا] جماعة من أصحابه . ولم يصحب الملك الصالح [نجم الدين أيوب] من[(٨)] مماليكه سوى [الأمير[(٩)]] ركن الدين بيبرس[(١٠)] ، وبعث معه [سريته[(١١)]] أم ولده خليل المسماة[(١٢)] شجر الدر ، وهى التى دُعى لها باسم السلطنة بديار مصر ، وخطب لها على المنابر مدة ثلاثة أشهر ، ولم يجر هذا فى الإسلام لغيرها على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى ، فوصل الملك الصالح إلى الكرك وأنزل بقلعتها فى دار السلطنة . وتقدم الملك الناصر إلى والدته وزوجته

(١) فى نسخة س « كان بها نازلا » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « تقدم » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٤) فى نسخة س « ضرب » .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٦) فى نسخة س « فحينئذ تقدم الملك الناصر داود » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٨ ـ ٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(١٠) هو غير السلطان المشهور الظاهر بيبرس البندقدارى ، ولا يتعدى الأمر بين الرجلين أكثر من اتفاقهما فى الأسم والشهرة . والأمير بيبرس هذا خان سيده الصالح نجم الدين أيوب وانضم الى الخوارزمية ، فخدعه ومناه الصالح أيوب حتى فارقهم سنة ٦٤٤ ﻫ / ١٢٤٦ م . واعتقله بقلعة الجبل وكان آخر العهد به ، انظر : المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٢٣ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٢٢ .

(١١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٢) فى نسخة س « وهى المسماة » والصيغة المثبتة من ب .

بنت[1] عمه الملك الأمجد حسن بن الملك العادل أن تقوما بخدمته وبجميع وضائعه[2]. وأرسل إليه[3] يقول له : « إنما فعلت هذا احتياطا عليك لئلا يصل إليك مكروه من أخيك ولا من عمك ، ولو لم أسيّرك إلى الكرك[4] لقصداك وأهلكاك » .

وأمر الملك الناصر شهاب الدين ونجم الدين إبنى شيخ الإسلام بملازمة خدمة الملك الصالح [نجم الدين أيوب][5] وتأنيسه . وكان هذان من أخص أصحاب الملك الناصر وأجناده[6] . وكان شهاب الدين مع جنديته فاضلا فقيها ولى التدريس بالمدرسة الجاروخية بدمشق[7] ، فكان يجمع بين الجندية والفقه . وهما من الأكراد .

ولما ملك الملك الصالح [نجم الدين أيوب بعد ذلك][8] الديار المصرية ، قصداه لما حصل بينه وبينهما فى الكرك من الصحبة ، فأكرمهما وأحسن إليهما وأعطاهما أخبازا جيدة بمصر . ورتب شهاب الدين بدار العدل لإزالة ما يُرفع من المظالم .

(١) فى نسخة س « ابنة » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) الوضائع جمع وضيعة وهى أثقال القوم ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٠ ص ٢٨١ .

(٣) فى نسخة س « وبعث » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) عن مسير الصالح نجم الدين أيوب الى الكرك وحياته بها ، انظر سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٨١ ؛ ابن أيبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٣٧ — ٣٣٨ .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٦) فى نسخة س « وأمرائه » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) فى نسخة س « بمدرسة فى دمشق » والصيغة المثبتة من ب ، والمدرسة الجاروخية من مدارس دمشق بناها سيف الدين جاروخ التركمانى داخل بابى الفرج والفراديس شمالى الجامع الأموى والمدرسة الظاهرية الجوانية ، وقد بنى جاروخ هذه المدرسة برسم المدرس الامام المجير الواسطى البغدادى المتوفى سنة ٥٩٢ هـ ؛ انظر النعيمى ، الدارس فى تاريخ المدارس ، ج ١ ، ص ٢٢٥ — ٢٣٢ ؛ محمد كرد على ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ٧٨ .

(٨) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

وكان فيها معه — فى أول مُلك الملك الصالح — القاضى الشريف شمس الدين قاضى العسكر، ونخر الدين بن القاضى عماد الدين بن السكرى، والفقيه عباس خطيب القلعة وغيرهم مع قاضى القضاة بالديار المصرية. وقُتل نجم الدين بن شيخ الإسلام شهيدا لمـا قدم الفرنج إلى دمياط.

وكان أولاد الملك الناصر [داود][1] لا يزالون فى خدمة الملك الصالح فى الكرك[2] وبين يديه، ويحضر له كل ما[3] يشتهيه من الأطعمة والأشربة والملابس، فكان لا يفقد شيئا إلا الملك. وخيّر الملك الناصر [داود][4] أصحاب الملك الصالح الذين كانوا معه [بأن يقيموا عنده ويجرى[5]] عليهم من الإحسان [٢١ ب] والإنعام ما كان جاريا عليهم فى أيام مخدومهم، [وخيرهم بين ذلك[6]] وبين أن يسافروا حيث شاؤا. ووعدهم أنه لابد أن يخرج مخدومهم من الاعتقال ويقوم بنصرته إذا أمكنه ذلك. فاختار ممـاليك السلطان الملك الصالح وأكثر أصحابه المقام عنده[7]. فممن أقام عنده بهاء الدين كاتب الإنشاء، وشهاب الدين بن سعد الدين كمشبة[8]. وطلب حسام الدين ابن أبى على وزين الدين أمير جاندار [منـه[9]] دستورا فأذن لهما، فقدما دمشق

---

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

(٢) فى نسخة س «بالكرك».

(٣) فى نسخة س «كلما».

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س.

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة س وفى ب «وأجرى».

(٦) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س.

(٧) فى نسخة س «فاختار ممـاليك الملك الصالح وأكبر أمرائه المقام عنـده» والصيغه المثبتة من ب.

(٨) فى نسخة ب «كشبا» والكلمة ساقطة من نسخة س، انظر ماسبق، ابن واصل، ج ٤، ص ٢١٧ وحاشية ٢.

(٩) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب.

فاعتقلهما[1] الملك الصالح عماد الدين بقلعة دمشق . فأما أمير جاندار فأطلقه بعد أيام ، وأما حسام الدين [بن أبي علي[2]] فأخذ [جميع[3]] ما كان معه ، [وكان قبل ذلك كما ذكرنا قد أخذ ثقله وخزائنه من القرية المسماه خياره[4]]، وجعل في رجله قيداً، وحبسه في حبس الخيالة[5]. وحبس في ذلك الحبس [معه[6]] جماعة [كثيرة[7]] من أصحاب الملك الصالح نجم الدين [أيوب[8]] . فأقام حسام الدين في حبس الخيالة ، وكنت أصعد إلى القلعه واجتمع به في الحبس في أكثر الأوقات .

ولما ظهر الملك الصالح [نجم الدين أيوب[9]] نقله إلى قلعة بعلبك فاعتقله في جب فيها وضيق عليه غاية التضييق إلى أن جرى ما سنذكره إن شاء الله تعالى . [وأما زين الدين أمير جاندار فإنه أُطلق من الاعتقال . وكان الأمير حسام الدين يرسلني إلى القاضي بدر الدين قاضي سنجار ، وإلى محيي الدين بن الجوزي رسول الخليفة المستنصر بالله في التوسط بينه وبين الملك الصالح عماد الدين ليطلقه من الحبس ، فلم يجد الحديث في ذلك شيئاً[10]] .

(١) في نسخة ب « فأذن لهم فقدموا دمشق فاعتقلهم » والصيغة الصحيحة المثبتة من س .

(٢ — ٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في ب ، وعن قرية خياره ، انظر ما سبق ص ٢٣١ حاشية ٨ .

(٥) بدون تنقيط في نسختي المخطوطة ، والصيغة المثبتة مما يلي ص ٣٢٨ والنعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ج ١ ، ص ٤٩١ ، وكان حبس الخيالة بقلعة دمشق .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٨) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ومثبت في س .

(١٠) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في ب .

ذكر ما تجـــدد بمصر بعد أخـــذ الملك الصالح عماد الدين [إسمـاعيل][1] دمشق

ولمـا وصل الخبر إلى مصر بمـا جرى على الملك الصالح [نجم الدين أيوب][2] أظهر أخوه الملك العادل الفرح الكثير والسرور. وضربت البشائر، وزين البلدان القاهرة ومصر، وملئت عدة برك تحت قلعة الجبل من الجلاب[3] وسبل ذلك للناس. [١٢٢] وأظهر الملك العادل[4] [وأمه[5]] من الاغتباط بهذا الأمر ما لا مزيد عليه.

وسير الملك العادل[6] علاء الدين بن النابلسي رسولا إلى ابن عمه الملك الناصر داود يطلب منه أن يُسير أخاه الملك الصالح نجم الدين إليه تحت الاحتياط[7]. فلما وصلت الرسالة بذلك إليه أنكر هذه الرسالة واستفظعها، وأبى أن يفعل ذلك وأن يخرجه من عنده.[8] فحكى لى علاء الدين بن النابلسى[9]، وكان رجلا فاضلا أديبا متقنا، وأصله من نابلس، وهو ابن عم شمس الدين قاضى نابلس، يلتقى هو وهو فى جد قريب. قال: لمـا اجتمعت بالملك الناصر أكدت معه فى الباطن [أن لا نجيب][10] إلى ماطلبه

(١ — ٢) مابين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س.

(٣) الجلاب، كلمة فارسية معربة المقصود بها ماء الورد، انظر الجواليقى (المعرب من الكلام الأعجمى، ص ١٥٤)، وانظر: القاموس المحيط، وفى المقريزى (السلوك، ج ١، ص ٢٩٠) أن السلطان العادل « عمل قصورا من حلوى وأحواضا من سكر وليمون ».

(٤) فى نسخة ب « هو » والصيغة المثبتة من س.

(٥) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب.

(٦) فى نسخة س « وسير بعد ذلك ».

(٧) فى نسخة س « يسير إليه أخاه الملك الصالح نجم الدين أيوب » والصيغة المثبتة من ب.

(٨) وردت هذه الفقرة مختصرة فى نسخة س.

(٩) فى نسخة س « قال صاحب التاريخ: فحكى علاء الدين بن النابلسى المـذكور ... » والصيغة المثبتة من ب.

(١٠) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب.

منه الملك العادل، وقبحت عنده إجابته إلى مطلوبه (١) . ولما رجع علاء الدين إلى الملك العادل وأخبره بامتناع الملك الناصر من إخراج الملك الصالح (٢) [نجم الدين] من عنده، عاداه وتهدده بقصد بلاده وأخذها منه . فلم يلتفت الملك الناصر (٣) [داود] إلى تهديده ووعيده .

وكنا قد ذكرنا (٤) أن الصاحب محيي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين بن الجوزى كان نازلا عند الملك الصالح نجم الدين (٥) [أيوب] بنابلس ، وكان يسعى في الصلح بين الملك الصالح و (٦) [أخيه] الملك العادل، وأن إبنه شرف الدين كان يتردد (٧) [في الرسائل] بينه و بين الملك العادل، وأن الأمر في الصلح تقارب، وأن محيي الدين سافر إلى الديار المصرية في تتميم (٨) هذا الأمر، واستصحب معه جمال الدين يحيي بن مطروح، فأنزل جمال الدين في دار عند بركة الفيل وأحسن إليه وأكرم . فلما وردت الأخبار بما تم على الملك الصالح خاف جمال الدين بن مطروح على نفسه واستجار (٩) بمحيي الدين

(١) ذكر ابن أيبك (الدر المطلوب ، ص ٣٣٨) على لسان الملك الصالح نجم الدين أيوب : « وحضر ابن النابلسي من مصر من عند العادل ، يطلبني من الناصر ، وأبذل له في مائة ألف دينار فما أجاب لذلك » انظر أيضا ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٨١ — ٤٨٢ ، وفي المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٩٠) ورد أن العادل عرض أن يعطى الناصر داود « أربعمائة ألف دينار مصرية » .

(٢ — ٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٤) انظر ماسبق ص ٢١٦ ، ٢١٨ — ٢١٩ .

(٥ — ٦) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٨) في نسخة س « تمم » ، وهو تصحيف والصيغة المثبتة من ب .

(٩) في نسخة س « فاستجار » ، والصيغة المثبتة من ب .

ابن الجوزى رسول الخليفة فأجاره . وسافر محيي الدين من القاهرة لتوفيق الحال بين الملك العادل والملك الصالح إسماعيل و بين[1] الملك الناصر داود صاحب الكرك ، فسار[2] جمال الدين بن مطروح فى صحبته .

ذكر استنقاذ الملك الناصر داود [بن الملك المعظم][3] البيت المقدس من الفرنج

كنا قد ذكرنا[4] أن السلطان الملك الكامل — رحمه الله — كان سلم القدس إلى الفرنج فى سنة ست وعشرين وستمائة على أن يكون الحرم الشريف بما فيه[5] من المزارات للمسلمين وكذا جميع أعمال القدس ما خلا عشر ضياع على طريق الفرنج من عكا إلى القدس[6] . وشرط أن يكون القدس خرابا [ولا يجدد فيه عمارة أصلا][7] . فلما مات الملك الكامل وجرى ما ذكرناه من الاختلاف بين الملوك ، عمّر الفرنج فى غربيه قلعة جعلوا برج داود عليه السلام من أبراجها . وكان بقى[8] هذا البرج لم يخرب لما خرب الملك المعظم أسوار القدس .

(١) فى نسخة س « و بين عمه الملك » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « فسافر » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة ب وورد بدلها فى س « صاحب الكرك » .

(٤) فى نسخة ب « قد كنا ذكرنا » والصيغة المثبتة من س ، انظر ما سبق ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٤١ وما بعدها .

(٥) فى نسخة س « ومافيه » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) فى نسخة س « ماخلا عشر ضياع هى طريق الفرنج الى القدس من عكا » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

(٨) فى نسخة س « وكان قد بقا » والصيغة المثبتة من ب .

ولما جرى ما ذكرناه من اعتقال الملك الصالح [نجم الدين أيوب](١) بالكرك ، توجه الملك الناصر داود بعسكره ومن معه من أصحاب الملك الصالح [نجم الدين أيوب](٢) إلى القدس ، ونازل القلعة التي بناها الفرنج ، ونصب عليها المجانيق(٣) ، ولم يزل مصابرا لها حتى سلمت إليه بالأمان . ولما سلمت إليه هدمها ، وهدم برج داود عليه السلام . واستولى الملك(٤) الناصر على القدس [الشريف(٥)] وطهره من الفرنج ، ومضى من كان فيه من الفرنج إلى بلادهم . واتفق عند هذا الفتح وصول محيي الدين بن الجوزي رسول الخليفة وصحبته جمال الدين بن مطروح ، فقال جمال الدين(٦) يمدح الملك الناصر داود ، ويذكر مضاهاته [في فتح القدس(٧)] لعمه الملك الناصر صلاح الدين يوسف مع اشتراكهما في اللقب والفعل وهو معنى لطيف مليح(٨) :

المسجد الأقصى له عادة　　سارت فصارت مثلا سائرا
إذا غدا بالكفر مستوطنا　　أن يبعث الله له ناصرا
فناصر(٩) طهره أولا　　وناصر(١٠) طهره آخرا

(١ — ٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .
(٣) في نسخة س « المناجنيق » والصيغة المثبتة من ب .
(٤) في نسخة س « السلطان الملك » والصيغة المثبتة من ب .
(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س .
(٦) في نسخة س « جمال الدين بن مطروح » .
(٧) ورد ما بين الحاصرتين في نسخة س بعد « صلاح الدين يوسف » .
(٨) في نسخة ب « في اللقب وهو معنى لطيف » والصيغة المثبتة من نسخة س ومن المقريزي (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٩٢) .
(٩) في نسخة س « فناصره » وبه لا يستقيم الوزن والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة ب ومن المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٩٢ .
(١٠) في نسخة س « وناصرا » والصيغة المثبتة من نسخة ب ومن المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٩٢ .

ووصل محيي الدين بن الجوزى إلى دمشق[١] ومعـه جمال الدين بن مطروح ، فأنزل محيي الدين بن الجـوزى فى دار الملك الصالح عماد الدين [إسماعيل][٢] بدرب الشعارين، ونزل جمال الدين بن مطروح بمدرسة عز الدين أيبك المعظمى صاحب صرخد . [١٢٣] وكان الملك الصالح [عماد الدين][٣] يجىء [كل يوم][٤] إلى خدمة محيي الدين بن الجـوزى . وأخذ محيي الدين فى الإصلاح بينـه و بين الملك الناصر داود و بين الملك العادل . ولم[٥] ينتظم فى ذلك أمر لأن المـلك الناصر كان لا يرضيه إلا أن ترد دمشق إليه .

ثم سافر جمال الدين بن مطروح [ووصل إلى حماة، واجتمع][٦] بالملك المظفر صاحبها فأنزله بدار زين بن قرناص، وهى على النهر العاصى المعروفة[٧] اليوم بالأمير مبارز الدين الملكى المنصورى ــ رحمه الله ــ [فأقام بها أياما][٨] .

ثم سافر جمال الدين بن مطروح بتقرير بينـه[٩] و بين الملك المظفر [تقى الدين][١٠] إلى الشرق ، واجتمع بالأمير حسـام الدين بركتخان[١١] ــ مقـدم الخوارزمية ــ

(١) فى نسخة س « ولهذا جمال الدين بن مطروح أشـعار بديعة حسنة وافرة ثم رحل محيي الدين طالب دمشق » والصيغة المثبتة من ب .

(٢ ــ ٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٤) مابين الحاصرتين ورد فى نسخة س فى آخر الجملة ، والصيغة المثبتة من ب .

(٥) فى نسخة س « فلم » .

(٦) مابين الحاصرتين من نسخة ب وفى س « الى حماة فلما وصل اليها اجتمع » .

(٧) فى نسخة س « وتعرف » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٩) فى نسخة س « ما بينه » والصيغة المثبتة من ب .

(١٠) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١١) فى نسخة س « بركة خان » .

وتحدث معه فى القيام بنصرة الملك الصالح نجم الدين . وكانت معه أيضا[(١)] رسالة من الملك الناصر داود مضمونها أن الملك الصالح لم يتركه الملك الناصر فى الكرك[(٢)] معتقلا ، [وإنما صان بإنزاله بالكرك] مهجته[(٣)] ، خوفا عليه من أخيه [الملك العادل][(٤)] وعمه الملك الصالح ، وإنه سيخرجه ويملكه البلاد[(٥)] ، فالمصلحة أن يتحركوا[(٦)] « وتغيروا على بلاد[(٧)] حلب وبلاد صاحب حمص » ثم عاد جمال الدين [بن مطروح][(٨)] بعد أن قضى هذا المهم[(٩)] إلى حماة فأقام بها .

وكان بدر الدين قاضى سنجار لما استأذن الملك الصالح نجم الدين [أيوب][(١٠)] على القصد[(١١)] فى الدخول إلى دمشق [وأذن له فيه ، دخل][(١٢)] إلى دمشق مع العسكر وأقام بها . وتردد إلى خدمة الملك الصالح اسماعيل ، وكان يعرفه من أيام الملك الأشرف . وأيضا فلما مات الملك الأشرف وبعث الملك الصالح إسماعيل ولده الملك المنصور إلى سنجار [واستولى عليها ، نازلها — كما ذكرنا — الملك الصالح

(١) فى نسخة س « وكانت أيضا معه » .

(٢) فى نسخة س « لم أتركه فى الكرك » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة س « وإنما صنت مهجته » والصيغة المثبتة من ب ، وفى المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٩٢) « إلا صيانة لمهجته » .

(٤) مابين الحاصرتين للتوضيح من المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٩٢) .

(٥) فى نسخة س « وسأخرجه وأملكه البلاد » .

(٦) فى نسخة س « أن تتحركوا » .

(٧) فى نسخة س « بلد » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٩) فى نسخة س « هذا الأمر المهم » والصيغة المثبتة من ب .

(١٠) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(١١) فى نسخة س « السير » .

(١٢) مابين الحاصرتين من نسخة ب وفى س « فأذن له فدخل » .

نجم الدين] (١) . وكان (٢) القاضى بدر الدين متولياً (٣) للحكم فيها فتوسط بين الملك المنصور وابن عمه (٤) الملك الصالح [نجم الدين أيوب] (٥) حتى يسلم الملك الصالح سنجار . ومضى الملك المنصور إلى أبيـه ، فأقبل المـلك الصالح إسماعيل على القاضى بدر الدين واحترمه (٦) . ثم إنه سيّره رسولاً إلى سلطان الروم غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ فى توفيق الحال بينه و بينه ، واعتمد عليه فى ذلك .

وكان القاضى بدر الدين هواهُ مع الملك الصالح نجـم الدين [أيوب] (٧) وإنمـا فارقَهُ للضرورة ، فتوجه القاضى بدر الدين الى بلاد الروم واجتمع بالسلطان غياث الدين واستماله للملك (٨) الصالح نجـم الدين وحسّن له موافقته ومُسَاعدته على أعدائه . وضمن له عنه الموافقة والمعاضدة (٩) من الملك الصالح [نجم الدين أيوب] (١٠) . ورجع من عنده وقد بلغه خروج الملك الصالح نجم الدين واتفاقه مع ابن عمه الملك الناصر [داود] — على ما سـنذكره [إن شاء الله تعالى] (١١) . فلم [يمكن (١٢) القاضى

(١) مابين الحاصرتين من نسخة ب وفى س « فاستولى عليها ، فلما تملك الملك الصالح نجم الدين أيوب نازل مدينة سنجار » .

(٢) فى نسخة س « وكان هذا » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة س « متولى » وهو تحريف والصيغة المثبتة من ب .

(٤) فى نسخة س « وبين ابن عمه » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٦) فى نسخة س « فاحترمه » .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٨) فى نسخة س « إلى الملك » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) فى نسخة س « وضمن عنه الموافقة والمعاضدة له » والصيغة المثبتة من ب .

(١٠ — ١٢) مابين الحاصرتين من نسخة س .

بدر الدين[1]] المضي إلى دمشق فمضى إلى الإسماعيلية مستجيرا بهم وخائفا من الملك الصالح إسماعيل[2] . وكان مقدم الإسماعيلية[3] يومئذ رجلا من العجم ورد من الألموت[4] يقال له تاج الدين . اجتمعت[5] أنا به ، وكانت بيني و بينه مودّة ، فأجاره تاج الدين . [و وصل إليه رسول الملك الصالح إسماعيل يطلب منه إنفاذ القاضي بدر الدين[6]] فمغلطه ولم ينفذه . وتقـدّم إلى القاضي بدر الدين أن يلتجيء إلى الملك المظفر ، فجـاء إلى حماة فأكرمه الملك المظفر وأنزله في داره المعروفة بدار الأكرم ، وصار يجتمع به في غالب الأوقات ، فمَـرة يستدعيه إليـه ، ومرةً ينزل إليـه و يُؤانسه و يُحادثه . وصارت حماة في تلك المدة ملجأ لأصحاب الملك الصالح نجم الدين [أيوب[7]] وملاذًا وموئلًا .

و وصل إلى حماة من أصحاب الملك الصالح [نجم الدين[8]] جماعة من الأجناد و جماعة من المعممين منهم جمال الدين بن مطروح ، والقاضي بدر الدين قاضي سنجار ، والقاضي عزّ الدين بن القاضي نجم الدين بن أبي عصرون ، وأُصيل الدين الأشعردي إمام الملك الصالح وغيرهم . وقُصاد الملك المظفر وجواسيسه لا ينقطعون عن الخوارزمية والملك الناصر داود . وكان يُخطب للملك الصالح نجم الدين [أيوب[9]] وهو معتقل

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وفي ب « يمكنه » .

(٢) في نسخة س « الملك الصالح عماد الدين » .

(٣) في نسخة ب « مقدمهم » والصيغة المثبتة من س .

(٤) عن قلعة ألموت انظر ماسبق ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٣١٥ حاشية ٤ .

(٥) في نسخة س « قال صاحب هذا التاريخ : اجتمعت ... » والصيغة المثبتة من ب والمقصود مؤلف الكتاب القاضي جمال الدين بن واصل .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وفي س « فلما أجاره و بلغ خبره الملك الصالح عماد الدين أنفذ يطلب القاضي بدر الدين » .

(٧ — ٩) مابين الحاصرتين من س وساقط من ب .

فى الكرك . ثم قطع خطبته وسير القاضى شهاب الدين ابراهيم بن عبدالله بن أبى الدم [قاضى حماة] (١) رسولاً فى الظاهر الى الملك الصالح [عماد الدين] (٢) إسماعيل والملك الناصر والملك العادل (٣) ، وحمّله رسالةً فى الباطن [٢٤ ا] الى الملك الناصر داود ، يشير (٤) عليه بإخراج [السلطان] (٥) الملك الصالح ومساعدته على قصد الديار المصريّة ، فتوجه القاضى شهاب الدين الى دمشق وأدّى رسالته الى الملك الصالح إسماعيل . ثم توجه الى نابلس فأدى الرسالة الباطنة للملك الناصر (٦) المتضمنه إخراج الملك الصالح [نجم الدين أيوب] (٧) ، فوعده الملك الناصر بذلك ، وحلف له عليه ، وأعطاه يده على ذلك . ثم توجه إلى مصر وأدّى إلى الملك العادل رسالةً مضمونها أن مخدومه الملك المظفر قد قطع خطبة الملك الصالح [نجم الدين أيوب] (٨) وما بقى له (٩) إلا الانتماء إليه والدخول فى طاعته . وطاب اليمين للملك المظفر . فأنزله (١٠) الملك العادل وأكرمه [غاية الإكرام] (١١) .

[وسافر محيي الدين بن الجوزى من دمشق نحو الديار المصريّة ، واجتمع بالملك الناصر داود وأخذ معه فى أن يتفق مع الملك العادل وعمهما الملك الصالح

(١) ما بين الحاصرتين من ب وساقط من س .
(٢) مابين الحاصرتين من س .
(٣) فى نسخة س « والملك العادل والملك الناصر » .
(٤) فى نسخة ب « ويشير » ، والصيغة المثبتة من س .
(٥) مابين الحاصرتين من ب وساقط من س .
(٦) فى نسخة ب « وأدى اليه الرسالة الباطنة » والصيغة المثبتة من س .
(٧ — ٨) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .
(٩) فى نسخة س « ومابقاه » وهو تحريف والصيغة المثبتة من ب .
(١٠) فى نسخة س « فعند ذلك أنزله » والصيغة المثبتة من ب .
(١١) مابين الحاصرتين من نسخة س .

عماد الدين، فامتنع الملك الناصر أن يجيب إلا بتسليم دمشق إليه. فرحل محيي الدين إلى الديار المصرية وأقام بها عند الملك العادل [(١)] .

وتوجه من حلب الصاحب كمال الدين بن العديم إلى الديار المصرية رسولاً من الصاحبة والدة الملك العزيز [تطلب منه تسيير عماته بنات العادل إليها فأجاب إلى ذلك(٢)] .

ذكر استيلاء بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل على سنجار

قد تقدم [منا](٣) القول بأن الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود اعتاض عن دمشق بسنجار [والرقة](٤) وعانة .

ولما جرى ماذكرناه من الاختلاف، قصد بدر الدين [لؤلؤ](٥) — صاحب الموصل — سنجار، وكان الملك الجواد غائبا عنها فملكها. وبقى فى يد(٦) الملك الجواد عانة فباعها للخليفة(٧) [المستنصر بالله بمال حمل إليه](٨)، فذهب منه العوض والمعوض. وسيأتى(٩) ذكر ما آل إليه أمره إن شاء الله تعالى .

---

(١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س وورد بدله « وعاد ابن الجوزى الى بغداد » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب وذكر ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٤٧) سفارته للقاهرة عند حديثه عن دخول الصالح نجم الدين أيوب القاهرة « وكنت إذ ذاك بالقاهرة ، وسولا الى الملك العادل أهنئه بكسر عسكره الافرنج على غزة ، وأطلب أن يسير عماته بنات الملك العادل معى الى اختهن الملكة الى حلب ... » .

(٣) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

(٤ — ٥) مابين الحاصرتين من س وساقط من ب .

(٦) فى نسخة س « وبقى بيد » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) فى نسخة ب « فباعها من الخليفة » وهو تحريف والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة س ، انظر أيضا سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٨٣ .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة ب وفى س « لما والرقة بمال جزيل حمله اليه » .

(٩) فى نسخة س « وسنذكر » والصيغة المثبتة من ب .

ذكر وفاة الملك المجاهد صاحب حمص

وفى هذه السنة توفى الملك المجاهد أسد الدين [شيركوه بن محمد بن شيركوه](١) صاحب حمص، وكان رجع(٢) إلى حمص بعد أخذه لدمشق للملك الصالح [عماد الدين إسماعيل من الملك الصالح نجم الدين أيوب وقبضه على الأمير سيف الدين بن أبى على وعلى عسكر حماه وموت الملك الكامل ، وقد بلغ جميع أغراضه كلها](٣) . ومن بلغ الحد انتهى . فلحقه [بعد ذلك](٤) مرضٌ شديدٌ(٥) [٢٤ ب] وتوفى بقلعة حمص ، فكانت مدة ملكه لحمص وبلادها نحو ستٍ(٦) وخمسين سنةً وكسر ؛ فإنه ملك حمص لما مات أبوه ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة فأقره ابن عم أبيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب — رحمه الله — على حمص(٧) . وكان عمر الملك المجاهد يومئذ اثنتى عشرة سنة ، فكان [جملة](٨) عمره نحو ثمانٍ(٩) وستين سنة .

ذكر سيرته رحمه الله [تعالى](١٠)

كان [الملك المجاهد](١١) ملكاً حازماً شجاعاً داهيةً(١٢) متيقظاً عاقلاً ذكياً فطناً ضابطاً

(١) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .
(٢) فى نسخة س « قد رجع » .
(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وفى ب « وقبضه على عسكر حماه ونيل أغراضه كلها » .
(٤) مابين الحاصرتين من س وساقط من ب .
(٥) فى نسخة س « فتوفى » .
(٦) فى نسخة س « ستة » ، وهو تصحيف والصيغة المثبتة من ب .
(٧) فى نسخة س « على مملكة أبيه » والصيغة المثبتة من ب .
(٨) مابين الحاصرتين من س وساقط من ب .
(٩) فى نسخة س « ثمانية » والصيغة المثبتة من ب .
(١٠ — ١١) ما بين الحاصرتين من نسخة س .
(١٢) فى نسخة س « ذا همة » ، والصيغة المثبتة من ب .

لأعمال مملكته . وكانت الفرنج جيرانه فبنى الأبراج بينه وبينهم ، فكان إذا أتاه الخبر بحركتهم إلى طرف من أطرافه ، أدركهم قبل أن يصلوا إلى ذلك الطرف وقاتلهم ودفعهم [وانتصف منهم](١) ، وحمى الطريق التى بين دمشق وحمص منهم ومن العرب . فإن الفرنج كانوا يقصدون وادى الربيعة من حصن الأكراد ، والعرب [من خفاجة](٢) وغيرهم كانوا يقطعون الطريق على القوافل عند روابى العلمين . فحفظ الطريق من الطائفتين [وغيرها](٣) ، فكانت له مع الطائفتين وقائع كثيرةٌ لا تحصى(٤) .

وحكى لى أن(٥) الفرنج مرة أخذوا قفلا فى وادى الربيعة واستاقوهم معهم ليمضوا بهم إلى حصن الأكراد . وبلغ(٦) الملك المجاهد الخبر فلحقهم قبل أن يصلوا إلى حصن الأكراد فأسرهم جميعهم واسترد(٧) القفل المأخوذ منهم . وكان فى القفل رجل صُوفى فأخبر الملك المجاهد أن رجُلًا من أولئك الفرنج ما زال يصفعه ، إلى أن وصل السلطان وخلّص القفل . وكان ذلك الفرنجى غليظ(٨) الرقبة ، فقال الملك المجاهد [لذلك الصوفى](٩) : « أفعل أنت به كما فعل بك » ، فتسلمه الصُوفى ومازال يصفعه إلى باب حمص .

(١) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة ب وورد بدله فى س « أيضا » .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٤) فى نسخة س « وكان له وقائع كثيرة مع الطائفتين وغيرهما لاتحصى » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) فى نسخة س « قال : وحكى أن » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) فى نسخة س « فبلغ » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٧) فى نسخة س « وخلص » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٨) فى نسخة ب « غليض » ، والصيغة المثبتة من س .

(٩) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

وكان الملك المجاهد [مع ذلك](1) عنده ظلم كثيرٌ وعسف لرعيته ، وتشديد(2) فى استخلاص الأموال [منهم](3) . وكان إذا حبس إنساناً نَسِيَهُ ، وبقى فى حبسه مدة طويلة أو إلى أن يموت(4) . ولفرط جوره فى رعيته منع النساء بحمص(5) أن تخرج واحدة من باب [١٢٥ ا] المدينة خوفا أن يأخذ أهل البلد عيالاتهم ويهربوا(6) . وأخباره فى العسف والجور(7) كثيرة مشهورة . ولم يشرب الخمر عمره(8) ، وكان مواظباً على الصلوات [الخمس فى أوقاتها](9) ، غير مقبل على شيء من اللهو ، بل أوقاته كلها مصروفة [إلى الجند والنظر فى المصالح لهم](10) . وكان شديد المكر دقيق المكائد(11) . وكان حسن الصورة ذا هيئة جميلة وأبهة وجلالة وشيبة حسنة(12) .

ذكر إستيلاء الملك المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد على حمص وبلادها

ولما تُوفى الملك المجاهد [أسد الدين شيركوه صاحب حمص](13) كان فى يده من

(١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٢) فى نسخة ب « وتشديده » والصيغة المثبتة من س .

(٣) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ومثبت فى س .

(٤) فى نسخة س « إلى مدة » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) فى نسخة س « من أهل حمص » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) فى نسخة س « ويهربون » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) فى نسخة س « فى الجور والعسف » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٨) فى نسخة س « ومع هذا فكان لا يشرب الخمر مدة عمره كله » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٠) فى نسخة ب « الى الجد والنظر فى مصالحه » والصيغة المثبتة من س .

(١١) وردت الجملة فى نسخة س « وكان شديد دقيق الحيل » والصيغة المثبتة من ب .

(١٢) وردت الجملة فى قليل من التحريف فى نسخة س « وكان حسن الصورة داهية جميلة وذو هيبة وجلالة سنيه حسنة » والصيغة الصحيحة المثبتة من ب .

(١٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

البلاد حمص ، والرحبة ، وتدمر ، وسلمية وقلعتها المسماة[1] شميميش[2] ، فاستولى ابنه الملك المنصور [ابراهيم[3]] عليها . وجرى فى المصافاة والمعاضدة للملك الصالح إسماعيل مجرى والده ، وكذلك جرى مجرى والده فى معاداة الملك المظفر صاحب حماة .

ثم اتفق[4] الملك المظفر مع خالته الصاحبة صاحبة حلب - [رحمها الله - ظاهرا[5]] ، فأطلقت له القرايا المفردة من ضياع المعرة ؛ وهى الضياع التى كانت جارية فى إقطاع ابن المقدم ، [فأخذها الملك المظفر[6]] وأظهر لخالته الموافقة ، وهو فى الباطن يعمل فى تقرير قواعد السلطان الملك الصالح نجم الدين [أيوب[7]] .

ذكر خروج [السلطان[8]] الملك الصالح نجم الدين من الكرك واتفاقه مع ابن عمه الملك[9] الناصر داود [بن الملك المعظم[10]]

وفى أواخر شهر رمضان من هذه السنة - أعنى سنة سبع وثلاثين وستمائة - أفرج الملك الناصر [صلاح الدين[11]] داود عن ابن عمه [السلطان[12]] الملك الصالح

(١) فى نسخة س « المسمى » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « شميمس » والصيغة المثبتة من نسخة ب ، انظر ماسبق ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ حاشية ٧ .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٤) فى نسخة س « واتفق » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٥ - ٦) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٩) فى نسخة س « السلطان الملك » والصيغة المثبتة من ب .

(١٠ - ١١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٢) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

نجم الدين [أيوب](١). وسير إليه يستدعيه ليحضر عنده بنابلس، [فرحل الملك الصالح من الكرك طالبا نابلس](٢).

فحكى [لى](٣) بهاء الدين زهير كاتب الإنشاء ـ وكان كما ذكرنا عند الملك الناصر ـ قال: قال لى الملك الناصر اخرج إلى أستاذك لتلقيه(٤). قال: فكدت استطير فرحا، وتوجهت إليه وأنا أنشد:

ياهند ماجئتكم زائرا إلا وجدت الأرض تطوى لى
ولا ثنيت العزم(٥) عن بابكم إلا تعـثرت بأذيالى

قال: فلما وصلت إليه قبلت الأرض(٦) بين يديه فوجدت عنده من الاستبشار والسرور بى مالا مزيد عليه. ووصل إلى نابلس [وأنا معه](٧)، فاجتمع بابن عمه الملك الناصر، وضرب له دهليز السلطنه فنزل به.

واجتمع اليـه(٨) مماليكه وأصحابه الذين أقاموا عند الملك الناصر [داود](٩)،

---

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س.

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

(٤) فى نسخة س « لتلتقيه » والصيغة المثبتة من ب.

(٥) فى نسخة س « العزة » والصيغة المثبتة من ب.

(٦) فى نسخة ب « ووصلت وقبلت » والصيغة المثبتة من س.

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

(٨) فى نسخة ب « واجتمع » وفى نسخة س « واجتمعت اليه » وفى المقريزى (السلوك، ج ١، ص ٢٩٣) « واجتمع عليه ».

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

منهم الأمير شهاب الدين بن سعد الدين، وشهاب الدين بن الغرس(١) ، [وكاتبه بهاء الدين زهير](٢) . وأمر الملك الناصر بقطع خطبة الملك العادل ، وخطب للملك الصالح وأظهر أمره . وتسامع به أصحابه فقصدوه من كل ناحية .

ثم سار الملك الناصر صلاح الدين داود والملك الصالح نجم الدين أيوب(٣) إلى القدس، واجتمعا(٤) عند الصخرة المقدسة وتحالفا، فيقال انهما اتفقا على أن تكون الديار المصرية للملك الصالح [نجم الدين أيوب](٥) ، والشام والشرق للملك الناصر .

وكان الملك الصالح يتأول بعد أن ملك دبار مصر أنه حلف مكرها إذ كان في الحقيقة في حكم الملك الناصر داود(٦) . ثم سارا(٧) ، بعد توكيد الأيمان بينهما، إلى غزة نخيما بها . وبلغ ذلك الملك العادل(٨) فعظم عليه وخرج بالعساكر المصرية طالبا الوصول إلى الشام . فنزل ببلبيس(٩) ، وأرسل إلى الملك الصالح عماد الدين [إسماعيل](١٠) صاحب دمشق بأن يخرج بالعساكر الدمشقية [ويقصدهما لتلتقى عليهما عساكر دمشق ومصر

---

(١) في نسخة س « وشهاب بن الفرس » ، والصيغة الصحيحة المثبتة من ب ، انظر المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٩٣ .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من ب ومثبت في س وكذلك في المقريزي ، نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣) في نسخة ب « الملك الصالح والملك الناصر » والصيغة المثبتة من س .

(٤) في نسخة ب « واجتمعوا » ، والصيغة الصحيحة المثبتة من س .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٦) في نسخة ب « أنه تحت حكمه » والصيغة المثبتة للتوضيح من نسخة س .

(٧) في نسخة ب « ثم سار » والصيغة المثبتة من س .

(٨) في نسخة س « وبلغ الملك العادل ذلك » .

(٩) في نسخة س « ببلبيس » والصيغة المثبتة من ب .

(١٠) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

ويقبض عليهما ، وينتزع البـلاد من يد الملك النـاصر[(١)] . فرحل الملك الصالح [عماد الدين إسماعيل][(٢)] من دمشق فى عساكره ونزل بالغوّار من أرض السواد ومعه الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد صاحب حمص بعسكره .

ولمـا رأى الملك الصالح [نجـم الدين أيوب][(٣)] والملك الناصر [صلاح الدين داود][(٤)] العساكر قـد طلبتهما من جهة مصر [ومن جهـة دمشق][(٥)] ، ولم [يأتهما مكاتبة أحد من الأمراء من جهة مصر][(٦)] ،[وكانا يظنان أنهما إذا نزلا غزة كاتبتهما أمراء مصر ، وقفز إليهما بعض عساكرهما . فلمـا لم يريا لذلك أثرا ورأيا كثرة العساكر الطالبـة لهما خافا فرجعا إلى نابلس فأقاما بهـا وهما فى غاية من الخوف والفزع][(٧)] . وعزم الملك الناصر [صلاح الدين داود][(٨)] ـ على ما قيل ـ [على][(٩)] أن يذهب [١٢٦ ا] هو والملك الصالح إلى الكرك ليعتصما بها ويتحصنا[(١٠)] ، إذ ليس معهما من العسكر ما يقوم بحرب عساكر مصر وعساكر دمشق . وقيل بل عزم الملك الناصر [على][(١١)] أن يردّ الملك الصالح [نجم الدين أيوب][(١٢)] إلى الاعتقال ويأخذ فى مداراة

---

(١) مابين الحاصرتين من نسخة ب وورد فى نسخة س فى قليل من الاضطراب .

(٢ ـ ٤) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٥) فى نسخة س « والشام » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٦) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٧) ورد ما بين الحاصرتين فى نسخة س فى صـيغة مضطربة ، والصيغة الصحيحة المثبتـة من نسخة ب .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٩) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(١٠) فى نسخة س « ويعتصمابه » والصيغة المثبتة من ب .

(١١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(١٢) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ومثبت فى س .

[عمه الملك الصالح [عماد الدين](١) إسماعيل وابن عمه الملك العادل، وأن الملك الصالح نجم الدين أيوب](٢) اطلع على هذا ، فلهذا واخذه فيما بعد به، ولم يجازه على إحسانه، والله أعلم بحقيقة ذلك .

واتفق(٣) في بعض الأيام أن الملك الصالح(٤) انفرد بنفسه وصعد إلى جبل الطور الذي هو قبلي(٥) نابلس وفيه مزار مشهور ، [وقصد الصلاة فيـه وأن يبتهل إلى الله سبحانه](٦) أن يفرج عنه ما هو فيه من الضيق . [فبينما هو(٧) كذلك] إذ جاءه الفرج بما لم يكن في حسابه ولا حساب أحد(٨) من الخلق ؛ وهـو أنه جاءه نجّاب بالبشرى — بما سنذكره [إن شاء الله تعالى](٩) — فسير النجاب إلى الملك الناصر فسر به غاية السرور ورجع عما كان عزم(١٠) عليه ، وبادر إلى السفر إلى الديار المصرية .

[وكان لمـا بلغ الملك الصالح إسماعيل، والملك المنصور صاحب حمص رجوع الملك الصالح والمـلك الناصر فرحا بذلك وكانا خائفين أن يكون مضيهما إلى غزة بمكاتبة وردت إليهما من مصر](١١) . فلما رجعا وتحققا اجتماع العساكر(١٢) ببلبيس [لحربهما](١٣)

(١ — ٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س .
(٣) في نسخة س « فاتفق » .
(٤) في نسخة س « والملك الصالح نجم الدين أيوب شديد الخـوف أنه » ، والصيغة المثبتة من ب .
(٥) في نسخة ب « قبل » والصيغة المثبتة من س .
(٦) في نسخة س « فصلى فيه ركعتين وابتهل الى الله تعالى » والصيغة المثبتة من ب .
(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .
(٨) في نسخة س « ولا في حساب غيره » ، والصيغة المثبتة من ب .
(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .
(١٠) في نسخة س « قد عزم » والصيغة المثبتة من ب .
(١١) ورد ما بين الحاصرتين في نسخة س في صيغة مضطربة والصيغة المثبتة من ب .
(١٢) في نسخة س « عساكر مصر » والصيغة المثبتة من ب .
(١٣) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت في ب .

طمعا فيهما . ثم كتب[(١)] الملك المنصور صاحب حمص إلى [الملك][(٢)] المظفر صاحب حماة [يخبره بذلك و يقول فى كتابه[(٣)]] أن المحارفين قد رجعا من[(٤)] غزة ولم يفلحا — يعنى[(٥)] بالمحارفين الملك الناصر والملك الصالح . وأراد بهذه المكاتبة إغاظة الملك المظفر لعلمه بميله إلى الملك الصالح . [ونذكر الآن سبب مجئ النجاب إلى الملك الصالح بالفرج ، إن شاء الله تعالى[(٦)]] .

ذكر القبض على الملك العادل بن الملك الكامل ببلبيس

قد ذكرنا ، ما كان الملك العادل يعانيه من اللهو واللعب وتقديمه جماعة[(٧)] لا يصلحون للتقدم ، وانما قدمهم لمشاركتهم له فيما [كان][(٨)] يعانيه ، وإعراضه عن أكابر الدولة وعظمائهم[(٩)] . و إنما كان الحامل له [على][(١٠)] هذا صغر سنه ، فإنه كان عمره لما ولى الملك [نحو][(١١)] عشرين سنه ، فنفر منه [٢٦ب] بهذا السبب الأمراء وأكابر الدولة .

---

(١) فى نسخة س « وكتب » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٣) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

(٤) فى نسخة س « عن » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٥) فى نسخة س « فعنى » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) ورد مابين الحاصرتين فى نسخة س وساقط من ب ، انظر مايلى ص ٢٦٤ .

(٧) فى نسخة س « لجماعة » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

(٩) فى نسخة س « وعظاوهم » وهو تحريف والصيغة الصحيحة المثبتة من ب .

(١٠) مابين الحاصرتين ساقط من ب ومثبت فى س .

(١١) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

وكنا ذكرنا أنه لما بلغه خروج أخيه من الكرك واتفاقه مع الملك الناصر ، برز إلى بلبيس وخيم بها ، وسير إلى عمه الملك الصالح [عماد الدين إسماعيل][1] يأمره أن يخرج بعسكر دمشق إلى جهة الملك الصالح [نجم الدين أيوب][2] والملك الناصر [بن الملك المعظم][3] ، وأنه خرج من دمشق ونزل الغوار وخيم به[4] .

ولما جرى ما ذكرناه اتفقت المماليك الأشرفية ومقدمهم عز الدين أيبك الأسمر وجماعة من الخدام الأكابر الكاملية منهم جوهر النوبى ، وشمس الخواص[5] ، على القبض على الملك العادل[6] ، ووافقهم [على ذلك[7]] جماعة غيرهم[8] . فركبوا وأحاطوا بدهليز الملك العادل وانتهبوا ما حوله ، ورموا الدهليز ، وجعلوا الملك العادل فى خيمة صغيره ، ووكلوا به من يحفظه . فلم يتحرك أحد من الأمراء الأكراد ولا غيرهم[9] . ولزم كل[10] وطاقه . وكان ميل عز الدين الأسمر وغيره من الأشرفية إلى الملك الصالح[11] عماد الدين صاحب دمشق ، وميل الخدام والمماليك الكاملية وأمراء

(١ — ٣) ما بين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س ، وساقط من ب .

(٤) فى نسخة س « ونزل بالغوار وخيم بها » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) فى نسخة س « شمس الدين الخواص » والصيغة المثبتة من نسخة ب ومن المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٩٥ ، وورد الاسم فى ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٢٠) « شمس الدين الخاص » انظر أيضا ابن أيبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٤٣ .

(٦) فى نسخة ب « عليه » والصيغة المثبتة من س .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٨) ورد فى المقريزى (السلوك ، ج ١ ص ٢٩٥) « وجماعة أخر من الكاملية ، وهم مسرور الكاملى وكافور الفائزى » .

(٩) فى نسخة ب « وغيرهم » والصيغة المثبتة من س .

(١٠) فى نسخة س « كل منهم » ، والصيغة المثبتة من ب .

(١١) وردت الجملة فى نسخة س : « وكان عز الدين أيبك الأسمر وغيره من الأشرفيه ميلهم إلى الملك الصالح عماد الدين » والصيغة المثبتة من ب .

مصر إلى الملك الصالح نجم الدين [أيوب][1]، وكانوا أكثر عددا من أولئك وأقوى شـوكة . فلم يسع الأشرفية إلا موافقتهم لأن الأكثر على خلاف رأيهم ، وأيضا فلأن[2] الملك الصالح [نجم الدين أيوب][3] والملك الناصر بينهم و بين صاحب دمشق [الملك الصالح إسماعيل][4]، فاضطروا إلى الموافقة . واتفقت كلمة الجميع على مكاتبة الملك الصالح نجم الدين[أيوب][5] يستدعونه ليقدم عليهم و يملكوه[6] الديار المصرية ، فسيروا النجابين والقصّاد يتبع بعضهم بعضا . [فسبق ذلك النجاب الذى تقدم ذكره والسلطان الملك الصالح على جبل الطور يدعو إلى الله سبحانه وتعالى أن يفرج عنه . وتواترت بعد ذلك النجابين عليهما][7] ، وهما[8] فى غاية من الخوف من قصد العساكر المصرية والدمشقية إليهما [واتفاقهما عليهما][9] . فأتاهما [من][10] الفرج بعد الشدة ما لم يسمع بنظيره فى شيء من[11] التواريخ . وكانت هذه الواقعة من أغرب الوقائع وأظرفها .

---

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٢) فى نسخة س « فأن » والصيغة المثبتة من ب .

(٣ — ٥) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٦) فى نسخة س « و يملكونه » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة س ، وورد بدله فى نسخة ب « وورد ذلك على الملك الصالح والملك الناصر . . . » انظر ماسبق ص ٢٦١ .

(٨) فى نسخة س « وهم » والصيغة المثبتة من ب والمقصود بهما الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك الناصر داود .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٠) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

(١١) فى نسخة س « بما » .

ذكر إستيلاء [السلطان](١) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل على الديار المصرية

ولما تحقق الملك الصالح والملك الناصر القبض على الملك العادل سارا [٢٧ ا] مسرعين إلى الديار المصرية يطويان المراحل ودخلا الرمل ، وفى كل منزله(٢) ينزلا بها يصل إليهما جمع بعد جمع وأمير بعد أمير . ووصلا إلى العسكر ببلبيس(٣) ، وتسلم الملك الصالح(٤) أخاه الملك العادل وصار فى قبضته . ورحل بالعساكر إلى القاهرة .

[وكان محيي الدين بن الجوزى قد عاد إلى الديار المصرية ليوفق الأمر بين الملوك على أى حال كان . فلما وصلت العساكر إلى القاهرة(٥)] ، التقاه(٦) ، محيي الدين [بن الجوزى(٧)] رسول الخليفة والقاضى شهاب الدين [إبراهيم بن عبد الله(٨)] ابن أبى الدم قاضى حماه ورسول الملك المظفر . وكان الملك الصالح [نجم الدين أيوب(٩)] موغر الصدر على محيي الدين [بن الجوزى(١٠)] لما علمه(١١) من ميله عليه ، فإنه(١٢) كان يسعى فى تسليم الملك الناصر إياه إلى الملك العادل ، فقصّر فى إكرامه ، وسُر بالقاضى

---

(١) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٢) فى نسخة س « وبقيا فى » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة ب « بنابلس » وهو تحريف والصيغة المثبتة من س ، انظر أيضا ابن أيبك (الدر المطلوب ، ص ٣٣٩ — ٣٤٠) ؛ المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٢٩٥) .

(٤) فى نسخة س « فسلم للملك الصالح » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٦) فى نسخة ب « والتقاه » والصيغة المثبتة من س .

(٧ — ٨) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٩ — ١٠) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١١) فى نسخة س « لما علم » والصيغة المثبتة من ب .

(١٢) فى نسخة س « وأنه » والصيغة المثبتة من ب .

شهاب الدين رسول الملك المظفر، وأقبل عليه إقبالا كثيرا لعلمه بفرط محبة مخدومه الملك المظفر له ، فإنه (١) تضعضعت أحواله بسبب موالاته له ولأبيــه من قبـله ، وأن جيرانه عادوه بسببهما .

وحكى لى القاضى شهاب الدين — رحمـه الله — قال : قال لى الملك الناصر [داود] (٢) يومئذ « أما (٣) وفينا لك بالذى وعدناك به ؟ » — يعنى بذلك ما كنا قدمنا ذكره (٤) أنه لمـا اجتمع به بنابلس حين توجهه الى مصر، وعده بإخراج الملك الصالح وتمليكه ديار مصر .

وكان القبض على الملك العادل ليلة الجمعة [ثامن] (٥) ذى القعدة من هذه السنة — أعنى سنة سبع وثلاثين وستمائة . وكانت مدة ملك الملك العادل الديار المصرية سنتين وشهورا .

ودخل الملك الصالح [نجم الدين أيوب] (٦) قلعة (٧) الجبل [بكرة الأحد] (٨) لست بقين من ذى القعـــدة . وزين البـلدان مصر والقاهرة وقلعة الجبـل . وفرح الناس بقدومه (٩) لنجابته وشهامته واستحقاقه الملك (١٠) . ونزل الملك الناصر [داود] (١١)

---

(١) فى نسخة س « وأنه » والصيغة المثبتة من ب .
(٢) مابين الحاصرتين من س وساقط من ب .
(٣) فى نسخة س « ياقاضى إن » والصيغة المثبتة من ب .
(٤) انظر ما سبق ص ٢٥٢ .
(٥) مابين الحاصرتين مثبت فى نسخة ب وفى س ورد بدلها « من » .
(٦) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .
(٧) فى نسخة س « إلى قلعة » .
(٨) مابين الحاصرتين مثبت فى نسخة ب وساقط من س .
(٩) فى نسخة س « وفرح الناس بالملك الصالح » والصيغة المثبتة من ب .
(١٠) فى نسخة س « للملك » والصيغة المثبتة من ب .
(١١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

بدار الوزارة على عادته . ثم استدعى الملك الصالح القاضى شهاب الدين — رسول الملك المظفر — ووفاه حقه من الإكرام والاحترام ، وحمله من الرسالة ما يعيده على الملك المظفر[١] ، وأكرمه إكراما كثيرا وسيره الى صاحبه . وكذلك خلع على رسول الخليفة وسفره[٢] . وكتب الى الديوان [العزيز[٣]] يشكو[٤] ما اعتمده فى حقه ، فلم[٥] يعد بعد ذلك [٢٧ ب] فى الرسالة[٦] الى الشام ومصر ، وتولى[٧] الأستاذ داريه[٨] ببغداد ، وأنكر[٩] عليه ما اعتمده فى حق الملك الصالح .

وكذلك استدعى الملك الصالح كمال الدين بن أبى جراده المعروف بابن العديم ، رسول الصاحبة والدة الملك العزيز[١٠] . وكانت الصاحبة أرسلته[١١] — كما ذكرناه[١٢] — إلى الملك العادل ، [ومضمون رسالته اليه ، طلب[١٣]] تدبير عماته بنات الملك العادل ، [ويهنيه بكسر الفرنج ؛ فإنه كان على غزة — بعد اعتقال الملك الصالح بالكرك - الأمير ركن الدين الهيجاوى[١٤] فى عسكر من المصريين ، فقصدته

(١) فى نسخة س «وحمله رسالة إلى الملك المظفر بما يعتمد عليه وأكرمه» والصيغة المثبتة من ب .
(٢) فى نسخة س « وسيره » والصيغة المثبتة من ب .
(٣) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .
(٤) فى نسخة س « يشكو منه » والصيغة المثبتة من ب .
(٥) فى نسخة س « ولم » .
(٦) فى نسخة س « رسالة » والصيغة المثبتة من ب .
(٧) المقصود « محيى الدين بن الجوزى » .
(٨) فى نسخة س « الاستدارية » .
(٩) فى نسخة س « وقد أنكر » .
(١٠) انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص٢٤٧ .
(١١) فى نسخة س « قد أرسلته » .
(١٢) انظر ما سبق ص ٢٥٣ .
(١٣) مابين الحاصرتين من نسخة ب وورد بدله فى س « تطلب منه » .
(١٤) فى نسخة ب « الهجاوى » والصيغة المثبتة من س ومن ابن أيبك ، الدر المطلوب ، ص ٣١٧ ، ٣٢٨ ، والمقريزى ، السلوك ج ١ ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣١٠ .

الفرنج والتقاهم ، فأوقع بهم وقعة عظيمة ، وانتصر عليهم وقتل منهم جماعة وأسر جماعة ، وسير الأسرى الى الديار المصرية . وذلك فى هـذه السنة التى جرى فيها ما ذكرناه من اعتقال الملك الصالح ، وخروجه وملكه ديار مصر(١)] .

فحكى [لى](٢) كمال الدين [القاضى ابن العديم](٣) قال : استحضرنى الملك الصالح [نجم الدين أيوب](٤) يوم الثلاثاء حادى عشر ذى الحجة ، وقال لى : «تقبل الأرض بين يدى الستر العالى ، وتعرفها أننى(٥) مملوكها ، وأنها عندى(٦) بمحل(٧) الملك الكامل . وأنا أعرض نفسى لخدمتها ، وامتثال ما ترسم به(٨)» . قال : وحملنى مثل هذا [القول إلى](٩) السلطان الملك الناصر(١٠) .

قال [ابن العديم](١١) : فنزلت من مصر ، واجتمعت بالملك الصالح عماد الدين إسماعيل فى رابع المحرم سنة ثمان وثلاثين وستمائة . فحملنى رسالة إلى الملكة خاتون(١٢) ،

---

(١) ورد مابين الحاصرتين فى نسخة س فى قليل من الاختلاف .

(٢ — ٣) مابين الحاصرتين من نسخة س ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٤٧ .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب وفى ابن العـديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٤٧) « الملك الصالح أيوب » .

(٥) فى نسخة ب «أنى» والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة س ومن ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٤٧ .

(٦) فى نسخة س «وأنى عند» والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة ب ومن ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٤٧ .

(٧) كذا فى نسختى المخطوطة وفى ابن العديم (نفس المصدر والجزء والصفحة) « فى محل » .

(٨) كذا فى نسختى المخطوطة وفى ابن العديم ، « وامتثال أمرها فيما تأمر به » .

(٩) ما بين الحاصرتين من ابن العديم (زبدة الحلب ج ٣ ، ص ٢٤٧) .

(١٠) فى نسخة س « وحملنى مثـل ذلك الملك الناصر » وهو تصحيف إذ المقصود الملك الناصر صلاح الدين بن الملك العزيز صاحب حلب .

(١١) ما بين الحاصرتين للتوضيح ، انظر زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٤٧ — ٢٤٨

(١٢) فى نسخة س «فحملنى رسالة اليها أيضا» وفى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٤٧) « وحملنى رسالة إلى الملكة الخاتون » والصيغة المثبتة من ب .

يطلب منها معاضدته ومساعدته على الملك الصالح نجم الدين . فلم تجبه الى ذلك فى ذلك الوقت [١] .

ولما وردت [٢] الأخبار باستيلاء الملك الصالح [نجم الدين] [٣] على الديار المصرية ، حصل عند الملك المظفر من السرور والابتهاج شيء عظيم ، وتيقن الظفر [٤] على مجاوريه ، واستعادة ما أخذ من [٥] بلاده ، وغير ذلك . وزينت قلعة [٦] حماة زينة عظيمة بحيث عمت [٧] الزينة جميع أبراجها ، وأمر بإقامة الخطبة للملك الصالح [نجم الدين أيوب] [٨] . ونثرت الدراهم والدنانير .

[وكان قبل ذلك قد وصلته كتب الملك المنصور صاحب حمص ، والملك الصالح إسماعيل يخبران فيه بخروج الملك الصالح من الكرك ، وتوجهه هو والملك الناصر إلى غزة . ثم وردت كتبهما تخبر بعودهما إلى نابلس بأسوأ حال . ثم وردت كتبهما تخبر برجوعهما إلى غزة ، ودخول الرمل . ثم انقطعت الأخبار مُدَيْدة ، وتألم خوفا أن يجرى مالا يؤثره .

---

(١) ورد بعد ذلك فى نسخة س وحدها : « وأوردت على الصاحبة مقالة ابن أخيها ففرحت بذلك ، وأوردت عليها مقالة الملك الناصر صاحب الكرك فأوعدته بكل جميل فى ذلك الوقت » ولم يرد هذا القول فى نسخة ب أو فى ابن العديم .

(٢) فى نسخة س « تواترت » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٤) فى نسخة س « وقد تيقن بالظفر » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) فى نسخة س « ما أخذ منه من » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) فى نسخة ب « القلعة » والصيغة المثبتة من س .

(٧) فى نسخة س « حتى عمت » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

فورد خبر من جهة اللاذقية ، أنه ورد من أخبر أنه سمع الخطبة للملك الصالح نجم الدين بالإسكندرية من الواصلين إلى اللاذقية فى البحر . ثم تواترت الأخبار باستيلائه على الديار المصرية ، فتمت له بذلك المسرة] (١) .

ذكر رجوع الملك الناصر داود بن الملك المعظم إلى بلاده مستوحشا من [ابن عمه] (٢) الملك الصالح نجم الدين [أيوب] (٣)

ولما ملك الملك الصالح ديار مصر حصل عنده استشعار من الملك الناصر [داود] (٤)، واستوحش قلبه منه لأشياء بلغته (٥) عنه؛ منها أنه اجتمع (٦) بجماعة من الأمراء (٧) فى الباطن، وذكر أنه جاء ليلة إلى دار [الأمير] (٨) ركن الدين الهيجاوى (٩) ليجتمع به . فلم يجب الهيجاوى (١٠) إلى الاجتماع به، ورده . وبلغ ذلك (١١) الملك الصالح [نجم الدين أيوب] (١٢) .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٢ — ٣) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٥) فى نسخة ب « بلغه » والصيغة المثبتة من س .

(٦) فى نسخة ب « من اجتماعه » والصيغة المثبتة من س .

(٧) فى نسخة س « بجماعة أمراء » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخه س وساقط من ب .

(٩ — ١٠) فى نسخة ب « الهجاوى » والصيغة المثبتة من س، انظر ماسبق ص ٢٦٧ حاشيه ١٤ .

(١١) فى نسخة س « إلى الملك » والصيغة المثبتة من ب .

(١٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

وكان الملك الناصر [داود][1] بعد دخولهما الى مصر[2] قد طلب من الملك الصالح[3] أن يسلم إليه قلعة الشوبك، فلم يفعل[4]. فكان ذلك [أيضا][5] سبب تغير باطن الملك الناصر[6]، فإنه كان يظن أن الملك الصالح[7] يبعث معه العساكر المصرية ليتسلم دمشق لنفسه وسائر ماخرج عنه من مملكة أبيه حسب ما كان اتفق بينه وبينه عند الصخرة. [والملك الصالح كان يرى أنه إنما حلف له عند الصخرة بما اقترحه عليه، إنما كان فيه مكرها لأنه كان فى قبضته][8]. ثم بلغ الملك الناصر [داود أن الملك الصالح][9] قد عزم على قبضه واعتقاله، فطلب دستورا من الملك الصالح [نجم الدين أيوب][10]، فأعطاه فرحل راجعا إلى بلاده، وهو بين الطائع والعاصى.

وحكى لى السلطان الملك المنصور - قدس الله روحه - حكاية[11] غريبة، وكنت سمعت [٢٨ ب] ما يقاربها من غيره[12]، وهى أنه لما وصل الملك الصالح والملك الناصر إلى بابيس، وخيما بها، اجتمع الملكان الصالح والناصر على الشراب.

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

(٢) فى نسخة ب «قبل دخوله الى مصر» والصيغة المثبتة من س وفى المقريزى (السلوك، ج ١، ص ٢٩٨ — ٢٩٩) «ولأنه سأله أن يعطيه قلعة الشوبك».

(٣) فى نسخة ب «منه» والصيغة المثبتة من س.

(٤) فى نسخة س «فلم يجبه إلى ذلك» والصيغة المثبتة من ب.

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

(٦) فى نسخة ب «باطنه» والصيغة المثبتة من س.

(٧) فى نسخة ب «أنه» والصيغة المثبتة من س.

(٨) ورد ما بين الحاصرتين فى قليل من الاضطراب فى نسخة س، والصيغة المثبتة من ب.

(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س وفى ب «أنه».

(١٠) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

(١١) السطور التالية ساقطة من نسخة س وسوف يشار الى نهاية الجزء الساقط.

(١٢) عن هذه الحكاية برواية أخرى أنظر: ابن أيبك، الدر المطلوب، ص ٣٤٠؛ المقريزى، السلوك، ج ١، ص ٢٩٧.

وكان الشراب يؤثر فى الملك الناصر تأثيرا كثيرا ، يخـرج بسببه عن الحد . فقال للملك الصالح : « أريد أن اجتمع بالملك العادل » ، وكان معتقـلا فى خيمة إلى جانب خيمـة الملك الصالح . فأذن له فى ذلك، فمضى إلى خيمـة الملك العـادل وقال : « تبصر أى شىء فعلت ، وكيف أوقعتك فى هـذه الحال ، وأنا قادر أن أردك إلى ملكك» فتغاضى عنه الملك الصالح لمـا بلغه ذلك، وغاظه فعله .

ولمـا دخلوا القاهرة ، قال الملك الصالح لبعض أصحابه : « امض إلى الملك الناصر ، وخوفه منى لعـله يرحل إلى بلاده ، فإنى لا يمكننى القبض عليـه . فإن الناس لا يعلمون صورة الحال . وينسبوننى إلى الغدر ، وعدم المكافأة » . فمضى ذلك الشخص، واجتمع بالملك الناصر وقال له : « إنى قد جئت إليك لحق أنعُمك ، فاكتم على ما أقوله لك، لئلا يؤذينى ابن عمك الملك الصالح، فإنه قد أمر بالقبض عليك، فخذ حذرك منه » . فركب فى ذلك الوقت الملك الناصر ، وسار بأصحابه وهو خائف يترقب . وأرسل الملك الصالح ليوهمه أنهم يريدون القبض عليـه ، وأمرهم أن لا يقدموا عليـه ، ويكونوا بحيث يراهم على بعد ، وأسرع هاربا هو وأصحابه حتى وصل إلى بلاده (١) .

ثم [بعد ذلك] (٢) استشعر الملك الصالح من عز الدين أيبك الأسمر ، والممـاليك الأشرفية (٣) . وقيل له (٤) أنهم قد عزموا على القبض عليه كما فعلوا بأخيه الملك العادل،

(١) نهاية الجزء الساقط من نسخة س انظر ماسبق ، ص ٢٧١ حاشية ١١ .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من ب ومثبت فى س .

(٣) فى نسخة س « من عز الدين أيبك الأسمر مقدم المماليك الأشرفيـة ومن المماليك أيضا » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) فى نسخة س « لأنه نقل إليه أنهم » والصيغة المثبتة من ب .

وأن مقصودهم تمليك الديار المصرية لعمه الملك الصالح عماد الدين [اسماعيل][1] . فخاف منهم ، واحترز ولازم القلعة ، وامتنع من الركوب في الموكب .

وانقضت السنة ، والحال على هذه الصورة ، [وقد تحقق عنده ذلك][2] .

(١ — ٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

ودخلت سنة ثمان وثلاثين وستمائة (*)

والسلطان الملك الصالح نجم الدين مالك الديار المصرية . وعمه الملك [١٢٩] الصالح عماد الدين [اسماعيل (١)] مالك لدمشق ، و بلادها . [والملك الناصر مالك الكرك و بلادها (٢)] .

ذكر القبض على أيبك الأسمر والمماليك الأشرفية وغيرهم من الخدام الكبار (٣)

ولما تحقق [السلطان (٤)] الملك الصالح نجم الدين [أيوب (٥)] فساد نيات [المماليك (٦)] الأشرفية ، وأنهم عازمون على الوثوب عليه ، وانتزاع البلاد من (٧) يده وتسليمها إلى عمه الملك الصالح [إسماعيل (٨)] ، أخذ فى التدبير عليهم [وقال : « لا بد هؤلاء الغدارين أن يفعلوا بى كما فعلوا بأخى الملك العادل (٩) »] . وعزم (١٠) على البطش بهم قبل أن يبطشوا به . [وكذلك علم (١١)] فساد نيات الخدام ، مثل جوهر النوبى ،

(*) يوافق أولها ٢٣ يوليو سنة ١٢٤٠ ميلادية .

(١ — ٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٣) فى نسخة ب « ذكر القبض على المماليك الأشرفية وغيرهم » والصيغة المثبتة من س .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٥ — ٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٧) فى نسخة س « منه » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٨ — ٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٠) فى نسخة س « فعزم » والصيغة المثبتة من ب .

(١١) فى نسخة س « و بلغه أيضا » والصيغة المثبتة من ب .

وشمس(١) الخواص [وغيرهما(٢)] . [وكذلك علم(٣)] فساد [نيات(٤)] جماعة من الأمراء الكاملية . وتحقق(٥) أنه لا ينتظم ملكه إلا بالراحة منهم(٦) ، والاستبدال بهم . فأخذ فى هـذه السنة فى تفريقهم . وبعث كل من خاف(٧) غائلتـه إلى جهة يوهمه أنه يستكفيه أمرها ، و يعتمد عليه فى إصلاحها . فبعث عز الدين [أيبك(٨)] الأسمر إلى جهة من الجهات ، ثم أمر بالقبض عليـه [فيها(٩)] ، فقبض عليه [فزات به المماليك الأشرفية(١٠)] . وحينئذ(١١) تقدم بالقبض على المماليك الأشرفيه، فأخذوا من بكرة أبيهم أخذا باليد، وأودعوا(١٢) السجون(١٣). [وهو مع ذلك يشترى المماليك الترك والخطائية ، و يستخدم الأجناد و يعطيهم الأخباز الجيدة، وهو كل يوم فى قوة وزيادة(١٤)] .

---

(١) فى نسخة س « شمس الدين » ، انظر ماسبق ص ٢٦٣ ، حاشية ٥ وانظر أيضا المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٢٩٥ .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٣) فى نسخة س « وعلم أيضا » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٥) فى نسخة س « فتحقق عنده » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) فى نسخة س « من هؤلاء » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٧) فى نسخة س « من يخاف » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب ، انظر أيضا ، ابن أيبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٤٣ ؛ المقريزى، السلوك ، ج ١ ص ٢٩٥ .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(١٠) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١١) فى نسخة س « لحينئذ » .

(١٢) فى نسخة ب « فأودعوا » والصيغة المثبتة من س .

(١٣) ذكر ابن أيبـك (الدر المطلوب ، ص ٣٤٤) : « ونودى فى مصر والقاهرة من اختفى عنده أحد من الأشرفية شنق ، وغلقت أبواب القاهرة مـدة أيام ، خلا باب زويلة ، وذلك حرصا على مسكهم ، ثم قيدوا واعتقلوا » .

(١٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

وقبض على جوهر النوبى، وشمس الخواص وكانا متحكمين فى الدولة(١). وقبض على جماعة من أكابر أمراء الدولة الكاملية كان لهم إدلال وتحكم . وبعث بعضهم إلى صدر(٢)، وهى قلعــة فى البرية قريبة من عقبة أيلة ، فاعتقلوا بهـا(٣) ، وبعضهم اعتقله بقلعة الجبل .

وكان الأمير فخر الدين(٤) بن شيخ الشيوخ — كما تقدم ذكره — عظيما فى الدولة الكاملية هو وإخوته الثلاثة، وتمكنوا فى الدولة العادلية . وكنا ذكرنا(٥) تسيير الملك العادل عماد الدين إلى الشام، لاستخلاص دمشق من يد الملك الجواد بن مودود، فكان من قتله بقلعــة دمشق ما شرحناه(٦) . وكان حين قدم الملك الصالح نجم الدين إلى نابلس، قبل أن تؤخذ دمشق منه، قد اتهم الملك العادل [بن الملك الكامل](٧) فخر الدين(٨) [بن شيخ الشيوخ](٩) ، فاعتقله فى قلعة الجبل . فلما دخل الملك الصالح قلعة الجبل أخرجه(١٠)، فركب ركبة عظيمة. واجتمع [له](١١) خلق من الرعية ، ودعوا

(١) فى نسخة س « ثم أنه بعد ذلك قبض » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) ذكر ياقوت (معجم البلدان) أن صدر قلعة خراب بين القاهرة وأيلة .

(٣) فى نسخة س « فاعتقله » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) فى نسخة س « مجير الدين » وهو تصحيف .

(٥) انظر ما سبق ، ص١٩٨ — ٢٠٢ .

(٦) فى نسخة س « وكان من قبله ماشرحناه » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٨) فى نسخة س « مجير الدين » وهو تصحيف .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(١٠) فى نسخة س « فلما تملك الملك الصالح نجم الدين أيوب ودخل الى قلعة الجبل أخرج مجــير الدين » والصيغة المثبتة من ب .

(١١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

[له](١) لأنه كان محببا [إلى الناس](٢) لكرمه ، وحسن [٢٩ ب] سيرته . فبلغ الملك الصالح [نجم الدين](٣) ذلك ، فاستشعر منه ، ولم يعجبه ذلك ، وأمره(٤) بلزوم بيته ، فلزم بيته غير مضيق عليه . واستوزر الملك الصالح(٥) أخاه معين الدين [الحسن](٦) ابن شيخ الشيوخ ، ومكنه وفوض إليه تدبير المملكة . فقام بوزارة الملك الصالح [أحسن قيام](٧) . وأما [أخوهم](٨) كمال الدين فبقى على منزلته ومكانته التى كانت [له](٩) فى أيام الملك الكامل .

ولما قبض الملك الصالح [نجم الدين أيوب](١٠) على من قبض من الأشرفية وغيرهم ، شرع فى تقديم مماليكه مجازاة لهم على ثباتهم فى خدمته ، ولزومهم له حين فارقه الناس وخذلوه . فأمرهم واحدا بعد واحد . وكلما(١١) قطع خبز أمير أعطاه لمملوك من مماليكه ، وقدمه . حتى صار أكثر الأمراء [من](١٢) مماليكه لاعتماده عليهم ، وثقته بهم . فتمكن أمره ، وأمن فى ملكه .

---

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب

(٢) فى نسخة س « لهم » .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٤) فى نسخة س « فأمره » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) فى نسخة س « ثم الملك الصالح نجم الدين استوزر » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٧ — ٨) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(١٠) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١١) فى نسخة س « فكان كلما » والصيغة المثبتة من ب .

(١٢) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

ثم شرع (١) فى بناء قلعــة الجــزيرة (٢) [فبناها واتخذها (٣)] مسكنا لنفسه ، وشـيد أسوارها ، وبنى فيها الآدر الحسان . وأنفق عليها الأموال الجليلة . وكانت الجزيرة قبـل ذلك متنزها للملك الكامل ، وله فيها دار للتنزه فقط ، فبنى الملك الصالح فيها من الأبنية البديعة ما لم يبن ملك من ملوك الإسلام مثله .

وكان الملك الصالح [نجم الدين (٤)] مغـرى بالعمارة والمساكن النزهة . وتم بناء قلعة الجزيرة ، ومساكنها فى مدة ثلاث سـنين ، وتحول إليهـا (٥) وصار مقره فيها . وهى نزهة جدا لإحاطة النيل بها من جميع الجوانب .

وأما الملك النـاصر داود ، فإنه انحرف عن ابن عمـه الملك الصالح ، لمـا لم (٦) يحصل له مطلوبه [الذى أمله منه (٧)] ، وهو مساعدته على إسترداد بلاد أبيـه (٨) . واتفق مع عمه الملك الصالح إسماعيل ، والملك المنصور صاحب حمص ، وصارت كلمتهم واحدة على الملك الصالح نجم الدين [أيوب (٩)] .

---

(١) فى نسخة س « فشرع بعد ذلك » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) عرفت هذه القلعــة أيضا بقلعة المقياس وقلعة الروضة والقلعة الصالحية وذكر المقريزى أن السلطان الصالح بنى فيها الدور والقصور وعمل لها ستين برجا ، وبنى بها جامعا وغرس فيها جميع الأشجار ، وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج إليه من الغلال والأزواد ؛ لتفصيل ذلك انظـر المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٨٣ — ١٨٥ ؛ انظر أيضا السيوطى ، كوكب الروضة ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٥٥٤ تاريخ تيمور .

(٣ — ٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٥) فى نسخة ب « وتحولها » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من س .

(٦) فى نسخة س « إذ لم » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٨) ذكر المقريزى (السـلوك ، ج ١ ، ص ٢٩٩) أن الناصر داود سأل الملك الصالح « أن يعطيه قلعة الشوبك فامتنع السلطان من ذلك » .

(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

وأما الخوارزمية[1] فانه لما اعتُقِلَ الملك الصالح بالكرك امتدت أطماعهم فى البلاد الجزرية[2]، واستولوا على قلعة حران وملكوها [وملكوا غيرها من القلاع[3]]. وتعدى أذاهم إلى البلاد المجاورة لهم، وكثر تثقيلهم على الملك الحافظ نور الدين أرسلان بن الملك العادل صاحب قلعة جعبر، فداراهم و بذل لهم الأموال ليكفوا عنه.

ذكر استيلاء الصاحبة والدة الملك العزيز على قلعة جعبر وانتقال [أخيها[4]] الملك الحافظ إلى حلب

واتفق أن الملك الحافظ صاحب قلعة جعبر [مع خوفه من الخوارزمية[5]]، أصابه فالج وخاف من ولده أن يسلم قلعة جعبر إلى الخوارزمية. فأرسل إلى أخته الصاحبة [بنت الملك العادل[6]] والدة الملك العزيز، يطلب منها أن تتسلم قلعة جعبر و بالس[7]، وأن تعوضه عن ذلك[8] عملا من أعمال حلب يقوم له بما يقوم به بالس[9] وقلعة جعبر.

فاتفق الأمر بينهما على أن يتعوض بعزاز[10] وأعمال أخر[11] يعادل المجموع ما كان[12] فى يده. ثم سُير من حلب من تسلم [منه[13]] قلعة جعبر فى صفر من هذه السنة.

(١) فى نسخة س « وأما ما كان للخوارزمية » والصيغة المثبتة من ب.

(٢) فى نسخة س « الجزيرية » والصيغة المثبتة من ب.

(٣ — ٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

(٧) فى نسخة س « قلعة جعبر منه و بالس » والصيغة المثبتة من ب.

(٨) فى نسخة س « أن يعوض عنهما غير ذلك » والصيغة المثبتة من ب.

(٩) فى نسخة س « يقوم له ببالس » والصيغة المثبتة من ب.

(١٠) فى نسخة س « بمدينة أعزاز » وكلاهما صحيح، انظر ياقوت (معجم البلدان)، وعن هذا العوض انظر أيضا ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣ ص ٢٤٨.

(١١) فى نسخة س « أعمال أخرى » والصيغة المثبتة من ب.

(١٢) فى نسخة س « لما كان ».　　(١٣) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س.

ووصـل الملك الحافظ إلى حلب ، وصعد إلى القلعة ، واجتمع بأختـه . ثم أُنْزِل فى الدار المعروفة بصاحب عين تاب ، وسلم إلى نوابه قلعة عزاز[1] [و بلادها وما أضافوه إليها من الأعمال[2]]. فخرجت الخوارزمية عند ذلك ، وأغاروا[3] على قلعة جعبر و بالس ونهبوها ، ولم يسلم من أهلها إلا من خرج إلى حلب أو منبج[4] .

و فى هـذه السنة توفى القاضى جمال الدين أبو عبد الله محمـد بن الأستاذ ، قاضى حلب فى صفر . وقـد ذكرنا[5] أنه وليها لمـا مات أخوه زين الدين رحمهما الله ، فولى القضاء بعده نائبه [ابن أخيه القاضى كمال الدين[6]] ، وكان يومئذ شابا لم يستكمل ثلاثين سنة . وكان حسن السيرة ، سديد الأحكام . لمـا كنت[7] بمدرسة الصاحب بهاء الدين — رحمه الله — فى سنة سبع وعشرين ، وسنة ثمـان وعشرين [وستمائة[8]] كان صبيا أمردا[9] لم يزد عمره على سبع عشرة[10] . [وكان مولده على

(١) فى نسخة س « أعزاز » .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٣) فى نسخة ب « فأغاروا » والصيغة المثبتة من س ومن ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٢٤٨ .

(٤) انظر أيضا : أبو الفـدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٦٧ ؛ ابن أيبـك ، الدر المطلوب ، ص ٣٤١ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٠٢

(٥) انظر ما سبق ص ١٩٦ .

(٦) فى نسخة س « ابن أخته القاضى كمال الدين أبو محمد عبد الله » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من نسخة ب . وهو القاضى الشيخ كمال الدين أبو العباس أحمد بن القاضى زين الدين أبى محمد عبد الله ولد سنة ٦١١ هـ ، وتوفى سـنة ٦٦٢ هـ عن نيف وخمسين سنة ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٤٩ ، وانظر ترجمته فى السبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٥ ، ص ٨ . وعن والده القاضى زين الدين المعروف بابن الأستاذ ، انظر ما سبق ، ص ٩٢ ، ص ١٩٦ ، حاشية ١

(٧) يتحدث ابن واصـل عن نفسـه ، انظر ما سبق مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٣١١ — ٣١٢ .

(٨) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٩) فى نسخة ب « أمرد » .

(١٠) فى نسخة س « سبعة عشر » والصيغة المثبتة من نسخة ب .

ما ذكر لى سنة [اثنتى عشرة وستمائة](١). وكان له أخ أصغر منه وهو بهاء الدين يوسف. وكان كمال الدين وأخوه بهاء الدين هذا(٢)، يحضران المدرسة . فكان بهاء الدين عنده جرأة و بحث وذكاء كثير(٣)، وكان كمال الدين عنده عقل كثير وحياء . وتوفى بهاء الدين فى حياة أبيه . وأما كمال الدين فانه استمر فى الحكم من حين مات عمه جمال الدين إلى أن ملكت التتر حلب [فى سنة ثمان وخمسين وستمائة](٤). وسافر هو إلى مصر بعد أن كسر التتر [الملك المظفر سيف الدين قطز](٥) فأقام فيها(٦) مدة يسيرة . ثم ولى قضاء حلب سنة اثنتين وستين وستمائة . ومات(٧) بحلب قاضيا فى تلك السنة بعينها رحمه الله [ورضى عنه](٨) .

ذكر الوقعة التى كسر فيها الخوارزمية عسكر حلب

قد ذكرنا(٩) أخذ بدر الدين لؤلؤ من الملك الجواد يونس بن مودود سنجار(١٠) . وأنه بعد ذلك باع عانة للخليفة(١١) [المستنصر](١٢) بمال أخذه منه(١٣) ، [وكانت بيده الرقة

(١) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

(٢) فى نسخة س « وأخوه هذا بهاء الدين » .

(٣) فى نسخة س « جرأة كبيرة وبحثا » والصيغة المثبتة من ب .

(٤ — ٥) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٦) فى نسخة س « بها » . (٧) فى نسخة س « فمات » .

(٨) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٩) انظر ماسبق ص ٢٥٣ . (١٠) فى نسخة س « الصنجار » .

(١١) فى نسخة ب وكذلك ابو الفداء، المختصر، ج ٣ ، ص ١٦٩ «من الخليفة» والصيغة المثبتة من س وهو مايتفق وسياق المعنى .

(١٢) مابين الحاصرتين للتوضيح من أبى الفدا ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

(١٣) فى نسخة س « وأخذ منه مالا » ، والصيغة المثبتة من ب .

فاستولت الخوارزمية عليها[(١)]] ولم يبق بيده من البلاد شيء . فالتجأ [عند ذلك[(٢)]] إلى الخوارزمية ، وانضم إليهم ، وكذلك انضم إليهم [أيضاً[(٣)]] ولد الملك الحافظ ابن الملك العـادل صاحب قلعة جعبر ، والملك الصالح بن الملك المجاهـد صاحب حمص . فكان جمعهم يزيد على إثنى عشر [ألف فارس جياد غير الأتباع[(٤)]] .

ولمـا عاثوا فى بلد قلعـة جعبر و بالس[(٥)] وغيرهما ، خرج اليهـم عسكر حلب ، ومقدمهم الملك المعظم بن صلاح الدين . فنزلوا بالنقرة[(٦)]، ثم رحلوا منها إلى منبج ، فأقاموا بهـا مدة فقصدتهم الخوارزمية ومعهم جمع كثير من العـرب ، مقدمهم الأمير على بن حديثـة من آل فضـل ، وهو أخو مانع . وكان أولا مع الحلبيين فاستوحش منهم لتقربهم إلى الأحلاف[(٧)]، وكانوا أعداءه . [فعبر الخوارزميه بجملتهم[(٨)]] الفرات من جسر الرقة ، وساروا حتى نزلوا نهر بوجيار[(٩)] . وسمع بهم عسكر حلب ، فرحلوا من منبج، ونزلوا وادى[(١٠)] بزاعا ، وأصبح كل من الفريقين يطلب صاحبه .

وكان عسكر حلب لا يزيدون على ألف وخمسمائة فارس[(١١)] ؛ لأن بعض عسكر حلب كان عند السلطان غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم ، نجدة [له[(١٢)]]

(١ — ٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٥) فى نسخة ب « و بالسا » والصيغة المثبتة من س .

(٦) كانت النقرة على بعد مرحلة واحدة من مدينة معرة النعمان ، انظر :
Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusades, p. 223 note 1.

(٧) فى نسخة س « لتقريبهم الأحلاف » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) فى نسخة ب « فعبروا لجملتهم » والصيغة المثبتة من س .

(٩) فى نسخة س « بوحبان » والصيغة المثبتة من ب ، انظر أيضا ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٠ وحاشية ٢ .

(١٠) فى نسخة س « ونزلوا بوادى » وفى ابن العديم ، نفس المصدر والجزء والصفحة « ونزلوا فى وادى » .

(١١) فى نسخة س « لا يزيدون على أكثر من ألفين وخمسمائة » والصيغة المثبتة هى الصحيحة من ب ومن ابن العديم .

(١٢) ما بين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

على التتر ، فإن التتر كانوا قد تحركوا لقصد بلاده . وبعضهم كانوا(١) فى قلعة جعبر يحفظها ، وبعضهم يتفرقون(٢) فى القلاع مثل شيزر وحارم وغيرهما ، فتعبي كل واحد من الفريقين لقتال صاحبه .

وجاءت الخوارزمية مع مقدمهم بركة خان(٣) ، ومعه من المقدمين صاروخان(٤) ، وكشلوخان ، وبردى خان وغيرهم من المقدمين ، والملك(٥) الجواد ، وابن الملك الحافظ ، والملك الصالح ابن صاحب حمص ، ومعهم [أيضاً](٦) نجدة من ماردين .

وعبروا نهر الذهب(٧) ، والتقى الفريقان فى قرية(٨) تسمى البيره فى شهر ربيع الأول من هذه السنة ، أعنى سنة ثمان وثلاثين وستمائه . فصدموا عسكر حلب صدمة تزحزحوا لها ، وخرج من ورائهم على بن حديثه من جهة البساتين ، فوقع على الغلمان والركابدارية(٩) ، [١٣١] وأحاطوا بالعسكر الحلبي من جميع الجهات .

وانهزم عسكر حلب هزيمة قبيحة ، واستولت عليهم الخوارزمية قتلا وسبيا ، وأسروا الملك المعظم مقدم العسكر بعد أن جرحوه جراحات مثخنة ، وقبضوا على أخيه نصرة الدين وعامة الأمراء . ولم يسلم من عسكر حلب إلا القليل ، وقتل

---

(١) فى نسخة س « كان » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « مفرقون » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة ب « بركتخان » ، والصيغة المثبتة من س وكلاهما صحيح .

(٤) فى نسخة ب « سار وخان » والصيغة المثبتة من س ومن ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٠ .

(٥) فى نسخة س « والملوك منهم الملك » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

(٧) ذكر ياقوت (معجم البلدان) أن أهل حلب يزعمون أن نهر الذهب هو نهر وادى بطنان الذى يمر ببزاعة .

(٨) فى نسخة س « فالتقى الفريقان عند قرية » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) فى نسخة س « الركبدارية » عن الركابدارية أو الركبدارية وهم الذين يحملون الغاشية فى المواكب الكبيرة ، انظر ماسبق ، ابن واصل ، ج ٤ ص ١٩٧ حاشية ٦ .

فى المعركة[(١)] الملك الصالح بن الملك الأفضل بن صلاح لدين ، وأُخذ أولاد الملك الزاهر بن صـلاح الدين ، واستولى على[(٢)] جميع أثقال العسكر . [ونهبت العرب الأحلاف ــ وكانوا مع الحلبيين ــ أكثر أثقال العسكر ، وكانوا[(٣)]] أشد ضررا على العسكر من أعدائهم .

ونزلت الخوارزمية حول حيلان[(٤)] ، وامتدوا على النهر إلى فافين[(٥)] ، وقطعوا على جماعة من العسكر ، والا أخذوها [منهم][(٦)] ، وابتاعوا بها أنفسهم ، وشربوا طول تلك الليلة [وسكروا][(٧)] ، وقتلوا جماعة من الأسرى[(٨)] ، فخاف الباقون من الأسرى . فمنهم من خلص ، ومنهم من أخذوا منه المـال وغدروا به ولم يطلقوه .

ذكر ماجرى من الخوارزمية من العيث والفساد بعد كسرهم عسكر حلب الى أن رجعوا

ولمـا جرى ما ذكرناه ، وقع الاضطراب فى حلب ، وتقدمت الصاحبة [ضيفة خاتون صاحبة حلب[(٩)]] إلى مقدمى البلد بحفظ الأسوار والأبواب ، وجفل أهل

(١) فى نسخة س « وقتل فى هذه الغزاة » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « واستولوا الخوارزمية » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة ب ، وفى س « وكانوا الأحلاف ... » .

(٤) فى نسخة ب « ونزلت الخوارزمية حيلان » وفى سبط ابن الجوزى (مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٨٦) « وساقوا الى جيلان » والصيغة المثبتة من نسخة س ومن ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥١ ، وحَيلان من قرى حلب ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

(٥) فى نسخة س « قافين » وهو تصحيف ، وذكر سامى الدهان أن فافين قرية معروفة قرب حلب ، انظر ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٥١ حاشية ٤ .

(٦) مابين الحاصرتين من نسخة س ومن ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥١ .

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب وابن العديم .

(٨) كذا فى نسختى المخطوطة وفى ابن العديم « وقتلوا جماعة من الأسرى صبرا » .

(٩) مابين الحاصرتين للتوضيح ، وهى والدة الملك العزيز الذى توفى سنة ٦٣٤ هـ وتصرفت بعده فى الملك تصرف السلاطين ، انظر أبو الفدا ، المختصر فى أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٧١ .

الحاضر وكل من كان خارج السور، ودخلوا المدينة ونقلوا ما قدروا على نقله[١] من الأقمشة والأمتعة .

ولم يكن فى المدينة من الجند غير الأمير شمس الدين لؤلؤ الأمينى، وعز الدين ابن مجلى فى جمع قليل لا يزيدون عن مائتى فارس[٢] ، وكانوا يركبون ويخرجون إلى ظاهر البلد يتعرفون الأخبار[٣] . وبثت الخوارزمية سراياهم فى أعمال حلب ، فانتهت غاراتهم[٤] إلى بلد عزاز وتل باشر ، وبرج الرصاص وجبل سمعان وطرف العمق . بغتوا أهل هذه النواحى بغتة ، فلم[٥] يستطيعوا الهرب منهم ، وأخذوا من الغنائم من المواشى[٦] والأمتعة والنساء والصبيان ما لا يعد ولا يحصر[٧] . وفعلوا من ارتكاب الفواحش مع حرم المسلمين ما لا يفعله التتر، ولا غيرهم[٨] من الكفار .

ثم رحلوا الى بزاعا والباب ، فعذبوا أهل هذين البلدين ، واستقرءوهم على أموالهم [٣١ ب] التى أخفوها[٩] ، فحملوها إليهم، وقتلوا منهم جماعة . ونهبوا كل ماوجدوه فيها من الأمتعة والمواشى وغير ذلك . وكان بعض أهل هذين البلدين قد هرب بحرمه ومتاعه الى حلب ، فنجا .

---

(١) فى نسخة س « ونقلوا كلما قدروا عليه من نقله » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « لا يزيدون على أكثر من مائتى فارس » وفى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٢) « فى جماعة لاتبلغ مائتى فارس » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة س « الأجناد » ، وهو تحريف والصيغة المثبتة الصحيحة من ب ، انظر أيضا ابن العديم .

(٤) فى نسخة ب « غارتهم » والصيغة المثبتة من س .

(٥) فى نسخة ب « ولم » ، والصيغة المثبتة من س .

(٦) فى نسخة س « والمواشى » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٧) فى نسخة س « ولا يحصى » ، وفى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٢) « مالا يحد ولا يوصف » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) فى نسخة ب « ولا غيره » والصيغة المثبتة من س .

(٩) فى نسخة ب « أخذوها » والصيغة المثبتة من نسخة س ومن ابن العديم ، نفس المصدر والجزء والصفحة .

ثم رحلوا إلى منبج، فامتنع أهلها بالسور، ودربوا المواضع التى لا سور لها، فهجموا البلد بالسيف يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الأول من هذه السنة[1]، أعنى سنة ثمان[2] وثلاثين وستمائة. وقتلوا من أهل البلد خلقا، وخربوا دوره ونبشوها، وأخذوا أموالا عظيمة، وسبوا الأولاد والنساء وارتكبوا بهن[3] العظائم. والتجأ جماعة من النساء إلى الجامع فدخلوا عليهن[4]، وارتكبوا الفواحش فى الجامع. وكان الواحد منهم[5] يأخذ المرأة وعلى صدرها ولدها الرضيع، فيأخذه ويضرب به الأرض ويأخذها ويمضى. ثم رجعوا إلى بلادهم وقد أخربوا كل ما حول حلب.

ذكر وصول الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين صاحب حمص لنصرة الحلبيين

وكان الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص فى مقابلة الفرنج، وقد عزم على دخول بلدهم للإغارة عليهم، وعنده من عسكره وعسكر الملك الصالح [عماد الدين][6] إسماعيل صاحب دمشق نحو ألف فارس.

---

(١) كذا فى نسختى المخطوطة وفى ابن العديم (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٥٣) «وفى يوم الخميس الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وثلاثين».

(٢) فى نسخة س «ثمانية» والصيغة المثبتة من ب.

(٣) فى نسخة س «منهن»، والصيغة المثبتة من ب.

(٤) فى نسخة س «عليهم»، والصيغة الصحيحة المثبتة من ب.

(٥) فى نسخة ب «منهن» وهو تحريف، والكلمة محذوفة فى نسخة س.

(٦) مابين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب.

ولما وصل إليه الخبر بما جرى من الخوارزمية، توجه بمن معه [من العسكر](١) إلى حلب، فوصل إليها لسبع بقين من ربيع الآخر(٢). وخرج السلطان الملك الناصر [ابن الملك العزيز](٣) صاحب حلب، [وأهل البلد للقائه . والتقوه](٤) بالسعدى(٥). وكان عمر الملك الناصر يومئذ إحدى(٦) عشرة سنة . ونزل الملك المنصور [صاحب حمص](٧) بالهزازة(٨)، ثم انتقل إلى دار علم الدين قيصر الظاهرى، بالمصلى العتيق(٩) خارج باب الرابية(١٠). وتقرر الأمر معه على أنه(١١) يستخدم العساكر وتجمع . وتوثق(١٢) منه بالإيمان والعهود .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت في ب .

(٢) في ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٣) « ووصل إلى حلب في يوم السبت الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر » .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من ب ومثبت في س .

(٤) في نسخة س « إلى لقائه وأهل البلد فالتقوه » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) السعدى من متنزهات حلب ، ذكر ابن الشحنة (الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص ٢٥٥) « السعدى وهو فضاء فياح تجرى فيه أنهر متشعبة من نهر واحد ، بحافتيها مروج خضر، وبها الزهر المختلف ما لا يبلغه الوصف » .

(٦) في نسخة س « أحد » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) ما بين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

(٨) كانت الهزازة في ظاهر حلب وهي الآن من أحياء المدينة ، انظر : ابن الشحنة ، الدر المنتخب ، ص ١٠٥ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ حاشية ٢ .

(٩) في ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٤) « بمصلى العيد العتيق » .

(١٠) ذكر ابن الشحنة (الدر المنتخب ، ص ١٠٥) مساجد الرابية عند ذكره المساجد التي في باطن حلب وظاهرها .

(١١) في نسخة س « أن » والصيغة المثبتة من ب .

(١٢) في نسخة ب « بتوثق » والصيغة المثبتة من س .

وسيرت الصاحبة والدة الملك العزيز كمال الدين بن العديم [١٣٢] [رسولا](١) إلى أخيها الملك الصالح [إسماعيل](٢) صاحب دمشق لتحليفه لها ولابن ابنها السلطان الملك الناصر. فاجتمع كمال الدين [بن العديم](٣) بالملك الصالح ، فاستحلفه لهما ، وتقررت معه(٤) قاعدة الإتفاق والمعاضدة. وطلب منه [كمال الدين](٥) نجدة أخرى ، غير الذين هم مع الملك المنصور، فأجاب إلى ذلك ، وسير نجدة. وأطلقت الأسارى الذين كانوا بحلب من الداوية الذين تقدم ذكرهم .

ذكر دخول الخوارزمية إلى الشام ثانيا
وما فعلوه من العيث والفساد

ولما سمعت(٦) الخوارزمية بجمع العساكر بحلب [لقتالهم ، تجمعوا](٧) بحران . وكان الأمير على بن حُديثة(٨) قد فارقهم. وكان طاهر بن غنام قد اتصل بخدمة الحلبيين ، وأُمّر على سائر العرب ، وزوّجته الصاحبة بعضَ جواريها ، وأقطعته إقطاعا يُرضيه .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من س ، وذكر ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٤) سفارته بقوله : « وسُيرت رسولا . . . » .

(٢ — ٣) مابين الحاصرتين من س وساقط من ب .

(٤) فى نسخة س « بينهما » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) مابين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

(٦) فى نسخة ب « سمعت » ، والصيغة المثبتة من س .

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة س وفى ب « بجمعوا » ، انظر ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ .

(٨) فى نسخة س « حذيفه » والصيغة الصحيحة المثبتة من ب ، انظر ابن العديم (نفس المصدر والجزء والصفحة) .

فسارت الخوارزمية من حران لست مضين [من شهر رجب](١) من هذه السنة ، ووصلوا إلى الرقة وعبروا الفرات . ووصل خبرهم إلى حلب . فبرز الملك المنصور صاحب حمص بخيمته(٢) وضربها شرقى حلب على أرض النّيرب(٣) . وخرجت العساكر بخيمها حوله .

ووصلت الخوارزمية إلى ألفايا(٤) ثم إلى دير حافر ، ثم إلى الجبّول ، وامتدوا إلى أرض النقرة . وأقام الملك المنصور والعسكر(٥) معـه فى الخيم . ونزلت الخوارزمية فى تل عرن(٦) ، فرحل الملك المنصور ، فنزل على بوشلا(٧) ، والعرب تناوش الخوارزمية . وعاثت الخوارزمية فى البلد ، وأحرقوا الأقوات(٨) التى فى القرى ، وأخذوا ما قدروا عليه . وكان البلد قد أجفل فلم ينتهبوا إلا ما عجز أهله عن حمله .

ثم رحل الخوارزمية فنزلوا بقرب الصافيـة . ثم رحلوا إلى سرمين(٩) ونهبوها ، ودخلوا دار الدعوة بها المنسوبة إلى الاسماعيلية . وكان قد اجتمع فيها أمتعة كثيرة

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب وفى ابن العديم (ج ٣ ، ص ٢٥٥) « فى يوم الاثنين سادس عشر شهر رجب من سنة ثمان وثلاثين وستمائة » .

(٢) فى نسخة س « خيمة » والصيغة المثبته من ب .

(٣) كذا فى نسختى المخطوطة وفى ابن العديم « على أرض النيرب وجبرين » .

(٤) فى نسختى المخطوطة « القايا » والصيغة الصحيحة المثبتة من ابن العديم ، وذكر سامى الدهان أن ألفايا قرية من عمل المعرة انظر ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ ، حاشية ٢ .

(٥) فى نسخة س « والعساكر » . والصيغة المثبتة من نسخة ب ومن ابن العديم .

(٦) فى نسخة س « تل عران » ، والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة ب ومن ابن العديم ، وذكر سامى الدهان أن تل عرن قرية مشهورة قرب حلب ، انظر ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ حاشية ٢ .

(٧) لم تسعفنا المصادر المتداولة على تحديد موقعها انظر أيضا ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ص ٢٠٤ حاشية ٣ ؛ ج ٣ ، ص ٢٥٥ حاشية ٣ .

(٨) كذا فى نسختى المخطوطة وفى ابن العـديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٢٥٥) : « وأحرقوا الأبواب التى فى القرى » .

(٩) سرمين بلدة من أعمال حلب ، انظر ماسبق ابن واصل ، ج ٤ ص ١٠٦ حاشية ٤ .

للناس ظنا منهم أن الخوارزمية لا تجسر على قربانها[١] خوفا من الاسماعيلية . فدخلوها ونهبوا جميع مافيها، ثم رحلوا إلى المعرة . ورحل الملك المنصور [٣٢ ب] بالعسكر، ونزل على تل السلطان .

ثم رحلت الخـوارزمية إلى كفر طاب[٢] ، ورحل الملك المنصور إلى الحيار[٣] . وأخربت الخوارزمية كفرطاب ، ثم ساروا منها إلى شـيزر ، فاعتصم أهل البـلد بالربض الذى تحت القلعة . فهجم الخوارزمية الربض الأسفل، واحتمى الربض الأعلى يوما، ثم هجموه فى اليوم الثانى ونهبوا ما أمكنهم نهبه . وأطلق عليهم أهل القلعة الجروخ[٤] والجارة، فقتلوا[٥] منهم جماعة كثيرة، [فخرجوا من الربض الأعلى][٦] .

ثم بلغ الخوارزمية أن الملك المنصور ومن معـه من العساكر ، قـد وقفوا لهم بينهم وبين بلادهم للقائهم . فرحلوا إلى ناحيـة حماة ، ولم يتعرضوا لبلدها بنهب ولا فسـاد ؛ لأن صاحبها منتم إلى السلطان الملك الصالح نجـم الدين [أيوب][٧] صاحب مصر، والخوارزمية منتمون إليـه ، ومظهرون[٨] أن كل ما يفعلونه خدمة له ، لمعاداة الحلبيين وصاحب حمص ، وصاحب دمشق له[٩] .

(١) فى نسخة س « قرب بابها » ، والصيغة المثبتة من نسخة ب ومن ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٦ . (٢) كفرطاب بلدة بين المعرة ومدينة حلب، انظر ياقوت، معجم البلدان .

(٣) ذكر ياقوت (معجم البلدان) أن الحيار « حيار بنى القعقاع صقع من برية قنسرين ... بينه وبين حلب يومان » . (٤) عن الجروخ جمع جرخ انظر ماسبق ص ٦٥ حاشية ٨ .

(٥) فى نسخة س « فقتل » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س . (٨) فى نسخة س « ويظهرون » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) فى نسخة س « لمعاداته للحلبيين وصاحب حمص وصاحب دمشق » والصيغة المثبتة من ب ، وذكر المقريزى (السلوك ، ج ١ ص ٣٠٣) : « وكان الخوارزمية يظهرون للنـاس أنهم يفعلون ما يفعلون خدمة لصاحب مصر ، فإن أهل حلب وحمص ودمشق كانوا حزبا على الصالح صاحب مصر » .

ودخل بعض الخوارزمية إلى حماة ، وتزودوا منها [و باعوا فيها] (١) ، ثم رحلوا وتجاوزوها إلى سلمية ، وهى لصاحب حمص . ثم قصدوا ناحية الرصافة . ورحل الملك المنصور ، ومن معه من العساكر ، وطلبوا مقاطعتهم . ووقع جمع من العرب بهم بقرب الرصافة ، وقد تعبت خيولهم ، وضعفت لقوة السير وقلة الزاد والعلف . فألقوا أثقالهم كلها والغنائم التى كانت معهم من البلاد ، وأطلقوا خلقا ممن كانوا أسروه من بلد حلب وشيزر وكفر طاب . وساروا طالبين الرقة مجدين فى السير . واشتغل العرب ومن كان معهم من الجند بنهب ما ألقوه (٢) . ووصلت الخوارزمية إلى الفرات مقابل الرقة غربى البليل وشماليه ، وذلك لخمس مضين (٣) من شعبان من هذه السنة .

ووصل الملك المنصور [صاحب حمص] (٤) والعسكر إلى صفين ، فساقوا سوقا [قويا] (٥) ليسبقوا الخوارزمية إلى الماء ، و يحولوا (٦) بينهم وبين العبور إلى ناحية الشرق . فوصلوا بعد وصول الخوارزمية بساعة واحدة ، فوجدوا الخوارزمية قد احتموا (٧) فى بستان البليل ، وأخذوا منها الأبواب (٨) [١٣٣] ، وجعلوها ستائرا (٩) ، وأداروا

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٢) فى نسخة س « ما ألقوه الخوارزمية » والصيغة المثبتة من ب ، وذكر أبو الفدا هذه الحوادث فى كثير من الاختصار انظر : المختصر ، ج ٣ ، ص ١٦٨ .

(٣) فى نسخة س « بقين » وهو تحريف والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة ب ، وفى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٢٥٧) « بكرة الاثنين خامس شعبان » .

(٤) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة س ومن ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٥٧ ، وساقط من ب .

(٦) فى نسخة س « و يحيلوا » والصيغة المثبتة من نسخة ب ومن ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٥٧

(٧) فى نسخة س « اجتمعوا » ، والفعل محذوف فى نسخة ب ، والصيغة المثبتة من ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٧) الذى ينقل منه ابن واصل .

(٨) فى نسخة س « وأخذوا شيئا كثيرا وأخذوا الأبواب منها » والصيغة المثبتة من نسخة ب ومن ابن العديم .

(٩) فى نسخة س « بستائر » ، والصيغة المثبتة من ب .

عليهم خندقا. فقاتلوهم [إلى](١) بعد العشاء، وأخذوا من الغنائم التى معهم شيئا كثيرا. ولم يكن عند العسكر علوفة لدوابهم ولا زاد لأنفسهم . فعادوا فى الليل إلى(٢) منزلتهم بصفين . ونام(٣) جماعة من الرجالة فى البليل ، فوقعت(٤) عليهم الخوارزمية، فقتلوهم(٥) .

وعبر الخوارزمية الفرات(٦) إلى الرقة ، وقد هلكت دوابهم إلا القليـل ، وأكثرهم رجالة، فسيروا إلى حران فأحضروا لهم دواب(٧) ركبوها وتوجهوا إلى حران.

ذكر كسرة(٨) الخوارزمية

ولما جرى ماذكرناه سار الملك المنصور بالعساكر إلى البيره، وعبر من جسرها، وسار حتى نزل ما بين سروج والرها . ووصلت(٩) الخوارزميـة ليكبسوا اليزك ، فعلموا بهم وتأهبوا فى الليل ، فركب العسكر ، فولت الخوارزمية بين أيديهم إلى سروج . [ووصلت الخوارزمية(١٠)] إلى حران ، وتجمعوا(١١) جمعا كثيرا حتى ألزموا(١٢) عوام

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ، ومثبت فى نسخة س وفى ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٧ .

(٢) فى نسخة س « إلى » وهو تصحيف ، والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة ب وابن العديم .

(٣) فى نسخة ب « فنام » والصيغة المثبتة من س ومن ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٥٧ .

(٤) فى نسخة س « فنزلوا » والصيغة المثبتة من ب وفى ابن العديم « فوقع » .

(٥) فى نسخة س « فقتلوهم عن آخرهم » والصيغة المثبتة من ب وابن العديم .

(٦) فى نسخة س « من الفرات » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) فى نسخة س « دوابا » والصيغة المثبتة من نسخه ب ومن ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٥٧ .

(٨) فى نسخة س « كسر » وفى ابن العـديم (ج ٣ ص ٢٥٨) « انكسار » ، وعن هزيمة الخوارزمية انظر أيضا ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٢٥٨ — ٢٥٩ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٨٦ ، أبو الفـدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٠٨ ؛ ابن أيبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٤٤ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٩ — ١٠) فى نسخة س « ووصلوا » والصيغة المثبتة من ب .

(١١) فى نسخة س « جمعوا » ، والصيغة المثبتة من ب .

(١٢) فى نسخة س « حتى أنهم » ، والصيغة المثبتة من ب .

حران بالخروج معهم ليكثروا بهم سوادهم . ووصلوا إلى قريب(١) الرها ، إلى جبل يقال له جلهمان(٢) ، فاجتمعوا به ورتبوا عسكرهم وكثروا سوادهم بالجمال ، وعملوا رايات من القصب على الجمال ليلقوا الرعب في قلوب العسكر بتكثير(٣) سوادهم .

وركب الملك المنصور [صاحب حمص(٤)] في العسكر من منزلته ، بعد أن وصل إليه رسول من عسكر السلطان غياث الدين كيخسرو سلطان(٥) الروم ، يخبر بوصول العسكر في النجدة .

ولم يتوقف الملك المنصور لذلك ، وسار إلى أن وصل إلى الخوارزمية ، فضرب معهم مصافا ، يوم الأربعاء لتسع بقين من شهر رمضان(٦) من هذه السنة . [فانكسرت الخوارزمية ، واستبيح عسكرهم ، فانهزموا(٧)] والعساكر في آثارهم ، إلى أن حال الليل بينهم ، فعاد العسكر . ووصلت(٨) الخوارزمية إلى حران ، فأخذوا نساءهم ، وهربوا . ورتب حسام الدين بركة خان(٩) واليا من قبله بقلعتها .

---

(١) في نسخة س « قرب » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٢) في نسخة ب « الى بلد يقال له جلهمان » وفي نسخة س « إلى بلد جبل يقال له جلهار » والصيغة المثبتة من ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٨) .

(٣) في نسخة س « بكثرة » ، والصيغة المثبتة من نسخة ب ومن ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ .

(٤) ما بين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

(٥) في نسخة س « صاحب » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) كذا في نسختي المخطوطة ، وفي ابن العديم « يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر رمضان » .

(٧) في نسخة س « فانكسروا الخوارزمية ، واستبيح العسكر الذي لهم وانهزموا » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) في نسخة س « ودخلت » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) في نسخة ب « بركتخان » ، والصيغة المثبتة من نسخة س ومن ابن العديم .

ذكر استيلاء نواب [السـلطان] (١) الملك النـاصر صـاحب حلب على البـلاد الشرقيــة واستيلاء الملك المنصور صاحب حمص على الخابور وقرقيسا

ثم سـارت الخوارزمية إلى الخابور ، وأتبعهم الملك المنصور وألقوا (٢) أثقالهم وبعض أولادهم ، ونزلوا فى طريقهم على الفرات ، فجاءهم السيل (٣) ليلا ، فأغرق منهم جمعا كثيرا . فدخلوا (٤) إلى بلد عانة واجتمعوا به (٥) لأنه بلد الخليفه المستنصر بالله .

وكان الملك المنصور لـما سار خلف الخوارزمية بعـد مفارقتهم حران ، وكّل بهـا من يحصرها ، فأقامت مستحصرة أياما ، ثم سلمت إلى نواب الملك الناصر صاحب حلب ، [وأُخرج (٦) من كان بها من الأسرى من أمراء حلب (٧)] ، وأقارب السلطان الملك النـاصر . وبادر بدر الدين صاحب الموصل إلى نصيبين ودارا ، وكانتـا بيـد الخوارزمية فاستولى عليهما (٨) ، واستخلص من دارا (٩) الملك المعظم بن

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

(٢) فى نسخة س « فألقوا » ، والصيغة المثبتة من نسخة ب ومن ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٣) فى نسخة س « سيل » والصيغة المثبتة من نسخة ب ومن ابن العديم .

(٤) كذا فى نسختى المخطوطة وابن العديم ، وفى أبى الفـدا (المختصر ، ج ٣ ، ص ١٦٨) : «وهربت الخوارزميه إلى بلد عانة » ، وفى المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٣٠٣) : « ومضوا هاربين إلى عانة » .

(٥) فى نسخة س « بها » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٦) فى نسخة ب « فأخرج » ، والصيغة المثبتة من نسخة س وابن العديم .

(٧) ما بين الحاصرتين مذكور بالهامش فى نسخة ب .

(٨) فى نسخة ب « عليها » ، والصيغة المثبته من س وابن العديم (ج ٣ ، ص ٢٥٩) .

(٩) فى نسخة ب « داز » والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة س وابن العديم .

صلاح الدين ، واستدعاه إلى الموصل . وقدم له مراكب[١] وثيابا وتحفا كثيرة ، وسيره إلى العسكر .

واستولى عسكر السلطان الملك الناصر مع حران على الرها ورأس عين والرقة وسروج والموزر ، وما يتبع ذلك من البلاد . وصارت هـذه المملكة مضافة إلى مملكة حلب . واستولى الملك المنصور صاحب حمص على قرقيسا والخابور .

ولما وردت هـذه البشرى إلى حلب ، زينت أياما ، ووصلت إلى حلب أعلامهم وأسراؤهم[٢] .

ذكر استيلاء السلطان غياث الدين كيخسرو سلطان الروم على آمد

لم[٣] تزل آمد و بلادها فى أيدى[٤] نواب الملك الصالح نجم الدين [أيوب][٥] إلى هذه السنة . فلما كسر الملك المنصور وعسكر[٦] حلب الخوارزمية تسلموا السويداء[٧] ، وهى من بلاد آمد . ثم سلموها إلى عسكر السلطان غياث الدين، وكانوا كما ذكرنا قدموا لنجدتهم . وسيرت إليهم من عسكر حلب الخلع [١٣٤] والنفقات . ثم سارت عساكر حلب والتقوا بعساكر الروم، وحاصروا آمد وبها الملك المعظم غياث الدين

---

(١) فى نسخة س « مراكبا » والصيغة المثبتة من ب ومن ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٢) فى نسخة ب « وأمرارهم » وهو تصحيف والصيغة المثبتـة من نسخة س ومن ابن العـديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٣) فى نسخة س « ولم » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٤) فى نسخة س « يد » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٦) فى نسخة س « وعساكر » ، والصيغة المثبتة من ب .

(٧) السويداء ، بلدة قرب حران ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

ابن السلطان الملك الصالح نجـم الدين [أيوب](١) . ثم اتفقوا(٢) معـه على أن سلمها إليهم ، وأبقوا بيده حصن كيفا وقلعة الهيثم .

ولم يزل ذلك بيده إلى أن مات أبوه ، وتوجه إلى الديار المصرية وملكها . فترك بحصن كيفـا ولده الموحد عبد الله . وجرى للـلك المعظم بالديار المصرية ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

والملك الموحد باق إلى الآن مستول على حصن كيفا تحت حكم التـتر ، وله عدة أولاد على ما بلغنى . وكان عمره لمـا مضى إلى مصر والده وتركه بحصن كيفا ، على ما حكاه لى الملك المعظم — رحمه الله — ونحن فى خدمته بالمنصورة ، نحـو عشر سنين . وأقامت الخوارزمية ببلد الخليفة إلى أن خرجت هذه السنة .

ذكر ما آل إليه أمر الملك الجواد مظفر الدين يونس بن الملك العادل رحمه الله(٣)

قد ذكرنا(٤) أن الملك الجواد بعد أن ملك سنجار أخذها منه بدر الدين صاحب الموصل ، وأنه باع عانة للخليفـة المستنصر بالله ، وأنه انضم إلى الخوارزميـة بعد ذلك ، وحضر معهم حربهم التى كسروا فيها عسكر حلب . ثم إنه بعـد ذلك مضى فى البرية إلى غزة ، وأرسل إلى ابن عمه الملك الصالح صاحب مصر يطلب

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٢) اعتمدنا فى تحقيق الصفحات التالية على نسخة ب وحدها لضياع هذه الصفحات من نسخة س ، وقد قورنت هذه الصفحات بما ورد فى المصادر التاريخيـة المعاصرة المعروفة خاصة كتاب زبدة الحلب لابن العديم الذى اعتمد عليه ابن واصل كثيرا ، انظر ما يلى ص ٣٥٣ .

(٣) انظر ترجمته فى الكتبى : فوات الوفيات ، ج ٢ ص ٦٤٣ .

(٤) انظر ما سبق ، ص ٢٨١ .

المصير إلى خدمته ، فلم يأذن له خوفا أن يفسد عليه عسكره ، فأقام فى الساحل متلدداً[١] متحيرا . وآخر أمره أنه مضى إلى عكا ، فأقام بها عند الفرنج ، فكتب عمه الملك الصالح عماد الدين [إسماعيل صاحب دمشق[٢]] وطلبه منهم فبعثوه إليه ، فتسلمه منهم واعتقله ، فكان آخر العهد به . وقد ذكر أنه بعث إليه من خنقه ، والله أعلم .

وكان الملك الجواد جوادا شجاعا ذا همة عالية إلا أنه كان فاسد التدبير ضعيف الرأى ، لو أقام بدمشق ولم يسلمها للملك الصالح لم يقصده لا الملك الصالح ولا أخوه الملك العادل ، لأن كلا منهما كان خائفا [٣٤ ب] من الآخر . وكانت عنده عسكر جيده ، و بيده مملكة واسعة ، فكان مشى أمره بين ملكين مختلفين ، أى منهما مال معه ترجح به على الآخر ، لكن سوء الحظ أدركه .

وفى هذه السنة أعنى سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، سافر القاضى بدر الدين يوسف بن الحسن الزرزارى المعروف بقاضى سنجار ، من حماه إلى الديار المصرية على الساحل[٣] . فلما وصل إلى مصر أكرمه الملك الصالح نجم الدين غاية الإكرام ، وجازاه على يده عنده وهو ما تقدم ذكره من الإصلاح بينه و بين الخوارزمية والقدوم بهم عليه وهو محصور بسنجار . وقد كاد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل أن يملكها و يقبض عليه ، حتى كسروا بدر الدين ، ونهبوا أثقاله و بددوا جموعه . وانفرج عن الملك الصالح الحصار .

---

(١) تلدد بمعنى تلفت يمينا وشمالا وتحير متبلدا ، انظر ابن منظور لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٣٩٥ .

(٢) ما بين الحاصرتين للتوضيح من أبى الفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

(٣) نقل ابن أيبك الدوادارى عن ابن واصل هذا الحادث مع بعض التعديل والتغيير بادئا : « قال ابن واصل : وفيها قدم القاضى بدر الدين يوسف بن الحسن ... » انظر الدر المطلوب ، ص ٣٤٥ ؛ وعن قدوم قاضى سنجار الى مصر انظر أيضا ، المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .

وكان القضاء بالديار المصرية كلها للقاضى شرف الدين المعروف بابن عين الدولة الإسكندرى[(١)] . فعزل الملك الصالح شرف الدين عن مصر والوجه القبلى ، وفوض قضاء ذلك إلى بدر الدين ، وبقى شرف الدين قاضيا بالقاهرة والوجه البحرى .

وكان شرف الدين هـذا قد طالت مـدته فى القضاء من أيام السلطان الملك الكامل وإلى هذه الغاية . وكان فاضلا فى الفقه والأدب وعلم الشروط ، عفيفا حزما ، عديد الأحكام . وكان يحفظ شيئا كثيرا من الشعر والأدب . ونقـل المصريون عنـه شيئا كثيرا من النوادر التى يسـمونها الزائد فى اصـطلاحهم . وكان يقولها مع ناموس عظيم وسكينة .

فمما نُقل عنه من ذلك أنه قال له يوما بعض العدول ، والقاضى فى بيت قليل الهواء كثير البق ، وهم يسمون البق الناموس : « ما أقل الهواء فى هذا البيت وأكثر الناموس فيه » . فقال : « هكذا ينبغى أن تكون مجالس القضاة »[(٢)] . وذُكر أنه دخلت إليه امرأة محاكمة ، فقال لها : « ما اسمك ؟ » ، فقالت : « ست من يراها » ، فوضع كمه على عينيه . ونقلوا عنه من هذا شيئا كثيرا .

---

(١) ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٧ ورقة ٧٢ — ٧٦) معلومات هامة عن قاضى القضاة شرف الدين بن عين الدولة وعن مكاتباته وأمثلة لها وأخباره وأوصافه . وذكر النويرى أيضا أن قاضى القضاة فى ذلك الوقت كان « لايستقل بعزل نائب من نوابه بالاعمال وإن صغرت جهة ولايته إلا بعد مراجعـة السلطان واستئذانه » . كما ذكر أيضا أنه « كان جوادا كريما زاهدا لايدخر شيئا ولا يملك إلا سجادة خضراء من الصوف وسجادة من آدم ومشطا وسبحة ومقراضا وعودا من أراك ، وليس له إلا بدلة واحدة فاذا تغيرت غسلت له ليلا و بغلة واحدة... ما ملك عقارا ولا وجبت عليه زكاة فى عمره ، وكان مضبوط المجلس لايشار أحدا فى مجلسه ولا يضحك فيه ... » .

(٢) فى ابن أيبك (الدر المطلوب ، ص ٣٤٥) الذى نقل عن ابن واصل « مجالس الحكام » .

وحكى لى الفقيه مخلص الدين بن الكنانى وكيل بيت المال(١) بمصر [٣٥ ا] ، رحمه الله ، قال : كان القاضى شرف الدين ينشد ، وكان قد بلغ ثمانين سنة :

إن الثمانين وبُلِّغتها ما أحوجت سمعى إلى تَرْجمان

والرواية إنما هى : « قد أحوجت » ، وإنما قال ما أحوجت لئلا يعزل بالطرش(٢) . وهو قادح(٣) فى ولاية الحكم عند بعض العلماء . وأنشدنى مخلص الدين هذا ، قال : أنشدنى القاضى شرف الدين — رحمه الله — لنفسه :

وليت القضاء ولَيْتَ القضا ء لم يك(٤) شيئا توليته
فأوقعنى فى القضاء القضا(٥) وما كنت قدما تمنيته

(١) لم تذكر المصادر المتداولة معلومات وافية عن وظيفة وكيل بيت المال رغم ذكرها ضمن وظائف العصر الأيوبى التى استمرت طيلة العصر المملوكى . وكان وكيل بيت المال ، الذى لا يقل أهمية عن ناظر بيت المال ، مسئولا عن بيع الممتلكات التابعة لبيت المال ، انظر العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٣٢ — ١٣٤

Rabie, The Financial System of Egypt, p. 148.

(٢) السلامة فى السمع والبصر من شروط تقليد منصب القضاء « لكى يعرف القاضى المدعى من المنكر ولا يتحصل هذا للضرير والأطروش » ، انظر : أبو يعلى الفراء ، الأحكام السلطانية ، (ط القاهرة ١٩٣٨) ص ٤٤ — ٤٥ ؛ الماوردى ، الأحكام السلطانية (ط القاهرة ١٩٦٦) ، ص ٦٦ .

(٣) قدح فيه بمعنى طعن ، انظر الفيروزآبادى ، القاموس المحيط ؛ الزبيدى ، تاج العروس ، مادة قدح .

(٤) فى المتن وابن أيبك (الدر المطلوب ص ٣٤٥) « يكن » وعليه يختل الوزن والصيغة الصحيحة المثبتة من النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٧ ق ٧٥ .

(٥) فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٧ ق ٧٥) رواية أخرى « وقد قادنى للقضاء القضا » وهى صحيحة .

ودخلت سنة تسع وثلاثين وستمائة (*)

والسلطان الملك الصالح بالديار المصرية ، مالك لها . وقد تقررت قواعد ملكه بالقبض على من يُتهم من العسكر وتُخشى غائلته . وصار أكثر أمرائه مماليكه . ووزيره القائم بتدبير دولتـه معين الدين بن شيخ الشيوخ وأخوه فخـر الدين لازم بيتـه . والملك الصالح عماد الدين إسماعيل بدمشق ، وهو مالك لها ولبلادها . والحلبيون والملك المنصـور إبراهيم صاحب حمص ، والملك الناصر داود صاحب الكرك متفقون معـه وكلمتهم (١) واحدة فى عداوته . والملك المظفر صاحب حماة وحده منتم إليه ، وقصّاده ما تنقطع عنـه . وعنده جمال الدين يحيى بن مطروح (٢) وهو على عزم المسير إلى الديار المصرية .

ذكر الوقعة بين كمال الدين بن شيخ الشيوخ والملك الناصر بن الملك المعظم

وفى هذه السنة سير الملك الصالح [نجم الدين أيوب] (٣) عسكرا ، وقدّم عليهم

(*) يوافق أولها ١٢ يوليو سنة ١٢٤١ ميلادية .

(١) فى المتن « وكلمته » ويبدو أن الصيغة الصحيحة هى المثبتة ، ولمزيد من المعلومات ، انظر أبو الفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٦٩ ؛ العينى ، عقـد الجمان ، حوادث ٦٣٩ هـ ؛ أبو المحاسن ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٢٢ .

(٢) هو الأديب الشاعر جمال الدين أبو الحسن يحيى بن عيسى بن مطروح . ولد سنة ٥٩٢ هـ بصعيد مصر ، وتنقلت به الأحوال فى الخدم والولايات حتى أصبح من كبار رجال الدولة الأيوبية زمن السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، وله ديوان شعر . وكانت بينه وبين بهاء الدين زهير صحبة قديمة ، وتوفى سنة ٦٤٩ هـ ، انظر ترجمته فى : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، (ط . القاهرة ١٩٤٩) ج ٥ ، ص ٣٠٢ — ٣٠٩ ؛ أبو المحاسن : المنهل الصافى ، ترجمـة يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح ؛ ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٢٤٧ — ٢٤٩ .

(٣) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

عماد الدين بن شيخ الشيوخ لقتال الملك الناصر داود بن الملك المعظم ، وذلك لانحرافه عنه، واتفاقه مع عمه الملك الصالح [عماد الدين إسماعيل](١) صاحب دمشق عليه . فقدم كمال الدين بذلك العسكر إلى بلاد الملك الناصر . وجمع الملك الناصر جمعا كثيرا ، والتقوا فى جبل القدس ، واقتتلوا . فانكسر عسكر مصر وأخذ [٣٥ ب] الملك الناصر كمال الدين أسيرا، وأسر جماعة من أصحابه وهرب الباقون . فمنّ الملك الناصر [داود](٢) على كمال الدين والمأسورين معه ، وأطلقهم فرجعوا إلى الديار المصرية . وتوفى كمال الدين — رحمه الله — بعد رجوعه بقليل . ولم يبق من أولاد الشيخ غير الصاحب معين الدين ، وأخيه الأمير فخر الدين(٣) .

ذكر تسليم الشقيف وصفد إلى الفرنج

الشقيف وصفد من جملة الفتوح الناصرية الصلاحية، وهما من أمنع الحصون وأحصنها . وقد ذكرنا(٤) فى أخبار السلطان الملك الناصر صلاح الدين ، رحمه الله ، أنه أتعب نفسه ، وأسهر ليله فى منازلة صفد حتى فتحها فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، وهو حصن فى غاية العلو والارتفاع ، مطل على عكا وبلاد الغور . وشقيف أرنون حصن منيع لا يرام .

ولما وقع الخلف بين الملك الصالح نجم الدين وعمه الملك الصالح [عماد الدين إسماعيل](٥) على ما ذكرناه . وكان الملك الصالح إسماعيل خائفا من الملك الصالح

(١ — ٢) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٣) عن أولاد الشيخ ، انظر ما سبق ، ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٩١ حاشية ٣ .

(٤) انظر ما سبق ، ابن واصل ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

(٥) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

نجم الدين غاية الخوف لما كان أسلفه فى حقه من أخذ دمشق منه بعد أن صالحه وحلف له وتوثق منه ، وما كان من اعتقاله لولده الملك المغيث ، حمله ذلك على أن اعتضد بالفرنج عليه ، وطلب منهم مساعدته فأبوا أن يجيبوه إلى ما طلب ، إلا بأن يسلم إليهم الشقيف وصفد . فسلم إليهم الحصنين المذكورين[(١)] .

وكانت صفد قد خربت قبل ذلك . فلما تسلمتها الفرنج بنتها ، وصار هذان الحصنان جمرتى بلاء . فعظم بذلك الضرر على المسلمين جدا ، واشتد إنكارهم لما فعل ، واستعظموه .

وكان الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام[(٢)] — رحمه الله — من الأئمة المبرزين فى علم الشافعى — رحمه الله — لم يكن فى عصرنا من يعدله فيه وفى علم التفسير . وكان صالحا زاهدا ورعا لا يأخذه فى الله لومة لائم ، وكان خطيب جامع دمشق . فأنكر هذا الأمر غاية الإنكار ، وبسط لسانه فيه . وساعده على ذلك الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكى[(٣)] ، وكان [١٣٦ ا] إماما فى مذهب

(١) انظر أيضا عن تسليم صفد والشقيف للفرنج ، ابن أيبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٤٧ .

(٢) هو شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد السلمى الدمشقى الشافعى ، أحد الأئمة الأعلام وإمام عصره ، لقبه تلميذه شيخ الإسلام ابن دقيق العيد بلقب « سلطان العلماء » ، انظر ترجمته فى : السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٨٠–١٠٧ ؛ الكتبى ، فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٥٩٤ — ٥٩٦ ؛ العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٠١ — ٣٠٢ ؛ ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، ج ٣ ، ق ٦٥٠ — ٦٥٢ .

(٣) هو جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبى بكر الإسنائى المعروف بابن الحاجب ، ولد بإسنا سنة ٥٧٠ هـ ، وكان والده حاجبا للأمير عز الدين موسك الصلاحى . اشتغل فى صغره بالقاهرة ولزم الاشتغال حتى برع فى الأصول والعربية ، وكان الأغلب عليه النحو . توفى بالإسكندرية سنة ٦٤٦ هـ ، انظر ترجمته فى : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ط . القاهرة ١٩٤٨ ، ج ٢ ، ص ٤١٣ — ٤١٤ ؛ الإدفوى ، الطالع السعيد ، ص ٣٥٢ — ٣٥٧ ؛ ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، ج ٤ ، ق ٤٤ — ٤٧ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٦٠ ؛ العينى ، عقد الجمان ، حوادث ٦٤٦ هـ .

مالك بن أنس — رحمه الله — ومبرزا فى علم العربية والقراءات السبع والأصول . وأكثرا من التشنيع على الملك الصالح فيما فعل . وأغضب ذلك الملك الصالح ، ففارقا دمشق . فمضى جمال الدين بن الحاجب إلى الكرك ، فأقام عند الملك الناصر داود مدة . وأقبل عليه الملك الناصر وأحسن إليه . ثم سافر إلى الديار المصرية فأقام بها إلى أن مات .

وأما الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، فإنه مضى إلى الديار المصرية ، فأقبل عليه الملك الصالح وتلقاه بالإكرام العظيم والاحترام التام لفضيلته ، ولما صدر منه من التشنيع على الملك الصالح إسماعيل . واتفقت وفاة القاضى شرف الدين بن عين الدولة قاضى القاهرة وما معها من الوجه القبلى . فنقل السلطان الملك الصالح القاضى بدر الدين يوسف بن الحسن المعروف بقاضى سنجار إلى القاهرة ، وولاه قضاءها مع الوجه البحرى . وولى الشيخ عز الدين بن عبد السلام قضاء مصر [وما معها من الوجه القبلى والخطابة بجامع مصر[(١)]] .

واتفق أن بعض غلمان الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ — وزير الملك الصالح — بنى على سطح بعض المساجد بمصر بنيانا ، وجعل فيه طبلخاناة معين الدين[(٢)] . وبلغ ذلك الشيخ عز الدين فأنكره ، ومضى بنفسه وأولاده فهدم ذلك البناء ، وأمر بنقل ما على سطح ذلك المسجد وتفريغه مما فيه . وعلم الشيخ

(١) ما بين الحاصرتين مذكور بالهامش .

(٢) ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٧ ق ٧٧) « أن الصاحب معين الدين كان قد بنى فراشخاناة على ظهر مسجد بجوار داره ، وكان السلطان قد فوض إلى الشيخ أيضا النظر فى عمارة المساجد بمصر والقاهرة ، فأرسل إليه يأمره بهدم ما استجده على ظهر المسجد وإزالته وإعادة المسجد إلى ما كان عليه ، فلم يجب إلى ذلك ، ثم عاوده فلم يفعل . فلما طال ذلك على الشيخ أمر الفقهاء طلبته أن يأتوه فى غد ومع كل واحد منهم معولا ففعلوا ذلك ، فلما رآهم العوام اجتمع منهم خلق كثير بالمساحى . . »

عز الدين أن ذلك يغضب الملك الصالح والصاحب معين الدين ، فأحضر شهودا وأشهدهم على نفسه أنه قـد أسقط عدالة معين الدين[(١)] ، وأنه قـد عزل نفسه من القضاء بمصر وما معها . فعظم ذلك على الملك الصالح، وأبقى نواب الشيخ عز الدين إلى أن جرى ما سنذكره . وقيل للملك الصالح إن لم يعزله من الخطابة، فربما يبدو منه تشنيع على المنبر، كما فعل بدمشق لما سلّم الملك الصالح الشقيف وصفد ، فعزله عن الخطابة ، فأقام فى بيته فى القاهرة يشغل الناس بالعلم .

وفى هــذه السنة سافر جمال الدين بن مطروح إلى الديار المصرية ، فـولاه الملك الصالح نظر الخزانة .

ذكر اتفاق الخوارزمية مع الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل صاحب ميافارقين وما تجدد من أحوالهم فى هذه السنة

كنا قد ذكرنا[(٢)] أن الخوارزمية مضوا ، بعد أن كسرهم الملك المنصور وعسكر حلب ، إلى عانة ، والتجأوا إلى الخليفة المستنصر بالله . فلما دخلت هذه السنة ، أعنى سنة تسع وثلاثين وستمائة ، ساروا إلى ناحية الموصل . فأظهر لهم بدر الدين

(١) ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ق ٧٧) نتائج اسقاط عدالة معين الدين بن الشيخ بقوله : « أثر هذا الإسقاط فى الصاحب معين الدين أثرا مؤلما ، وهو أنه حكى أن السلطان أرسل رسولا إلى الديوان العزيز ببغداد وكان المشافه للرسول عن السلطان الصاحب معين الدين . فلما أبلغ الرسالة ، قال له الوزير : « أيوب شافهك بهذه الرسالة ؟ » قال : « لا ، إنما شافهنى بها عنه الصاحب معين الدين » . فقال له الوزير : « معين الدين أسقط الشيخ عز الدين عدالته فلا يرجع إلى مشافهته » .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٢٩٤ .

صاحب الموصل الموافقة ، والمسالمـة . وسلم إليهم نصيبين[1] . واتفقوا مع المـلك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العـادل [صاحب ميافارقين[2]] ، وكان قد أرسل إلى حلب رسولا يعلمهم بذلك ، ويطلب أن يوافقوه ويحلفوا له ، على أنه إن قصده السلطان غياث الدين صاحب بلاد الروم دافعوا عنه ، وكان قد استشعر من جهته ، فلم يوافقه الحلبيون على ذلك .

ووصلت الخوارزمية إليه ، واتفقوا معه على قصد آمد ، فبرزت العساكر من حلب ، ومقدمها الملك المعظم [توران شاه[3]] بن صلاح الدين . ووصلوا إلى حران فى صفر من هـذه السنة . وساروا جميعهم[4] إلى آمـد ، ودفعوا الخوارزمية عنها . ثم رحلت عساكر حلب إلى ميافارقين ، وأغاروا على رستاقها[5] ، ونهبوا بلدها ، فاعتصمت[6] الخوارزمية بحاضرها ، خارج البلد .

ووصلت عساكر حلب وأقامت قريبا من ميافارقين . وجرت بينهم وقعات عدة ثم تهادنوا[7] على أن يقطع السلطان غياث الدين الخوارزميـة ما كان إقطاعا لهم فى بلاده ، ويكونون مقيمين فى أطراف بلاد الروم ، [وعلى أن الصاحبة والدة

(١) انظر أيضا ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٦٠ .

(٢) ما بين الحاصرتين للتوضيح من ابن العديم ، نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣) ما بين الحاصرتين للتوضيح من ابن العديم ، ج ٣ ، ص ٢٦١ ؛ انظر أيضا ، المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٠٩ .

(٤) فى ابن العديم الذى ينقل عنه ابن واصل « بأجمعهم » .

(٥) الرستاق (ج رساتيق) لفظ معرب عن الفارسـية بمعنى أرض السواد والقرى ، انظر ما سبق ابن واصل ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ حاشية ٢ .

(٦) فى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٦١) : « واعتصم » .

(٧) فى ابن العديم : « إلى أن تهادنوا » .

الملك العزيز[1]] تعطى أخاها الملك المظفر شهاب الدين ما يختاره من غير اشتراط عليها ، وعلى أن يكونوا هم والملك المظفر شهاب الدين [غازى[2]] سلما لمن هو داخل فى هدنتهم. وكان الملك السعيد نجم الدين غازى بن الملك المنصور صاحب ماردين ، قد حلف للسلطان الملك الناصر صاحب حلب . ورجع العسكر إلى حلب ، ولم ينتظم من الأمر الذى [١٣٧] قرروه شىء .

ووصلت[3] رسل الملك المظفر شهاب الدين ورسل الخوارزمية وعادوا إليهم من غير اتفاق . وأطلقت[4] أسرى الخوارزمية من حلب . ثم خرج الملك المظفر شهاب الدين غازى والخوارزمية ، ووصلوا إلى بلد الموصل . ورجع الملك السعيد صاحب ماردين إلى موافقتهم ، ونزلوا على الموصل ونهبوا رستاقها ، واستاقوا مواشيها ثم توجهوا إلى ناحية الخابور .

ذكر مرض الملك المظفر صاحب حماه[5]

وفى شعبان ــ من هذه السنة ــ أصابت الملك المظفر صاحب حماه[6] ، وهو جالس بين أصحابه فى قلعة حماه ، سكتة ثم انحلت بفالج عطب به جنبه الأيمن ، وبقى

(١) فى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٦١) : « وعلى أن الملكة الخاتون بحلب » .

(٢) ما بين الحاصرتين للتوضيح من ابن العديم .

(٣) فى ابن العديم (نفس المصدر والجزء والصفحة) « ووصل » .

(٤) فى ابن العديم « وأطلق » .

(٥) انظر أيضا عن مرض الملك المظفر ، أبو الفداء ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٦٩ ؛ ابن أيبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٤٧ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣١٠ .

(٦) ذكر فى الهامش بقلم مخالف : « هو الذى أنشده صاحبه الزكى القوصى :

متى أراك ومن أهوى وأنت ومن تهوى كأنكما روحان فى بدنى
هناك أنشـد والأقـدار مصغية هنيت بالملك والأحباب والوطن »

وصحة البيت الأول :

متى أراك كما أهوى وأنت ومن تهوى كأنكما روحان فى بدن

ومن تفصيل ذلك انظر ما سبق ، ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٢٧٧ .

أياما لا يتكلم ولا يتحـرك وهو كالميت . وانقطع خبره عن الرعيـة ، وكان ذلك في أواخر فصل الشتاء . وأرجف الناس في حماه بموته . وقام بتدبير أموره أستاذ داره الأمير سيف الدين طغريل ، والمرجع في الرأى والمشورة إلى الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري (١) ، وكان الوزير بهاء الدين بن التاج ، ويشارك في الرأى أيضا الطواشي شجاع الدين مرشد المنصوري (٢) . وبعد أيام خف مرضه قليلا وفتح عينيه وصار يتكلم بكلام لا يكاد يفهم . وحينئذ أجلس للناس ، وضربت البشائر بسلامته ، فإنه كان قد وقع اليأس منه ، وتحقق أكثر الرعية موته ، ولم يشكوا فيه . وأذن للناس في الدخول إليه إذنا عاما . ثم بعد ذلك صار يركب وينزل ، ولازمت الأطباء مداواته ، وكلامه مع ذلك غير مفصح ولا يفهم منـه إلا بعسر ، وفي ذهنـه ضعف . والأمير سيف الدين يدبر الأمور بمشاورة الشيخ شرف الدين ، والطواشي مرشد ، والصاحبة غازية خاتون بنت السلطان الملك الكامل ، والدة السلطان الملك المنصور ، قدس روحه ، وسـنه يومئذ نحو سبع سنين وكسر .

وبلغ السلطان الملك الصالح صاحب مصر ذلك ، فعظم عليـه وأحزنه ، وسير إليه طبيبا من أطبائه [٣٧ ب] يقال له ، النفيس بن طليب النصراني (٣) . وجاءه طبيب من الشرق ولم ينجع فيه المداواة . واستمر حاله هكذا إلى أن توفى — رحمه الله — بعد ثلاث سنين إلا شهرا ، كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) عن الشيخ شرف الدين عبـد العزيز الأنصارى المتوفى سنة ٦٦٢ هـ ، انظر ماسبق ، ابن واصل مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٧٣ — ٢٧٤ ، ٢٩٣ ، ٣٠٣ حاشية ٧ .

(٢) عن الطواشي شجاع الدين مرشد المنصورى ، انظر ابن واصل ، مفـرج الكروب ، ج ٤ ص ٦٥ ، ٢٦٩ .

(٣) هو نفيس الدين بن طليب الدمشقي النصراني الملكي ، ذكر أحمـد عيسى (معجـم الأطباء ص ٥٠٥) أنه « كان من أطباء هولاكو ملك التتار وكان أكبرهم » .

ذكر وفاة الملك الحافظ نور الدين

أرسلان شاه بن الملك العادل — رحمه الله

كنا ذكرنا (١) أن الملك الحافظ سلم إلى أخته الصاحبة والدة العزيز قلعة جعبر ، واعتاض عنها عزاز وإقطاعا معها . ولما كانت هـذه السنة ، توفى بعزاز وحمل تابوته إلى حلب . وخرج السلطان الملك الناصر [يوسف] (٢) صاحب حلب وأعيان الدولة وأماثل البلد وصلوا عليه . ودفن فى الفردوس ، فى المكان الذى أنشأته أخته الصاحبة .

وتسلم نواب الملك الناصر قلعة عزاز ، وذلك فى ذى الحجة من هذه السنة . وعمل عزاؤه فى قلعة حماه ، وحضره الملك المظفر — رحمه الله — وهو مريض بالفالج ، وحضره أكابر البلد .

---

(١) انظر ما سبق ص ٢٧٩ .

(٢) ما بين الحاصرتين للتوضيح ، وانظر أيضا عن وفاة الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ ؛ أبو الفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٦٩ — ١٧٠ ؛ ابن أيبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٤٧ .

ودخلت سنة أربعين وستمائة(*)

والممالك على ما كانت عليه فى السنة الماضية .

ذكر ما تجدد للخوارزمية فى هذه السنة

وقدم فى هذه السنة الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص إلى حلب . وخرج [السلطان](1) الملك الناصر وأكابر حلب إلى تلقيه ، فتلقوه بالوضيحى(2) . وأنزل فى دار علم الدين قيصر ثم جمع العساكر وتوجه إلى الشرق .

ووصل الملك المظفر شهاب الدين غازى والخوارزمية إلى رأس عين ، فتحصن أهلها بها مع العسكر الذى كان بها . وكان بها جماعة من الرماة الجرخية من الفرنج(3) ، فأمنت الخوارزمية أهلها ، ودخلوها ، وأخذوا من كان بها من العسكر .

ورحل الملك المنصور بعسكر حلب إلى حران ، فعاد الملك المظفر والخوارزمية معه(4) إلى ميافارقين ، وأطلقوا من كان فى صحبتهم من العسكر الذين أخذوهم من رأس عين . ثم توجه الملك المنصور والعسكر إلى آمد ، واجتمعوا بمن كان بها من عسكر غياث الدين ، وأقاموا [١٣٨] ينتظرون وصول العساكر(5) مع دهليز السلطان لمنازلة ميافارقين .

(*) يوافق أولها ١ يوليو سنة ١٢٤٢ ميلادية .

(١) ما بين الحاصرتين مذكور فى الهامش .

(٢) الوضيحى قرية قرب حلب ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢١٢ حاشية ٢ .

(٣) فى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٦٢) « وكان معهم جماعة من الرماة والجرخية من الفرنج » .

(٤) فى المتن « منه » ولعل الصيغة المثبتة هى الصحيحة .

(٥) فى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٦٢) « عساكر الروم » .

ذكر خروج التتر إلى أطراف الروم

واتفق خروج التتر فى هذه السنة إلى أرزن الروم (١) ، واشتغل الروم بهـم (٢) . وأغارت التـتر على خرتبرت (٣) ، وخاف الملك المنصور والعسكر من إقامتهـم فى البلاد ، وأنهم لا يأمنون كبسة تأتيهـم من جهتهم (٤) . فعـاد الملك المنصور والعسكر إلى رأس عين ، فخرج الملك المظفر والخوارزمية إلى دُنيسر (٥) ، وهى لمـالك السعيد صاحب ماردين . فسار الملك المنصور والعسكر إلى خرتبرت . وساروا إلى جهتهم فوصلهم الخبر أنهم قـد نزلوا الخابور ، فسار العسكر إلى جهتهم ونزلوا المجدل (٦) . وكان قـد انضاف جمع كثير من التركمان إليهم مقدمهم أمير يقال له ابن دردي (٧) . فذُكر أنه قال للملك المظفر شهـاب الدين : « أنا أكسر لكم عسكر حلب بالجوابنة (٨) الذين معى » . وكانت عدتهم على ما يقال سبعين ألف جوبان غـير الخيالة من التركمان . فرحل الملك المظفر حتى نزل قريبا من المجدل ، فعلم به الملك المنصور ، فأشار عليه الأمير شمس الدين لؤلؤ بمبادرتهم ، والرحيل إليهم فى تلك الساعة .

---

(١) أرزن الروم ، بلدة بأرمينية على مقربة من خلاط ، انظر ياقوت (معجم البلدان) .

(٢) فى المخطوطة « واستولت عساكر الروم بهم » والصيغة المثبتة من ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٦٣) .

(٣) خرتبرت ، بلدة أرمنية كان يطلق عليها اسم حصن زياد فى أقصى ديار بكر ، انظـر ياقوت (معجم البلدان) .

(٤) فى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ — ٢٦٤) : « لا يأمنون من » .

(٥) عن دنيسر ، انظر ماسبق ، ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٧١ حاشية ١ .

(٦) المجدل مدينـة بالخابور من نواحى الجزيرة كان فيها أسـواق كثيرة ، انظر ياقوت (معجم البلدان) ؛ أبو الفدا (تقويم البلدان ، ص ٢٧٤ — ٢٧٥) .

(٧) فى ابن أيبك (الدر المطلوب ، ص ٣٥٠) « ابن دودا » .

(٨) هكذا فى المتن وكذلك فى ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٦٤) ؛ ويبدو أن الجوابنة إما نسبة إلى جوبى وهى قبيلة من قبائل الأكراد (السلوك للمقريزى ج ١ ص ٤) وإما نسبة إلى جوبان من قرى مرو (ياقوت ، معجم البلدان) .

ذكر كسرة الملك المظفر والخوارزمية

فركب الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص في عساكر حلب ، وضرب المصاف معهم يوم الخميس لثلاث بقين من شهر صفر من هذه السنة [١] ، أعني سنة أربعين وستمائة . فحين اصطدم الصفان ولت الخوارزمية والملك المظفر منهزمين، وحالت الخيم بين الفريقين، وقتل منهم جماعة . ووقع العسكر في الخيم والخركاهات [٢] وبها الأقمشة والنساء ، فنهبوا جميع ما في العسكر ، وأخذوا النساء وجميع ما كان معهن من الأموال والحلي والذهب . ولم يفلت من النساء واحدة .

ونزل الملك المنصور في خيمة الملك المظفر غازي، واستولى على [٣٨ ب] خزائنه وجميع ما كان في وطاقه [٣] . وغنم العسكر من الخيل والبغال والجمال ما لا يحصى . وبيعت الأغنام المنهوبة في الموصل وحلب وحماة وحمص وما قبل ذلك من البلاد بأبخس الأثمان [٤] . ثم رجع الملك المنصور بالعسكر إلى حلب . وخرج السلطان الملك الناصر صاحب حلب لتلقيه . فتوجه أولا إلى قلعة جعبر ثم توجه إلى منبج، فلقيه واجتمع به . ودخلت العساكر حلب مستهل جمادى الأولى [٥] من هذه السنة . ولثلاث مضين من جمادى الأولى ، سار الملك المنصور ومعه جماعة من عسكر حلب قاصداً [٦] بلاد الفرنج للإغارة عليهم من جهة طرابلس .

(١) كذا في نسخة المخطوطة وأبي الفدا (المختصر في أخبار البشر، ج ٣ ، ص ١٧٠) وفي ابن العديم ورد التاريخ مخالفا «يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر من سنة أربعين وستمائة» ، انظر زبدة الحلب ج ٣ ، ص ٢٦٤ .

(٢) الخركاهات جمع خركاه وهي نوع من الخيام ، انظر ماسبق ، ابن واصل ، ج ٢ ، ص ٥٤ حاشية ٢ .

(٣) انظر أيضا أبو الفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٧١ ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ص ٤٨٨ .

(٤) ذكر سبط ابن الجوزي (مرآة الزمان ، ص ٤٨٨) والنويري (نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ق ٧٨) أن الفرس بيع بخمسة دراهم ورأس الغنم بدرهم .

(٥) في ابن العديم (زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٦٥) «يوم الأربعاء مستهل جمادى الأولى» .

(٦) في المتن «قاصد» .

ذكر وفاة الملكة الصاحبة ضيفة خاتون
بنت السلطان الملك العـادل والدة
الملك العـزيز — رحمـه[(١)] الله

وكان سبب موتها قرحة عرضت فى مراق البطن[(٢)]، وازداد مرضها، وحدث لها حمى بسبب ذلك. وتزايد مرضها إلى أن انتقلت إلى رحمة الله تعالى ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة مضت من جمادى الأولى من هذه السنة. ودفنت فى الحجرة بالقلعة التى دفن فيها ولدها الملك العزيز رحمهما الله.

وكان مولدها فى قلعة حلب سنة إحدى وثمـانين وخمسمائة حين كانت حلب لوالدها السلطان الملك العادل رحمه الله. وقد كنا ذكرنا[(٣)] أن السلطان الملك الناصر صلاح الدين أعطى حلب لأخيه الملك العادل ثم أخذها منه وأعطاها لولده الملك الظاهر، فاتفقت وفاتها أيضا فى قلعة حلب[(٤)]. وقد حُكى أن والدها الملك العادل كان عنده فى قلعة حلب ضيف، فلما أخبر بولادتها قال: « سموها ضيفة ».

وقد ذكرنا[(٥)] أن الملك العادل زوّج ابن أخيه الملك الظاهر ابنته غازية خاتون [٣٩ ا]، وولد له منها ولد مات صغيرا، وأن غازية توفيت فزوج الملك العادل الملك الظاهر ابنته ضيفة خاتون، وولد له منها الملك العزيز فقط. ولم تبق عنده

---

(١) عن ضيفة خاتون، انظر الحنبلى، شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب، ق ٨٩ب؛ وانظر ماحبق ابن واصل، ج ٣، ص ٢١٢، ج ٤، ص ٣١٣.

(٢) فى ابن العديم (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٦٥) « وازداد ورمها ».

(٣) انظر ما سبق، ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢، ص ١٥٢ - ١٥٣، ١٧٨ — ١٧٩.

(٤) ذكر أبو الفدا (المختصر، ج ٣، ص ١٧١): « فاتفق مولدها ووفاتها بقلعة حلب ».

(٥) انظر ما سبق، ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣، ص ١٦٦.

إلا ثلاث سنين وشهورا ثم توفى ، وملك ولدها الملك العزيز ثم توفى . وتصرفت تصرف السلاطين ، وقامت بالملك أحسن قيام ، لصغر ابن ابنها الملك الناصر . وكانت مدة عمرها نحو تسع وخمسين سنة . وقامت بتدبير المملكة نحو ست سنين .

ذكر سيرتها رحمها الله

كانت عادلة فى الرعية ، كثيرة الإحسان والتحنن عليهم ، والشفقة بهم . أزالت المظالم والمكوس فى جميع بلاد حلب ، وكانت تؤثر الفقراء والزهاد والعلماء وأهل الدين ، وتحمل إليهم الصلات الكثيرة . ولم تزل صدقاتها دارة وإحسانها واصلا إلى كل من يفد إلى بابها . وما قصدها أحد إلا رجع مجبرا مجبورا .

ذكر استقلال السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب حلب بالسلطنة

ولما توفيت جدة الملك الناصر ، أشهد على نفسه بالبلوغ ، وكانت سنه يومئذ نحو ثلاث عشرة سنة . فأمر ونهى ، وقطع ووصل . وجلس فى دار العدل لكشف المظالم ، وصار يجلس كل اثنين وخميس ، والإشارة والرأى إلى الأمير جمال الدولة إقبال الخاتونى[1] ، والوزير القاضى الأكرم جمال الدين بن القفطى[2] . ثم أن الخوارزمية تجمعوا هم والتركمان ، وعاثوا فى الشرق . فخرج عسكر حلب ومقدمهم الأمير جمال

(١) كذا فى المتن وفى ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٦٦ ، وابن أيبك ، الدر المطلوب ص ٣٥١ ، بينما ورد الاسم « جمال الدين إقبال الأسود الخصى الخاتونى » فى بعض المصادر ، انظر أبو الفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٧١ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣١١ ؛ العينى ، عقد الجمان ، حوادث سنة ٦٤٠ هـ .

(٢) عن الوزير جمال الدين بن القفطى صاحب كتاب « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » انظر هامش ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٢١٢ وحاشية ٦ .

الدولة إقبال الخاتونى وذلك فى جمادى الآخرة . وساروا وخيموا فى رأس عين ، فتجمعت الخوارزمية ، وانضووا إلى الملك السعيد نجم الدين غازى صاحب ماردين ، واحتموا بالجبل . ووصل عسكر حلب ونزل قبالتهم [٣٩ ب] تحت الجبـل ، وخندقوا حولهم ، وجرت بينهم وقعات .

وتضرر عسكر حلب بالمقام لقلة الملوفة ، إلى أن ورد الأمير شمس الدين الأصفهانى ، نائب المملكة ببلاد الروم ، رسولا من السلطان غياث الدين إلى الملك المظفر شهاب الدين غازى ، و إلى الملك السعيد نجم الدين صاحب ماردين ، و إلى الخوارزمية . وأصلح بينهم على أن يُعطى الملك السعيد رأس عين ، و يعطى الخوارزمية خرتبرت وشىء من البلاد ، والملك المظفر [غازى][1] خلاط و بلادها .

وكان السبب الذى دعا غياث الدين إلى هذه المراسلة ما سنذكره من خروج التتر . فلم يتم للخوارزميــة والملك المظفر ما أرضوا به لما سنذكر من كسر التــتر لغياث الدين . وحصل الملك السعيد صاحب ماردين على رأس عين .

ورحلت العساكر الحلبية ومعهم شمس الدين الأصفهانى نائب الروم إلى حلب . فدخلوها فى شــوال من هذه السنة . وورد مع نائب الروم أموال عظيمة يستخدم بها العساكر للقــاء التتر . وطلب شمس الدين الأصفهانى النائب من الملك الناصر صاحب حلب نجدة إليــه ، ليلتقى بهــم التتر . فسُيرت إليــه نجدة مقدمها الأمير ناصح الدين الفارسى ، وكان ذلك فى ذى الحجة من هذه السنة .

(١) مابين الحاصرتين للتوضيح من ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٦٧ .

ذكر وفاة الخليفة المستنصر بالله أمير المؤمنين رحمه الله

وفى هذه السنة توفى الخليفة المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله أبى نصر أحمد بن الناصر لدين الله أبى العباس أحمد . وتمام النسب إلى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تقدم ذكره ، وذلك بكرة يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة من هذه السنة ، أعنى سنة أربعين وستمائة .

وقد ذكرنا أنه ولى الخلافة لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة[(١)] ، فكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة إلا شهرا إحدا . وكان سبب موته [١٤٠] على ماحكاه لى وجيه الدين بن سويد التكريتى ، وكان خبيرا بأحوالهم ، أنه فُصد بمبضع مسموم ، وقد تقدم ذكر ذلك ، فإن صح هذا كانت القاعدة التى اتفقت ، أن كل سادس من بنى العباس يخلع أو يقتل ، غير منتقضة[(٢)] .

ذكر سيرته رحمه الله[(٣)]

كانت سيرته رحمه الله من أحسن السير فى العدل ، والإحسان إلى الرعية والعطف عليهم ، والحنو بهم . وكان سالكا فى ذلك كله سيرة أبيه الإمام الظاهر بأمر الله ، وكذلك سلك مسلكه فى اعتقاد مذهب أهل السنة والجماعة ، والكراهية

(١) انظر ماسبق ، ابن واصل ، ج ٤ ، ص ١٩٦ .

(٢) انظر ماسبق ، ابن واصل ، ج ٤ ، ص ١٦٢

(٣) انظر أيضا ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ص ٤٨٩ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣١١ — ٣١٢ ؛ الذهبى ، شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٢٠٩ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٤٥ — ٣٤٦ .

لمذهب الروافض ، ومخالفا فى كل ما ذكرنا لطريقة جده الناصر لدين الله (١) . وسلك ولده المستعصم بالله فى اتباع مذهب أهل السـنة مسلكه ، لكن لم يسلك مسلكه فى حسن التدبير والنظر فى مصالح المملكة .

وعمرت البـلاد فى أيام المستنصر بالله — رحمه الله — عمارة عظيمة ، وأثر فيها الآثار الجميلة الحسنة ؛ من ذلك أنه بنى على شط دجلة من الجانب الشرقى مما يلى دار الخلافة (٢) ، مدرسة سميت المستنصرية (٣) . لم يُبن على وجه الأرض مدرسة أحسن منها ، ولا أكثر وقفا . وجعل فيها أربعـة مدرسين على المذاهب الأربعة ، كل مدرس منهم له سدة عالية ، ومسند يستند إليه . ورتب فى المدرسة دار كتب ، فيها من الكتب النفيسة فى سائر أنواع العـلوم شيئا كثيرا جدا . وجعلهـا برسم من يطالع ويستنسخ من الفقهاء . ورتب فيها الورق والأقلام لمن يريد النسخ .

ورتب بيمـارستانا للمدرسة ، للمرضى فيـه جميع صـنوف الأدوية والعقاقير والأشربة . ورتب به من الأطباء من يقوم بمعالجة الفقهاء ، ويصرف إليهم مما فى البيمارستان مايشير الأطباء باستعماله من الأشربة والأدوية والسكر والفراريج وغير ذلك .

ورتب أيضا فى المدرسة مطبخا للفقهاء يطبخ فيه الطعام [ق ٤٠ ب] ويحمل إلى كل منهم كفايته منـه ، ومن الخبز الجيد . ورتب ما يشترى به الحصر لبيوت

---

(١) انظر ماسبق ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ١٦٦ .

(٢) عن طوبغرافية بغداد ، انظر : Lassner, J., *The Topography of Baghdad in the early Middle ages*, (Detroit, 1970).

(٣) ذكر سبط ابن الجوزى (مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٨٩) عن هذه المدرسة : « وليس فى الدنيا مثل هذه المدرسة ولا بنى مثلها فى سالف الأعوام فهى بالعراق كجامع دمشق وقبة الصخرة بالشام » ؛ انظر أيضا ، العينى ، عقد الجمان ، حوادث ٦٤٠ هـ ؛ أبو الفداء ، المختصر ج ٣ ، ص ١٧١ .

الفقهاء، والسرج والزيت . ورتب مزملة[1] يبرد فيها الماء فى الصيف لهم، وجعل لكل فقيه مع هذه الرواتب كلها دينارا إماميا فى كل شهر. ورتب للمدرسين والمعيدين مايليق بهم من الرواتب . ورتب حماما يدخلون إليها متى احتاجوا، وفيها من يقوم بخدمتهم . وهذا لم يعمل مثله أحد من الخلفاء الماضين ولا الملوك المتقدمين .

ولهذه المدرسة طاقات مطلة على دجلة يشاهدون فيه المراكب المقلعة والمنحدرة .

وأعظم مدرسة كانت ببغداد المدرسة النظامية المنسوبة إلى نظام الملك وزير السلطانين ألب أرسلان وولده ملكشاه ، ولانسبة لها إلى هذه المدرسة ، لا فى الصورة ، ولا فى المعلوم ، ولا فى الحسن والنزاهة . وللخليفة منظرة[2] مطلة على هذه المدرسة ، يرى الفقهاء منها إذا حضروا ، ويسمع مناظراتهم ولا يرونه .

ورتب فى جامع القصر، وهو الجامع الذى يصلى فيه الخليفة أربع دكك برسم مدرسى المدرسة المستنصرية ، وفقهائهم يصلون على هذه الدكك . وفقهاء كل طائفة على دكة منها . وهذه الدكك كلها عن يمين المنبر . وكانت العادة إذا فرغت الصلاة أن يجلسوا للمناظرة ، وذكر مسائل الخلاف والبحث فيها . ومن أراد من الفقهاء مدح الخليفة بقصيدة قام وأنشدها قبل ذكر المسألة .

وكانت له — رحمه الله — صلات وصدقات إلى من يرد من العلماء والزهاد والأدباء وسائر الطبقات . واستخدم عساكر عظيمة لم يستخدم مثلها أبوه وجده . وكانت عدتهم ، على مابلغنى ، يزيد على مائة ألف . وكان ذا همة عالية وشجاعة وافرة ، وإقدام عظيم .

---

(١) هى جرة فى وسطها ثقب مركب فيه قصبة من الفضة أو الرصاص يشرب منها ، سميت مزملة لأنها تلف بشىء من الخيش أو غيره ويجعل بينه وبين خزفها التبن ليبقى الماء باردا ، انظر : محيط المحيط .

(٢) فى المخطوطة « منظر » .

وقصدت التتر بلاد العـراق ، فلقيهم عسكره ، وانتصف منهم وهزمهـم . وكان له أخ يعـرف بالخفاجى كان يزيـد عليه فى الشهامـة والشجاعة . [١٤١] وبلغنى أنه كان يقول : « إن ملكنى الله تعالى أمر الأمة ، لأعبرن بالعساكر نهر جيحون ، وانتزع البـلاد من أيدى التتر ، واستأصلهم قتلا وسبيا » . فلما توفى المستنصر بالله ، لم ير الدوادار [١] والشرابى [٢] — وكانا غالبين على الأمر — تقليده الخلافة خوفا منه ، وآثروا أن يليها أبو أحمـد عبد الله بن المستنصر لمـا يعلمونه من لينه وانقياده ، وضعف رأيه ، ليكون الأمر كله إليهما ، ويَستبدا به لمـا يريده الله تعـالى ويقدره ، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه .

ولمـا بلغت الملك الناصر داود ، صاحب الكرك ، وفاة الخليفة المستنصر بالله ، رثاه ومدح ولده المستعصم بالله بقصيدة مطلعها :

أيا رنّة النـاعى عبثتِ بمسمعى فأججت نار الحزن ما بين أضلعى
وأخرستِ منى مِقولا ذا براعةٍ يصوغُ أفانين القريض الموشّع
نَعيتِ إلى [٣] البأس والجود والحجى فأوقفتِ آمالى وأجريتِ أدمعى

(١) الدوادار : كلمة مركبة من لفظين أحدهما عربى وهو الدواة والثانى فارسى وهو دار ومعناه ممسك الدواة ، والوظيفة اسمها الدوادارية وصاحبها كما يذكر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٢) هو الذى كان « يحمل دواة السلطان أو الأمير أو غيرهما ، ويتولى أمرها مع ما ينضم إلى ذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال » .

(٢) الشرابى هـو الذى كان يصنـع الأشربة والأدوية ، وكان أحد رجال الشراب خاناة ، ويقابل ذلك فى مصـطلح دولة المماليك كلمـة الساقى ، انظـر : المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٨٠٤ حاشية ٣ ؛ انظر أيضا القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٠ ، ج ٥ ص ٤٦٩ ؛ Dozy, Supp. Dict. Ar.

(٣) فى العينى (عقد الجمان ، حوادث ٦٤٠ هـ) الذى يبدو أنه نقل عن ابن واصل هذه الأبيات : « الجود والبأس » .

رويدا فقد فاجأتنى[1] بفظيعة — يضيق بها صدر الفضاء الموسّع
أبا جعفر يا بانىَ المجد بعد ما — تهدّم ركن المجد من كل موضع
ويا كافل الإسلام فى كل موطنٍ — وراعى رُعاة الدين فى كل مجمع
ومن كنتُ أرجو أننى فى زمانه — أُبادر أيام الزمان المضيّع
فأستدرك الماضى بفضل تضرّع — وأستقبل الآتى بدرعٍ تورُّع
أحقا طوتك الحادثاتُ كما طوت — قرونا مضت من عهد كسرى وتبّع
وغالك ريبُ الدهر والدهر جائر — إذا صال لايبقى و إن جال لايعى
فأيأس آمالا تدانى غناؤها — فراحت بفقر من رجائك مُدقع
دعا باسمك الناعى على حين غفلة — فأصمى سُويداء الفؤاد المصدّع[2]
فقلت — و إنى فى الفصاحة قسّها[3] — مقالة مسلوب الروية ألكع :
أيا دهر قد آمنتنى كل خيفة — فلستُ بميت بعده بمفجّع
فَقُل كُلّ مأمورٍ وكلّ مُؤمَّر — وخذ بعدَه يادهرُ من شئت أو دع
ولو كان خَطْبُ الموت يقبل فدية — ويدفعه سعىُ الكمىّ المدرّع
فديتُك بالنفس النفيسة طائعا — ودافعتُ بالجيش اللهام الممنع[4].
بضرب طليقِ الكف حران ثائرٍ — وطعنٍ ربيط الجاش فى الروع أروع
بيض تقد البيضَ من حرّ وقعها — وسمرٍ تردُّ القِرْن قانى المقنع
وكلّ فتى يلقى المنايا بصدره — وقلب ثبوت لا بقلب مزعزع

(١) فى العينى « فاجاءت » وعليها يختل الوزن .
(٢) سقطت الأبيات الثلاثة التالية لهذا البيت من مخطوطة العينى ، عقد الجمان ، حوادث ٦٤٠ هـ .
(٣) المقصود قس بن ساعدة الإيادى من خطباء العرب فى الجاهلية .
(٤) سقطت الأبيات الخمسة التالية لهذا البيت من العينى ، عقد الجمان ، حوادث ٦٤٠ هـ .

يفضّون بنيان المقانب فى الوغى بلبّات آساد مشائل جُزَّع
ولكنه من لاينافى ويُتقى ببذل فداء أو بأطراف شُرَّع
لقد كنت لى حصناً حصيناً من العدى إليه التفاتى فى الخطوب ومفزعى
وعارضَ جودٍ منه أستنزل الندى فأُسقى بغيث من عطاياه مُمْرِع
فأضحى ومن حُر المكارم مشربى وأُمسى وفى رفض المواهب مرتعى (١)
سأبكيه أيام الحياة وإن أمت بكته عظامى فى قرارة مضجعى
وأشكره شكر الثرى لسمائه بدُرٍ من اللفظ البديع المرصّع (٢)
وما كَلَفٌ بالشيء مثلُ مُكلَّف ولا داعياتُ الطبع مثل التطبع
وما كُلُّ من يُولى جميلا بشاكر وما كل من يُدعى خطيبا بمصقع
هو المرء أدنانى وأبعد غايتى ووسّع لى ذرعى وطوّل أذرعى
فتى بدأ الاحسانَ حيا وميتا بفرط اصطناع لا بفرط تصنع
بإسداء معروفٍ وإلغاء منكرٍ وتسكينِ مسلوب الجنانْ مروّع (٣)
وتسليمه تاج الخلافة بعده إلى خير مودوع وأوثق مُودع
هوى قمرُ العلياء من برج سعدِه فاطلع شمس المجد من خير مطلع
بفرع نمى من دوحةٍ ظاهرية نمى عرفُها عن طيبها المتضوع
بمستعصم (٤) بالله منتصر له بحزم التأنى لا بحزم التسرع
أقام منار العدل بعد إعوجاجه وشيد واهى الدين بعد التضعضع
بإقدام منصورٍ وعزمةِ قادرٍ وسيرةِ مهديٍ وإخبات طيع

(١) البيت التالى ساقط من العينى .
(٢) الأبيات الثلاثة التالية ساقطة من العينى .
(٣) فى العينى (عقد الجمان) « الفؤاد » .
(٤) فى المتن « بمعتصم » وهو تحريف ، والصيغة الصحيحة المثبتة من العينى (عقد الجمان) .

به رجعت شمس(١) المكارم والعلى ... كما رجعت شمس النهـار ليوشع(٢)

ففرق شمل المـال بعد اجتماعه ... وجمّـع أشتات العـلاء الموزع

سأشـكر للأيام حيـلة برهـا ... لأبلال قلب بالرذية موجـع

باقبالهـا تزهى بأكرم مـودع ... وإن يك قـد ولّت بخـير مودّع

ولائى لكم يا آل أحمد صادق ... إذا مان مذّاق ونمق مـدّع

وإنى لشـيعى المحبـة فيـكم ... وإن لم يَشن دينى غُلو التشيع

فلى من نَداكم خفض عيش مرفه ... ولى فى ذُراكم عز قـدرٍ مرفّع(٣)

ذكر خلافة الامام المستعصم بالله أمير المؤمنين رحمـه الله

فاتفق رأى أرباب الدولة(٤) بعـد موت المستنصر بالله ، على تقليـد الخلافة ولده المستعصم بالله أبا أحمـد عبد الله ، واستبد بتدبير الخلافة أرباب دولته . وكان المستعصم متدينـا متمسكا بمذهب السـنة والجماعة ، على ما كان عليـه أبوه المستنصر وجده الظاهر رحمهـم الله أجمـعين . وحسّن له أصحابه جمـع الأموال

---

(١) فى المتن « نفس » والصيغة المثبتة من العينى وسياق البيت يقتضى كلمة « شمس » .

(٢) الأبيات الثلاثة التالية لهذا البيت ساقطة من العينى .

(٣) سقط هذا البيت من العينى .

(٤) ذكر أبو الفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٧١ ؛ والعينى ، عقد الجمان ، حوادث ٦٤٠ . « اتفق آراء أرباب الدولة مثل الدوادار والشرابى على تقليد الخلافة ولده عبد الله ولقبوه المستعصم بالله » انظر أيضا ابن أيبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٤٨ .

والاقتصار على بعض من ببغـداد من الجنـد وقطع البـاقين ، ومسالمـة التتر . وحمل القطيعة إليهم لينكفوا عنـه ، وقالوا له : « هذه الطائفة قد ملكوا معظم بلاد الإسـلام ولم يقف أحد من المـلوك قدّامهم ، فالحزم مُهاداتهم ومهادنتهم ، وأن يحمل إليهم فى كل سـنة من المـال ما يرضيهم ليكفوا وينكفوا » . فأذعن لذلك ، وقطع أكثر من عنده من العساكر . فأدى ذلك إلى ما سنذكره .

ودخلت سنة إحدى وأربعين وستمائة (*)

والسلطان الملك الصالح أيوب بالديار المصرية، وابن عمه[1] الملك الناصر داود، وعمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، والملك المنصور صاحب حمص، والحلبيون متفقون على عداوته، وليس معه من أصحاب الأطراف إلا الملك المظفر صاحب حماه، وهو مريض بالفالج كما تقدم ذكره[2].

وفى هذه السنة سير الملك المظفر صاحب حماه القاضى [٤٣ب] شهاب الدين أبا اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم رسولا إلى الخليفة المستعصم بالله، مهنئا له بالخلافة، ومعزيا بأبيه المستنصر بالله. ونفذ معه ثيابا طلسا برسم القبر، وألف دينار برسم الصدقة عنه، ومعه أيضا رسالة إلى الملك السعيد نجم الدين غازى ابن الملك المنصور أرتق صاحب ماردين، ورسالة إلى السلطان الملك الناصر صاحب حلب، ورسالة إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل.

وتقدم إلىَّ الملك المظفر بالمسير معه، فسافرنا من حماه مستهل المحرم. ومضينا إلى حلب، فأقمنا بها أياماً، ثم مضينا إلى حران، ومنها إلى دنيسر. وبلغنا ونحن فيما بين رأس عين ودنيسر حركة التتر وقصدهم بلاد الروم. ثم صعدنا إلى ماردين وأقمنا بها يوماً واحداً وقد قويت الأخبار بحركة التتر. ثم سرنا إلى نصيبين

(*) يوافق أولها ٢١ يونيه سنة ١٢٤٣ ميلادية.

(١) فى المتن «عمه» والصيغة الصحيحة هى المثبتة.

(٢) انظر ما سبق، ص ٣٠٦ — ٣٠٧.

ووجدنا الخوارزميـة ، وهى بأيديهم مقيمين بهـا ، وهم يظهرون طاعة السلطان الملك الصالح نجـم الدين صاحب مصر . ثم وصلنا إلى الموصل ونزلنا بخانقاة على الشـط ، ووجدنا بالموصل محيي الدين بن الجـوزى رسول الخليفة ، وهو يريد التوجه إلى بلاد الروم رسولا إلى السلطان غياث الدين كيخسرو . وكان بدر الدين فى تلك الأيام داخلًا فى طاعة التتر وهو متمم إليهـم ، ويهاديهم ويراسلهم . وكان بينـه وبين الملك السعيد صاحب ماردين تنافر ، فأخـذ القاضى شهاب الدين فى الإصلاح بينهما وذلك بتقدّم من مخدومه الملك المظفر إليه بذلك .

ثم توجهنا إلى بغـداد فى دجلة فى ركوة (١) أعطانا إياهـا بدر الدين ، وسارت الدواب فى البر . وحين وصلنـا تكريت طُولع الديوان ببطاقة حمام بوصولنـا . ووصلنا إلى المَزْرفة (٢) ، فنزلنا بها حتى جاءنا من جهة الديوان من وصلنا معه على الظهر إلى بغداد ، فغدو بنا إلى بغـداد . وأُمرنا بالنزول فى جامع السلطان ، حتى خرج الموكب [٤٣ ا] لتلقينا . ودخلنا بغداد ، فنزلنـا بقراح (٣) القاضى . وكان النـائب فى الوزارة بها رجلا يقال له نصير الدين ، وهو شـيخ فان مقعد ، فأدى القاضى شهاب الدين الرسالة .

---

(١) الركوة زورق صغير من زوارق نهر دجلة استخدمها أهل العراق فى العبور من شط إلى آخر ، انظر ، مسكويه ، تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٩٣ ؛ ابن سيده ، المخصص ، ج ١٠ ، ص ٢٦ ؛ درويش النخيلى ، السفن الإسلامية ، ص ٥٢ .

(٢) فى المتن « المرزقة » وهو تحريف ، وذكر ياقوت (معجم البلدان) أن المزرفة كانت « قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ وإليها ينسب الرمان المَزْرفى » .

(٣) ذكر ابن منظور (لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٣٩٦) أن المقصود بالقراح « الأرض الخالصة لزرع أو لغرس ، وقيلَ القراح المزروعة التى ليس عليها بناء ولا فيها شجر » .

ورجعنا بعد أن أقمنا شهرين . فلما وصلنا إلى الموصل اجتمعنا بصاحبها بدر الدين [لؤلؤ](١)، فأخبرنا بأن التتر استظهروا على المسلمين ببلاد الروم وكسروهم ، وأن غياث الدين صاحب البلاد انهزم إلى بعض المعاقل . فتوجهنا الى نصيبين واجتمعنا بالأمير حسام الدين بركة خان ، مقدم الخوارزمية وتحدثنا معه فى معنى القيام بنُصرة السلطان الملك الصالح نجم الدين ، والمضى بالخوارزمية إلى خدمته ومعاضدته على أعدائه . فوعد بركة خان بذلك ، وكان حديثه لنا بواسطة ترجمان بيننا وبينه . وعدنا إلى حماه فدخلناها فى إحدى الجمادتين من هذه السنة . وسمعنا عند وصولنا إلى حلب ما جرى على المسلمين ببلاد الروم، ووجدنا خلقا من الجافلين من تلك البلاد .

واضطرب الشام لذلك اضطرابا كثيرا، ووجدنا بحلب القاضى أفضل الدين الخونجى ، وكان قاضيا ببلاد الروم ، وهو على عزم المضى إلى الديار المصرية .

ونظمت وأنا بحلب أبياتا ، ذكرت فيها المنازل بين بغداد وحماة ، وهى :

طواها سُراها حين طال سفارها ... وانحلها تهجيرها وابتكارُها
وأتعبها جذب البُرى وأذابها اشـ ... ـتياق الى أرض بعيد مزارُها
وما باعثُ الأشواقِ نحو بلادها ... سوى أهلها لا شيخُها وعوارها
إذا لاح برق من حماة وأرضها ... تضاعف بلواها وزاد أوارها
وتُعرض عن ماء الفرات ودجلة ... إذا ذُكر العاصى ويبدو انكسارُها
ولما أبيحت عزمة العود بعدما ... تطاول من شوق اليها انتظارها
تزحلق عن دار السلام طوالبا ... بنا أرض وأنا والأنين شعارُها

(١) مابين الحاصرتين للتوضيح .

وفى أرض تكريت أنيخت ضُحى ... وقدنفى النوم عنها وجدها وادّ كارها
وجاءت إلى المستعصمية وانثنت ... إلى العُقر والأشواق تَضرم نارُها
وفى الموصل الحدباء قيل لها ابشرى ... بأن ليالى البعد آن انحسارُها
وشامت بروقا فى نصيبين أومضت ... فاسعر نيران الغــرام استعارها
وأمست بنا فى ماردين ووجدها ... يزيد وينمو إذ يقــل اصطبارها
وأمت صباحا رأس عين حثيثة ... إلى أن علا شمسَ النهار اصفرارها
وجاءت بنا جُلّاب حران سّرعـا ... وأمسى الى شط الفرات ابتدارها
وفى حلب الشهباء أضحى مقرهـا ... وطىّ الفيافى سؤلهـا واختيارهـا
عساها إذا ما فارقت حلبـا بنـا ... تقر بقنسرين منها قرارُهـا
وتأتى إلى أرض المعــرة والمنى ... تبشرها أن قــد تدانت ديارهـا
وتُصبح فى أوطانهـا مســتقرة ... وقــد زال عنها بؤسها وضرارهـا

وسمعنا فى حلب وقوع الصلح بين السلطان الملك الصالح نجم الدين ، وعمـه الملك الصالح عماد الدين ، والملك المنصـور صاحب حمص على إقامة الخطبة لصاحب مصر والسكة ، واتفاقهم على الملك الناصر داود على ما سنذكره .

ذكر دخول التــتر بلاد الروم
وكسرهم غياث الدين وعسكره

قد ذكرنا تحرك التــتر فى السنة المـاضية ، وقصدهم جهـة بلاد الروم (١). فلما تحقق السلطان غياث الدين ذلك ، أخذ فى جمع العساكر والأجناد للقائهم . وسيّر شمس الدين الأصفهانى نائبه ، فأصلح كما ذكرنا بين عسكر السلطان الملك الناصر

(١) انظر ما سبق ، ص ٣١٠ .

صاحب حلب ، وبين الخوارزمية والملك المظفر شهاب الدين غازى صاحب ميافارقين والملك السعيد صاحب ماردين . ولما أصلح بينهم وعاد مع العساكر إلى حلب [١٤٤] ، أخذ من حلب عسكرا مقدمه ناصح الدين الفارسى أبو المعالى .

ولما قدم عسكر حلب إلى الروم ، أكرمهم السلطان غياث الدين وأحسن اليهم ، وخلع عليهم وضمهم الى عسكره . ولما دخلت هذه السنة ، أعنى سنة إحدى واربعين وستمائة ، جاءت التتر بجموعها إلى بلاد الروم ، وضربوا مع غياث الدين مصافا عظيما ، فكانت الهزيمة أولا على التتر ثم تراجعوا ، وحملوا على عسكر المسلمين فهزموهم هزيمة عظيمة[1] . فقتلوا منهم وأسروا خلقا . وتشتتت العساكر يمينا وشمالا ، ونهبت التتر من الأموال ما لا يحصى . وهرب غياث الدين إلى بعض المعاقل فاحتمى به .

وثارت التركمان فى البلاد ينهبون ويعيثون . ورجع ناصح الدين الفارسى بمن معه من عسكر حلب فى أسوأ حال . ثم استولت التتر على آمد وخلاط وبلادهما .

ذكر وقوع الإتفاق بين السلطان الملك الصالح نجم الدين وبين عمه الملك الصالح وصاحب حمص

ووقعت فى هذه السنة المراسلة بين السلطان الملك الصالح نجم الدين وعمه

(١) انظر أيضا عن هزيمة غياث الدين كيخسرو السلجوقى صاحب بلاد الروم أمام التتار ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ ؛ أبو الفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٧١ — ١٧٢ ؛ وذكر المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٣١٣) أن غياث الدين فر من التتار إلى القسطنطينية بينما ذكر كل من العينى (عقد الجمان ، حوادث ٦٤١) ، وابن أيبك (الدر المطلوب ، ص ٣٥٢) وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٤٧) أنه صالح التتار على أن يدفع لهم كل يوم ألف دينار وفرسا ومملوكا وجارية وكلب صيد ، وأنه كان شابا ظالما قليل العقل ، يلعب بالكلاب والسباع ويسلطها على الناس فعضه بعد ذلك سبع فمات فى سنة ٦٥٤ هـ .

الملك الصالح وصاحب حمص . وتقرر الاتفاق بينهم على أن تكون دمشق للملك الصالح إسماعيل وبلادها . ويقيم هو والحلبيون وصاحب حمص الخطبة والسكة للملك الصالح صاحب مصر ، ويُخرج ولده الملك المغيث ومن عنده من أصحابه فى الاعتقال، ويسيرهم إليه ، وتكون بعض بلاد الملك الناصر داود للملك الصالح اسماعيل ، وبعضها لصاحب مصر . ويخرج البلاد كلها من يده .

وكان الرسول من جهة الملك الصالح إسماعيل، جلال الدين الخلاطى . وقدم من مصر الخطيب أصيل الدين الإسعردى (١) إمام الملك الصالح رسولا من الملك الصالح نجم الدين [لخطب للسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب] (٢) بجامع دمشق . ثم مضى إلى حمص وخطب له بها [أيضا] (٣) . وبعث الملك الصالح [٤٤ب] إسماعيل عسكرا الى عجلون لحاصروها ، وكانت للملك الناصر داود وأقطعها — لما خرج من مصر — لسيف الدين بن قلج . ثم تقدم الملك الصالح إسماعيل بالافراج عن الأمير حسام الدين أبى على بن محمد بن أبى على الهذبانى . وكان كما قدمنا ذكره (٤) معتقلا فى جب ببعلبك ، مضيقا عليه فيه . وكان الجب مظلما لا يفرق فيه بين الليل والنهار . وكنا قد ذكرنا (٥) أنه لما قبض عليه الملك الصالح إسماعيل ، عقب اعتقال مخدومه الملك الصالح نجم الدين بالكرك ، حبسه بقلعة دمشق فى حبس الخيالة وقيده .

---

(١) نسبة إلى اسعرد وهى بلدة بين دجلة وميافارقين، انظر : أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٨٨ — ٢٨٩ .

(٢) مابين الحاصرتين من كتاب السلوك للقريزى ، ج ١ ص ٣١٤ .

(٣) مابين الحاصرتين إضافة لإيضاح المعنى .

(٤ — ٥) انظر ماسبق ، ص ٢٤٣ .

ولما وردت الأخبار بخروج الملك الصالح [نجم الدين أيوب] (١) من الاعتقال وتملكه الديار المصرية ، نقله الملك الصالح [اسماعيل] (٢) إلى قلعة بعلبك ، وجعله فى ذلك الجب المظلم . وكان ينزل إليه فى كل يوم بقليل خبز و بقل . وضيق عليه تضييقا عظيما . فحكى لى (٣) رحمه الله قال : « كنت أحسب فى نفسى أنه ربما أمنع الطعام والشراب لأموت ، فكنت أدّخر من الخبز والبقل المرتب فى كل يوم شيئا قليلا ، وكذلك من الماء الذى ينزل إلىّ كنت أجمعه فى جرة طلبتها ، فاجتمع عندى من ذلك شىء كثير ، ثم أنه طُين على الجب ، ومنعت من الطعام والشراب فارتفقت بذلك الذى جمعته مدة إلى أن فتح الجب ، وأُنزل الىّ ما كان يجرى علىّ أولا إلى أن فرج الله سبحانه عنى » . ولما جرى ماذكرناه ، أُخرج .

ولما أخرج من الجب حمل الى دمشق وتُرك فى برج كان الملك المغيث معتقلا فيه . وأفرج عن الملك المغيث وأذن له فى الركوب ، فصار يركب و يعود إلى القلعة . ثم أُذن للأمير حسام الدين فى الانتقال من القلعة ، وأن يتجهز للسير إلى الديار المصرية . فخرج من البرج الذى كان فيه ومضى إلى مدرسة عز الدين أيبك المعظمى ، التى على الشرق . وأُطلق له ما كان أخذ منه وغلمانه ، وكانوا قد احتيط عليهم فى مدة اعتقاله . وخلع عليه ، وأطلق له مال . وأُفرج [٤٥ ا] عن جماعة من أصحاب الملك الصالح نجم الدين ، كانوا فى الاعتقال ، منهم مجير الدين بن أبى زكرى .

(١ — ٢) مابين الحاصرتين للتوضيح .

(٣) أى حكى لجمال الدين بن واصل .

ثم توجه من جهـة الملك المنصـور صاحب حمص ، القاضى عمـاد الدين ابن القطب الذى كان قاضيا فى حماة، وقد ذكرناه، رسولا فى تحليف الملك الصالح نجم الدين ، وتقرير قواعد الصلح .

وكان لمـا تقررت هـذه القاعدة بين الملك الصالح نجم الدين وعمـه ، سيّر الملك الصالح نجم الدين ابنَ برغش الى الملك الناصر صاحب حلب فى معنى الصلح ، فسير الملك الناصر الأمير ناصح الدين الفارسى رسولا الى الملك الصالح أيضا لتحليفه وتقـرير الصلح . وكان بمصر كما ذكرنا(١) جلال الدين الخلاطى ، فتوجه عماد الدين رسول صاحب حمص،وناصح الدين رسول حلب ليتفق هذان مع جلال الدين على تحليف الملك الصالح كل منهم يُحلّف لصاحبه . وسير مع هؤلاء الأمير حسام الدين ابن أبى على، وممن أطلق معه من المعتقلين من أصحاب الملك الصالح نجم الدين .

وأُخّر تسيير الملك المغيث الى أبيه الى أن يقع الأيمان من الملك الصالح نجم الدين . ثم يرد من جهته من يُحلّف الملك الصالح إسماعيل ، والملك المنصور صاحب حمص ، والملك الناصر صاحب حلب . فخرج هؤلاء كلهم . وركب الملك الصالح إسماعيل ومعه الملك المغيث لوداعهم .

ولمـا ودّعاهم رجع الملك الصالح إلى قلعة دمشق ومعه الملك المغيث ، ومضى المذكورون إلى ديار مصر . فما وصلوا إلى مصر إلا وقد انقضت القاعدة وانفسخ الصلح ، كما سنذكره .

---

(١) انظر ما سبق ص ٣٢٨ .

ذكر انتقاض الصلح بين السلطان الملك الصالح [نجم الدين ايوب][1] وبين عمه الملك الصالح [عماد الدين إسماعيل][2] وصاحب حمص

وكان سبب انتقاض الصلح بينهم على ما حكى لى جلال الدين الخلاطى[3]، قال : « كنت بمصر رسولا من جهة مخدومى الملك الصالح عماد الدين ، وقد [٤٥ ب] تقررت القواعد ولم يبق إلا الأيمان . فورد علىَّ كتابٌ من مخدومى الملك الصالح وفى طيه كتاب من الملك الصالح نجم الدين إلى الخوارزمية ، يحثهم على الحركة ، ويذكر لهم أنه إنما أظهر الصلح مع عمه ليخلص ابنه الملك المغيث من يده ، وأنه باق على عداوة عمه ، ولا بد له من قصده وأخذ دمشق منه » . قال جلال الدين : « فمضيت بهذا الكتاب إلى الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ ، وأوقفته على هذا الكتاب ، وما أبدى فى جواب ذلك عذرا يسوغ قبوله[4] » .

وردَّ الملك الصالح إسماعيل الملك المغيث إلى الاعتقال ، وأبطل الخطبة للملك الصالح نجم الدين . ورجع الأمر إلى ما كان عليه من الاختلاف . وبعث إلى العسكر الذين كانوا محاصرين لعجلون ، فأمرهم بالرجوع إلى دمشق . وراسل الملك الناصر

(١ — ٢) مابين الحاصرتين للتوضيح .

(٣) نقل ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٢١) هذا الحديث عن ابن واصل « وقال ابن واصل : فحدثنى جلال الدين الخلاطى ... »

(٤) ذكر سبط ابن الجوزى (مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٩٠) ، وابن أيبك (الدر المطلوب ، ص ٣٥٢) والنويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ورقة ٧٨) أن أمين الدولة السامرى وزير الملك الصالح إسماعيل كان السبب فى الاختلاف ، وأنه قال للصالح إسماعيل « هذا خاتم سليمان لاتخرجه من يدك » فتوقف الأمر ولم ينتظم الصلح .

داود ، واتفق معــه على حرب الملك الصالح نجم الدين . وكذلك رجع الحلبيون وصاحب حمص عن الملــك الصالح نجم الدين . وصارت كلمة الكل واحدة . ورجـع ناصح الدين الفارسى رسول الملك الناصر صاحب حلب . واعتقل الملك الصالح نجـم الدين جلال الدين الخلاطى . ومنع القاضى عماد الدين بن القطب عن الرجـوع إلى صاحبه، فبقى فى مصر إلى أن ولى قضاءها ، كما سـنذكره إن شاء الله تعـالى .

ذكر اتفاق الملك الصالح صاحب دمشق والملك المنصور صاحب حمص والملك الناصر داود مع الفـرنج وتسليم القـــدس وطبرية وعسقلان إليهـم

ولمـا اجتمعت كلمة هؤلاء على حرب الملك الصالح نجـم الدين ومباينتـه ، وعلموا مكاتبته إلى الخوارزمية ، وأنهـم لا بد وأن يطرقوا البـلاد ويجتمعوا مع عساكر الديار المصرية على حربهم ، وعلموا أنهم لا طاقة لهم به ، صالحوا الفرنج واتفقوا معهم على تسليم البيت المقدس إليهم، على أن يكون الحرم بما فيه [٤٦ ا] من المزارات لهم ، وعلى تسليم طبرية وعسقلان وكوكب إليهـم ، وأن يأذنوا لهم فى عمارتها . فتسلم الفرنج ذلك كله وعمروا قلعتى طبريه وعسقلان وحصنوهما . وأخـذ بيت الأسبتار كوكب وعزموا على عمارتهـا . ودخل الفرنج القـدس ، وتسلموا الصخرة المقدسـة والأقصى وما فى الحـرم الشريف من المـزارات (١) . وضمنوا للفــرنج ــ على ما اشتهر ــ أنهم إذا ملكوا الديار المصرية أن يكون لهم بها نصيب . وجمع الفرنج الفارس والراجل وحشدوا (٢) .

---

(١) انظر أيضا أبو الفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٧٢ .

(٢) انظر أيضا ، ابن تغـرى بردي (النجوم الزاهره ، ج ٦ ، ص ٣٢٢) الذى ينقل عن ابن واصل .

وبعث الملك الصالح [إسماعيل][1] عسكرا إلى غزه ، فنزلوا بها ، وعزموا على قصد الديار المصرية . ومضى الملك المنصور بنفسه إلى عكا ، واجتمع بالفرنج وقرر معهم أن يمضوا معه لحرب الملك الصالح ، فأجابوه إلى ذلك .

وسافرتُ[2] في أواخر هذه السنة إلى الديار المصرية . ودخلتُ البيت المقدس، ورأيت الرهبان والقسوس على الصخرة المقدسة . وعليها قناني الخمر برسم القربان . ودخلت الجامع الأقصى ، وفيه جرس معلق . وأُبطل بالحرم الشريف الأذان والإقامة، وأُعلن فيه بالكفر . وقدم الملك الناصر داود القدس في ذلك اليوم الذي زرت فيه القدس ، ونزل غربي القدس ، فلم أجتمع به خيفة أن يصدني عن الوصول إلى الديار المصرية . ووصلت إلى غزة فوجدت بها بعض عسكر الملك الصالح إسماعيل نازلين بها .

ولما وصلتُ العباسة[3]، وجدت بها بعض عسكر مصر . وكل من الفريقين على عزم قصد صاحبه . ووجدت دهليز السلطان الملك الصالح نجم الدين مضروبا

---

(١) مابين الحاصرتين للتوضيح .

(٢) يتحدث ابن واصل هنا عن نفسه وقد نقل عنه كل من أبي الفدا (المختصر، ج ٣ ، ص ١٧٢) ؛ والعيني (عقد الجمان ، حوادث سنة ٦٤١ هـ) ؛ وابن تغري بردي (النجوم، ج ٦ ، ص ٣٢٢ — ٣٢٣) .

(٣) كانت العباسة بليدة أول ما يلق القاصد لمصر من الشام ، وسميت باسم عباسة بنت أحمد بن طولون وذلك لأنها أقامت في أواخر سنة ٢٨١ هـ/ ٨٩٥ م قصرا بهذا الموضع خرجت اليه لوداع بنت أخيها قطر الندى عندما زوجها أبوها خمارويه بن احمد بن طولون من الخليفة المعتضد العباسي . وعندما سافرت قطر الندى عمر ذلك الموضع وصار بلدا ، والعباسة الآن تابعة لمركز أبو حماد بمحافظة الشرقية ، انظر : المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢٣٢ ؛ محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، القسم الثانى (البلاد الحالية) ، ج ١ ، ص ٦٩ — ٧٠ .

على بركة الجب[١] والعساكر متحركة للخروج إلى الشام . وكان دخولى إلى القاهرة فى المحرم من هذه السنة . واجتمعت بالأمير حسام الدين بن أبى على . وكان السلطان الملك الصالح قد أنزله فى الدار المعروفة بدار المُلك[٢] على شاطئ نيـل مصر فى مدينة مصر ، وهى دار عظيمة من آدر خلفاء مصر ليكون قريبا منه ، فإن السلطان كان نازلا فى قصوره بقلعة الجزيرة ، وهى القلعة التى أنشأها بالجزيرة[٣] . وكان [١٤٧ ا] عنده فى أعظم المنـازل ، وأعطاه خبزا[٤] جليلا ، فأحسن إلىّ وأنزلنى فى داره التى بالقاهرة . وهى دار جليـلة بدرب الديلم[٥] ، وأدرنى إنعامه وإحسانه ، رحمه الله ورضى عنـه .

---

(١) كانت بركة الجب متنزها بظاهر القاهرة من بحريها للخلفاء الفاطميين وسلاطين بنى أيوب ، ثم سميت فى عصر سلاطين المماليك باسم بركة الحاج لنزول الحجاج المسافرين برا بها عند سيرهم من القاهرة وإليها فى موسم الحج ، انظر المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٤٨٩ ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .

(٢) أنشأ هـذه الدار الوزير الأفضل بن بدر الجمالى سـنة ٥٠١ هـ/١١٠٧ م ، فلما كملت تحول إليها وسكنها وحوّل إليها الدواوين من القصر الفاطمى ، واتخـذ بها مجلسا سمـاه مجلس العطايا كان يجلس فيه . فلما قتل الأفضـل صارت دار الملك من جمـلة منتزهات الخلفاء الفاطميين ، انظر المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٤٨٣ .

(٣) هى قلعة الروضة ، عن هـذه القلعة انظر : السيوطى ، كتاب كوكب الروضـة ، مخطوط رقم ٥٥٤ تاريخ تيمـور بدار الكتب المصرية .

(٤) الخبز وجمعه أخباز بمعنى الأقطاع ، انظر :

Rabie, The Financial System of Egypt, pp. 26 ff.

(٥) تحدث المقريزى (الخطط ، ج ٢ ، ص ٨ — ٩) عن حارة الديلم عند ذكره حارات القاهرة فقال : « عرفت بذلك لنزول الديلم الواصلين مع هفتكين الشرابى حين قدم ومعه أولاد مولاه معز الدولة البويهى وجماعة من الديلم والأتراك فى سنة ثمـان وستين وثلثمائة ، فسكنوا بها فعرفت بهم » .

وفى هذه السنة ولّى الملك الصالح قضاء مصر وما معها من الوجه القبلى القاضى أفضل الدين الخونجى[(١)] . وكان فى هذا العزل نواب الشيخ عز الدين بن عبد السلام أبقاهم السلطان بعد عزله إلى أن ولى القاضى أفضل الدين . والقاهرة وما معها — كما ذكرنا[(٢)] — ولاية الحكم فيها للقاضى بدر الدين المعروف بقاضى سنجار ، ومكانته عند السلطان مكينة ، لما كان أسلفه فى خدمته فى الشرق ،

(١) هو قاضى القضاة أبو عبد الله محمد بن ناماور بن عبد الملك ، له اليد الطولى فى المعقولات وصاحب الموجز فى المنطق وغيره ، توفى سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م ، والنسبة إلى خونج — أو خونا وهى بلدة من أعمال أذربيجان بين مراغة وزنجان فى طريق الرى ، وسميت زمن ياقوت (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) كاغد كنان أى صناع الكاغد ؛ انظر السبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٥ ، ص ٣ ؛ الذهبى ، شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٢٣٦ — ٢٣٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ،

(٢) انظر ما سبق ، ٣٠٢ .

ودخلت سنة اثنتين وأربعين وستمائة (*)

والعساكر متجهزة من الجانبين، والملك الصالح نجم الدين قد كاتب الخوارزمية يطلب منهم القدوم لنصرته وهو منتظر وصولهم ليلتقى بهم عمه وابن عمه الملك الناصر وصاحب حمص، والملك الصالح إسماعيل قد جهز العساكر ليسيرها مع الملك المنصور ليلتقى بهم عساكر مصر وقد اعتضدا بالفرنج، والملك الناصر داود بالقدس مع عسكره معاد لابن عمه الملك الصالح نجم الدين.

ذكر وصول الخوارزمية إلى غزة واستنقاذهم القدس من الفرنج وما فعلوه فى طريقهم

ولما وردت كتب الملك الصالح نجم الدين إلى الخوارزمية، يحثهم على القدوم إلى البلاد المصرية لنصرته على عمه، ساروا من الشرق فى أوائل هذه السنة وقطعوا الفرات. ومقدموهم حسام الدين بركة خان (١)، وخان بردى، وصاروخان (٢)، وكشلوخان وجمعهم يومئذ يزيد على عشرة آلاف فارس. وانضم إليهم جماعة من الأمراء القيمرية (٣)، منهم الأمير ناصر الدين، وضياء الدين، ولهم جماعة كثيرة من أصحابهم وأتباعهم، فأجفل الناس بين أيديهم ومامروا بموضع إلا ونهبوه وعاثوا فيه (٤).

(*) يوافق أولها ٩ يونية سنة ١٢٤٤ ميلادية.

(١) فى المتن « بركتخان ».

(٢) فى المتن « ساروخان »، انظر ابن أيبك، الدر المطلوب، ص ٣٥٣؛ المقريزى، السلوك، ج ١، ص ٣١٦.

(٣) القيمرية نسبة إلى قيمر، وكانت قلعة فى الجبال بين الموصل وخلاط، ذكر ياقوت (معجم البلدان) أنه نسب إليها جماعة من أعيان الأمراء بالموصل وخلاط، وكان أهلها من الأكراد، انظر أيضا المقريزى، السلوك، ج ١، ص ٣١٦ حاشية ٤.

(٤) انظر أيضا عن قدوم الخوارزمية واستخدام الصالح أيوب لهم، سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج ٨، ص ٤٩٣ — ٤٩٤، أبو الفدا، المختصر، ج ٣، ص ١٧٢؛ النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٧ ورقة ٧٨ ومابعدها؛ العينى، عقد الجمان، حوادث سنة ٦٤٢؛ ابن أيبك الدوادارى، الدر المطلوب، ص ٣٥٣؛ المقريزى، السلوك، ج ١، ص ٣١٦ — ٣١٧؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٣٢٣.

ولما سمع ذلك الذين بغزة من عسكر الملك الصالح [٤٧ ا] إسماعيل فارقوها راجعين إلى دمشق . ورحل الملك الناصر داود الى الكرك فاعتصم به، وهربت الفرنج الذين كانوا بالقدس بعد استيلائهم عليه . وهجمت الخوارزمية القدس ، وبذلوا السيف فيمن كان فيه من النصارى . ولم يبقوا على أحد منهم ، وسبوا ذراريهم ونساءهم . ودخلوا كنيستهم المعروفة بقمامة ، فهدموا المقبرة التي تعتقد النصارى أنها مقبرة المسيح عليه السلام ، ونبشوا قبور النصارى وقبور ملوك الفرنج التي بالقمامة ، وأحرقوا عظام الموتى ، ثم وصلوا الى غزه فنزلوا بها .

ووردت رسلهم إلى السلطان الملك الصالح يخبرونه بقدومهم لنصرته ، ويطلبون منه تسيير العساكر اليهم ليحاربوا عمه الملك الصالح والملك المنصور صاحب حمص ، ويأخذوا بلادهما له . فخلع الملك الصالح على رسلهم ، وبعث الخلع والتحف للمقدمين منهم ، واهتم في إنفاذ العساكر اليهم .

ذكر كسرة الملك المنصور صاحب حمص وعسكر دمشق والكرك والفرنج على غزة

ولما قدمت الخوارزمية إلى غزة بعث الملك الصالح عسكرا إلى غزة . وقدّم عليهم الأمير ركن الدين بيبرس ، وكان من أجلّ مماليكه وأخصهم به . وهو الذى ذكرنا أنه(١) كان معتقلا معه بالكرك . ثم تقدم الملك الصالح إلى الأمير حسام الدين أبى على بن محمد بن أبى على الهذبانى فى أن يمضى بطائفة أخرى من العسكر ليكون مركزا(٢) بنابلس . وكان حسام الدين لما وصل إلى الديار المصرية أقطعه الملك الصالح الخبز الذى كان بيد أسد الدين جغريل الكاملى ، وهو أحد الأمراء

(١) انظر ماسبق ، ص ٢٤٠ .

(٢) كذا فى المتن وكذلك فى ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٢٣ .

الذين قبض عليهم الملك الصالح ، وأنزله بدار الملك[١] بمصر ، ليكون قريبا منـه ، ويصل إلى خدمته فى أكثر الأوقات لمنادمته ومجالسته والاستضاءة برأيه .

وتجهزت عساكر الملك الصالح من دمشق ، وتقدم عليها الملك المنصور ابراهيم صاحب [٤٧ ب] حمص ، فإنه كانت له حروب مع الخوارزمية فى الشرق كما ذكرنا[٢] ، وانتصر عليهم مرتين ، وكان شهما مقداما . فرجا الملك الصالح إسماعيل أنه على يده يكون كسر الخوارزمية فى هذه المرة ومن معهم من العساكر المصرية .

فرحل الملك المنصـور بعسكره وعسكر دمشق . وقد ذكرنا دخوله إلى عكا واجتماعه بالفرنج[٣] وطلبه المساعدة والمعاضدة وأن يحاربوا معه عسكر مصر . ووعدهم ، على ماقيل والله أعلم ، أن يكون لهم جزء من الديار المصرية . فوافقوا على ذلك . واستعدوا وحشدوا وخرجوا معهم بالفارس والراجل . ثم بعث إلى الملك الناصر داود ليحضر معهم ، ولم يحضر بنفسه ، وبعث عسكرا[٤] . واجتمع هؤلاء كلهم ، وقصدوا الخوارزمية ومن معهم من عسكر مصر .

ووقع المصاف بين الفريقين بظاهر غزة ، فكُسر الملك المنصور ومن معه كسرة عظيمة . وأخذت الفرنج سيوف المسلمين فأفنوهم قتلا وسبيا ، ولم يفلت

(١) من دار الملك ، انظر ماسبق ، ص ٣٣٤ حاشية ٢ .

(٢) انظر ماسبق ص ٢٩٢ — ٢٩٣، ٣١١ .

(٣) انظر ماسبق ص ٣٣٣ .

(٤) جهز الناصر داود عسكره مع الظهير بن سنقر الحلبي والوزيري وأقام هو بالكرك ، انظر النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٧ ورقه ٧٩ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٩٣ ؛ العينى ، عقد الجمان ، حوادث سنة ٦٤٢ هـ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

منهم إلا الشارد[(١)] النادر ، وأسر من عسكر دمشق وعسكر الكرك جماعة مقدمون وغيرهم ، ونهبت جميع أثقال الدمشقيين .

وحُكى عن الملك المنصور أنه قال[(٢)] : « والله لقد حضرت الحرب ذلك اليوم ، وأوقع الله تعالى فى قلبى إنا لا ننتصر لانتصارنا بالكفار على المسلمين » . ومضى الملك المنصور ومن بقى معه من عسكره وعسكر دمشق فى أسوأ حال . ودخل دمشق وهو لا يصدق بالنجاة .

وانتصرت العساكر المصرية نصرة عظيمة . ووردت البشائر بذلك إلى مصر ، فزين البلدان القاهرة ومصر ، والقلعتان قلعة الجبل ، وقلعة الجزيرة — وكان بناؤها قد تم — زينة لم يزين قبل ذلك مثلها . وضربت البشائر أياما متوالية . ووصل الخبر الى الأمير حسام الدين بن أبى على بهذه الكسرة ، وهو فى الرمل ، فأسرع السير ووصل بمن معه إلى غزة وقد انفصل أمر الوقعة . ووصل الى مصر أسارى الفرنج راكبين الجمال والمقدمون منهم على خيولهم ، ومعهم جماعة من الأمراء [٤٨ ا] والأعيان من المسلمين الذين كانوا معهم أسارى ، منهم جماعة من أصحاب الملك الناصر داود وجماعة من عسكر دمشق . وكان يوم دخولهم القاهرة يوما مشهودا .

---

(١) فى المتن « الشاد » ولعل الصيغة المثبتة هى الصحيحة ، انظر ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٢٣ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

(٢) نقل ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٢٣ — ٣٢٤) هذه الرواية عن ابن واصل فى قليل من التغيير ، وذكر سبط ابن الجوزى معلومات قيمة عن هذه الوقعة ، وذكر أن الملك المنصور « جعل يبكى ويقول قد علمت إنا لما سرنا تحت صلبان الفرنج أنا لا نفلح » ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٩٣ — ٤٩٤ ؛ انظر أيضا النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٧ ورقة ٨٠ .

ذكر منازلة عسقلان والفرنج الذين بها

كنا ذكرنا أن طبرية وعسقلان سُلمتا إلى الفرنج [١]، وأنهم بنـوا قلعتهما وحصنوهما . ولمـا وقعت هـذه الواقعة أرسل السلطان الملك الصالح نجم الدين إلى الأمير ركن الدين بيبرس ، والأمير حسام الدين بن أبى على يأمرهما بمنـازلة عسقلان وانتزاعها من يد الفرنج ، فتقدم ركن الدين وحسام الدين بمن معهما من عسكر مصر إلى عسقلان ونازلوها وضايقوها . وتابعـوا الزحف عليها ، فأصابت حسام الدين جراحة عليها . وواتروا الرمى إليها بالجروخ والزنبورك [٢]، فامتنعت عليهم لحصانتها .

ثم ورد أمر السلطان إلى حسام الدين بالمضى إلى نابلس والمقام بهـا [٣]، فسار إليها وأقام بها . وحصل نواب السلطان الملك الصالح بغزة والسواحل و بيت المقدس والخليل و بيت جبريل والأغوار ، ولم يبق بيـد الملك الناصر إلا الكرك والبلقاء والصلت وعجلون ، وهى بيد سيف الدين بن قليج .

---

(١) انظر ما سبق ص ٣٣٢ .

(٢) الجرخ ـــ وجمعه جروخ ـــ نوع من القوس الرامى الذى ترمى عنه النشاب أو النفط ، والزنبورك والجمع زنبوركات قد يعنى نوعا من القسى التى ترمى عنها السهام وقد تعنى نوعا من السهام ذاتهـا ، انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ١٥٠ حاشية ٣ ، ص ٢٤٤ حاشية ١ ، انظر أيضا عبد الرحمن زكى ، السلاح فى الإسلام ، ص ١٩ .

(٣) ذكر العينى (عقد الجمان ، حوادث سنة ٦٤٢) أنه أثناء النزول على عسقلان « أصابت ابن أبى على جراحة عليهـا فأمره الصالح بالتوجه الى نابلس فتـوجه وأقام الركن بيـبرس على عسقلان لأجل أخذها ... » انظر أيضا ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٣٢٤ .

ذكر خروج الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ فى العساكر المصرية إلى الشام ومنازلته دمشق

ثم تقدم السلطان الملك الصالح إلى وزيره الصاحب معين الدين أبى محمد الحسن بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه بالتقدم على العساكر المصرية والمسير بهم إلى الشام . وبعث معه الدهليز السلطانى ، وحكّمه فى الجيوش ، وأقامه مقام نفسه[1] ، وأنفذ أمره فى الخزائن والأموال والبلاد ، فرحل الصاحب معين الدين فى عساكر مصر من القاهرة ، ووصل إلى غزة وانضافت إليه الخوارزمية ومن بغزة من العساكر المصرية . ورحل إلى بيسان ، فنزل بها وأقام بها مدة يرتب الأمور . ثم رحل إلى دمشق [ص٤٨ب] فنازلها ، وبها الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، والملك المنصور ابراهيم صاحب حمص وخرجت هذه السنة وهو منازل لها .

وسير الملك الصالح إسماعيل وزيره أمين الدولة إلى بغداد مستشفعا بالخليفة المستعصم بالله[2] ، ومتوسلا إليه ليصلح بينه وبين ابن أخيه السلطان الملك الصالح . ثم رجع من بغداد ولم يتحصل من رسالته على طائل .

وكان القاضى رفيع الدين قاضى دمشق قد فسد ما بينه وبين أمين الدولة فى سنة إحدى وأربعين . وكان أمين الدولة يشتغل عليه بعلم الطب وغيره . وهو الذى قدّم رفيع الدين وولاه قضاء دمشق . وكان رفيع الدين قد سار فى القضاء سيرة

(١) ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ورقة ٨) « وأقامه مقام نفسه ، وأمره أن يجلس فى رأس السماط على عادة الملوك ، ويقف الطواشى شهاب الدين رشيد أستاذ الدار فى خدمته وأمير جاندار والحجاب » . انظر أيضا ، المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣١٨ — ٣١٩ .

(٢) فى المتن « المعتصم بالله » ، وهو تحريف .

ردية جدا، وتقرب إلى الملك الصالح [اسماعيل](١) ووزيره أمين الدولة بظلم الرعية والحكم بالجور. فكفاه الله تعـالى وعاقبه على سوء فعله. فاتفق أنه رفع إلى الملك الصالح [اسماعيل](٢) مطالعة يسعى فيها عنده على أمين الدولة. فأوقف الملك الصالح أمين الدولة على مطالعته، فأنهى أمين الدولة إلى الملك الصالح مايعتمده الرفيع(٣) من الظلم والعسف والجور فى الأحكام، وأشياء أخر قبيحة يعتمدها فى نفسه، فعزله الملك الصالح عن القضاء واعتقله. ثم لم يزل أمين الدولة يسعى فى هلاكه حتى أمر بأن يُحمـل إلى بعض النواحى، فرمى به من شاهق، فهلك. وهـذه عاقبة الظلم والجور. ثم عوقب أمين الدولة بمـا نذكره فى حوادث سنة ثمان وأربعين وستمائة.

ذكر وفاة الملك المظفر تقى الدين محمود صاحب حماه رحمه الله(٤)

وفى هـذه السنة — توفى الملك المظفر تقى الدين محمود بن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهان شاه بن أيوب صاحب حماة، وذلك يوم السبت لثمـان مضين من جمادى الأولى من هذه السنة، أعنى سنة اثنتين وأربعين وستمائة. وكان مدة ملكه [١٤٩] خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام،

(١ — ٢) مابين الحاصرتين للتوضيح. (٣) أى رفيع الدين قاضى دمشق.

(٤) ذُكر فى الهامش بخط مخالف: «هذا هو المظفر الأوسط أحد سلاطين حماه»، انظر أيضا، العينى، عقد الجمان، حوادث سنة ٦٤٢؛ أبو الفدا، المختصر، ج ٣، ص ١٧٣؛ ابن أيبك، الدر المطلوب، ص ٣٥٦ — ٣٥٧؛ المقريزى، السلوك، ج ١، ص ٣١٨؛ أحمد بن ابراهيم الصابونى، تاريخ حماه، ص ٣٥ — ٣٦، ونقل ابن أيبك (الدر المطلوب، ص ٣٥٦ — ٣٥٧) خبر وفاة الملك المظفر تقى الدين محمود عن ابن واصل.

وكان من هذه المدة مريضا بالفالج نحو سنتين وتسعة أشهر وأياما . ولم يكن موته بالفالج وإنما عرضت له حمى حادة أياما ، فكانت وفاته بها .

وكان عمره نحو ثلاث وأربعين سنة ، لأن مولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة . ولم يخلف من الذكور غير مولانا السلطان الملك المنصور ، قدس الله روحه ، وأخيه الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي .

ذكر سيرته رحمه الله

كان رحمه الله شهما شجاعا إلى الغاية القصوى ، لم أعرف من أهل بيته من كان أفرس منه وأشجع . وكان قويا أيدا [1] ، يحمل لقا [2] من الحديد ويضمه على كتفه وقت ركوبه ، لا يقدر غيره على حمله لثقله . وحضر حروبا كثيرة أبان فيها عن شجاعته وفروسيته . وكان فطنا ذكيا لوذعيا سريع الإدراك ، قوي الفراسة . وكان مع هيبته المفرطة حسن المجاورة طيب المفاكهة ، جميل العشرة لأصحابه وخواصه . وكان له ميل إلى من عنده فضل ومعرفة . ورد إليه الشيخ علم الدين قيصر بن أبي القاسم المهندس الفاضل في العلوم الرياضية [3] ، فأحسن إليه وقربه وولاه تدريس المدرسة الحنفية النورية بحماة [4] . وبنى له أبراجا لسور حماه في غاية الحسن ، وطاحونا في الجانب الأسفل وعليها برج عظيم حفظ به تلك الناحية .

---

(١) رجل أيد أي رجل قوي ، انظر الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٨٥ ؛ الزمخشري ، أساس البلاغة ، ج ١ ، ص ٢٧ .

(٢) اللقى كفتى وهو ما طرح ، انظر ، الزبيدي ، تاج العروس ، ج ١٠ ، ص ٣٣٠ ؛ القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٣٨٩ .

(٣) عن الشيخ علم الدين قيصر عالم الرياضيات ، انظر ما سبق ، ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ حاشية ٣ .

(٤) هي الجانب الشرقي من حرم جامع نور الدين ، بنى هذه المدرسة الملك المؤيد صاحب حماه ؛ انظر محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١٢٧ .

وكان يقترح عليــه أمورا علمية وآلات رياضية ، فعمل له كرة من الخشب رسم فيها جميع الكواكب المرصودة فى السماء ، وعملت هذه الكرة بالقلعة ، وكنت أساعد[١] الشيخ علم الدين على تحريرها . وكان السلطان الملك المظفر — رحمه الله — يحضرنا ونحن نرسمها ، ويسألنا عن المواضع الدقيقة فيها ، فنخبره ، فيدرك ما نقول لصحة إدراكه وقوة ذهنه . وحصل لى منه — رحمه الله — حظ كثير ، واعتناء عظيم ، وذلك قبيل موته بسنة أو نحوها . وكان كل وقت يسأل الشيخ [٤٩ ب] علم الدين : « أى شىء وصلت إليه من كتاب المجسطى[٢] والعلوم الرياضية ؟ » . وإذا حضرت معــه باسطنى وتحدث معى كثيرا ، وسألنى عن الذى حققته من هــذه الفنون ، وهو منشرح لذلك مسرور به ، وكنت مؤملا بلوغ الآمال كلها منه . ولمــا عرض له ما عرض من ذلك المرض ، حصل عندى من الألم ما لا مزيد عليه . ففارقت حماه وانتقلت إلى الديار المصرية .

وكان رحمه الله ناقص الحظ ، لم يزل مع جيرانه فى حروب دائمة وعناء متصل إلى أن عرض من المرض له ماعرض . وكان يرجو ظهور الملك الصالح وقــوته لينتقم به من أعدائه ، فحين ظهر أمر الملك الصالح عرض له من المرض ما عرض ، وأعقب ذلك موته .

---

(١) ذكر أبو الفــدا (المختصر ، ج ٣ ، ص ١٧٣) : « قال القاضى جمال الدين بن واصل وساعدت الشيخ علم الدين على عملها » .

(٢) يحتوى كتاب المجسطى على خلاصة ماتوصل إليه قدماء اليونان فى علم الفلك ، و يعتبر هذا الكتاب المرجع الأساسى فى هــذا العلم فى العالم الأسلامى و فى أوربا إلى عصر النهضة . ونقل كتاب المجسطى إلى اللغة العربية أكثر من مرة ، انظر مقدمة كتاب الشكوك على بطليموس للحسن بن الهيثم ، تحقيق الدكتور عبد الحميد صبره والدكتور نبيل الشهابى .

ذكر استيلاء مولانا السلطان المنصور ناصر الدين أبي المعالي محمد بن الملك المظفر على مملكة والده — قدس الله روحه — وخلد ملك ولده مولانا ومالك رقنا السلطان الملك المظفر تقي الدين بالخلف الصالح عن آبائه الأكرمين

ولما توفي الملك المظفر — رحمه الله — تقلد الملك بعده ولده السلطان الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالي محمد ، وعمره يومئذ عشر سنين وشهر واحد وثلاثة عشر يوما . وقام بتدبير ملكه الأمير سيف الدين طغربل أستاذ دار والده ، والمشير في الدولة شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري[1] ، والطواشي شجاع الدين مرشد المنصوري ، والوزير بهاء الدين بن تاج الدين . والجميع يرجعون إلى ما تأمر به الصاحبة غازية خاتون بنت السلطان الملك الكامل ، والدة السلطان الملك المنصور — قدس الله روحها .

وورد الخبر بموت الملك المظفر ، إلى الديار المصرية فحزن لموته السلطان الملك الصالح ، وجلس له في العزاء .

ذكر وفاة الملك المظفر شهاب الدين غازي والملك المغيث بن السلطان الملك الصالح

وورد الخبر بوفاة الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل صاحب ميافارقين ، رحمه الله . وجلس له في العزاء بالقاهرة بالجامع الأزهر . وولي المُلك

(١) عن الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد الأنصاري ، انظر ما سبق ابن واصل ، ج ٤ ، ص ٢٧٣ — ٢٧٤ ، ٢٩٣ ، ٣٠٢ .

بميافارقين الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك المظفر شهاب الدين . ولم يزل مالكا لها إلى أن ملكها التتر بعد أن طال حصارهم لهـا . وصبر صبرا عظيما ، وجاهد فى الله جهادا لم يجاهد أحد من الملوك مثله رحمه الله ، ثم ملكها التتر وقتلوه شهيدا ، رحمه الله ورضى عنه (١) .

وورد الخبر على السلطان الملك الصالح بموت ولده الملك المغيث فتح الدين عمر بقلعة دمشق وهو معتقل فى برج من أبراجها ، فاشتد جزع الملك الصالح عليه ، وحنق على عمه الملك الصالح حنقا شديدا واتهمه بقتله ، وجد فى حربه (٢) .

ولمـا توفى الملك المظفر صاحب حماه ، سـير القاضى شهاب الدين ابراهيم ابن عبد الله بن عبد المنعم بن أبى الدم قاضى حماه (٣) إلى بغداد رسـولا إلى الخليفة المستعصم بالله مخبرا بوفاة الملك المظفر ، ومعه زرديته وسيفه ولامة حربه . فلما وصل إلى المعرة مرض بالدوسنطاريا فعاد إلى حماه ، فمات بها يوم وصوله إليها .

---

(١) ذكر سبط ابن الجـوزى (مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٥١٠) وفاة شهاب الدين غازى فى حوادث سنة ٦٤٥ هـ ، بينما ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ق ٨٦) والمقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٣٣٢) وفاته فى حوادث سنة ٦٤٦ هـ وهـذا كله تصحيف إذ ذكر أبو الفدا (المختصر ، ج ٣ ، ص ١٧٣) وابن أيبـك (الدر المطلوب ، ص ٣٥٧) أن وفاته كانت فى سـنة ٦٤٢ هـ وهو ما يؤيد قول ابن واصل . وأشار العينى (عقد الجمان ، حوادث سنة ٦٤٢ هـ) إلى هذا الخلط .

(٢) عن وفاة الملك المغيث عمر بن الملك الصالح انظـر أيضا ، العينى ، عقد الجمان ، حوادث سنة ٦٤٢ ؛ ابن أيبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٥٧ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٥١ .

(٣) هو مؤلف كتاب (التاريخ المظفرى) توفى سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م ، انظر ما سبق ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ١٧٤ حاشية ٢ ؛ أبو الفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .

فولى قضاء حماه بعـده محيي الدين أبو يعلى حمـزه بن محمـد بن القاضى أمين الدين أبى القاسم. وأُرسل إلى بغداد الشيخ تاج الدين أحمد بن محمد بن نصير الله. ثم سير من حماه الخطيب زين الدين أبو البركات عبد الرحمن بن موهوب الى مصر رسولا إلى السلطان الملك الصالح ومعه سيف الملك المظفر، وتقدمة للملك الصالح، وذلك لتسع مضين من شوال من هذه السنة. فتوجه فى البرية شرقى دمشق وذلك قبل نزول الصاحب معين الدين بن الشيخ، والعساكر المصرية عليها. واجتمع بالصاحب معين الدين وهو نازل بالعساكر الصالحية على بيسان.

ولما وصـل الخطيب زين الدين إلى القاهرة أكرمه الملك الصالح، وقبـل ما وصل معـه من التقدمة، ووعد ابن أخيه السلطان الملك المنصور أعز الله نصره بكل جميل.

وكانت المعرة بيد الحلبيين، وسلميه بيـد الملك المنصور صاحب حمص، وليس مضافا إلى حماه إلا بعرين فقط.

ودخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة (*)

والسلطان الملك الصالح نجم الدين بالديار المصرية ، وعساكره مع الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ ، وقد استولوا على أعمال الملك الناصر داود ، ولم يبق بيده غير الكرك وأعمالها والصلت وعجلون ، والملك الصالح عماد الدين محصور بدمشق ومعه الملك المنصور صاحب حمص .

ذكر استيلاء السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب على دمشق وهو استيلاؤه الثانى عليها

ولما نازل الصاحب معين الدين دمشق وضايقها (١) ، لم يكن للملك الصالح إسماعيل والملك المنصور إلا طلب الأمان وتسليم دمشق الى الملك الصالح نجم الدين لأنهما علما أنه لاطاقة لهما بعساكر مصر لكثرتها ، وقلة من عندهم من العسكر ، مع فناء مابقلعة دمشق من الذخائر . وتخلى عنهم الحلبيون ، وليس معهم مدد ، فراسلوا الصاحب معين الدين ، فتسلم الملك ، ورحل الملك الصالح [إسماعيل] (٢) إلى بعلبك ، ورحل الملك المنصور إلى حمص . ودخل الصاحب معين الدين البلد وتسلمه .

(*) يوافق أولها ٢٩ مايو سنة ١٢٤٥ ميلادية .

(١) ذكر كل من سبط ابن الجوزى (مرآة الزمان : ج ٨ ، ص ٤٩٨) ؛ والنويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ق ٨١) ؛ والعينى (عقد الجمان ، حوادث سنة ٦٤٣) والمقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٣١٩) أن الملك الصالح إسماعيل أرسل إلى الأمير الصاحب معين الدين بن الشيخ سجادة وإبريقا وعكازا «وقال اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بقتال الملوك» وأن الصاحب معين الدين أرسل إلى الملك الصالح إسماعيل « جنكا وزمرا وغلالة حريرى أصفر وأحمر ، وقال أما ما أرسلت به إلى فهو يصلح لى وقد أرسلت بما يصلح لك » .

(٢) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

وجاء كتاب السلطان الملك الصالح [نجم الدين أيوب][1] إليه بأن لا يؤمن عمه الملك الصالح [إسماعيل][2] ويقبض عليه ويرسله إليه ، ففات الأمر فيه . ووقع الإنكار من الملك الصالح نجم الدين على معين الدين فى تنفس خناق عمه وتمكينه من ذهابه سالما بحشاشة[3] نفسه ، فإنه كان لا يرى إلا إعدامه حنقا عليه بسبب إتهامه بقتل ولده ، ولما بدا منه فى حقه .

وأقام معين الدين نائبا بدمشق عن الملك [٥١ ا] الصالح . وورد على حسام الدين بن أبى على وهو بنابلس كتاب من الملك الصالح [نجم الدين أيوب][4] يأمره بالتوجه إلى دمشق متوليا لها ، فمضى إلى دمشق فدخلها وأقام بها . ومرض الصاحب معين الدين بدمشق، وتوفى بها بعد دخول حسام الدين بأيام . وقرر الملك الصالح بقلعة دمشق الطواشى شهاب[5] الدين رشيد الكبير .

ذكر خروج الخوارزمية عن طاعة السلطان الملك الصالح نجم الدين

كانت الخوارزمية لما كسروا مع عسكر مصر صاحب حمص ومن معه من العسكر الشامى والفرنج ، وانتصر بهم الملك الصالح على أعدائه ، صار لهم عليه بذلك إذلال كثير ، سيما وقد تقدم لهم كسرهم لبدر الدين[6] صاحب الموصل لما نازل

(١ — ٢) مابين الحاصرتين للتوضيح .

(٣) الحشاشة بقية الروح فى المريض ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٨ ص ١٧٢ (مادة حشش) .

(٤) مابين الحاصرتين للتوضيح .

(٥) انظر أيضا سبط ابن الجوزى (مرآة الزمان ، ج ٨ ص ٤٩٩) ؛ النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ق ٨١) .

(٦) هو الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل .

الملك الصالح وهو محصور بسنجار ، فاعتقدوا أنهم لمـا فعلوا ما فعلوا معه فى هاتين المرتين أنهم قد استحقوا أن يقاسمهم البلاد ، ويمكنهم من الاستيلاء على أكثرها ، وأنه يكون لهم أخباز عظيمة بالديار المصرية .

فلما لم يحصلوا منه على ذلك ولم يمكنهم من الوصول إليـه إلى مصر ، وخرج معين الدين فى عساكر مصر ، وتحكم فى البـلاد ، ولم يعطهم منها شيئا ، نفـرت نياتهم وفسدت ، واتفقت كلمتهم على الخروج عليه .

وكان بغزة الأمير ركن الدين بيبرس الصالحى وهو أكبر أمرائه ، وهو الذى كان معتقلا معه بالكرك ، ومعه بغزة عسكر ، فكاتبته الخوارزمية فى أن يتفقوا معه ، ويكون هم وهو يدًا واحدة ، ويزوجوه إمرأة منهم . فأصغى إليهم فيما قيـل ، وعزم على الخـروج عن الطاعة . واستمالوا المـلك الناصر داود بن الملك المعظم إليهم فمـال إليهم ، واتفق معهم ، ونزل إليهم واجتمع بهم وتزوج منهم ، إلا انه رجع إلى الكرك ولم يقم معهم .

وكان الأمير حسام الدين أبو على بن محمد بن أبى على بدمشق واليا بهـا ، من قبل الملك الصالح ، كما قدمنا ذكره فبقى هـو بهـا ، والطواشى شهاب [٥١ب] الدين رشيد الكبير فى القلعة واليا الحل والعقد بها ، ويجتمعان كل يوم ويتفقان على مصالح الدولة .

ولمـا جرى ما ذكرنا من اتفـاق الملك الناصر [داود صاحب الـكرك](1) مع الخوارزمية ، بعث الملك الناصر ولاته الى نابلس والقدس والخليل وبيت جبريل والأغوار ، واستولى على ذلك كله .

---

(1) مابين الحاصرتين للتوضيح

وكنا ذكرنا أن الملك الصالح عماد الدين كان ذهب الى بعلبك لما سلّم دمشق الى معين الدين بن الشيخ . فلما جرى من الخوارزمية ما ذكرناه ، راسلوا الملك الصالح إسماعيل وحلفوا له ، فقدم اليهم وصاروا معه ، واتفقت كلمة الجميع على محاربة السلطان الملك الصالح نجم الدين .

ذكر وصول التقليد والتشريف من الخليفة المستعصم بالله الى الملك الصالح نجم الدين أيوب

ولما بلغ السلطان الملك الصالح خروج الخوارزمية عن طاعته ، وما نقل عن ركن الدين بيبرس من ميله اليهم ، استدعاه وكان بغزة ، فقدم عليه فاعتقله بقلعة الجبل ، وكان آخر العهد به .

وخرج السلطان الملك الصالح — رحمه الله — من القاهرة فى العساكر ، فخيم بالعباسة وأقام بها . وكان قد أرسل إلى الديوان العزيز القاضى عز الدين ابن عبد العزيز بن القاضى نجم الدين أبى البركات عبد الرحمن بن أبى عصرون يلتمس التقليد بالديار المصرية والشام والشرق ، والتشريف الأمامى . ولما وصل الى بغداد سيّر معه رسول كبير من الديوان[1] وعلى يده التشريف والطوق والمركوب .

(١) ذكر سبط ابن الجوزى (مرآة الزمان ، ج ٨ ص ٥٠٠) أن رسول الخليفة كان عبد الرحمن ابن خالة محيي الدين وهو الشيخ جمال الدين عبد الرحمن بن محيي الدين يوسف بن الجوزى ، عن هذا الرسول والتقليد والخلع والهدايا الى السلطان الصالح أيوب ، انظر سبط ابن الجوزى (نفس المصدر والجزء والصفحة) ؛ النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٧ ق ٨٢) ؛ العينى (عقد الجمان ، حوادث سنة ٦٤٣) ، المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٣١٩) .

ولمـا وصلا إلى بيت المقدس توفى القاضى عز الدين ـــ رحمه الله ـــ ودفن بالقدس . وقدم الرسول بمـا معه إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين وهو مخـيم بالعباســـة .

وكان السلطان قد أفرج عن الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ فحضر الى العسكر، وقد كان مأمورا بلزوم منزله كما ذكرناه[(١)] ، فخلع عليـه وأمره وقدمه وأحسن إليه إحسانا كثيرا ، ولم يبق من أولاد شيخ الشيوخ غيره .

وقـدم الرسول [٥٢ ا] ومعـه دواة الصاحب معين الدين وخلعـه ، فأعطاه الملك الصالح لأخيه فخر الدين. وحضر الرسول فى الدهليز السلطانى، وكنت[(٢)] يومئذ حاضرا فقرئ التقليد على الناس . ثم لبس السلطان التشريف الأسود المذهب ، والعمامة، والجبة ، والطوق الذهب. وركب المركوب الذى قدم له بالحلية الذهب، وكان يوما مشهودا .

ذكر منـازلة الخوارزمية والملك الصالح عماد الدين اسماعيل دمشق ومضايقتها

ولمـا اتفقت الخوارزمية والملك الصالح عماد الدين ، نازلوا دمشق ، وبقلعة دمشـق شهاب الدين رشـيد ، وبالمدينة الأمير حسام الدين أبو على بن محمد بن أبى على ، وليس فيها من العسكر طائل . فقام حسام الدين فى حفظها أحسن قيام، وضبط أبوابها وأسوارها بالرجالة والمقاتلة ، وباشرها بنفسه ليلا ونهارا . وضايقها الخوارزمية وقطعوا عنها المواد . واشتد بها الغلاء اشتدادا لم يعهد فى الأعمار مثله ،

---

(١) انظر ماسبق ص ٢٧٦ — ٢٧٧ .

(٢) أى القاضى جمال الدين بن واصل .

حتى أنه بلغ سعر الغرارة من القمح(١) ألف درهم وستمائة درهم(٢). وهذا سعر لم يسمع بنظيره فى عصر من الأعصار، فى بلد من البلاد. وهلك عالم من أهل دمشق بالجوع والوباء.

ومن أعجب ما سمعت أن إنسانا كانت له دار تساوى عشرة آلاف درهم، عرضها للبيع فلم تزد على ألف وخمسمائة درهم، فاشترى بها غرارة واحدة من القمح، [فقامت عليه غرارة واحدة من القمح(٣)] بعشرة آلاف درهم(٤). ومات شخص(٥) فى الحبس فأكل لحمه أهل الحبس. وكان يباع حب الخرنوب بالميزان ويشترى [به(٦)]، ويتقوت به. [أخبرنى بهذا كله الأمير حسام الدين بن أبى على رحمه الله](٧).

ولما جرى ما ذكرنا(٨) اتفق الحلبيون والملك المنصور [إبراهيم(٩)] صاحب حمص مع السلطان الملك الصالح نجم الدين [أيوب(١٠)] على حرب الخوارزمية وطردهم من

(١) نهاية الجزء الساقط من نسخة س انظر ما سبق ص ٢٩٦ حاشية ٢.

(٢) انظر أيضا النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٧ ق ٨٢.

(٣) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س.

(٤) ذكر العينى (عقد الجمان، حوادث سنة ٦٤٣): «وضيقوا على دمشق فبلغت الغرارة ألفا وستمائة درهم، والقنطار الدقيق بتسعمائة درهم، والخبز أوقيتين إلا ربع بدرهم، والرطل اللحم بسبعة دراهم. وعدمت الأقوات، وبيع العقار بالدقيق. وأكلت الميتات والجيف والدم والقطاط والكلاب، ومات الناس على الطرقات ...» انظر أيضا المقريزى، السلوك، ج ١، ص ٣٢٢.

(٥) فى نسخة س «رجل».

(٦ — ٧) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب.

(٨) فى نسخة س «قال القاضى جمال الدين بن واصل صاحب هذا التاريخ: ولما جرى ما ذكرنا ...».

(٩) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب.

(١٠) مابين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س وساقط من ب.

البلاد ، فخرجت العساكر من حلب ، وتقدم عليها الملك المنصور صاحب حمص ، واستعد للقاء الخوارزمية .

ولما سمعت الخوارزمية باستعداد[1] الملك [٥٢ ب] المنصـور وعسكر حلب للقائهم ، رحلوا عن دمشق طالبين لقاءهم ، وانفرج الخناق[2] عن دمشـق ، وكان ماسنذكره إن شاء الله تعالى فى حوادث السنة الآتية .

وفى هذه السنة تسلم نواب مولانا السلطان الملك المنصور صاحب حماه سلمية ، سلمها إليهم السلطان الملك الصالح نجم الدين [أيوب[3]] وذلك لما فتحت دمشق . وكانت [سلمية[4]] بيـد الملك المنصور صاحب حمص . ولم يبق خارجا عن مملكة جده الملك المنصور إلا المعرة[5] .

ذكر قصد التتر بغداد ورجوعهم [عنها[6]] خائبين

وفى هـذه السنة أو التى قبلها ، قصدت طائفة من التـتر بغداد ونهبوا ما فى طريقهم اليها ، ووصلوا إلى سوق الخيل ظاهر بغداد ، واستعدت عساكر الخليفة[7] المستعصم بالله للقائهم .

ولما جن التتر الليل[8] ، وعلموا أنه[9] لا طاقة لهم بمن فى بغـداد من العسكر ، أوقدوا نيرانا كثيرة لئلا[10] يشعر برجوعهم ، ثم رحلوا تحت الليل . ولما طلع الصباح

(١) فى نسخة س « استعداد » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « الحصار » والصيغة المثبتة من ب .

(٣ — ٤) ما بين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س وساقط من ب .

(٥) فى نسخة س « إلا المعرة حسب » .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من س ومثبت فى ب .

(٧) فى نسخة س « واستعد الخليفة » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) فى نسخة س « فلما أجن على التتر الليل » ، والصيغة المثبتة من ب

(٩) فى نسخة س « أنهم » والصيغة المثبتة من ب .

(١٠) فى نسخة س « كثيرة بالليل لئلا » والصيغة المثبتة من ب .

لم يوجد منهم أحد فتبعتهم عساكر بغداد يقتلون من تخلف منهم، وينهبون . وعادوا إلى بغداد .

ولما وصل الخبر بذلك إلى الشام، كتب الملك الناصر داود بن الملك المعظم — رحمه الله — إلى الخليفة [الإمام](١) المستعصم بالله يهنيه بهذا الفتح . [ونظم قصيدة فى التهنئة وهى](٢) : —

كذا فليقم(٣) لله من قام بالأمر وجاهد فيه بالردينية(٤) السمر
تهن أمير المؤمنين بنصرة أتتك من الله القدير على قدر(٥)
أهنت جزيل المال فى جلب نصرة(٦) فأعطاك بالتهوين عزا على الدهر
وجدت بنفس لا يجاد بمثلها بفوزيت بالنصر المعجل والأجر(٧)
لقيت ملوك الترك إذ جاء جمعها تجالد دين الله بالكبر والكفر
فلاتَ ملوكا ما تسنى لهمة ملوكية قصدا لعسكرها المجر(٨)

---

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٢) مابين الحاصرتين غير مذكور فى نسخة س ، وورد بدلها « بهذه الأبيات » وذكر العينى (عقد الجمان ، حوادث سنة ٦٤٣) بعض هذه الأبيات .

(٣) أول الشطر الأول من هذا البيت غير واضح فى نسخة ب، والصيغة المثبتة من س وكذلك من كتاب الفوائد الجلية فى الفرائد الناصرية للملك الأمجد بن الملك الناصر داود، ص ١٤١ حيث ورد الشطر الأول : « كذا فليقم من قام لله بالأمر » .

(٤) الردينية نوع من الرماح نسبة إلى ردينة وهى امرأة فى الجاهلية كانت تسوى الرماح بخط هجر ، انظر الزبيدى ، تاج العروس ، ج ٩ ، ص ٢١٤ .

(٥) هذا البيت ساقط من نسخة س ومثبت فى ب وكذلك فى الفوائد الجلية ، ص ١٤١ .

(٦) فى الفوائد الجلية ، ص ١٤١ ، « عزيز » والصيغة المثبتة من نسختى المخطوطة .

(٧) البيت ساقط من نسختى المخطوطة ومثبت فى الفوائد الجلية ، ص ١٤١ .

(٨) عسكر مجر أى جيش عظيم كثير العدد ، انظر القاموس المحيط ، ج ٢ ص ١٣٥ .

وقاتلتهـم إذ قاتلوك بعـزمة ... كعزم رسول الله فى عُدوتى بدر (١)

وصُلت عليهـم صـولةً هاشمية ... أذاقتهمُ كأسا أمرّ من الصبر

تركتهم صرعى وأشلاءُ صيدهم ... توزع بين النون والسيد والنسر (٢)

وحُق لمن قـد قام فى نصر دينه ... بصدق يقـين أن يؤيد بالنصر

رآك ولىُّ الأمر كفؤا فزفها ... اليك تهادى حين أغليت فى المهر

فجاءتك بكرا وانثنت وهى ثيب ... فأحسن بها فى الدهر من ثيب بكر

فياوقعة أهدت إلى الناس كلهم ... أمانا أعاد اليسر فى موضع العسر

هنيئا لمن أصـلى لوافح حرّها ... ليأمن يومَ العرض من لهب الحر

فياليتنى لو كنت بين صـفوفها ... لينبيء فى الهيجاء عن خَبرى خُبرى

أصولُ وخـير الناس ينظر بجُرأتى ... على الصف فى الأقدام والكر والفر

لأُلـقى بنحـرى المشرفيـة (٣) دونه ... وأحطِم صدر السمهرية (٤) فى الصدر

(١) فى نسختى المخطوطة « غزوتى » والصيغة المثبتة من الفوائد الجلية ، ص ١٤١ ؛ وهناك عدوتان ببدر نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعدوة الشامية أما القرشيون فنزلوا بالعدوة اليمانية ، والعدوة هى شاطىء الوادى وجانبه الصلب ، انظر المقريزى ، امتاع الأسماع ، ٧٩ .

(٢) ورد فى نسخة س « بين البوم والسقر والنسرى » وهو تحريف ، والصيغة المثبتة من نسخة ب وكذلك من الفوائد الجلية للملك الأمجد بن الملك الناصر داود ، ص ١٤١ ، والنون هو الحوت والسيد هو الذئب .

(٣) السيوف المشرفية نسبة إلى مشرف ، مفرد المشارف وهى قرى قرب حوران تدنو من الريف ، انظر ابن سيده ، المخصص ، السفر السادس ، ص ٢٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٣٦ .

(٤) السمهرية نوع من الرماح ، ذكر ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٤٦) ، أنها نسبت إلى قرية يقال لها سمهر بالحبشة ، كما يقال للرمح الصلب السمهرى ، انظر ، ابن سيده ، المخصص ، السفر السادس ، ص ٣٣ ؛ الشرتونى ، أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد ، ج ١ ، ص ٥٤٥ .

أروح بمحمر الدماء مضرجا (١) لأغدوَ فى الفردوس فى حلل خضر (٢)
وإن يك فى العمر المنغص بقية أرد متون البيض فى قرب حُمر
رفعتُ إلى الباب الكريم قصيدةً تنوب مناب العبد فى الحمد والشكر
زهت فهى ملك العِقد تم بهاؤه بما نظمت يُمناك من فاخر الدر
مدحتُك أرجو أن أفوز برتبة يُزان بها شعرى ويعلو بها قدرى (٣)
وإلا فمن جاء الكتابُ بمدحه لفى غُنية منه (٤) عن المدح بالشعر

وفى (٥) هذه السنة ، توجه من حماه الشيخ تاج الدين أحمد بن محمد بن نصر الله رسولا إلى السلطان الملك الناصر صاحب حلب ، ليعقد العقد للسلطان الملك المنصور — قدس الله روحه — على ابنة خالته الصاحبة عصمة الدين عائشة خاتون ابنة الملك العزيز صاحب حلب ، رحمه الله . فقدم الى حلب وعقد العقد بقلعة حلب على صداق خمسين ألف دينار . وأوجب العقد من جهة الملك الناصر القاضى كمال الدين بن زين الدين بن الأستاذ — رحمه الله — قاضى حلب . وقبل العقد من جهة الملك المنصور الشيخ تاج الدين رحمه الله .

---

(١) فى نسخة س « مضرج » وهو تحريف والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة ب ومن الفوائد الجلية ، ص ١٤٢ .

(٢) فى نسخة س « بالحلل الخضر » والصيغة المثبتة من نسخة ب ومن الفوائد الجلية ، ص ١٤٢ .

(٣) فى نسخة س « ويزهو » والصيغة المثبتة من نسخة ب ومن الفوائد الجلية ص ١٤٢ .

(٤) فى نسختى المخطوطة « عنه » والصيغة المثبتة من ديوان الفوائد الجلية ، ص ١٤٢ ، ويقتضيها السياق والمعنى .

(٥) السطور التالية حتى نهاية حوادث السنة ساقطة من نسخة س ومثبتة فى ب .

ودخلت سنة أربع وأربعين وستمائة (*)

والسلطان الملك الصالح [٥٣ ب] نجم الدين [أيوب](١) مخيم على العباسة بالعساكر المصرية ، وقد اتفق الملك المنصور [ابراهيم](٢) صاحب حمص وعسكر الملك الناصر صاحب حلب على لقاء الخوارزمية ودفعهم عن البلاد . وقدمت(٣) عساكر حلب إلى حمص ، واجتمعوا بالملك المنصور(٤) . وقد أفرجت الخوارزمية عن دمشق لما علموا ذلك ، ومعهم الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، وتقدموا إلى جهة الملك المنصور ومن معه من العساكر(٥) .

ذكر كسرة الخوارزمية وتبدد شملهم ومقتل حسام الدين بركة خان مقدمهم(٦)

وفى أول هذه السنة وقع المصاف(٧) بين الملك المنصور صاحب حمص وعسكر

(*) يوافق أولها ١٩ مايو سنة ١٢٤٦ ميلادية .

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٣) فى نسخة س « وتقدمت » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) فى نسخة س « الملك المنصور صاحب حمص » .

(٥) فى نسخة ب « وقدموا إلى جهتهم » والصيغة المثبتة من س .

(٦) من كسرة الخوارزمية فى هذه السنة انظر ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٥٠٤ ؛ أبو الفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٧٥ ؛ ابن أيبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٥٨ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ق ٨٣ ؛ العينى ، عقد الجمان ، حوادث سنتى ٦٤٣ ، ٦٤٤ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٢٤ .

(٧) فى نسخة س « مصاف » والصيغة المثبتة من ب .

حلب ، [وبين الخوارزمية[1]] على القصب[2] وهى منزلة قبلى حمص على مرحلة منها ، فانهزمت الخوارزمية هزيمة قبيحة تبدد بها شملهم[3] ، وانقطع دابرهم ، فلم تقم لهم بعدها قائمة . وقتل مقدمهم حسام الدين بركة خان ، قتله مملوك من مماليك الأمير سعد الدين بن الدريوش أحد أمراء حلب [الكبار[4]] . وكفى الله الناس شرهم ، فإن البلاد كانت منهم فى بلاء عظيم من النهب والسبى وسفك الدماء ، وانتهاك الحرمات . ومضت جماعة منهم إلى التتر ، واتصلوا بهم وخدموهم ، منهم[5] كشلوخان [وغيره[6]] ، وجماعة خدموا بمصر ، وجماعة خدموا بالشام . وحُمل رأس [حسام الدين[7]] بركة خان إلى حلب فنصب[8] بباب قلعتها .

ووردت البشائر بذلك إلى الديار المصرية ، فزينت المدينتان القاهرة ومصر ، والقلعتان قلعة الجبل وقلعة الجزيرة . وصلح مابين الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص ، والسلطان الملك الصالح[9] ، وحصل بينهما التصافى والتوادّ[10] . وكذلك

---

(١) فى نسخة س « الخوارزمية » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) ذكر ابن أيبك (الدر المطلوب ، ص ٣٥٨) أن الوقعة كانت « على بحيرة حمص » ، وفى العينى (عقد الجمان ، حوادث ٦٤٤) « على عيون القصب » والصيغة المثبتة فى نسختى المخطوطة وكذلك فى أبى الفدا (المختصر ، ج ٣ ، ص ١٧٥) .

(٣) فى نسخة س « فاقتتلوا قتالا شديدا ، فوقعت الكسرة على الخوارزمية فانهزمت أقبح هزيمة وتبدد شملهم » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٥) فى نسخة س « مثل » والصيغة المثبتة من ب .

(٦ — ٧) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٨) فى نسخة س « وعلق فنصب » والصيغة المثبتة من نسخة ب وكذلك من العينى (عقد الجمان ، حوادث سنة ٦٤٤) .

(٩) فى نسخة س « والملك الصالح نجم الدين أيوب » والصيغة المثبتة من ب .

(١٠) فى نسخة س « والوداد » والصيغة المثبتة من ب .

صلح[1] ما بين الملك الصـالح [نجـم الدين أيوب[2]] والحلبيين ، واتفقت كلمـة الجميـع .

وأما الملك الصالح عماد الدين إسماعيل فإنه [بعد الكسرة[3]] سار إلى حلب ، وأقام[4] بها ملتجئا إلى الملك الناصر بن الملك العزيز. وأرسل بعد [١٥٤] ذلك الملك الصالح كاتبه بهاء الدين زهيرا يطلبه من الملك الناصر صاحب حلب[5] .

فلما ذكر بهاء الدين [زهير[6]] للملك الناصر [صاحب حلب[7]] ذلك ، شق ذلك عليه . وقال : « كيف يحسن [بى[8]] أن يلتجئ إلىّ خال أبى ، وهو كبير البيت ، وأسيّره إلى مَن يقتله ، وليس من المروءة إذا استجار [إنسان[9]] بإنسان أن يخفر ذمته ويسلمه إلى عدوه . هذا شيء لا يكون أبدا » .

[فرجع بهاء الدين زهـير إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب[10]] بهذا الجواب ، فتألم لذلك وسكت عن طلبه[11] ، وكان فى غاية الحنق عليه [لمـا قدمنا ذكره[12]] . [وكانت هذه الرسالة ــ على مابلغنى ــ فى سنة خمس وأربعين وستمائة[13]] .

---

(١) فى نسخة ب « حصل » والصيغة المثبتة من نسخة س .

(٢ ــ ٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٤) فى نسخة س « فأقام » .

(٥) وردت هذه الجملة فى نسخة س فى قليل من التقديم والتأخير .

(٦ ــ ٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٨ ــ ٩) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(١٠) مابين الحاصرتين من نسخة س وفى ب « فرجع بهاء الدين إلى الملك الصالح » .

(١١) فى نسخة س « وسكت عنه » والصيغة المثبتة من ب .

(١٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٣) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

وكان الأمير عز الدين أيبك المعظمي صاحب صرخد، قد[1] صار مع الخوارزمية. فلما جرى من [كسرة[2]] الخوارزمية ماذكرناه مضى إلى صرخد وامتنع بها، إلى أن جرى ما سنذكره [إن شاء الله تعالى[3]].

ذكر استيلاء [السلطان[4]] الملك الصالح نجم الدين [أيوب[5]] على بعلبك

ولما جرى من الكسرة على الخوارزمية ماذكرنا، وكانت[6] بعلبك بيد الملك الصالح عماد الدين اسماعيل، ولم[7] يمكنه الدخول إليها خوفا أن يحاصر، ويؤخذ أخذا باليد، فيقتله الملك الصالح [نجم الدين أيوب[8]] ابن أخيه، بإبنه الملك المغيث، فمضى إلى حلب واستجار بصاحبها [الملك الناصر بن الملك العزيز[9]].

ورحل الأمير حسام الدين بن أبي علي [الهذباني[10]] نائب السلطان الملك الصالح [نجم الدين أيوب[11]] بدمشق بمن معه من العسكر، ونازل [قلعة[12]] بعلبك وضايقها، وكان بها الملك المنصور نور الدين محمود بن الملك الصالح [عماد الدين إسماعيل[13]] وإخوته. واشتد عليهم الحصار، فسلموها إلى الأمير حسام الدين بالأمان، فتسلمها حسام الدين[14]، وولي فيها. ورتب أمرها وسار إلى دمشق، وأولاد الملك الصالح

(١) في نسخة ب « وقد » والصيغة المثبتة من س.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في ب.
(٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.
(٤) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت في ب.
(٥) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.
(٦) في نسخة س « كانت » والصيغة المثبتة من ب.
(٧) في نسخة س « فلم » والصيغة المثبتة من ب.
(٨ — ١٣) مابين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س وساقط من ب.
(١٤) في نسخة س « حسام الدين أبي علي ».

[عماد الدين](١) معه ، فاعتقلهم بدمشق ، ثم بعث بهم إلى ابن عمهم الملك الصالح نجم الدين إلى الديار المصرية . وبعث إليه [أيضا](٢) أمين الدولة وزير الملك الصالح ، وأستاذ داره ناصر الدين بن يغمور فاعتقلوا [٥٤ ب] جميعهم بالديار المصرية إلى أن جرى [لهم](٣) ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

فحكى لى حسام الدين بن أبى على رحمه الله(٤) قال : لما كنت فى الجب بقلعة بعلبك لا أفرق(٥) بين الليل والنهار ، حدثتنى نفسى يوما وأنا فى تلك الحالة السيئة التى تشعر باليأس من الحياة بالكلية ، أنى أخرج من الحبس وأرجع إلى منزلتى التى كانت لى من(٦) الملك الصالح نجم الدين [أيوب](٧) ، وأنه يُسيرنى إلى بعلبك وأفتحها وأحتاط على أولاده وأحملهم بين يدى الى دمشق . قال [حسام الدين](٨) : فقلت لنفسى هذا من الأمانى الكاذبة التى تبعد فى العقل أن تكون . قال(٩) : فما كان بعد مدة يسيرة إلا وقد حصل لى كل ما تمنيت عيانا لم يخرم منه شىء(١٠) .

(١ — ٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(٣) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٤) فى نسخة س « قال القاضى جمال الدين بن واصل صاحب هذا التاريخ : حكى لى حسام الدين أبى على ... » .

(٥) فى نسخة س « كنت لا أفرق فيه » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) فى نسخة س « منزلتى التى كانت عند » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) ما بين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

(٨) ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٩) الكلمة ساقطة من نسخة س .

(١٠) انظر أيضا ابن أيبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٥٩ .

واتفقت أيضا وفاة سيف الدين بن قليج ، وكان بعجلون . وكان كما ذكرنا[1] أقطعه إياها الملك الناصر داود [بن الملك المعظم[2]] فتسلمها [السلطان[3]] الملك الصالح نجم الدين [أيوب[4]] .

[وأما عز الدين أيبك المعظمى فإنه لما نزل الملك الصالح نجم الدين[5]] [أيوب[6]] إلى الشام فى هذه السنة على ما سنذكره[7] ، سلم صرخد [إلى الملك الصالح[8]] فتسلمها منه . وتوجه عز الدين أيبك إلى القاهرة فمات بها[9] . وصفت هذه البلاد [كلها[10]] للملك الصالح [نجم الدين[11]] ولم يبق خارجا عنه إلا الكرك ، وبها الملك الناصر داود [بن الملك[12] المعظم] فى حكم المحصور .

ذكر محاصرة فخر الدين بن شيخ الشيوخ للملك[13] الناصر داود [ابن الملك المعظم فى الكرك[14]]

وسير [الملك الصالح نجم الدين أيوب[15]] [فى هذه السنة بعد أخذ بعلبك[16]] الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ فى العساكر المصرية لقصد الملك

(١) انظر ما سبق ، ص ٣٢٨ .

(٢ — ٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٥) مابين الحاصرتين مذكور فى هامش نسخة ب ومثبت فى س .

(٦) مابين الحاصرتين ساقط من نسخة ب ومثبت فى س .

(٧) فى نسخة ب « ماسنذكر » والصيغة المثبتة من س .

(٨) فى نسخة س « اليه » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) عن تسلم السلطان الصالح نجم الدين أيوب لصرخد من الأمير عز الدين أيبك ، انظر ابن أيبك الدوادارى ، الدر المطلوب ، ص ٣٦٠ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٧ ق ٨٤ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٢٦ .

(١٠ — ١٢) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(١٣) فى نسخة س « الملك » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من ب .

(١٤ — ١٥) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٦) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

الناصر داود فتوجه من الديار المصرية إلى الشام ، واستولى على ما كان بيد الملك الناصر [داود(١)] من البلاد وهى القدس ونابلس و بيت جبريل والصلت والبلقاء، وولى فيها جميعها . ثم توجه(٢) إلى الكرك فخرب ما كان حولها(٣) من الضياع وأضعفها إضعافا شديدا . ثم نازل الكرك [بعد ذلك(٤)] وحاصرها وهى منيعة جدا، فأقام على محاصرتها أياما(٥) ثم رحل عنها . وقل(٦) ما عند الملك الناصر [داود](٧) من المـال [٥٥ ا] والذخائر .

ولمـا اشتد عليه الأمر وضاق خناقه ، عمل قصيدة [بليغة رائقــة السبك ، حسنة المعانى ، جزلة الألفــاظ ، وهى من قلائد شعره(٨)] ، يعاتب فيها ابن عمه الملك الصالح [نجم الدين أيوب(٩)] ، وذكر فيها ما له من اليد عنده، وما أولاه من الجميل فى خدمته، وذبه عنه ، ودفع أعدائه عنه ، حين قصدوا أخذه منه ليريقوا دمه ، ثم إخراجه وتمليكه الديار المصرية ، وأنه لم يجازه(١٠) على فعله هـذا ، وقطع رحمه ، والقصيدة هى هذه(١١) :

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .
(٢) فى نسخة س « وتوجه » والصيغة المثبتة من ب .
(٣) فى نسخة س « ما حولها » والصيغة المثبتة من ب .
(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س .
(٥) فى نسخة س « أيام » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من ب .
(٦) فى نسخة س « وقد قل » والصيغة المثبتة من ب .
(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .
(٨) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .
(٩) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .
(١٠) فى نسخة س « لم يجازيه على فعله إلا قطع رحمه » وهو تحريف والصيغة المثبتة من ب .
(١١) انظر نص القصيدة كاملا فى كتاب الفوائد الجلية فى الفرائد الناصرية ، للملك الأمجد بن الناصر داود ، ص ١٨٥ — ١٨٧ .

قولوا لمن[(١)] قاسمته مُلك اليـد — ونهضت فيـه نهضة المستأسد
واقمت[(٢)] فيه كل أصيدَ من ذوى — رحمى عريقٌ فى العَـلاء مسوّد
لاقيتهـم بســنان كلّ مثقف — صدق الكعوب وحد كلّ مهند
عاصيت فيه ذوى الحجى من أسرتى — وأطعت فيـه مكارمى وتوددى
يا قاطـع الرحم التى صلى لهـا[(٣)] — كُتبت على الفلك الأثير بعسجد
سَـدَّدت[(٤)] نحوى بالعتاب[(٥)] مقالة — جاءت كسهم للنضال مسـدّد
أتقول فىّ مقـالة لك جزؤهـا — إن أنصفت أو كلها إن تعتـدى
إن كنت تقدح فى صريح مناسبى — فاصبر بعرضك للهيب الموصد[(٦)]
عمى أبوك ووالـــدى عـم به — يعلو انتسابك كل ملك أصـيد
صالا وجالا كالأسود ضواريا — وأزيز[(٧)] تيـار الفـرات المـزبد

(١) كذا فى نسختى المخطوطة وكتاب الفوائد الجليـة بينا ورد فى ابن تغـرى بردى (النجوم، ج ٦، ص ٣٢٦) « قل للذى ».

(٢) فى نسخة ب « واقفت » وفى نسخة س « وافقت » والصيغة المثبتة من الفوائد الجليـة، ص ١٨٥.

(٣) فى نسخة س وكذلك فى ابن تغرى بردى (النجوم، ج ٦، ص ٣٢٦) « بها » والصيغة المثبتة من نسخة ب وكذلك من الفوائد الجلية، ص ١٨٥.

(٤) فى نسخة ب « سدت » والصيغة المثبتة من نسخة س ومن الفوائد الجلية.

(٥) فى نسخة ب « العتاب » وفى الفوائد الجلية « بالعقاب » والصيغة المثبتة من نسخة س.

(٦) الشطر الثانى ورد فى الصـيغة المثبتـة فى نسـخة س وفى الفوائد الجليـة ص ١٨٥، وفى نسخة ب « فاصـبر بعرضك فى اللهيب الموصد »، وفى ابن تغـرى بردى (النجوم، ج ٦، ص ٣٢٦) « فاصبر بعزمك للهيب المرصد ».

(٧) كذا فى نسختى المخطوطة وفى الديوان، وفى ابن تغرى بردى (النجوم، ج ٦، ص ٣٢٦) « فارتد ».

ورثا الحماسة والسماحة عن أب وَرّاد حرب مُورد للمحتـدى (١)

العـادل المـلك المؤيد بالتق سيف الإله على البُغاة محمــد (٢)

هم دوّخوا قمم المـالك فاغتدت (٣) منقـادة ولغـيرهم لم تنقــد (٤)

إنى وإنك نلتــق فى ذروة للجد تعـلو عن مـكان الفرقـد

بهم حللنا الأوج فى فلك العلا فعلام تعبث بالحضيض الأوهد

دع سيف مِقولى البليغ يذب (٥) عن أعراضـكم بفرنـده المتوقـد

فهو الذى قـد صاغ تاج فخاركم بمفصّـل من لؤلؤ وزبرجد

فلئن غدوتُ (٦) بمـا يقول مخصصى لأبرهنن على (٧) الصحيح المسند

إنى الذى اشتهرت جميلُ خلائق لفعال (٨) معروفٍ وقولٍ أحمـد

النـاس أجمــع يعلمون بأننى آل شـاذى فى صميم المحتــد

بيـتى ونفسى فى المعـالى آية (٩) مثل السُها ماأن تلامس باليـد

سمـح إذا (١٠) ما شح موسر معسر فى حالـتى بطارفى وبمتــلدى

إنى لأُقصـد والملـوك كثيرة فى حالـتى (١١) خـوف وعام أجرد

(١) كذا فى نسختى المخطوطة وفى الفوائد الجلية « للمحتد » .

(٢) البيت التالى ورد فى هامش نسخة س وساقط من ب .

(٣) فى نسخة س « فانعدت » والصيغة المثبتة من الديوان .

(٤) البيتان التاليان ساقطان من نسختى المخطوطة ومثبتان فى الديوان ، ص ١٨٥ — ١٨٦ .

(٥) كذا فى نسختى المخطوطة ، وفى الفوائد الجلية ص ١٨٦ « يذود » .

(٦) كذا فى نسختى المخطوطة ، وفى الفوائد الجلية ص ١٨٦ « ولئن » .

(٧) كذا فى نسخة ب وفى الفوائد الجلية وفى نسخة س « عن » .

(٨) فى نسخة س وفى الفوائد الجلية « بفعال » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) كذا فى نسخة س والديوان ، ص ١٨٦ ، وفى نسخة ب « أنه » .

(١٠) كذا فى نسخة س والفوائد الجلية ، وفى نسخة ب « إذ » .

(١١) كذا فى نسختى المخطوطة وفى الديوان ، ص ١٨٦ « أزمتى » .

بيتى إذا ما خاف حر أورجا … حَرَمُ الدخيل وكعبة المسترفد
حَصِنُ المطرد إن تعذّر منعه … من خوف جمّاع الجنود مؤيد
آوى المشرّد لى وأعطى مانعى … وأُقيل أعدائى وأرحم حسّدى
إن الغنى والجود من نفس الفتى … ليسا (١) بكثرة أينُق (٢) أو أعبد
ما كلُّ مقلالٍ ضنين (٣) باللُّهى … ما كلُّ مكثار بذى كفٍ ندى
كم من فقيرٍ كالغنى بفعله … وآخر غنىٌّ كالمُملق المتجرد (٤)
فلذا يجود ووجهه متهلل … ولذاك يأخذ وهو كالعانى الصَّدِ (٥)
ما أمنى العافون إلا عاينوا … بِشْرا بوجهى وإخضلالا فى يدى
ما إن رُئيت ولا أرى فى مُهلتى … يوما على أهلى بفظ أنكد
إنى لهم فى النائبات لخادمٌ … والخادم الكافى لهم كالسيد
وأنا المجيب دُعاءهم إن أرهقوا … علنا بصوتى فى العجاج (٦) الأربد
وأقيهم بحُشاشتى (٧) متبرعا … من كل بؤس رائح أو مغتدى
أفديهم إن قوتلوا وأمدُّهم … إن أُعسروا وأردهم (٨) للسؤدد
يا محرجى بالقول والله الذى … خضعت لعزته جباه (٩) السُّجد

(١) كذا فى نسخة س والفوائد الجلية ، ص ١٨٦ وفى نسخة ب « ليس » .
(٢) أينق جمع ناقة انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نوق .
(٣) كذا فى نسخة ب والديوان ، ص ١٨٦ ، وفى نسخه س « ظنين » .
(٤) كذا فى نسخة س والديوان ، ص ١٨٦ ، وفى نسخة ب « المتجدد » .
(٥) ورد هذا البيت فى الصيغة المثبتة فى نسخة س وفى الديوان ، ص ١٨٦ بينا ورد البيت محرفا فى نسخة ب :

فكذا الجود ووجهه مهلل … وكذاك يأخذ وهو كالعانى المعتدى

(٦) كذا فى نسخة س وفى الديوان ، ص ١٨٧ ، وفى نسخة ب « الحجاج » .
(٧) فى الفوائد الجليه « فأقيهم » والصيغة المثبتة من نسختى المخطوطة .
(٨) فى نسخة س والديوان ص ١٨٧ « وأودهم » والصيغة المثبتة من ب .
(٩) كذا فى نسخة ب والديوان ، ص ١٨٧ وكذلك ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٦ ، ص ٣٢٧ ، وفى نسخة س « الجباه » .

لولا مقالُ الهجر منك لمَا بدا | منى افتخارٌ بالقـريض المنشَد
إن كنتُ قلتُ خلافَ ماهو شيمتى | فالحاكمون (١) بمسمع وبمشهـد (٢)
نخـر الفـتى بفعاله ذم إذا | هو لم يلاحى (٣) بالمقال المعتـدى
والصدق كالكذب الصريح سفاهة | والمستقيم المتن (٤) كالمتأود
والله يا ابن العـم لولا خيفتى (٥) | لرميت ثغرك بالعـداة المُرّد
لكننى ممن يخاف حَرامه | ندما يُجَرّعنى سهام (٦) الأسـود
فأراك (٧) ربّك بالهـدى ما ترتجى | لتراك تفعل كل فعل أرشـد
لتعيـد وجه الملك طلقا ضاحكا | وترد شمـل البيت غير مبـدّد
كيلا (٨) ترى الأيام فينا فرصـة | للخارجين وضحـكة للحسّـد
لا زال هـذا البيتُ مرتفع البنا | يزهو بأمجـد [بعد] (٩) آخر أمجد
تحوى البنون المجـد عن آبائهم | ارثًا على مر الزمان الأطرد
حـتى يكونوا للمسيح عصابة | بهم يسوس المعتـدى والمهتدى (١٠)

(١) كذا فى نسخة س والفوائد الجلية ، ص ١٨٧ وابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٦ ، ص ٣٢٧ ، وفى نسخة ب « والحاكون » .

(٢) البيتان التاليان ساقطان من نسخة ب ومثبتان فى نسخة س وفى الديوان ، ص ١٨٧ .

(٣) فى الفوائد الجلية « يلاق » والصيغة المثبتة من نسخة س وهى أبلغ ، والملاحاة المخاصمة والنزاع ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢٠ ص ١٠٨ .

(٤) فى الفوائد الجليه « المتين » والصيغة المثبتة من نسخة س .

(٥) كذا فى نسخة س والديوان ، ص ١٨٧ وفى نسخة ب « حنقى » .

(٦) فى نسخة س والفوائد الجلية ، ص ١٨٧ « سمام » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) كذا فى نسخة ب والديوان ، ص ١٨٧ وابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٦ ، ص ٣٢٧ ، وفى نسخة س « لأراك » .

(٨) فى نسخة س « إلا » وفى الديوان ، ص ١٨٧ « أنا » والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة ب ومن ابن تغرى بردى (النجوم ، ج ٦ ، ص ٣٢٧) .

(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من ب ومثبت فى س والديوان ، ص ١٨٧ .

(١٠) ورد هذا البيت فى هامش نسخة س .

ذكر وفاة الملك المنصور صاحب حمص رحمه الله

ولما جرى[(١)] من كسر الخوارزمية ما قدمنا ذكره[(٢)]، واتخذ الملك المنصور ابراهيم ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه[(٣)] صاحب حمص بما فعله يدا[(٤)] عند [السلطان[(٥)]] الملك الصالح [نجم الدين أيوب[(٦)]]، وتقرب به إليه[(٧)]، وراسله بانتمائه إليه، ودخوله فى طاعته، فعلت منزلته [عنده[(٨)]] بما فعل من كسر [الخوارزمية[(٩)]] أعدائه والقيام بنصرته. وأرسل الملك الصالح [نجم الدين أيوب[(١٠)]] إليه بما طيب به قلبه[(١١)]، وباستدعائه إليه ليعتمد فى اموره[(١٢)] كلها عليه. فقدم الملك المنصور [صاحب حمص[(١٣)]] إلى دمشق، فقام بخدمته الأمير حسام الدين [أبى على[(١٤)]] نائب السلطان الملك الصالح [نجم الدين أيوب[(١٥)]] وبجميع ما يحتاج إليه من وظائفه.

فحكى لى[(١٦)] الأمير حسام الدين [أبى على[(١٧)]] قال: قال لى الملك المنصور [صاحب حمص[(١٨)]]: « والله لأبذلن مهجتى فى خدمة السلطان، وأغسل بما أفعله

(١) فى نسخة س « ولما جرى ما ذكرنا » والصيغة المثبتة من ب.
(٢) انظر ما سبق ص ٣٥٨.
(٣) فى نسخة س « بن شيركوه » والصيغة المثبتة من ب.
(٤) اليد بمعنى النعمة والطاعة، انظر ابن منظور: لسان العرب، ج ٢٠، ص ٣٠٥.
(٥) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س.
(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.
(٧) فى نسخة س « وتقرب اليه » والصيغة المثبتة من ب.
(٨ — ١٠) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.
(١١) فى نسخة س « بما طيب قلبه » والصيغة المثبتة من ب.
(١٢) فى نسخة س « فى الأمور » والصيغة المثبتة من ب.
(١٣ — ١٥) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.
(١٦) فى نسخة س « قال صاحب التاريخ: فحكى لى ... » والصيغة المثبتة من نسخة ب.
(١٧ — ١٨) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

فى خدمته من المناصحة كل أمر تقدم من الإساءة(١) » . ووردت الكتب من الملك الصالح [نجـم الدين أيوب(٢)] إلى الأمـير حسام الدين والنواب بدمشق ، بأن يقوموا بخـدمته(٣) أتم قيام ، إلى أن يرد إلى الديار المصرية . وكان الملك المنصور [إبراهيم(٤)] قدابتـدأ به مرض السل ، واشتد به المرض بدمشق(٥) ، ولم تزل قواه تضعف إلى أن توفى بالنيرب بظاهر(٦) دمشق ، فحمل إلى حمص ودفن بظاهرها(٧) . وكانت مدة ملكه نحو سبع سنين .

ذكر سيرته رحمه الله [تعالى(٨)]

كان(٩) ملكا جليلا شجاعا مقداما ، ذاهمة عالية ، وكان له أثر عظيم فى كسر عسكر السلطان جلال الدين [بن(١٠)] خوارزم شاه فى سنة سبع [٥٦ب] وعشرين وستمائة مع الملك الأشرف فإن والده كان سيره نجـدة له . وكسر الخوارزميـة فى الشرق مرتين(١١) وأضعف ركنهم ، ثم كسرهم الكسرة العظمى بعيون القصب ، وقتل ملكهم ،

---

(١) فى نسخة ب « الإشارة » والصيغة المثبتة من س .
(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .
(٣) فى نسخة س « فى خدمته » والصيغة المثبتة من ب .
(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .
(٥) فى نسخة س « فى دمشق » والصيغة المثبتة من ب .
(٦) فى نسخة س « ظاهر » والصيغة المثبتة من ب .
(٧) فى نسخة س « فدفن » والصيغة المثبتة من ب .
(٨) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب ، وعن سيرة الملك المنصور ابراهيم صاحب حمص انظر : أبو الفدا ، المختصر ، ج٣ ، ص ١٧٦ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص٧٠٥ ؛ ابن أيبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٥٨ — ٣٥٩ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ق ٨٤ ؛ العينى ، عقد الجمان ، حوادث سنة ٦٤٤هـ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٢٥ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٦ ، ص ٣٣٦ .
(٩) فى نسخة س « كان الملك المنصور صاحب حمص » .
(١٠) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .
(١١) فى نسخة س « مرتين فى الشرق » والصيغة المثبتة من ب .

وفرق جمعهم . وكان على خلاف طريقة أبيه فى سياسة الرعية ؛ فإن أباه كان عنده حيف كثير وعسف، فخربت[١] بذلك حمص و بلادها، وتفرق أهلها فى البلاد . فلما ولى الملك المنصور [ابراهيم[٢]] أحسن إلى الرعية ، ولطف بهم ، وكانت عنده سماحة كف ، وحسن ملتقى[٣] ، فعمرت حمص فى أيامه ، وتراجع إليها من أهلها من كان نزح عنها ، وبث فيهم العدل ، وأطلق كثيرا ممن[٤] كان حبسه أبوه وأطال سجنه . وكان له أخ يقال له الملك المسعود فخاف منه فحبسه[٥] ، فلم يزل فى حبسه حتى[٦] مات .

ذكر استيلاء الأشرف الملك
موسى بن الملك المنصور على حمص [وبلادها[٧]]

ولما توفى الملك المنصور قام بالملك بحمص بعده ولده الملك الأشرف مظفر الدين موسى ، وكان صبيا فقام بتدبير دولته ووزارته مخلص الدين إبراهيم ابن اسماعيل بن قرناص ، وهو من أكابر أهل حماة، وكان معتقلا فى حبس الملك المجاهد [أسد الدين[٨]] مع من اعتقل من أقاربه بنى قرناص حين[٩] قبض على

(١) فى نسخة س « فخرب » والصيغة المثبتة من س .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٣) فى نسخة س « تأتى » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) فى نسخة س « مما » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) فى نسخة س « وحبسه » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) فى نسخة س « إلى أن » والصيغة المثبتة من ب .

(٧-٨) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٩) فى نسخة س « من حين » والصيغة المثبتة من ب .

سيف الدين بن أبى[(١)] على [الهذبانى[(٢)]]وأصحابه [فلما مات أسد الدين أخرجه الملك المنصور إبراهيم واستخدمه ، فلما توفى الملك المنصور توزر للملك الأشرف . وكان رجلا فاضلا[(٣)]]، فأشار على الملك الأشرف بالانتماء[(٤)] إلى [السلطان[(٥)]] المـلك الصالح [نجم الدين أيوب[(٦)]] وملازمة طاعته ، وترددت الكتب بينه وبين الملك الصالح والمراســلة[(٧)] .

ذكر مسير السلطان [الملك[(٨)]] الصالح الى الشام

ولمـا فتحت بعلبـك كتب السلطان الملك الصالح [نجم الدين أيوب[(٩)]] إلى الأمير حسام الدين بن أبى على يأمره بالقدوم عليه . وبعث إلى دمشق الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح ، وجعـله نائبا عنه فيها[(١٠)] ، فوصل إلى دمشق [يوم سفر حسام الدين منها[(١١)]] . وبقى فى القلعة الطواشى [شهاب الدين[(١٢)]] رشيد [٥٧ ا] الكبير على حاله . وأقام جمال الدين [يحيى بن مطروح[(١٣)]] بدمشق يرتب أمورها[(١٤)] مع الطواشى شهاب الدين .

---

(١) فى نسخة س « أبو » وهو تحريف والصيغة الصحيحة المثبتة من ب .

(٢–٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٤) فى نسخة ب « فاتفق معه على الانتماء » والصيغة المثبتة من نسخة س .

(٥) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٦) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٧) فى نسخة س « وبين الملك الصالح نجم الدين والمراسلات » والصيغة المثبتة من ب .

(٨ — ٩) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٠) ذكر المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٣٢٦) ان ابن مطروح أُرسل إلى دمشق « وزيرا وأميرا ، وأنعم عليه بسبعين فارسا بدمشق » .

(١١) مابين الحاصرتين من نسخة ب وورد بدلها فى نسخة س « ثم سفر حسام الدين بن أبى على منها » .

(١٢) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(١٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٤) فى نسخة ب « أمرها » والصيغة المثبتة من س .

وقدم حسام الدين إلى القاهرة فاستنابه[1] الملك الصالح [نجم الدين أيوب][2] بها وبسائر الديار المصرية ، وأنزله بدار الوزارة ، وفوض أمور الملك[3] كلها اليه ، وأقامه فى ذلك مقام نفسه . ثم سافر الملك الصالح [نجم الدين أيوب][4] الى دمشق ، ووصل إلى خدمته مولانا[5] السلطان [الملك][6] المنصور صاحب حماة ، وسنه[7] يومئذ اثنتى عشرة سنة . ووصل [إليه][8] أيضا الملك الأشرف صاحب حمص فأكرمهما وقربهما . وكان أدناهما منزلة منه وأعظمهما محلا عنده ، الملك المنصور [رحمه الله][9] رعاية لحق والده الملك المظفر رحمة الله عليه[10] . ثم وصل[11] إلى بعلبك ، ورتب أمورها ونظر إلى أسوارها فلم تعجبه فأمر بإصلاحها وتحصينها ، ثم عاد إلى دمشق ولم يزل بالشام إلى أن خرجت هذه السنة .

---

(١) فى نسخة س « واستنابه » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٣) فى نسخة س « المملكة » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٥) فى نسخة س « المولى » والصيغة المثبتة من ب .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٧) فى نسخة س « وعمره » والصيغة المثبتة من ب .

(٨ — ٩) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(١٠) فى نسخة س « رحمه الله » والصيغة المثبتة من ب .

(١١) فى نسخة س « رحل » والصيغه المثبتة من ب ، وذكر المقريزى (السلوك ، ج ١ ، ص ٣٢٦) أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب « سار بعد خمسة عشر يوما إلى بعلبك » .

ودخلت سنة خمس وأربعين وستمائة(*)

والسلطان الملك الصالح [نجم الدين أيوب](1) بالشام ونائبه بالديار المصرية الأمير حسام الدين [أبو على بن محمد](2) بن أبى على . وكان أبوه بدر الدين محمد بن أبى على، وقريبه علاء الدين فى حبس الملك المجاهد [أسد الدين](3) صاحب حمص، فأطلقهما الملك المنصور [ابراهيم](4) لمـا انتمى إلى الملك الصالح ودخل فى طاعته، وكانا من جملة من أُخذ مع سيف الدين [بن أبى على الهذبانى](5) . وكان الملك الصالح طلب منه سيف الدين، ظنا منه أنه باق(6)، فأخبر بعدمه، وكان معتقلا بتدمر وبها مات . وقدم(7) بدر الدين إلى ابنـه(8) حسام الدين ومعه علاء الدين فسر لخلاصهما وقدومهما عليه . ثم توفى بدر الدين [والد حسام الدين](9) بعد قدومه بمدة يسيرة، فدفنه بالرصد(10) وبنى عليه بذلك المكان تربة .

(*) يوافق أولها ٨ مايو سنة ١٢٤٧ ميلادية .

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٣ — ٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٥) مابين الحاصرتين للتوضيح .

(٦) فى نسخة س « وأنه » والصيغة المثبتة من ب .

(٧) فى نسخة ب « فقدم » والصيغة المثبتة من س .

(٨) فى نسخة ب « أبيه » وهو تحريف ، والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة س وكما يفهم من سياق المعنى .

(٩) مابين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س وساقط من ب .

(١٠) هو مكان كان يقع فيما بين بركة الحبش وفسطاط مصر ، كان يعرف قديما باسم الجرف ثم عرف بالرصد عندما أقام الأفضل بن بدر الجمالى فوقه كرة لرصد الكواكب ، فعرف حينئذ بهـذا الاسم ، انظر المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

ذكر قدوم الملك الصالح [نجم الدين أيوب][1]
إلى الديار المصرية

وقدم الملك الصالح فى أوائل هـذه السنة إلى الديار المصرية[2] . ولما دخل الرمل عرض له وجع فى حلقه خيف عليه منه ، وبلغ ذلك حسام الدين [٥٧ ا] فاضطرب لذلك وانزعج منه[3] ؛ فإن الملك الصالح [نجم الدين][4] لم يكن له بديار مصر ولد يرجى للقيام بالملك بعـده . وكان قد وُلد له قبل أن يصـل إلى مصر وولد من جاريتـه المسماة شجر الدر فسماه خليلا ، فتوفى بعد دخوله مصر . وتوفى بدمشق ولده الملك القاهر والملك الصالح بنابلس ، قبل أن تؤخذ دمشق منه . ثم توفى ولده الملك المغيث فتح الدين عمر معتقلا عند عمه الملك الصالح [عماد الدين إسماعيل][5] ، وكان ولده المعظم بحصن كيفا .

وحكى لى[6] الأمير حسام الدين [أبى على][7] قال : لما ودعنى السلطان الملك الصالح عند[8] سفره إلى دمشق قال لى : « إنى[9] مسافر إلى الشام وأخاف أن يعرض لى موت

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٢) وردت هـذه الجملة فى نسخة س « ورحل الملك الصالح نجم الدين أيوب الى الديار المصرية فى أوائل هذه السنة » والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة س « فاضطرب منه وانزعج لذلك » والصيغة المثبتة من نسخة ب .

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س .

(٥) مابين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

(٦) نقل ابن تغرى بردى (النجوم ، ج ٦ ، ص ٣٢٧ — ٣٢٨) هذه القصة عن ابن واصل .

(٧) مابين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

(٨) فى نسخة س « حين » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) فى نسخة س « أنا » والصيغة المثبتة من نسخة ب ومن ابن تغرى بردى (النجوم ، ج ٦ ، ص ٣٢٧) .

وأخى الملك العادل بقلعة مصر[1] ، فيأخذ البلاد وما يجرى عليكم منـه خير ، [فإن مرض لى فى سفرى هذا مرض ولو أنه وجع إصبع أو حمى يوم فأعدمه ، فإنه لا خير فيه لكم . وولدى توران شاه لا يصلح للملك ؛ فإن بلغك موتى فلا تسلم البلاد لأحد من أهلى بل سلمها إلى الخليفة المستعصم بالله » . قلت : إنمـا أمره بأن لا يسلم البلاد إلى أحد من أقاربه لأنه كان موغر الصدر عليهم بمـا جرى عليه من جهتهم . هذا صورة ما سمعته من الأمير حسام الدين رحمه الله[2]] .

فلما ورد على حسام الدين [مرض الملك الصالح[3]] بالخوانيق[4] عظم ذلك عليه ، وخاف خوفا شديدا . ثم لم يلبث أن[5] وردت البشرى من جهته بعافيته [وسلامته[6]] ، فسر بذلك غاية السرور . ثم وصل بعـد ذلك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب إلى القاهرة ، وزينت لقدومه أتم زينة[7] .

---

(١) فى نسخة س « وأخى الملك العادل معتقلا بالقلعــة » والصيغة المثبتة من نسخة ب ، انظر ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٦ ، ص ٣٢٧ .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة س ومثبت فى ب .

(٣) فى نسخة س « مرض السلطان » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) ذكر الخوارزمى (مفاتيح العـلوم ، ص ٩٧) « الخناق أن يحدث فى المبلع ضيق يقال له خوانيق » وهو المرض المسمى بالذبحة ؛ انظر ، المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٥ حاشية ٨ .

(٥) فى نسخة س « ثم لم يلبث بعد ذلك إلا قليلا حتى » والصيغة المثبته من ب .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٧) فى نسخة ب « ثم وصل إلى القاهرة وزينت لقدمه » والصيغة المثبتة من س .

ذكر تسليم قلعة شميميش[1] إلى الملك الصالح نجم الدين [أيوب[2]] وعزم الحلبيين على محاصرة حمص لأجل ذلك

وفى هذه السنة سلم الملك الأشرف [بن الملك المنصور[3]] صاحب حمص قلعة شميميش إلى السلطان الملك الصالح [نجم الدين أيوب[4]] . وكان السبب فى ذلك أن مخلص الدين ابراهيم بن قرناص وزير الملك الأشرف حسن للملك الأشرف ذلك ليتقرب به إلى الملك الصالح . وتكررت[5] بين مخلص الدين [وبين الملك الصالح نجم الدين أيوب][6] مراسلات فى ذلك، وأراد [٥٨ ا] مخلص الدين الحظوة عند الملك الصالح والقرب منه بتسليم هذه القلعة إليه ، فسلمت القلعة إلى نواب الملك الصالح [نجم الدين أيوب][7] . وبلغ ذلك الملك[8] الناصر صاحب حلب ومدبر دولته[9] الأمير شمس الدين لؤلؤ الأمينى ، فعظم ذلك عليهما ، وخافا أن يكون ذلك سببا لتطرق الملك[10] الصالح [نجم الدين أيوب[11]] إلى بلاد حلب[12]، فصمما العزم على قصد حمص ومحاصرتها وأخذها من الملك الاشرف .

---

(١) فى نسختى المخطوطة شميميس ، وسبق كتابتها شميميش (انظر ابن واصل ج ٤ ، ص ٢٨٢ وحاشية ٧) اعتمادا على ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٤ وحاشية ١ ، والمقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٤٦ .

(٢ — ٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٥) فى نسخة س « قال فتكررت » والصيغة المثبتة من ب .

(٦ — ٧) مابين الحاصرتين من نسخة س وورد بدلها فى ب « الملك الصالح » .

(٨) فى نسخة س « وبلغ ذلك إلى الملك » والصيغة المثبتة من ب .

(٩) فى نسخة س « وكان مدبر دولته » والصيغة المثبتة من ب .

(١٠) فى نسخة س « للتطرق للملك » والصيغة المثبتة من ب .

(١١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٢) فى نسخة ب « الحلب » والصيغة المثبتة من س .

ذكر مســـير السلطان إلى الشام لفتح عسقلان وطـــبريه (١)

كنا قد ذكرنا أن الملك الصالح [عماد الدين (٢)] اسماعيل قد سلم عسقلان وطبرية (٣) إلى الفرنج ، وكانتا (٤) خرابا ، فبنى بها الفرنج قلعتين (٥) وحصنوهما (٦) . فلما كان فى السنة الماضية حاصرهما الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بعد منازلة الكرك (٧) ، ففتحهما وهدمهما وطهرهما من الفرنج . وو ردت البشرى (٨) بفتحهما إلى القاهرة والسلطان [الملك الصالح نجم الدين أيوب (٩)] بالشام ، فاستبشر المسلمون بعودهما وتطهيرهما من الفرنج وضربت البشائر لهذا الفتح .

ذكر خروج العساكر المصرية إلى الشام لإنجاد الملك الأشرف صاحب حمص

ولما بلغ السلطان الملك الصالح [نجم الدين أيوب (١٠)] عزم الحلبيين على قصد حمص أمر العسكر (١١) بالمسير إلى الشام لانجاد صاحب حمص على الحلبيين ، فتقدم

---

(١) فى نسخة ب « ذكر فتح عسقلان وطبرية » والصيغة المثبتة من س وعن هذا الخبر انظر أيضا : النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ق ٨٥ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٥٨٠ ؛ أبو الفدا ، ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٧٦ ؛ المقريزى ، السلوك ج ١ ، ص ٣٢٧ .

(٢) ما بين الحاصرتين للتوضيح من نسخة س .

(٣) فى نسخة س « كان قد سلم طبرية وعسقلان » والصيغة المثبتة من ب .

(٤) فى نسخة س « وكانت » والصيغة الصحيحة المثبتة من ب .

(٥) فى نسخة س « قلعتان » والصيغة الصحيحة المثبتة من ب .

(٦) فى نسخة ب « وحصونها » والصيغة المثبتة من س .

(٧) وردت الجملة فى نسخة س فى قليل من التغيير و بنفس المعنى .

(٨) فى نسخة س « البشائر » والصيغة المثبتة من ب .

(٩ — ١٠) ما بين الحاصرتين من نسخة س .

(١١) فى نسخة س « العساكر » والصيغة المثبتة من ب .

إلى الأمير فخر الدين [يوسف][1] بن شيخ الشيوخ بأن يسير بالأمراء الى دمشق [فسار][2] . ونزلت [بقية العساكر والحلقة السلطانية][3] بالسانح وضرب الدهليز بها . وكان الملك الصالح [نجم الدين أيوب][4] قد ابتنى بالسانح قصورا له ، وابتنى مدينة سماها الصالحيه[5] ، وجعل فيها سوقا وجامعا ليكون مركزا للعساكر[6] عند خروجهم من الرمل . وخرج السلطان من القاهرة [ونزل][7] بقصره بأشمون طناح ، ولم يزل به إلى أن خرجت هذه السنة . واستناب بالديار المصرية الأمير حسام الدين [بن][8] أبي علي [الهذباني على العادة][9] .

ذكر وفاة الملك العادل بن الملك الكامل

ولما أراد [السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب][10] أن يسافر إلى الشام تقدم بأن يسير[11] الملك العادل إلى الشوبك فيكون بها معتقلا لأنه خاف أن يخرج إلى الشام ويحدث به حادث موت فيملك الملك العادل البلاد بعده[13] ، فضربت له[14] خيمة

(١ — ٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٥) عن الصالحية انظر أيضا ، المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٨٤ ، ٢٢٧ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٣٠ ؛ محمد رمزي ، القاموس الجغرافي ، القسم الثاني ، ج ١ ، ص ١١٢ — ١١٣ ؛ حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٧٠ .

(٦) في نسخة س « مركز العساكر » والصيغة المثبتة من ب .

(٧—٨) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من نسخة س .

(٩) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(١٠) مابين الحاصرتين من نسخة س وفي ب « الملك الصالح » .

(١١) في نسخه س « بأن يسير أخيه » والصيغة المثبتة من ب .

(١٢) في نسخة س « ليكون » والصيغة المثبتة من ب .

(١٣) في نسخة ب « فيلي الملك العادل البلاد » والصيغه المثبتة من س .

(١٤) في نسخة س « للملك العادل » والصيغة المثبتة من ب .

خارج القاهرة (١) ليخرج إليها ثم يمضى (٢) معه من يوصله إلى الشوبك. وسير [إلى الملك العادل بعد ذلك] (٣) يأمره بالسفر ، فامتنع من ذلك . واتفقت وفاته بقلعة الجبل [بعد ذلك بيوم] (٤) . فجُهز وأُخرج إلى مقبرة شمس الدولة بن صلاح الدين خارج باب النصر فدفن بها . [واستراح الملك الصالح من همه] (٥) وذلك فى شوال من هذه السنة ، أعنى سنة خمس وأربعين وستمائة ، فكانت مدة اعتقاله بعد أن قبض عليه ببلبيس قريبا من ثمان سنين . وكان عمره نحو ثلاثين سنة لأنه بلغنى أنه ولد سنة خمس عشرة (٦) وستمائة بعد وفاة جده الملك العادل فسماه الملك الكامل باسمه ، ولقبه بلقبه . وخلف ولداً صغيراً وهو الملك المغيث فتح الدين عمر ، فأُنزل إلى القاهرة فكان عند عماته بنات الملك العادل [المعروفات بالقطبيات ، لأنهن إخوات الملك المفضل قطب الدين بن الملك العادل ، وعندهن فى تلك الدار بنات قطب الدين . وأُشهر أن الملك العادل لما امتنع من المسير الى الشوبك دخل إليه الطواشى محسن الصالحى وتقدم بخنقه فخُنق والله أعلم بحقيقة ذلك . وبقى الملك المغيث فتح الدين عمر عند القطبيات إلى ان مات الملك الصالح] (٧) ، وكان من أمره

(١) فى نسخة س « خارج البلد » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة ب « مضى » والصيغة المثبتة من س .

(٣) مابين الحاصرتين من نسخة س وورد بدله فى ب « إليه » .

(٤ - ٥) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٦) فى نسخة س « خمسة عشر » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من ب .

(٧) مابين الحاصرتين من نسخة ب وورد بدله فى نسخة س « فبقى عندهن الى أن مات الملك الصالح » وذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٧ ق ٨٦) أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب بعث « اليه الطواشى محسن الخادم فأخبره بما رسم به السلطان من توجهه ، فامتنع وقال إن أراد قتلى فى الشوبك فههنا أولى ، ولا أتوجه أبدا ، فعدله محسن الخادم فرماه بدواة كانت عنده ، فعاد الى السلطان وأخبره فقال له دبر أمره ، فأخذ ثلاثة مماليك وقيل أربعة ودخلوا عليه فى ليلة الاثنين ثانى عشر شوال فخنقوه بشاش عليه ، وقيل بوتر ، وعلقوه بعمامته ، وأظهروا أنه شنق نفسه . وخرجت جنازته كجنازة الغرباء ، ودفن بتربة شمس الدولة . ولم يتمتع الملك الصالح بعده بالدنيا فانه مات بعد ذلك بعشرة أشهر » أنظر أيضا سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٥١٢ ؛ العينى ، عقد الجمان ، حوادث سنة ٦٤٥ هـ ؛ ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، ج ٥ ، ق ٦٤١ .

ماسنذكره إن شاء الله تعالى . [وأما الأمراء الذين قبضوا على الملك العادل فماتوا كلهم فى الحبوس والقيود، ولم يفرح لهم قلب بعد ماعملوا فى حقه ماعملوا] (١) .

ذكر سيرته ر ٥ه الله [تعالى] (٢)

كان جوادا كثير البـذل ، [وأنفق الخزائن التى جمعها والده فذهبت كلها فى المدة اليسيرة ، وكان والده إنما جمعها فى المدة الطويلة] (٣) . وكانت أيامه زاهية زاهرة ، والأسعار فى غاية الرخص إلا أنه لم يكن فيـه صرامة وحسن سـياسة يضبط بها الجند . وقدم الأراذل (٤) وأخر الأكابر [فلذلك مع تقدير الله تعـالى جرى عليه ماجرى] (٥) .

وفى هذه السنة فى هذا الشهر [بعينه] (٦) توفى بقلعة الجبل [أيضا] (٧) [بدرالدين] (٨) سـليمان بن داود بن العاضـد الذى كان آخر خلفاء المصريين . وكانت الشيـعة

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٢) ما بين الحاصرتين من نسخة س ، وعن سيرة الملك العـادل بن الكامل ، انظر ترجمتـه فى ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، ج ٥ ، ق ٦٣٩ — ٦٤١ .

(٣) ورد ما بين الحاصرتين فى نسخة س فى كثير من الخلط ، والصيغة الصحيحة المثبتة من نسخة ب .

(٤) فى نسخة س « الأرذال » والصيغة المثبتة من ب .

(٥) ما بين الحاصرتين من نسـخة ب وورد بدله فى س « ولم يكن له سعادة مع تقـدير الله تعالى لجرى عليه ماجرى » .

(٦) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٧) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٨) ما بين الحاصرتين من نسخة س وورد بدله فى نسخة ب « الأمير » انظر أيضا ابن ايبك ، الدر المطلوب ، ص ٣٦٣ .

الإسماعيلية[1] [بمصر ودعاتهم[2]] يعتقـدون الأمامة بعـد موت العاضـد فى ابنه داود بن العاضد . وكان و إخوته[3] وأولادهم محبوسين بقلعـة الجبل وقـد منعوا من النساء لينقطع نسلهم ، فدس بعض الشيعة جارية إلى داود بن العاضد [فى زى غلام[4]] فوطئها ، فولدت [له[5]] سليمان بعد أن أخرجها الشيعة من القلعة سرا . وتركوا ولدها فى بعض النواحى فظفر الملك الكامل به فاعتقله فى القلعة ، وبقى فيها معتقلا . والشيعة ودعاتهم يجتمعون به ويعتقدون الإمامة فيه بعد أبيه داود. ولما توفى [فى هذه السنة[6]] لم يبق لهم[7] من يعتقدون إمامته[8] ، إلا أنه بلغنى أن منهم[9] من يعتقد[10] أن لسليمان هذا ولدا مخفيا بالصعيد والله أعلم .

وفى العشر الأوسط من شهر رمضان من هذه السنة وصلت الصاحبة عصمة الدين عائشة خاتون بنت الملك العزيز بن الملك الظاهر [قدس الله روحها[11]] من حلب إلى حماة . [وكان قد عقد العقد عليها المولى السلطان الملك المنصور رحمـه

(١) فى نسخة س « وكان بيت الشيعة الاسماعيلية » والصيغة المثبتة من ب .

(٢) فى نسخة س « ببغداد ودعاتهم » وهو تحريف والصيغة المثبتة من ب .

(٣) فى نسخة ب « وكان العاضد و إخوته » والصيغة المثبتة من س ، انظر أيضا ، المقـريزى ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، ج ٣ ، ص ٣٤٧ .

(٤) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س .

(٥–٦) ما بين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب .

(٧) فى نسخة س « ما بقى لهم » والصيغة المثبتة من ب .

(٨) فى نسخة ب « إلا يه » وهو تصحيف والصيغة المثبتة من س .

(٩) فى نسخة س « فيهم » والصيغة المثبتة من ب .

(١٠) فى نسخة س « يعتقدون » والصيغة المثبتة من ب .

(١١) ما بين الحاصرتين من نسخة ب وورد بدله فى نسخة س « رحمها الله » .

الله من قبل هذا(١)]. وكان توجه لإحضارها من حلب [الشيخ شرف الدين عبد العزيز ابن محمد بن عبد المحسن الانصارى رحمه الله(٢)] والطواشى(٣) شجاع الدين مرشد المنصورى والأمير مجاهد الدين قايماز [أمير(٤)] جاندار ، فوصلت(٥) إلى حماه وصحبتها والدتها الستر العالى فاطمة خاتون بنت السلطان الملك الكامل فى تجمل عظيم وأبهة جليلة ، ومحفة ملبسة بالذهب والحرير ، مكالة بالجواهر ، وأوانى الذهب والفضة ومايتبع ذلك من أوانى التجملات ، والأقمشة والزينة والجوارى والخدم. وتلقت محفتها الأمراء [والأكابر(٦)] وعظماء [٥٩ب] البلد. وفرشت الثياب الطلس وغيرها من الثياب الفاخرة بين يدى بغال المحفة. وتلقاها السلطان [الملك المنصور قدس الله روحه(٧)] ووالدته الصاحبة خالتها [غازية خاتون(٨)] بنت السلطان الملك الكامل رحمه الله(٩). وصعدت [إلى(١٠)] القلعة المحروسة [فى أسعد وقت وأيمن طالع(١١)].

* * *

(١) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

(٢) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س.

(٣) فى نسخة س « الطواش ».

(٤) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

(٥) فى نسخة س « فوصلوا بها » والصيغة المثبتة من ب.

(٦-٧) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س.

(٨) مابين الحاصرتين من نسخة س وساقط من ب.

(٩) فى نسخة ب « رحمهما الله » والصيغة المثبتة من س.

(١٠-١١) مابين الحاصرتين من نسخة ب وساقط من س.

ابن واصل

مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب

فهارس الجزء الخامس

- فهرس الأعلام .
- فهرس الأماكن والبلدان .
- فهرس المصطلحات التاريخية .

فهـــرس الأعـــلام (*)

(*) ساعد فى اخراج هذه الفهارس السيدة نجوى مصطفى كامل وعبد الرحمن أمين صادق وهما من مساعدى الباحثين بمركز تحقيق التراث .

(ح)

(خ)

(د)

(ع)

(ل)

(م)

ثانيا – فهرس الأماكن والبلدان

(ش)

(ص)

(ط)

(ظ)

(ع)

ثالثا — فهرس المصطلحات التاريخية

(ح)

(خ)

(ز)

(س)

(ش)

(ق)

(ك)

(ن)

(و)

(ى)

المصادر والمراجع المذكورة فى حواشى
الجزء الخامس من كتاب مفرج الكروب

تحتوى القائمة التالية على أسماء المصادر والمراجع الإضافية التى استلزمها تحقيق الجزء الخامس من كتاب مفرج الكروب لابن واصل :

أولا — المصادر العربية

ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم ، ت ٦٦٨هـ/١٢٧٠ م):

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، جزءان ، القاهرة ١٨٨٢ م .

ابن الأثير (على بن محمد ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) :

الكامل فى التاريخ ، ١٤ جزءا ، ليدن ١٨٥١ — ١٨٧٦ .

ابن أيبك الدوادارى (أبو بكر بن عبد الله ، ت بعد ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م) :

كنز الدرر وجامع الغرر ؛

الجزء السابع : الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب ، حققه سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٧٢ .

الجزء الثامن : الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية ، حققه أولرخ هارمان ، القاهرة ١٩٧١ .

الجزء التاسع : الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ، حققه هانس روبرت رويمر ، القاهرة ١٩٦٠ .

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) :

— النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١٦ جزءا ، القاهرة ١٩٢٩ — ١٩٧٢ .

— المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، ٥ أجزاء ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ١٢٠٩ تاريخ تيمور .

ابن حجر العسقلانى (أحمد بن على ، ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) :

إنباء الغُمر بأنباء العُمر ، حققه حسن حبشى ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٦٩ — ١٩٧٢ .

ابن خلكان (أحمد بن محمد ، ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :

كتاب وفيات الأعيان ، جزءان ، القاهرة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م .

ابن دحية (الحافظ مجد الدين أبو الخطاب عمر بن الحسن، ت ٦٣٣ هـ/١٢٣٥ م):

كتاب المطرب فى أشعار أهل المغرب ، ط . الخرطوم ١٩٥٤ .

ابن سعيد الأندلسى (على بن موسى ، ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) وآخرون :

— المغرب فى حلى المغرب ، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر ، حققه زكى محمد حسن وآخرون ، القاهرة ١٩٥٣ .

— النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب فى حلى المغرب ، حققه حسين نصار ، القاهرة ١٩٧٠ .

ابن سيده (أبو الحسن على بن اسماعيل ، ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) :

المخصص ، ١٧ جزءا ، القاهرة ١٣١٨ — ١٣٢١ هـ / ١٩٠٠ — ١٩٠٣ م .

ابن الشحنه (أبو الفضل محمد بن الشحنه الحنفى ، ولد حوالى ٨٠٠ هـ/١٣٩٧ م):
الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، بيروت ١٩٠٩ م .

ابن شداد (بهاء الدين يوسف بن رافع ، ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) :
النوادر السلطانيه والمحاسن اليوسفيه (سيرة صلاح الدين) ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤ .

ابن عبد الحق البغدادى (صفى الدين عبد المؤمن ، ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) :
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق محمد على البجاوى ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٥٤ — ١٩٥٥ .

ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد ، ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) :
زبدة الحلب من تاريخ حلب ، حققه سامى الدهان ، ٣ أجزاء ، دمشق ١٩٥١ — ١٩٦٨ .

ابن العماد (عبد الحى بن أحمد ، ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م) :
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ٨ أجزاء ، القاهرة ١٩٣١ — ١٩٣٣ .

ابن عنين (محمد بن نصر الله ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) :
ديوان ابن عنين ، تحقيق خليل مردم ، دمشق ١٩٤٦ .

ابن فضل الله العمرى (أحمد بن يحيى ، ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) :
التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م .

ابن كثير (إسماعيل بن عمر ، ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) :
البداية والنهاية ، ١٤ جزءا ، القاهرة ١٩٣٢ — ١٩٣٩ .

ابن مماتى (الأسعد بن الخطير ، ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) :

كتاب قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣ .

ابن منظور (محمد بن مكرم ، ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) :

لسان العرب ، ٢٠ جزءاً ، القاهرة ١٨٨٢ — ١٨٩١ .

ابن واصل (محمد بن سالم ، ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) :

مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ،أجزاء ١ — ٣ تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٣ — ١٩٦٠ ؛الجزء الرابع تحقيق حسنين محمد ربيع ، القاهرة ١٩٧٢ .

أبو تمام (حبيب بن أوس الطائى ، ت ٢٢٨ هـ / ٨٤٢ — ٨٤٣ م) :

ديوان أبى تمام ، شرح وتعليق شاهين عطيه ، بيروت ١٩٦٨ .

أبو الفدا (إسماعيل بن على ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) :

— تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠ .

— المختصر فى أخبار البشر ، ٤ أجزاء ، استانبول ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤ — ١٨٦٥ م .

أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل ، ت ٦٦٥ هـ — ١٢٦٨ م) :

كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ، جزءان ، القاهرة ١٨٧٠ م ؛ الجزء الأول (قسم ١ — ٢) تحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة ١٩٥٦ ، ١٩٦٢ .

الإدفوى (جعفر بن ثعلب ، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) :

الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، تحقيق سعد محمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦ .

الجواليق (أبو منصور موهوب بن أحمد ، ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) :

المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، الطبعة الثانيه ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٩٦٩ .

حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله كاتب چلبي ، ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م) :

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، ط . استانبول ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م .

الحسن بن الهيثم (أبو على الحسن بن الحسن ، ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م) :

الشكوك على بطليموس ، تحقيق عبد الحميد صبره ونبيل الشهابى ، القاهرة ١٩٧١ .

الحنبلى (أحمد بن إبراهيم) :

شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، مخطوط بالتصوير الشمسى ، مكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٣١ .

الخطيب البغدادى (أبو بكر أحمد بن على ، ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) :

تاريخ بغداد ، ١٤ جزءا ، القاهرة ١٩٣١ — ١٩٣٢ .

الخوارزمى (محمد بن أحمد ، النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) :

مفاتيح العلوم ، ليدن ١٨٩٥ .

ذو الرمة (غيلان بن عقبه العدوى ، ت ١١٧ هـ / ٧٣٥ م) :

ديوان شعر ذى الرمة ، كمبردج ١٩١٩ م .

الزبيدى (محمد مرتضى الحسينى ، ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ — ١٧٩١ م) :

تاج العـروس فى جواهر القاموس ، ١٠ أجزاء ، القاهرة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م .

الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر ، ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م) :
أساس البلاغة ، الطبعة الثانية ، جزءان ، القاهرة ١٩٧٢ — ١٩٧٣ .

سبط ابن الجوزي (يوسف بن قزغلو ، ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م) :
مرآة الزمان ، شيكاغو ١٩٠٧ .

السبكي (عبد الوهاب بن علي ، ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م) :
— طبقات الشافعية الكبرى ، ٦ أجزاء ، القاهرة ١٣٢٤ هـ/١٩٠٧ م .
— معيد النعم ومبيد النقم ، القاهرة ١٩٤٨ .

السيوطي (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ، ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :
— كوكب الروضة ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٥٥٤ تاريخ تيمور .
— بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، جزءان، القاهرة ١٩٦٤ .
— حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، جزءان ، القاهرة ١٩٦٧ .

العيني (محمود بن أحمد ، ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) :
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

الفراء (أبو يعلى محمد بن الحسين ، ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) :
الأحكام السلطانية ، القاهرة ١٩٣٨ .

الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب الشيرازي ، ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م) :
القاموس المحيط ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٥٢ .

القلقشندى (أحمد بن على ، ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) :

صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ١٤ جزءا ، القاهرة ١٩١٩ — ١٩٢٢ .

الكتبى (محمد بن شاكر ، ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣ م) :

فوات الوفيات ، جزءان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥١.

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب ، ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) :

الأحكام السلطانية ، القاهرة ١٩٦٦ .

المتنبي (أبو الطيب أحمد بن الحسين ، ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) :

ديوان أبى الطيب المتنبي ، ط . برلين ١٨٦١ م .

مسكويه (أبو على أحمد بن محمد ، ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) :

كتاب تجارب الأمم ، ٧ أجزاء ، القاهرة — اكسفورد ، ١٩١٤ — ١٩٢١ .

المقرى (شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى التلمسانى ، ت ١٠٤١هـ / ١٦٣٢م):

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م .

المقريزى (أحمد بن على ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :

— كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط) ، جزءان ، القاهرة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م .

— كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ — ٢ (٦ أقسام) تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٤ — ١٩٥٨ ؛ ج ٣ — ٤

(٦ أقسام) تحقـيق سعيـد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٧٠ — ١٩٧٣ .

— اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميـين الخلفـا ، ج ١ تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٧ ؛ ج ٢ — ٣ تحقيق محمــد حلمى محمد أحمد ، ١٩٧١، ١٩٧٣ .

— إمتاع الأسماع بما للـرسول من الأبناء والحفـدة والمتاع ، القاهرة ١٩٤١ م .

النابلسى (عثمان بن ابراهيم ، ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) :

كتاب لمع القوانين المضية فى دواوين الديار المصرية ، تحقيق C. Becker & C. Cahen,
Bulletin d'études Orientales, Vol. Xvi (1958 - 60).

الناصر داود بن المعظـم عيسى بن العادل الأيوبى (الملك الناصر صـلاح الدين صاحب الكرك) :

الفوائد الجليه فى الفرائد الناصرية ، ديوان رسائل الملك الناصر داود جمع ولده مجـد الدين أبو محمــد الحسن ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٩٣ أدب ، تحقـيق صـلاح البحيرى ، رسالة دكتوراه لم تنشر ، جامعة باريس .

النعيمى (عبد القادر بن محمد ، ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م) :

الدارس فى تاريخ المدارس جزءان ، دمشق ١٩٤٨، ١٩٥١ .

النويرى (أحمد بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣ م) :

نهاية الأرب فى فنون الأدب ، أجزاء ١ — ٢١ القـاهرة ، ١٩٢٣ — ١٩٧٦ ؛ بقـية الكتاب مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة .

ياقوت الرومى (ياقوت بن عبد الله الحموى ، ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) :

– معجم البلدان ، ٦ أجزاء ، ليبزج ١٨٦٦ — ١٨٧٠ م .

– إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق D. S. Margoliouth ، ٧ أجزاء ، القاهرة – لندن ١٩٠٧ — ١٩٣١ .

ثانيا – المراجع العربية والمترجمة

إبراهيم على طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ١٩٦٠ .

أحمد بن إبراهيم الصابونى : تاريخ حماه ، حماه ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ م .

أحمد عبد الرازق أحمد : الرنوك على عصر سلاطين المماليك ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢١ (١٩٧٤) ، ص ٦٧ — ١١٦ .

أحمد عيسى : معجم الأطباء (ذيل عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة) ، القاهرة ١٩٤٢ م .

إسماعيل باشا البغدادى : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، جزءان ، استانبول ١٩٥١ — ١٩٥٥ .

بطرس البستانى : محيط المحيط ، جزءان ، ١٨٦٧ م .

حسنين محمد ربيع : النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٤ .

درويش النخيلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، الاسكندرية ١٩٧٤ .

خير الدين الزركلى : الأعلام ، ١٠ أجزاء ، القاهرة ١٩٥٤ — ١٩٥٩ .

زامباور (ادوارد فون) : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، أخرجه زكى محمد حسن وحسن أحمد محمود، جزءان ، القاهرة ١٩٥١—١٩٥٢.

سركيس (يوسف اليان) : معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ١٩٢٨ .

سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥ .

السيد أحمد الهاشمى : ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب ، القاهرة ١٩٦١.

الشرتونى (سعيد الخورى) : أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد ، بيروت ، جزءان ، ١٨٨٩ .

عبد الرحمن زكى : السلاح فى الإسلام ، القاهرة ١٩٥١ .

لويس (برنارد): الدعوة الإسماعيلية الجديدة (الحشيشية)، ترجمة سهيل زكار، بيروت ١٩٧١ .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، قسمان فى ٥ أجزاء ، القاهرة ١٩٥٣ – ١٩٦٣.

محمد كرد على : خطط الشام ، ٦ أجزاء ، دمشق ١٩٢٥ .

محمد مصطفى : الرنوك المملوكية ، مجلة الرسالة ، مارس ١٩٤١ .

محمود محمد على الطناحى : ابن معطى وآراؤه النحوية ، رسالة ماجستير لم تطبع، كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة ١٩٧١.

ناصيف اليازجى : العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب، بيروت ١٨٨٧ م.

يوسف خليف : ذو الرمة ، شاعر الحب والصحراء ، القاهرة ١٩٧٠

ثالثاً – المراجع الأوربيـة

Bosworth, C. E., *The Islamic Dynasties*, Edinburgh, 1967.

Brockelmann, C., *Geschichte Der Arabischen Litteratur* (*GAL*), 2 vols., 2nd. edition, Leiden, 1945-1949, and 3 Supplementary Volumes, Leiden, 1937, 1942.

Dozy, R., *Supplement aux dictionnaires arabes*, 2 vols., Leiden 1881.

Elbeheiry, S. A. S., " Les Lettres d'Al-Nāṣir Dāwūd", in *Arabica*, XV (1968) pp. 170 - 182.

Encyclopaedia of Islam, 2nd. edition.

Gibb, H. A. R., *The Damascus Chronicle of the Crusades*, London, 1932.

Lassner, J., *The Topography of Baghdad in the early Middle Ages*, Detroit, 1970.

Le Strange, G., *The Lands of the Eastern Caliphate*, 2nd. ed., Cambridge, 1930.

وترجمه إلى اللغة العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد :

بلدان الخلافة الشرقية ، بغداد ١٩٥٤ .

Lewis, B., *The Assassins*, London, 1967.

وترجمه إلى اللغة العربية سهيل زكار ، بيروت ١٩٧١ .

Rabie, Hassanein, *The Financial System of Egypt A. H. 564 - 741 / A. D.* 1169 - *1341*, London, 1972.

Steingass, F., *A Comprehensive Persian - English Dictionary*, London, 1892.

فهـــرس المحتـــويات

صفحة

حوادث سنة ٦٣٥ هـ

صـفحة

حوادث سنة ٦٣٧ هـ .

حوادث سنة ٦٣٩ هـ .

حوادث سنة ٦٤٠ هـ .

صـفحة

صـفحة

حوادث سنة ٦٤٣ هـ.

حوادث سنة ٦٤٤ هـ.

تصويبات الأخطاء المطبعية

أفلتت أثناء مراجعة تجارب الجزء الخامس من كتاب مفرج الكروب بعض الأخطاء المطبعية التي لا تخفى على قارئ التاريخ :

الصفحة	السطر	الأخطاء المطبعية	الصيغة المراد إثباتها
١٢	٣	تسع عشرين	تسع وعشرين
١٤	١٢	نصرنى	ينصرنى
٤٢	١	مدابح	مدائح
٤٨	١٠	مظفر الدن	مظفر الدين
٥١	١٠	والمعاص	والمعاصى
٧٣	٧	عل	على
٩٢	٥	القاض	القاضى
١٠٠	٩	الحسروشاهى	الخسروشاهى
١١٥	٢	القاض.	القاضى
١٣٢	حاشية ١١	بغية الطاب	زبدة الحلب
١٦١	٧	لملأئمتها	لملاءمتها
١٦٩	٣	بقا ى	بقلبي
١٩٢	٨	ن	بن
٢١٠	حاشية ٨	الأم.	الأمير
٢١١	حاشية ٢	بكث.	بكثير
٢١٨	٨	الت	التى
٢٥١	١٢	الأشعردى	الأسعردى
٣٦٥	حاشية ٣	يغرى بردى	تغرى بردى
٣٦٨	حاشية ٥	حنقى	حنقى
٣٧١	٨	الأشرف الملك	الملك الأشرف
٣٨١	٣	رمه الله	رحمه الله

MUFARRIJ AL - KURŪB
FĪ
AKHBĀR BANĪ AYYŪB

(HISTORY OF THE AYYUBIDS)

By

JAMĀL AL-DĪN MUḤAMMAD IBN WAṢIL
(D. 697 A. H. / 1298 A. D.)

Volume V

(629 - 645 A. H. / 1231 - 1248 A. D.)

Edited and Annotated
By
DR. HASSANEIN RABIE
Associate Professor of Medieval History
Faculty of Arts, Univ. of Cairo

Revised and Prefaced
By
DR. SAID ASHOUR
Professor of Medieval History
Faculty of Arts, Univ. of Cairo